جامعة طهران- فرديس الفارابي

كلية الإلهيات

قسم اللغة العربية وآدابها

تحليل الخطاب القرآني من منظور اتجاهات علم اللغة الحديث

عبير جادري

الأستاذ المشرف:

الدكتور علي رضا محمدرضايي

الأستاذان المشرفان المساعدان:

الدكتور صادق فتحي دهكردي الدكتور عبدالرحيم حسيني

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

شتاء ١٣٩٦ه.ش/ ٢٠١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى حب أخضر.....

نما ..... فنما.. فنما.....

إلى جذور امتدت .....

إلى السماء.....

الى وردة حمراء.....

ازدهرت في الصحراء.....

إلى نور أشرق من البطحاء.....

سلام على روحك العظمى

يا نبض الحق

إليك يا رسول الله(صلى الله عليه وآله)

من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق

أخص بالشكر الجزيل كل من مد يد العون في إكمال مشواري العلمي والأدبي خاصة استاذي المشرف الكريم الدكتور محمد رضائي والدكتور فتحي المحترم والدكتور حسيني الكريم الأستاذان المشرفان المساعدان. كما أنني اخص بالشكر والامتنان أساتذتي المناقشين المحترمين الدكتور قائمي نيا والدكتور راد والدكتور باغجري واشكر الدكتور قاسمي المحترم رئيس القسم العربي لمساندته إياي سائلا المولى الكريم أن يسدد خطا أساتذتي الكبار في طريق العلم والبحث ويمد في ظلهم ويزيد في أعمارهم.

الملخص

منذ نزول القرآن الكريم تدفقت انبثاقاته العلمية والأدبية واللغوية على قرائح العلماء والأدباء واللغويين وغيرهم من ذوي القدرات والمهارات والكفاءات التخصصية. ففي عصرنا الراهن نرى دراسات لغوية شتى تارة اصتبغت بصبغة عربية وتارة ارتدت ملابس غربية. فصوبت سهمي في المجال اللغوي إلى اتجاهين: الشكلية والوظيفية من الاتجاهات الثلاث(الشكلية،الوظيفية والمعرفية)لعلم اللغة الحديث. فجعلت على عاتق البحث معالجة تحليل الخطاب القرآني من المنظور الشكلاني حيث نرى على سبيل المثال تغيرات في تسميات المرسل وقد تتغير حيثياته من الغيبة بأشكالها اللغوية المنطوقة تحت لفظة: (الله والرب وهو) ثم التكلم بأشكاله: (أنا نا، ي) التي نرى فيها فقها للاستعمال والدلالة. كما تعرضنا للأوزان الصرفية من مثل: الذكر والمدّكر الواردة في: ﴿وَ لَقَدْ يسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ فعالجنا فلسفتهما الشكلية والوظيفية. هذا ولم ننس التداولية والتواصلية عبر التدرج من مفهوم النص والتركيز على البعد التماسكي والانسجامي ثم الانطلاق إلى البعدالانفتاحي والتواصلي للخطاب. فتأتي الدراسة بهدف الإلمام بأشكال العناصر البناءة للخطاب القرآني بما فيها من اختيار هادف وإصدار واع وبما اختفت وراء الأشكال والبنى من الدلالات. كما تهدف الدراسة إلى الإلمام بجوانب منظور الخطاب القرآني وكيفية استيحاء المعنى والدلالات الكامنة بالتركيز على البنية اللغوية والوظيفية والتداولية والتواصلية للخطاب ثم التركيز على البنية الفكرية للخطاب القراني وتبيين الفارق الكبير بين كل من الخطابين الجاهلي والقرآني وما حدث من تغيير في البنى الشكلية واللغة باكملها. فإذا كان البحث في الخطاب البنيوي يركز على شكله بما فيه من الانزياحات الصرفية نظرا إلى إحالاتها والانزياحات التعبيرية وبما فيها من الصور المجازية الجديدة التي لاتجربها الخطابات الجاهلية من قبل، ففي الخطاب الوظيفي التداولي والتواصلي يركز البحث على الجانب التأثيري والإقناعي والتواصلي عبر توظيف نظرية لاسويل التداولية وجاكبسون التواصلية وما يتمخض عن الأخيرة من وظائف تعبيرية وانتباهية، وذلك بالتركيز على المبدأين الرئيسين(القصد والتأثير باعتبار الخطاب هو الفعل والإنشاء والخلق ثم التواصل. ومن جهة أخرى ركز البحث على الذكاء العاطفي عبر توظيف الآليات والاستراتيجيات التي تنهض بالعملية الخطابية وتخرجها من حيز الشكل إلى الوظيفة والواقع التواصلي في أتم الشكل بالتعرض لمستويات الذكاء العاطفي عندخطاب كل من النبي الكريم وسائر الأنبياء وأجناس البشر نظرا إلى الخطابات الخاصة والعامة. وكل ذلك باستخدام المنهج الفني والنفسي بغية الإلمام بكل جوانب الخطاب القرآني من شكل وتداول وتواصل.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب القرآني، التداولية، التواصل اللغوي والغير اللغوي، الذكاء العاطفي.

چکیده فارسی

از آغازین عصور نزول قران کریم پژوهشهای بسیاری در حیطه زبانشناسی قرآنی انجام گرفته که گاه ردایی عربی اسلامی وگاه پوشش وجلوه ای غربی به خود گرفته است پژوهنده درتحلیل گفتمان قران کریم از سه رویکرد زبانشناسی نوین (صورتگرایی- نقش گرایی وشناخت گرایی) دو گرایش نخستین را مد نظر قرار داده است وبا توجه به نظریه صورتگرایی تغییراتی که نامهای فرستنده پیام در حالها ومقامها (الله، رب ،هو) در غیبت وتکلم (أنا ،نا، ی) پیدا می کند را با توجه به فلسفه معنی شناختی آنها مورد بررسی قرار داده در این میان دلالتهای اوزان صرفی را نیز از نظر دور نداشته است وبه عنوان نمونه درآیه شریفه: ﴿وَ لَقَدْ يسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ دلالتهای معنایی دو واره الذکر والمذکر را ازحیث صورتگرایی ونقش گرایی مورد بررسی قرار داده است. این در حالی است که درتحلیل گفتمان قرآن نظریه کاربرد شناسی وارتباط را نیز آرام اآرام و با گذر از مفهوم بسته متن وتأکید بر بعد یکپارچگی آن وسپس رویکرد باز گفتمان به کار می گیرد. این تحقیق بدنبال تبیین دلالتهای پیدا وپنهان صورتها وساختارهای عناصر سازنده گفتمان قرآنی با توجه به ساختار ونقش وکاربرد وارتباط گفتمان بوده، در بحث صورتگرایی هنجارگریزی های صرفی را با توجه به ارجاعات وهنجارگریزیهای تعبیری(نحوی وبلاغی) و صورتهای مجازی که- در گفتمان جاهلی وجود ندارد -مورد بررسی قرار می دهد وسپس در بخش کاربردشناسی وارتباط شناسی بربعد تأثیری واقناعی گفتمان از طریق کاربرد نظریات "یاکبسن" ونقشهای زبانی آن با تأکید بر دو عنصر قصد وتأثیر ونیز نظریه" لاسول" با تاکید بر بعد فعلی وانشایی گفتمان پای می فشرد ودر پایان مهارتها و عملکرد ارتباطی هوش هیجانی در گفتمان أنبیاء با بهره گیری از روش مبتنی بر قواعد زبانی وادبی وبلاغی وروش مبتنی بر نظریات روانشناسی مورد بررسی قرار می گیرد.

کلمات کلیدی: تحلیل گفتمان، ساختارها ، کاربرد شناسی، ارتباط غیر زبانی، هوش عاطفی.

مقدمة..... ١٢
الفصل الأول : المفاهيم ٢٤
١- ١- مفهوم الخطاب ٢٥
١- ١- ١- مفهوم الخطاب اللغوي..... ٢٥
١- ١- ٢- الخطاب مصطلحا: ٢٦
١ -١-٣ - الوحدة الصغرى للخطاب (الجملة) ٣٠
١-١-٤-مقام التلفظ للخطاب:..... ٣٣
١-١-٥- تجاوز الجملة إلى النص..... ٣٥
١-١-٦ - النص من منظور لغوي:..... ٣٥
١-١-٧ - النص اصطلاحا..... ٣٦
١- ١-٨- العلاقة بين النص والكلام والخطاب ٣٨
١- ١-٩- الجدلية القائمة بين النص والخطاب..... ٣٩
١- ٢ - الخطاب بوصفه كلام ٤٤
١- ٢-١- الخطاب بوصفه كلام والكلام بوصفه حدث وفعل..... ٤٨
١-٢-٢- الوحي بوصفه كلام..... ٤٩
١-٢-٣- تغييرالوضع القائم ٥٧
١-٢-٤- نبذالعنف..... ٥٨
١-٢-٥-الواقعية ٦٥
١-٢-٦- مفهوم الخطاب القرآني..... ٧١
١-٢-٧- البنية الفكرية للخطاب القرآني ٧٦
الفصل الثاني : أقسام الخطاب ٧٩
٢- ١- الخطاب الشكلاني من المنظور البنيوي التكويني ٨١
٢- ١- ١- الشكلانية..... ٨١
٢- ١- ٢ - الصياتات..... ٨٤
٢- ١- ٣- المورفيم..... ٨٦
٢- ١-٣- ١- اللواصق..... ٨٦
٢- ١- ٣- ١- ١- السوابقprefixes ٨٦
٢-١-٣-١-١-١- سوابق المضارعة (أ ، ن، ت، ي)..... ٨٧
٢-١-٣-١-١-٢- سابقة أل التعريف:..... ٨٧
٢-١-٣-١-١-٣- سابقة الميم:..... ٨٧

٢- ١- ٣- ١- ٢- الدواخل أو المقمحات suffixes..... ٨٨
٢- ١- ٣- ١- ٣- اللواحق (suffixes)..... ٩٣
٢- ١- ٣- ١- ٣-١- علامة الإفراد والجمع..... ٩٣
٢-٢- التغيير في التركيب ٩٤
٢-٢-١- النسبة الناقصة ٩٤
٢-٢-٢- النسبة التامة..... ٩٥
٢-٣- التغيير في الأسلوب ٩٨
٢- ٤- العلاقات النصية ١٠٢
٢-٤-١- العلاقات الإئتلافية والاستبدالية ١٠٧
٢- ٤- ١-١- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الحركات:..... ١٠٩
٢- ٤- ١-٢- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الحروف..... ١١١
٢- ٤- ١-٣- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الكلمات..... ١١٢
٢- ٤- ١-٤- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الأفعال..... ١١٣
٢-٥- التعريف بالتماسك **cohesion** ١١٧
٢- ٥-١- الدلالة المركزية..... ١٢٠
٢- ٥-١-١- تحقيق التماسك الcohesion عبر المناسبة..... ١٢١
٢-٥-١-١-١- التناسب بين اسم السورة والنص..... ١٢٢
٢- ٥-١-١-٢- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها..... ١٢٢
٢-٥-١-١-٣- التناسب بين الآيات في السورة..... ١٢٣
٢- ٥-١-١-٣- التماسك عبرالمرجعية الإشارية..... ١٢٣
٢- ٦- التكرار والدلالة الهامشية..... ١٢٧
٢-٦-١- التكرار على صعيد الأصوات..... ١٢٨
٢-٦-٢- التكرار على صعيد الفواصل والمقاطع..... ١٣٠
٢-٦-٣-التكرار على صعيداللفظ ١٣٢
٢-٧- الحذف **Ellipsis** ١٣٤
٢-٧-١- دلائل الحذف..... ١٣٦
٢-٨- الخطاب الوظيفى ١٣٧
٢-٨-١- مقام التلفظ للخطاب..... ١٣٧
٢-٨-٢- الوظيفة المرجعية **Referentillefonction**..... ١٤٤
٢-٨-٢-١-السياق لغة..... ١٤٤
٢-٩- الخطاب التداولي ١٥٠
٢-٩-١- التداولية..... ١٥٠

٢-٩-٢-جذور التداولية في التراث العربي.....١٥٢
٢-٩-٢-١- نموذج لاسويل Harold Lass wel التداولي..... ١٥٣
٢-٩-٢-١-١- الأفعال الكلامية speech act.....١٥٣
٢-٩-٢-١-٢- نظرية الفعل الكلامي في التراث.....١٥٦
٢-٩-٢-١-٣- النداء فعل كلامي.....١٥٧
٢-١٠-الخطاب السلطوي ١٦٣
٢-١٠-١- مصدر سلطة الخطاب ١٧٢
٢-١٠-٢- الخطاب السلطوي الشخصي.....١٧٥
الفصل الثالث : الخطاب القرآني من المنظور التواصلي ١٧٩
٣-١- مفهوم الخطاب القرآني من المنظور التواصلي ١٨٠
٣-٢- التواصل في المفهوم اللغوي ١٨٢
٣-٣ - التواصل اصطلاحا ١٨٤
٣-٤- سيميولوجيا التواصل ١٨٤
٣-٥- نظريات التواصل ١٨٦
٣-٥-١- نموذج دي سوسور ١٨٧
٣-٥-١-١- النموذج الخطي التواصلي..... ١٨٧
٣-٥-١-٢- النموذج التفاعلي للتواصل:..... ١٨٧
٣-٥-١-٢-١- خطة جاكبسون R.jakobson التواصلية.....١٨٨
٣-٥-١-٢-١-١-الوظيفة الإفهامية ١٨٩
٣-٥-١-٢-٢- ايحاءات لغة الجسد.....١٩١
٣-٥-١-٢-٣- جدلية دلالة الضمير بين الشكل والمحتوى ١٩٤
٣-٥-١-٢-٤- الضمير والكفاية الاتصالية والوظيفة التعبيرية.....١٩٥
٣-٥-١-٢-٧- الوظيفة الإفهامية واسم الرب ٢٠٣
٣-٥-١-٢-٧-١- إيحاءات الدلالة الصوتية للرب ٢٠٦
٣-٥-١-٢-٧-٢- إيحاء المد الصوتي في ربنا ٢٠٨
٣-٥-١-٢-١-٢- الوظيفة الإنتباهية: ٢١١
٣-٥-١-٢-٢-١- التواصل الغير لغوي والتغذية الراجعة ٢١٥
٣-٥-١-٢-٢-٢- إيحاءات لغة الجسد والتواصل الغير لفظي.....٢١٦
٣-٥-١-٢-٣- تقسيمات التواصل الغير اللغوي:.....٢٢٠

٣-٥-١-٣-١-دلالة الأشياء.....٢٢١
٣-٥-١-٣-١-١ دلالة العصا التواصلية:.....٢٢١
٣-٥-١-٣-٢- التواصل الغير كلامي العضوي.....٢٢٢
٣-٥-١-٣-٢-١- التواصل البصري visual.....٢٢٢
٣-٥-١-٣-٢-١-١- الوجه ٢٢٤
٣-٥-١-٣-٢-١-٢- دلالة التواصل في الوجه في حالاته.....٢٢٤
٣-٥-١-٣-٢-١-٢-١- السوء.....٢٢٤
٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٢- أثر السجود.....٢٢٥
٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٣- العبوس والبسر ٢٢٧
٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٣- دلالات اللون في الوجه: ٢٢٨
٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٣- دلالة الحركة في الوجه ٢٢٩
٣-٥- ٢- إشارات اليد والأصابع ٢٣٠
٣-٥-٣- معوقات التواصل ٢٣١
٣-٥-٣-١- المعوقات الشخصية.....٢٣٢
٣-٥-٣-١-١- التباين في الإدراك.....٢٣٣
٣-٥-٣-١-٢- التمسك بالماضي.....٢٣٤
٣-٥-٣-١-٣- اتجاهات الأفراد السلبية.....٢٣٦
٣-٥-٣-١-٤- عدم إيلاء المخاطب(المرسل)الاهتمام والتقدير.....٢٣٦
٣-٥-٣-١-٥- الشعور بالكراهية والنفور من المرسل.....٢٣٨
٣-٥-٣-١-٦ - الاستكبار.....٢٣٩
٣-٥-٣-١-٧- عدم الرغبة في التواصل.....٢٤٠
٣-٥-٣-١-٨- المعيقات الجسدية.....٢٤٢
٣-٥-٤- مكونات التواصل الفعال ٢٤٣
٣-٥-٤-١- الذكاء العاطفي.....٢٤٣
٣-٥-٤-١-١- أبعاد الذكاء العاطفي.....٢٤٥
٣-٥-٤-١-٢- الكفاءة الشخصية.....٢٤٥
٣-٥-٤-١-٢-١- مهارة الوعي بالذات.....٢٤٥
٣-٥-٤-١-٢-٢-مراتب الوعي ٢٤٧
٣-٥-٤-١-٢-٢-١-الإنسان ٢٤٧
٣-٥-٤-١-٢-٢-٢-الوعي بالذت عند الأنبياء ٢٤٨

٣-٥-٤-١-٢-٢- مهارة إدارة الذات..... ٢٥٢
٣-٥-٤-١-٢-٢- الصبر والتوكل..... ٢٥٣
٣-٥-٤-١-٢-٣- الصدق..... ٢٥٨
٣-٥-٤-١-٢-٤- الدافعية والترغيب والتحفيز..... ٢٦١
٣-٥-٤-١-٢-٥-التفاؤل والثبات..... ٢٦٤
٣-٥-٤-١-٣- الالتزام بالقواعدالسلوك في الخطاب القرآني..... ٢٦٧
٣-٥-٤-٢- الكفاءة الإجتماعية..... ٢٦٩
٣-٥-٤-٢- ١- التعاطف الوجداني..... ٢٧١
٣-٥-٤-٢- ١-١- معرفة الآخرين وإدراك مشاعرهم..... ٢٧٢
٣-٥-٤-٢- ١-١-١-معرفة مشاعر الأنبياء..... ٢٧٣
٣-٥-٤-٢-١-١-٢- المعرفة بحال المؤمنين..... ٢٧٧
٣-٥-٤-٢-٤- المهارات الاجتماعية:..... ٢٨١
٣-٥-٤-٢- ٤-١- مهارة التواصل..... ٢٨١
٣-٥-٤-٢- ٤-٢- النفوذ والتأثير..... ٢٨٢
٣-٥-٤-٢-٣- القيادة..... ٢٨٦
الخاتمة..... ٢٩١
النتائج:..... ٢٩٤
اقتراحات البحث..... ٣١٠
المصادر..... ٣١١

مقدمة

قد وجدتُ في المباحث المختلفة التي تدرسها اللسانيات خاصة لسانيات الخطاب ما يمكن أن تشكل مدخلا مناسبا لقراءة الخطاب القرآني وأساس هذا الاختيار أن الخطاب القرآني كلّه يشكل رسالة لغوية ناجحة ممّا يجعل منه نصا يمتلك قدرات تواصلية فائقة خاصة أنه يكتنف الشروط الداخلية من الشكلانية البنيوية والخارجية للخطاب من السياقات الثقافية والزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية والمعرفية.

إن هذا الأمر يتفق مع ما توصلت إليه المناهج اللسانية الحديثة كالشكلانية البنيوية والوظيفية والبراغماتية والمعرفية ونظرية الأفعال الكلامية حيث منحت الخطاب رؤية منفتحة وواسعة فتحت أمام البحث،آفاقا رحبة للغوص والاكتشاف. لقد قمنا باستثمار البنيوية الشكلية التكوينية، لربط الحيثيات بالنص وربط النص بالخطاب والخروج به من دائرته المغلقة إلى ساحات الخطاب المفتوحة وعدم التوقف على الشكل واعتبار القصد والتأثير في الحسبان وما لهما من دور وفاعلية. فكل ذلك قد مهّد الطريق إلى معالجة الجانب التداولي والتأثيري للخطاب، بمعالجة الخطاب الوظيفي وتوظيف العناصراللغوية والدور الذي تقوم به على أنّها إنتاج للعوامل الغير لغوية كالعوامل النفسية والاجتماعية والإيدئولوجية.

انطلاقا من هذا المرتكز إنّ ما قام به البحث، هو توظيف النظرية التداولية – فن استعمال اللغة –لإبراز جماليات الخطاب القرآني والرسالة العالمية المتوخاة من تبليغه مع التركيز على البعدالتواصلي لأنّ إحدى تعريفات الأخير(الخطاب)هي توظيف اللغة سواء المنطوقة أو المكتوبة للتواصل بشقّيه اللغوي والغيراللغوي(الإشارات وحركات الجسد)ما يتفق تماما مع ما يرنو إليه البحث في الكشف عن كيفية توظيف الخطاب القرآني للتبليغ ومن ثم التأثير والإقناع لأن غاية كل خطاب تكون إقناعا أو تأثيرا كما هو في نظرية التواصل. فيتغير المخاطب حسب الظروف والمقام في الخطاب القرآني من "أنا إلى نحن" وبتغييره يتغير الأسلوب وكيفية الخطاب تباعا ويتغير المخاطَب أيضا فيأتي مطلقا(أنت،أنتم)أو مقيدا ومنتسبا بالمخاطب والمرسل(ي) وكذلك يتغير النداء فيخاطب بيا أيها المؤمنون وغيرها من النداءات فلكل تكون دلالات إما بلاغية ولسانية وإما نفسية تناغما مع خصائص الحروف في الفواصل القرآنية وما توحيها من دلالات صوتية ومن ثّم نفسية

فلنقل ما حدث في الخطاب القرآني باعتباره نصا وخطابا موجه من الرب إلى العباد يختلف تماما عما سواه فله قداسته الخاصة ولطائفه ودقائقه الخاصة أيضا وذلك لما يحمله من خصائص نوعية تضمن له الفرادة والتميز فالخطاب القرآني خطاب إلهي معجز ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية إنه رسالة ربانية لكل الناس ورسالة إبلاغية خالدة تحتوي الزمان والمكان والإنسان.

إن الخطاب القرآني خلافا للخطاب الجاهلي يتطرق إلى المفاهيم الأيدئولوجية كالمعاد والتوحيد والغيبيات في أسلوب

أدبي جميل للغاية ومصدره هو الله سبحانه وتعالى حالما الخطاب الجاهلي بعيد كل البعد عن الأيدئولوجيا والتوحيد وهو نص أدبي ابتدعه إنسان أساسه المتعه والمنفعة المادية. إن معالجة البحث للخطاب القرآني جاء على أساس التركيز على البنية الفكرية ومكو"ناته لأن الخطاب برأي الباحثة يعني الوحدة الفكرية والذهنية والأيدئولوجيا فإذا عالج البحث الخطاب الجاهلي وخاض غماره فإنه يأتى ضمن التمييز بين الفكرين والأثر الذي أحدثه الخطاب القرآني في المنظومة الفكرية والقيمية الجاهلية.

الأهداف:

حينما نتحدث عن الخطاب كأننا قد أوقعنا بأنفسنا في دوامة الجدلية القائمة بين النص والخطاب فتتجاذبنا خصائص كل منهما منحازين إلى واحد على حساب الآخر. فجاء البحث، منطلقا من الفكرة الاستيعابية والاحتوائية للنص متجاوزا الأخير إلى بنية الخطاب التواصلية واعتبار النص وحدة من وحدات الخطاب وإن جاءت المقاربة للخطاب من منظور شكلاني إلا أنها لم تحصر النص في الشكل بعيدا عن المحايثات والسياق، بل ربطته بالأثر النفسي والبعدالتأثيري الداخل في صميم البنية التواصلية آخذة بيدالنص إلى البعدالتداولي. إنها بيّنت أن الخطاب القرآني هو وحي والوحي ضرب من الكلام والكلام هو الفعل والإنشاء وبالتالي له أثر ووقع في الواقع ما يؤدي إلى التغيير في المنظومة الفكرية والتغيير في المنظومة الفكرية ما يعني التغيير في الخطاب. وقد أراد البحث، أن يرصد ذلك ويثبت تغييرات الخطاب وتحوله من الخطاب الجاهلي إلى خطاب آخر ما يسمى بالخطاب القرآني. فقد كان نصب أعين البحث، رصد تدرج الخطاب بتجاوزه من الجملة إلى النص ثم تجاوز النص إلى ما بعده ثم تحويله إلى مفهوم الخطاب أي المفهوم التواصلي.

وأما الهدف الآخر الذى أراد البحث متابعته، هو كيفية مثول أسلوبية الخطاب القرآني وكيفية توظيف آلياتها في الجانب الإبلاغي والتأثيري ومن ثم شدّ المتلقي واستمرار التواصل معه ثم صبّ جلّ الاهتمام في البعدالتداولي والبرغماتي ذي الصلة الوثقى بالبعدالتواصلي. أي حث المخاطب إلى القيام بفعل ما وأمر ما، خاصة فيما يتعلق بأركان التواصل بين المرسل والمتلقي مع توظيف أكبر مكون للتواصل الفعال وهو الذكاء الوجداني في تبليغ الرسالة(الركن الآخر من أطراف التواصل).

الأسئلة:

١- ما هي فلسفة الاستعمالات الشكلية الخاصة للعناصر البناءة للخطاب القرآني؟

٢- كيف تقوم الأشكال والبنى بالوظائف بتوسيع الدائرة الدلالية أو تحديدها في الخطاب القرآني؟

٣- ما هي العلاقة بين الخطاب الجاهلي والقرآني ومميزاتهما؟

٤- كيف يمثل النص (كبنية للخطاب)دورا تواصليا؟

٥- كيف يستنتج من مفهوم اللغوي للخطاب المعنى البرغماتي والتداولي ؟

٦- كيف يمثل الذكاء الوجداني دور المكون الرئيس في بناء الخطاب التواصلي في القرآن الكريم إلى جانب العناصر اللغوية؟

الفرضيات

١- يبدو أن لكل بنية وشكل من الأشكال اللغوية بعناصرها البناءة من الصياتات إلى المورفيمات والصياغات الصرفية وصيغ الأفعال فلسفات دلالية لا تحصى بل تحددها وتميزها الأحوال والمقامات والسياقات

٢- يبدو أن الأشكال والبنى تقوم بتوسيع الدائرة الدلالية أو تحديدها في الخطاب القرآني، بالعلاقات الإئتلافية والاستبدالية.

٣- يبدو أن المفهوم اللغوي للخطاب يكتنه البعدالتواصلي لما ورد فيه من التعاريف التي تركز على التواصل الثنائي والتحاور والمكالمة لكن لم يتوقف الأمر على ذلك بل البعدالتواصلي هو الذي يمنح الخطاب البعدالتداولي والبرغماتي لأن غاية كل تواصل هو التأثير والإنجاز. لأن الخطاب، هو الكلام والكلام، هو الإفصاح والتبيين وفعل القول وبالتالي الإنشاء والخلق وهذا ما سيقود البحث إلى النظرية التداولية والبرغماتية ونظرية الأفعال الكلامية.

٤- يبدو أن النص، هو الوحدة الكبرى للخطاب لكنه يتسم بالانغلاق والتركيز على عناصره الداخلية فإذا تجاوزنا النص إلى الحيثيات الخارجية ما يعني فعّلنا البعدالتواصلي والتداولي للخطاب فالنص، هو البعدالمكتوب للخطاب المتسم بالانغلاق والاتساق والانسجام. وهذا ما يمنح الخطاب مجالا لمقاربته من حيث الشكل.

٥- يبدو أنها لم تكن أي علاقة بين الخطاب الجاهلي والقرآني لكن يظهر التأثير الواضح والتغيير الذي أحدثه الخطاب القرآني في المنظومة القيمية للخطاب الجاهلي ومضمونه خاصة القضاء على الثنائيات وصراع الموت والحياة.

٦- يبدو أن الذكاء العاطفي من مكونات أي تواصل فعال وناجح فهو شأن يخص المرسل لتبليغ الرسالة ولتفعيل عملية التواصل والاستمرار فيه وإزالة المعيقات. فمن أبرز آليات التواصل في تفعيل الذكاء العاطفي هي الإدارة والوعي بالذات على الصعيد الشخصي والتقمص الوجداني وإدارة الآخرين على الصعيد الاجتماعي وهذا ما يبرر وجوده في عملية التواصل.

خلفية البحث

عالجت بعض الكتب مفهوم الخطاب القرآني وتطرقت إلى دراسته ضمن مفهوم النص والخطاب والسياق فمن أشهرها:

١. *الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق*، عمان، خلود عموش عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٨م.

قد تطرقت الباحثة إلى الإطار النظري للنص والخطاب أولا ثمّ ركّزت على النص والعلاقات النصية ومن ثم السياق في سورة البقرة في محاولة أن تستفيد من النظريات المحدثين الغربيين وكذلك الأوائل من العرب في النص والسياق القرآني مع تركيز بارز على الأسلوبية والعلاقات النصية والاهتمام بحيثيات النص فحسب دون التطرق إلى العوامل الخارجية الأخرى كالذكاء الوجداني والوجه التداولي للنص ومن ثم الخطاب عبر الفصول التالية العلاقة النص الخطاب السياق. العلاقة بين النص والسياق في المساهمات الغربية، العلاقة بين النص والسياق في المساهمات العربية في ميدان اللغة والنحو في النقد والبلاغة في علوم القرآن وذلك في سورة البقرة بالتحديد.. ثم تطرقت الباحثة إلى تجارب إدوارد سعيد في العالم والنص وكذلك نصرحامد أبوزيد في مفهوم النص.

٢. *جمالية الخطاب القرآني* ،لطفي فكري الجودي، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٤م،

وقد عالج الباحث الخطاب القرآني من منظور أدبي وجمالي وأسلوبي دون التطرق إلى البعدالتداولي أو الوظيفي أو الإبلاغي في النص والخطاب القرآني وإن تطرق إلى الخطاب وأنواعه في القرآن لكن بصفة عابرة ونظرة شمولية دون التدقيق في الجزئيات ودون التركيز على البعدالتواصلي وأركان التواصل وموانعه عبر هذه الفصول :الجمالية قراءة في انبثاق المصطلح، الخطاب القرآني المفهوم ومظاهرالرؤية الخطاب الإقناعي والحجاجي والحواري والقصصي والساخر.الخطاب القرآني وآليات التكوين الجمالي البنية الايقاعية والسردية.

٣. الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي لسليمان عشراتي، دارالعراب للدراسات والنشر،ط١، ٢٠١٢م. حيث عالج جماليات السرد في الخطاب القرآني وإبرازالمكامن الجمالية في السرد فحسب.

ثمة مقال مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور تأليف عصام العيد زهد غزة الجامعة الاسلامية وقد تطرق إلى مفهوم الخطاب القرآني خصائصه ومقاصده خاصة مقاصد الخطاب في سورة النور وخطاب المؤمنين في سورة النور المباشر والغير مباشر.

٤. *تحليل الخطاب القرآني في ضوء نظرية أحداث اللغة*، محمود عكاشة ٢٠١٣م، تناول المؤلف في هذا الكتاب تحليل الخطاب وأساليبه في الإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي عبر هذه الفصول: الفصل الأول تطرق الباحث إلى مصطلح التحليل والخطاب والحجاج الإقناعي والبلاغي

وأنواع الحجاج ثم تطرق إلى نظرية أحداث اللغة والحدث اللغوي وأنواع أحداث اللغة ودلالة الفعل على الزمن وعلى الحدث ثم في الفصل الثالث وهو الفصل التطبيقي تطرق إلى تحليل الخطاب النسوي كخطاب امرأة عمران وخطاب ملكة سبأ وأمراة العزيز.

ثمة أطاريح ورسالات جامعية تطرقت إلى الخطاب القرآني كما يلي:

١- *لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق* أطروحة دكتوراه للطالب لايف محمد محمود زقوت إشراف سليمان عشراتي جامعة وهران الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٣ م. تحدث فيه عن البلاغة في القرآن والمعاني والبيان وأساليب الخطاب القرآني وإحداث التوازن بين جانبي الإنسان الروحي والمادي عبر التراوح بين جمالية البيان وصرامة المنطق.

٢- *الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق* إعداد الطالب محمد عبدالحميدبن محمدعبدالواحدإشراف الدكتور محمدعبدالحميد الشرقاوي دولة ماليزيا جامعة المدينة العالمية. فقد تطرق إلى إشكالية النص والخطاب وحيثيات السياق فحسب دون التطرق إلى البعد التواصلي والتداولي عبر هذه الفصول: مصطلح الخطاب والسياق، العلاقة بين النص والسياق في ميدان اللغة والنحو والبلاغة والوصل والفصل في الدرس السياقي. نظرية العلاقة بين النص والسياق في ميدان علوم القرآن وأصول اللغة وعلوم التفسير.

لكن هناك بعض البحوث الجامعية ركزت على بعد واحد ومنظور واحد كإبلاغيته أو إقناعيته أو تداوليته كما يلي:

١- *إبلاغية الخطاب القرآني في سورة البقرة من منظور لسانيات النص* إعداد الطالب عبدالكريم حاقة إشراف الدكتور محمد خان في جامعة محمدخيضر بسكرة الجمهورية الجزائرية وقد ناقش الطالب البعدالإبلاغي في النص والعلاقات النصية المتمثلة في الانسجام والتناسق في سورة البقرة وسائر معايير الإبلاغ من أمر ونهي وترغيب وحوار وحجاج وإقناع بغية التأثير على المتلقي مهتما بالسياق وحيثيات النص في سورة البقرة فحسب.

٢- *آليات الإقناع في الخطاب القرآني* إعداد الطالب هشام بلخير بإشراف الدكتور محمد بوعمامة جامعة الحاج لخضر باتنة الجمهورية الجزائرية وقد تناول الباحث الإقناع والحجاج في الخطاب القرآني وآلياته اللغوية والبلاغية والمنطقية في سورة من القرآن(الشعراء) عبر هذه الفصول: آليات الإقناع ، الإقناع مفهومه وعلاقته بالحجاج ثم الفصل التطبيقي: آليات الإقناع في سورة الشعراء.

٣- *الأبعادالتداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، إشراف الدكتورة: دليلة مزوز، السنة الجامعية (٢٠١٤- ٢٠١٥م) الجمهورية الجزائرية وقد سعى الطالب فيه إلى دراسة الخطاب القرآني والكشف عن معانيه ومقاصده من منظور تداولي محاولا تتبع أبعاده التداولية من خلال

دراسة أفعال الكلام والاستلزام الحواري والحجاج في سورة البقرة فحسب.عبر هذه الفصول: الأفعال الكلاميةفي الدرس اللغوي الغربي والعربي ودراسة الافعال الكلامي في خطاب سورة البقرة حسب تصنيف سورل ثم الاستلزام الحواري ومعاني الخبر والانشاء وظاهرة الحجاج في سورة البقرة.

٤- *البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل* أطروحة ماجستير تأليف مفتاح بن عروس إشراف قدور عمران ٢٠١٣م، الجمهورية الجزائرية حيث وظف الكاتب في البحث آليات المنهج التداولي بما يشمله من حجاج وأفعال الكلام وكذلك التأثير على المتلقي خاصة في الآيات التي تخاطب بني إسرائيل.

٥- *كتاب تحليل الخطاب* لماريان يوركنسن ولوئيز فيليبس ترجمه هادي جليلي طهران نشر ني،ط ٤، ١٣٩٣ه ش.

٦- كتاب النقدالنصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات سيميائية براغماتية خطابية لنبيل أيوب مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠١١م.

٧- *لسانيات الخطاب* للأستاذ نعمان بوقرة، بيروت، دارالكتب العلمية، ط١، ٢٠١٢م.٨-

٨- وايضا هناك رسالة الدكتوراه *تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص في سورة البقرة* بن يحيى ناعوس تحت إشراف الدكتور محمد ملياني جامعة وهران. وقد تطرق إلى تحليل الخطاب عبر التطرق إلى لسانيات النص وقد قسم الرسالة إلى ثلاثة فصول: لسانيات النص بين التأسيس والآفاق تحليل الخطاب بين البلاغة والأسلوبية الاتساق والانسجام في سورة البقرة.

وبما أن موضوع الرسالة يركز على البعدالتواصلي في الخطاب القرآني لم يغفل البحث،الكتب التي عالجت البعدالتواصلي في الخطاب ك:

٩- *استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني* للدكتورة ليلي جودي وقدعالجت مفهوم التواصل من المنظور العربي والغربي وأشكال التواصل الذاتي، الفردي والجماهيري والاستفادة من النظريات الغربية فيفي البلاغ القرآني دون التطرق إلى الأفعال الكلامية وسيميائية الضمائر والذكاء العاطفي وذلك عبر التطرق إلى هذه الفصول: الفصل الأول التواصل النفهوم والإصطلاح معجم ألفاظ التواصل مرتكزات التواصل آليات التواصل مقاصد التواصل.

١٠- -*التواصل في القرآن الكريم* ابراهيم حسن أبو حسنية كنوز المعرفة، ط ١، ٢٠١٣م.

الذي تحدث الكاتب فيه عن انواع التواصل كالتواصل الروحي والرباني وتأثيره على الصحة النفسية والوحي والإلهام والحدس والإحساس والحوار والجدل دون التطرق إلى الأبعاد الابستمولوجية واللسانية والذكاءالوجداني الذي خاضته الرسالة.

١١-الاتصال اللغوي في القرآن الكريم دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات فهد محمدالشعابي الحارثي بيروت، دارالمعارف، ط١، ٢٠١٤م.

حيث عالج فيه الكاتب،أطراف الاتصال اللغوي ووظائف الاتصال اللغوي من وظائف دعوية وتربوية وإجتماعية ونفسية وعقلية وطرائق الاتصال من حوار ووعظ ثم آداب الاستماع عبر هذه الفصول: مفهوم المهارة في القرآن خصائص ومكوناتها، اللغة مفهومها وأهميتها، الاتصال مفهومه واهميته، الاتصال في القرآن خطاب الله مع مخلوقاته خطاب الملائكة بالملائكة خطاب الملائكة بالإنسان الإنسان بالإنسان الجن بالإنسان. وظائف الاتصال الوظيفة الاجتماعية التربوية النفسية،طرائق الاتصال في القرآن كالقصة المثل والحوار ومهارات الإرسال كالتحدث ومفهوم التحدث وآدابه والكتابة ومهارات الاستماع والقراءة. دون التطرق إلى المفاهيم التداولية والتواصلية والسلطوية والعلاقات النصية والذكاءالعاطفي ووظائف اللغة.

١٢-سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء في القرآن نموذجا أطروحة دكتوراه للطالب غمشي بن عمر جامعة الجزائر إشراف الدكتور لعقاب محمد ٢٠١١م.

- رسالة ماجستير في الفلسفة والدراسات الإسلامية تحت عنوان *الذكاء العاطفي في القرآن الكريم* يسري ابراهيم الرفاعي أبوالحسن جامعة ملايا كوالالامبور٢٠١٣م. حيث تحدثت في الفصل الأول عن مفهوم الذكاء العاطفي وفي الفصل الثاني عن الذكاء والعاطفة بين علم النفس المعاصر والقرآن وطبيعة الذكاء وأنواعه وماهيته في القرآن وطبيعة العاطفة في القرآن. وفي الفصل الثالث تطرقت إلى مكونات الذكاء العاطفي كالعقل والقلب ثم إلى آليات تطوير الوعي العاطفي من نظام الرقابة الذاتية(التوبة والندم) ثم إلى عملية التعارف في الاجتماع وقد ربطت ذلك بمفهوم الأخلاق والصحة النفسية فحسب. في الحقيقة إن الطابع الفلسفي طغى على فصول الرسالة. إن ما يميّز بحثنا في الذكاء العاطفي عن تلك الرسالة، هو ربط الذكاء العاطفي بالتواصل الناجح والفعال عندالمرسل والمتلقي في الخطاب القرآني ثم دراسة معيقات التواصل وربطها بتجاوز عقبات التواصل الكؤدة من منظور الذكاء العاطفي التي أغفلته تلك الرسالة ثم دراسة الكفائتين الشخصية والاجتماعية والمهارات المنضوية تحتهما والتي ركز بحثنا عليه بقوة.

الذكاء العاطفي وعناصره في القرآن والروايات رسالة ماجستير في تفسير القرآن الكريم إشراف محمد مهدي خواجه بور ١٣٩٣ ه ش.جامعة ميبد في العلوم والمعارف القرآنية. فقد تطرق الباحث في القسم الأول إلى المفاهيم النظرية للذكاء العاطفي من مختلف منظور علماء النفس ثم في الفصل الثاني إلى تعريف الذكاء العاطفي وتاريخه. أما في القسم الثاني من الرسالة عالج الباحث عناصر الذكاء الوجداني من المنظور القرآني والروايات كالعناصر الداخلية من الوعي الذاتي ومحاوره من المعرفة بالقوى الروحية للانسان وقدراته الاستيعابية والجمالية والمثالية والوعي الشخصي كالمرونة والثقة بالنفس والتعاطف وآثاره في المجتمع بالتطرق إلى السيرة الرضوية و

المهارات الاجتماعية بالتطرق إلى علاقة الذكاء بالتكيف وإدارة التوتر والقلق والتفائل والنشاط والسرور في الحياة وأثره على الصحة النفسية ثم توجيه الآباء إلى تربية المثالية للناشئين حيث يطغى فيه الجانب التربوي والأخلاقي وكذلك التفسيري. فما يميز بحثنا عنه أننا تطرقنا إلى الجانب التواصلي في الخطاب القرآني من منظور الذكاء العاطفي في الآيات القرآنية وإبراز آليات التواصل الفعال والاستراتجيات المتخذة من جانب المرسل لتلقي الرسالة وإزالة العقبات.

فصول الرسالة

قدخصص البحث، الفصل الأول للإطار النظري و مفهوم الخطاب اللغوي والاصطلاحي في القرآن والتدرج في تعريفه من الجملة ثم إلى النص ثم الخطاب نفسه. وقد عالج البحث مفهوم الخطاب القرآني باعتباره كلاما ثم وحيا ثم فعلا ومن ثم ركز على البعدالتداولي والتواصلي فيه مع تعريج على إشكالية النص والخطاب والجدلية القائمة بينهما.

ثم في الفصل الثاني(أقسام الخطاب) تطرق البحث إلى الخطاب القرآني وذلك بمعالجة الخطاب الجاهلي وبنيته شكلا وفكرا لإبراز الفارق الكبير الذي أحدثه الخطاب القرآني في المنظومة الفكرية والعقدية والقيمية آنذاك لصلة الخطاب الوثيقة بالأيدلوجيا. ثم ناقش البحث مفهوم الخطاب من البعدالشكلاني المتمثل في العلاقات البنيوية والنصية كعلاقات التجاور والاستبدال ومن ثم التماسك وأدوات التماسك كالمناسبة والإحالة والتكرار مع الاهتمام بالدلالات المركزية والهامشية وما توحي الأخيرة من آثار دلالية نفسية وإيحاءات صوتية. قد عالج البحث هذا الجانب الأدبي التأثيري عبرالتكرار الصوتي وما تثيره الحروف والأصوات من مشاعر وإيحاءات لأن: أصوات الحروف على سمت الأحداث التي جاءت صياغتها للإفادة بالتعبير عنها. فالدلالات النفسية الإيحائية لها صلة وثيقة بالدلالة الهامشية لأن هذه الأخيرة تعني بالأحاسيس والشعور والوجدان وأنّها تعتبر ظلال للمعاني وإيحاءات للدلالة المركزية مرتبطة بالنفس وانطباعاتها. بتعبير آخر محاكاة الأحداث صوتيا.

ثم البعدالوظيفي والتداولي بتوظيف نظرية الفعل الكلامي لجون أوستين في القرآن الكريم وتوظيف مظاهر الفعل الكلامي مع التركيز على البعد النفسي والتأثيري.

وبما أن الخطاب، يقع في صميم العمليات الأجتماعية ويتأثر منه وكذلك من سائر المؤثرات كالتاريخ والسياسة والثقافة عالج البحث، هذا الجانب ما يعرف بالخطاب النقدي واختار أكبر مؤثر في تشكيلة الخطاب وهو السلطة وبيّن أثرها.

وأما في الفصل الثالث الذي كثّف البحث جهوده عليه وعوّل عليه كثيرا درس قضية التواصل وجذورها ثم بحث نظرية التواصل عندجاكبسون ثم وظائف اللغة الثلاث في تلك النظرية من إفهامية وانتباهية والوظيفة المرجعية. فقد درس البحث في الوظيفة الإفهامية، سيميائية الضمائر(أنا، ي) وما توحيها من دلالات صوتية ونفسية ثم تطرق إلى سيميائية الأسماء، اسم(الرب) ودلالته.

فبناء على النموذج التفاعلي الذي تبنّاه البحث وتركيزه على مدى تأثير الخطاب في مستقبله(الاستجابة) قد ربط البحث بين التواصل الغير اللغوي والتغذية الراجعة(إحدى مكونات النموذج التفاعلي) باعتبار التغذية الراجعة هي الاستجابات اللفظية وغيراللفظية ما بين المتواصلين، والتي تكون عادة حول وضوح أو قبول الرسائل المتبادلة فضلا عن ارتباط مفهوم الخطاب بالكلام ثم باعتبار الكلام الإلهي ضرب من الوحي والوحي ضرب من الإشارة ثم تطرق البحث وقد تطرق البحث إلى ثلاثة وظائف من وظائف اللغة الست عند جاكبسون(الإبلاغية والتأثيرية والوظيفة المرجعية) لأن التواصل وعناصره من مرسل

ومتلقي وحيثيات الرسالة، يبرز جليا فيها وينطبق تماما مع القصد من التواصل تاركا الوظائف(الوظيفة الشعرية والميتالغوية) من بين تلك الوظائف لأنها في رأي الباحثة لاتصلح لخوض غمارها ولا تفي بحق التواصل كباقي الوظائف فضلا عن أنها لا تتناسب مع قدسية الخطاب القرآني لأن تناولها مثلا في الوظيفة الشعرية يستدعي الإقرار ضمنيا بأن القرآن شعر ونحن بصدد تبيين تلك الوظيفة فيه وهذا ما تجنبناه وكذلك الأمر في الوظيفة التعبيرية والانفعالية التي تخص المتكلم فحاشا لله سبحانه وتعالى أن تنفعل ذاته من أمر ويعبر عن تلك الانفعالات بالكلام وأما بالنسبة للوظيفة الميتالغوية فإنها بعيدة عن مفهوم الخطاب التواصلي بالنسبة إلى سائر الوظائف.

تطرق البحث، في هذا الفصل إلى مكامن إبراز الدور التواصلي في كل من الوظائف المذكورة، كالضمائر وإيحاءاتها عند الوظيفة التعبيرية والانفعالية. ثم إلى الذكاء العاطفي بأبعاده المنضوية تحت كفاءتين: الشخصية والاجتماعية والمهارات المنضوية تحتهما وإبرازهما في الآيات القرآنية التي يمكن أن نستجلي منها هذه الكفاءات والمهارات حيث الذكاء العاطفي يمثل السمة البارزة للتواصل الفعال والناجح عندالمبلغ الثاني للخطاب القرآني(الأنبياء) ومن ثم أراد البحث إبراز كيفية ممارستها على المتلقي لأنّها تمثّل خطة تواصلية ناجحة ومكتملة الجوانب المصادق عليها من جانب الرب سبحانه وتعالى ومن ثم النموذج الأعلى للتواصل ثم تطرق البحث إلى معيقات التواصل الشخصية والراجعة إلى شخصية المتلقي من معيقات شخصية ودراستهافي الخطاب القرآني.

بعدذلك تطرق البحث إلى مكونات التواصل في النظرية التواصلية وبحث فيها الذكاء العاطفي ومفهومه كما يلي:

١ . الوعي بالذات وأن يعرف كل انسان عواطفه.

٢ .إدارة العواطف والمقصود منها: القدرة على استخدام الوعي بالمشاعر لكي يحتفظ الإنسان بالمرونة وتوجيه السلوك في نهج إيجابي بتعبير آخر إدارة الذات يختص بالتعامل مع رد فعلك الشعوري تجاه المواقف والأشخاص.

٣ .تحفيز النفس وتوجيه العواطف في خدمة هدف ما والتمتع بالفاعلية في كل ما يعهد إليهم والقدرة في الانغماس في تدفق العواطف حين يستلزم ذلك التوصل إلى أعلى أداء.

٤ .التحكم في الانفعالات وتأجيل الإشباع ووقف الدوافع المكبوتة التي لاتقاوم والتي أساس مهم لكل إنجاز.

٥ . التعرف على عواطف الآخرين أو التقمص الوجداني(empathy)

٦ . توجيه العلاقات الإنسانية والتمتع بالمهارات الاجتماعية لأنّ فن العلاقات بين البشر معظمه مهارة في تطويع عواطف الآخرين وهي القدرات التي تكمن وراء التمتع بالشعبية والقيادة والفعالية في عقدالصلات مع الآخرين.

وفي نفس الموضوع، يمكننا اختزال الذكاء العاطفي على ما يلي: وفي نفس الموضوع، يمكننا اختزال الذكاء العاطفي على ما يلي:

١. الوعي الذاتي ٢ . إدارة الذات ٣ . الوعي الاجتماعي ٤. إدارة العلاقات.

بتعبير آخر تصنيفه إلى مهارتين وكفاءتين هما: الكفاءة الشخصية والاجتماعية وما يشتمل كل منهما على مهارات فمهارات الكفاءة الشخصية هي مهارة الوعي بالذات وإدارة الذات بمهاراتها الصبر والتوكل والصدق والدافعية والتفاؤل ثم الكفاءة الاجتماعية والمهارات المنضوية تحتها: مهارة التواصل حل الصراع والمنازعات والتحكيم والقيادة.

الفصل الأول

المفاهيم

مفهوم الخطاب

الكلام

النص

جدلية النص والخطاب

١ - ١- مفهوم الخطاب

١ - ١ - ١- مفهوم الخطاب اللغوي

حتى نتعرّف على الخطاب القرآني كقيمة تواصلية معرفية عليا ومن ثمّ معرفة مظاهر الرؤية المكتنزة فيه لابدّ أن نبدأ هذا الفصل بالبحث عن مفهوم الخطاب في المنظور اللغوي والاصطلاحي.

جاءت المادة(الخطاب) لغة على وزن فعال من خاطب ومصدره خطاب ومخاطبة على وزن مفاعلة ومعناه الكلام والمحادثة ومراجعة الكلام والمشاورة وتوجيه الكلام لمن يفهم. فقد ورد في معجم ابن فارس مفهوم الخطاب بمعنى مراجعة الكلام إن الخطاب:«مراجعة الكلام وتبادله بين اثنين أو أكثر ويقال:خاطبه يخاطبه خطابا وكذلك المشاورة فيها ومنه الخُطبة والخطبة بكسرالخاء والخُطبة تختص بالموعظة وهو كلام منثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم والخطيب: الحسن الخُطبة والخَطب:الأمرالعظيم الذي يكثر فيه التخاطب واختطب القوم فلانا: إذا توجهوا إليه بخطاب يحثونه فيه على تزوج صاحبتهم فصل الخطاب:ما ينفصل به من الأمر من الخطاب أي الحكم بالبينة أو باليمين أو الفقه في القضاء وكذلك يقول إبن منظور في تعريفه للخطاب:«الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقدخاطبك بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان وكذلك الخطب وهو الشأن صغر أو عظم وقيل هو سبب الأمر يقال ما خطبك أي ما أمرك.فصل الخطاب؛ قال: أن يحكم بالبينة أو اليمين وقيل أن يفصل بين الحق والباطل وبين الحكم وضده وقيل الفقه في الدين وكذلك بمفهوم الرسالة المفتوحة والخطاب المفتوح كما في معجم الوسيط:الخطاب المفتوح:خطاب يوجه إلى بعض أولى الأمر علانية.[١]»

اتضح لدينا أن الخطاب بمعناه اللغوي هو المحادثة ومراجعة الكلام وكذلك بمعنى التواصل بين الذات والآخر محادثة وكذلك الفصل والبينة. بتعبيرآخر يكون فعل(خ ط ب)في التراث العربي بمعنى:

التخاطب -التحادث.

---

١. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، بيروت، دارإحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠١م: مادة خطب.خليل بن أحمد:العين ، دار إحياء التراث العربي، (د.ت) ص ٢٥٢، مادة خطب الراغب الإصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق ط٢ ١٩٩٧م ص٢٨٦،جارالله الزمخشري: أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ص١٦٧-١٦٨. محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، بيروت دار احياء التراث العربي ، مج ٤، ط ١، ١٩٨٨م، (مادة خطب)ابراهيم مصطفى ورفاقه: دار إحياء التراث العربي ، المكتبة العلمية ، طهران ، د.ط.ت، ج١، مادة خطب خليل الجر: المعجم العربي الحديث لاروس، مكتبة لاروس، د.ط، ١٩٧٣م، مادة خطب المعجم الوسيط : مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر ، ٢٠٠٤م، مادة خطب

خاطب - واجه - راجع بالكلام.

المخاطبة- المراجعة بالكلام.

الخطابة- البراعة في الخطابة.

الخطبة- القطعة من الكلام توجه للناس فتلقى في مناسبات كالزواج.

خطيب- خطيب القوم خطب في القوم على المنبرأو الطالب في الزواج.

الخطاب — الرسالة المفتوحة.

فصل الخطاب- الفصاحة والحسم والحكم بالبيّنة.

فمن هذه التعاريف نستنتج أنّ المراد بالخطاب هو إما أن يكون الكلام نفسه المتكوّن من اللفظ(حروف،كلمة،جملة،عبارة)على تقسيم سيبويه للكلام أي:«الإسم والفعل والأداة[1].»

أو أن يكون بمعنى المواجهة بالكلام ونظام صياغة الكلام(الأسلوب)المؤثر في الآخرين وتنظيمه والتوجه إليهم بطريقة معينة تجعله قادرا على التأثير فيهم(كالخطابة)

وإمّا أن يكون بمعنى نظام القول أو الفعل العقلي والقائم على الحجة والدليل كما نستنبطه من فصل الخطاب.

بتعبير آخر وبالنظر في هذه الدلالات اللغوية يظهر اتفاقها كلها في كون الخطاب هو نظام صياغة الكلام وتنظيمه ثم توجيهه للمخاطبين لتحقيق الإبلاغ عن قصدية المخاطب ثم التأثير عليهم وهذه منل شروط نظرية سيميائية التواصل التي سوف يتطرق البحث إليها سابقا.

١- ١- ٢- الخطاب مصطلحا:

أفضى التطور الحاصل في اللسانيات الحديثة إلى الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى أكبر وأوسع وهو مستوى الخطاب بوصفه،الوسيلة الحقيقية التي تمكّن مستعملي اللغة من التواصل حيث صار يعدّ الخطاب: كل ملفوظ / مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات وشاملا للجملة[2].»

إنّه معادل للمصطلح الفرنسي (discours)حيث ورد في قاموس اللسانيات بأنّه:«كل ملفوظ أعلى من الجملة حيث

---

١. محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، دار احياء التراث العربي ، مح ٥، طّ ١، ١٩٨٨م،(مادة خطب).

٢. احمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص،دار الأمان ،الرباط،د.ط، د.ت، ص ٣٣.

ينظر إليه من زاوية نظر تسلسل المجموعات الجملية.[1]» وحينما يكون شاملا للجملة، معناه أنّه يكون قد شمل النص أيضا لأنّ النص هو مجموعة من الجمل إذن الجملة هي الوحدة الدنيا للخطاب والنص وحدته الكبرى وفي هذا الخصوص لا ننسى معيار التواصلية التي يجب أن يتحلّى به.

قد أثار مفهوم الخطاب في الدرس اللساني الحديث جدلا واسعا بين الباحثين لصعوبة مقاربته اصطلاحيا والسبب هو اختلاف بيئاتهم و وجهات نظرهم ومناهج تفكيرهم الأمر الذي تسبب في تعددية مفاهيمه وتعاريفه.

تعود جذور أول محاولة جادة لضبط مفهوم الخطاب في الموروث الغربي إلى أفلاطون ثم ديكارت ولعل من أبرزالممثلين الذين شغلت قضية الخطاب أو بتعبير آخر مصطلح الخطاب مساحة كبيرة من فكرهم، قطبان من أقطاب الفكر الفلسفي والأدبي واللغوي الغربي هما ميشال فوكو(Michel Focault) وميخائيل باختين(Mikhail Bakhtin).

«فالأول يرى بأن يطلق مصطلح خطاب على مجموعة الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة إذ اتخذالخطاب عنده أبعادا ابستمولوجية / معرفية مستقلة ارتبطت بوصفه مفهوما وثيق الصلة بالإنسان وبمؤسساته داخل المجتمع فيكون بذلك مستقلا بذاته ونتاجا لتشابك مجموعة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية وأمّا باختين فيفسّر الخطاب تفسيرا اجتماعيا حيث يعتبره شاملا لعدة خطابات لشدة ارتباطه بالمجتمع عامة.[2]»

فبإمكان القارىء أن يستوحي مفهوم نظام القول من الإتجاه الفوكوئي للخطاب ونظام الحواري من الأتجاه الباختيني لذلك ركز البحث على هذين البعدين من مفهوم الخطاب في معالجته للخطاب القرآني.

فالخطاب بهذين المفهومين يقتضي أن تتوفر فيه عدة شروط وعناصر معينة «:١-عنصر التوجيه المباشر ٢- عنصر نظام التوجيه ٣- عنصر الموقف التبادلي أو التفاعلي التي تقع فيه المخاطبة ٤- عنصر الخطاب نفسه بما هو دالّ يتضمن الدلالة على دلالات بعينها.[3]» فباجتماع هذه العناصر معا يتحقق نظام القول ونظام الحوار أي نظام القول الجامع لشروط الإقناع والتأثير فسنحاول أن نتطرق إلى تلك الأبعاد والمفاهيم وإن نظر البعض إلى الخطاب من منظور أحادي حيث اعتبره البعض بانّه اللوكوس (logos) أو الدعاية والإشعار أو بمعنى تقديم المعلومات أو بمعنى الحوار أو الثقافة الحاكمة أو بمفهوم النداء والمخاطبة الأحادية لكن يمكن تصنيف تلك المفاهيم تحت تصنيفين رئيسيين وهما البعدالتواصلي الحواري التأثيري

---

١. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*،الجزائر،الدارالعربية للعلوم والناشرون منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م،ص ١٦٤.

٢. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، مؤسسة المختار، ط٢، ٢٠١٤م،ص ٨٠.

٣.عبد الواسع الحميري : *النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة*، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠١٤. ص ١٣.

والبعدالسلطوي. فبناء على ذلك جاء تركيز البحث على البعدالحواري والسلطوي من بين تلك المفاهيم.

فإذا أمكن استيحاء نظام القول والحوار من المفهوم الاصطلاحي للخطاب في المفهوم الغربي فإن المصطلح العربي للخطاب قد سبق تلك النظريات والبحوث أبكر بكثير عندالأصوليين بالذات حيث كان الخطاب محور بحثهم وقد عرّفوه بالكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم.[1]» وكذلك «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه.[2]» أي التركيز على البعدالتحاوري والتواصلي والتأثيري للخطاب.

وأما بالنسبة إلى نظام القول والسلطة المستوحاة من مصطلح الخطاب فهذا يظهر عندالجويني في تعريفه للخطاب بأن الخطاب ما فهم منه الأمر والنهي والخبر وفي رأيه أن من فهم منه أحد هذه فقد فهم الكل فإن كل أمر نهي وخبر وكل نهي أمر وكل خبر أمر ونهي.[3] »

فلا يخفى على أحد أن للأمر والنهي نوعا من السلطة والهيمنة وبتعبير أدق، فيه نوع من الإلزام والتكليف ما يسمى عندهم بخطاب التكليف والتشريع وكذلك عند الأصولي الآخر(الباقلاني)حيث يكثر من استخدام لفظ الخطاب ونظام الخطاب:« وممّن أكثر من استعمال لفظ الخطاب هو الباقلاني ومن العبارات التي ورد فيها ذكر الخطاب أو الإشارة إليه: تنزيل متصرفات الخطاب، ما يقتضيه نظام الخطاب ووجوه الخطاب وأجناس الخطاب، وتصريف وجوه الخطاب على أنه قد استخدم لفظ الخطاب للدلالة على سياق الكلام ونظامه.[4]»

فمفهوم الخطاب عند هولاء الأصوليين هو:«بنية الكلام الذي يتكلمه الكائن الحي ونظامه والكلام المتعالي الذي يمكن إبلاغه وتداوله إلى الآخرين ما يعني نسق التفكير في الأشياء ونسق التعبير عنها ونظام التفاعل ومنطقه الذي علينا أن نلتزمه لذلك الخطاب هو كلي أحادي غير تجزيئي لا نهائي باعتبار ذلك الأصل وتعددي جزئي نهائي باعتبار تعددالمخاطبين به أو المستخدمين له وأفهامهم له.[5]» إذن تضمن الخطاب عندهم المفهومين معا(السلطه والحوار). هذا كان فيض من غيض لمفهوم الخطاب عندالأصوليين لكن الأمر ليس مقتصرا على الأصوليين في تناولهم مفهوم الخطاب بل نرى استخدامه في المدونّة التفسيرية غيرأنه جاء بمفهومه التواصلي الحواري كما في فكر بدرالدين الزركشي(ت ٧٩٤) بقوله:إنّه(الخطاب)الكلام

١.المصدر نفسه:ص٧٦.

٢. المصدرنفسه:ص ٣٠.

٣. ادريس حمادي: *الخطاب الشرعي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٩.

٤. الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص٣٢.

٥. المصدرنفسه: ص ٣٦.

المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم[1].» وكذلك الغزالي(ت٥٠٥) حيث تطغى سمة التواصل على تعريفه للخطاب فقدركز في مفهومه للخطاب على عناصر الخطاب وأطراف التواصل بقوله:بأن يخلق الله تعالى في السامع علما ضروريا بثلاثة أمور: بالمتكلم وبأن ما سمعه من كلامه وبمراده من كلامه فهذه ثلاثة أمور لابد وأن تكون معلومة.[2]»فيمكن الخروج بهذه النتيجة أن المفهوم اللغوي للخطاب لم يبتعد عن مفهومه الاصطلاحي خاصة بمفاهيمه التواصليه التأثيرية حيث عبّر الخطاب في أصل وضعه – كما في المعاجم والتراث الأصولي والتفسيري– عن عملية توجيه المخاطب للخطاب نحو المخاطَب مع تحرّي إبانة القصد وتحقيق فعل التواصل بعد نجاح فعل التلقّي. بتعبيرآخر التركيز على المرسل والرسالة والمتلقي ضمن عملية التخاطب.

إنّ تعدّد مستويات الخطاب، ينبع من تعدد مستويات طرحه فكلّما تعددت حيثيات التلقي تعددت أنساق الخطاب وشكله.

إنّ الخطاب دائما موجّه للغير ويقتضي السياق وبتحدد السياقات والمقامات، تتحدد أنماط الخطاب فكما تختلف الموضوعات التي ينصبّ عليها الخطاب،تختلف السياقات التي تكتنفه.

ويمكن تحديد أنماط الخطاب وأصنافه بالاتكّاء على جملة اعتبارات متأتية من اختلاف زوايا النظر إليه وقدحددها أحمد المتوكل في عدة اعتبارات:

أولا: غرض الخطاب إلى خطاب سردي وصفي حجاجي تعليمي

ثانيا: نوع المشاركة خطاب ثنائي جماعي

ثالثا: طريقة المشاركة خطاب مباشر أوغير مباشر

قدركّز البحث على هذه الأخيرة وقد رآها منسجمة مع الغرض التواصلي للخطاب وسيميائية التواصل من حيث التأثير على المتلقي وكذلك القصدية فتوصّلا للغاية المرجوة بدأ البحث بالتقصي في أبعاد الخطاب ببعديه اللغوي والتداولي فارتكز البحث على زاويتين أساستين أولا البعدالتواصلي والتأثيري وثانيا البعدالسلطوي فقدعالج البحث البعداللغوي أولا وذلك بتحليل بنيات الخطاب ووحداته الصغرى والكبرى.

---

١. المصدر نفسه: ص٧٥.

٢. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م،ص ٧٦.

١ -١-٣ - الوحدة الصغرى للخطاب (الجملة)

نواصل حديثنا في الخطاب الذي عرفناه(بالكلام)بادئين برأي النحاة أولا مقسّمينه إلى مفرد ومركب أي الكلمة والجملة فانطلاقا من هذا المبدأ وتركيزا على اعتبار الخطاب، كلاما محددا بكلمة واحدة أو متكونا من سلسلة من الجمل جاء البحث في أدنى مكونات الخطاب وهي الجملة.

إنّ الجملة لها تعاريف مختلفة عندالمهتمين بها فإنّها تعني عند المناطقة واللغويين والبلاغيين بمفاهيم مختلفة وأركان مختلفة.إنها عندالمناطقة تعني:«عبارة عن موضوع ومحمول فالموضوع، أمر قد وضع أمام العقل ليحكم عليه حكما من الأحكام أما المحمول فهو الذي يكمل ذلك الحكم وهو الذي يفيدنا تلك الصفة في الموضوع فعندما نقول النار محرقة.هذا القول عبارة عن جملة تكون النار موضوع ومحرقة محمول.[١]» لكن القدماء، خاصة سيبويه استعمل المسند والمسند إليه بدل الموضوع والمحمول فقال سيبويه(١٨٠ت) في حديثه عن الجملة:«هذا باب المسند والمسندإليه وهما لا يغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدّا كما في المبتدأ والخبر والفعل والفاعل أو ما ينوب عنهما أو ما كان على أصلهما.[٢]» ولم يأخذ النحاة بمصطلحي المسند والمسندإليه بعد سيبويه وإن أوردوهما في كتبهم واستعملوا ما يقابلهما من مبتدأ وخبر وفعل وفاعل.«أما أهل البلاغة فاخذوا بمصطلحي المسند والمسند إليه فالجملة عندهم تتكون من ركنين المسند والمسند إليه إنّ ما أسلفناه من الحديث كان على صعيد التركيبي للجملة وأمّا على المستوى الدلالي، تكون الجملة هو الكلام المستغنى بنفسه والمنتهي بالسكوت أو انقطاع الكلام. كما عند اللغويين فإنّهم يذهبون إلى أن كل عبارة تفيد معنى مستقلا وتفيد فائدة يحسن السكوت عليها فهي جملة.[٣]»كما قال ابن ألفية : كلامنا لفظ مفيد فاستقم.

وفي هذا الموضوع يقول ابن جني(ت ٣٩٢ه) في تعريفه للكلام والذي يحمل في طياته مفهوم الجملة:«إنّ الكلام جنس للجمل وهو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجملة و يقول:أيضا أما الكلام فهو كل لفظ مستقل بنفسه وجنيت ثمرة معناه فهو كلام.كما نلمسه عند إمام البلاغة الجرجاني(ت ٤٧١)بقوله:«إعلم أن الواحد من الإسم والفعل والحرف يسمّى كلمة فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو خرج زيد يسمّى كلاما

---

١. عدنان خالد فضل المرابحي: *الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبيه دلالية، بغداد* دائرة البحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٤.

٢عدنان خالد فضل المرابحي: *الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبيه دلالية*.: ص ١٤.

٣. المصدر نفسه :ص ١٥.

وسمي جملة.[1]» وفي رأيه أن الكلام والجملة يطلق على التركيب الإسنادي المفيد فائدة تامة يصح السكوت عليها لأنهّما (الكلام والجملة) بناء مكتمل الدلالة.

وكذلك رأي الزمخشري حين يرى أن:«الجملة والكلام متماثلان.[2]» وأنّ« إفادتهما معنى مستقلا يحسن السكوت عليه شرط في تعريفهما.[3]» وأما ابن يعيش (ت ٦٤٣ه) فقداعتبر أن الكلام عبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها وكذلك يرى ابن هشام(ت ٧٦١ه) إن الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه.[4]» والزركشي(ت٧٩٤ه) أيضا بقوله:« إنّ المقصود بالكلام: هو اللفظ المركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها والمقصود من المركب أي الجملة.

هذا ما ذهب إليه أيضا صاحب كتاب النحو الوافي إحسان عباس بقوله: الكلام والجملة هو ما تركّب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل.[5]» وكذلك إبراهيم أنيس من المعاصرين بقوله:«إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر.[6]» إنّها كانت تعد لقرون،الوحدة الأساسية للاتصال اللغوي ومن ثمّ الموضوع الحقيقي لعلم اللغة إنّها ظاهرة لغوية كلية يمكن من خلال بنيتها أن يحاط بها وأن تحدد بوضوح تقريبا.

يتضح أن الإفادة، محور رئيسي في الدراسات اللغوية العربية خاصة النحوية وإنّ الغرض العام من وضع الكلام هو حصول الإفادة والإفهام. إننا نرى هذه النظرية،متماشية مع النظريات الحديثة الغربية، كالسيميائية التواصلية عند أنصار دي سوسير(De-saussure)- أب اللسانيات الغربية - التي نحن بصدد معالجتها في هذه الورقة البحثية،حيث وضعوا لها شروطا أبرزها القصدية:« يجب أن يتوفر القصد في التبليغ لدى المتكلم وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد.[7]» بتعبيرآخر التركيز على عنصر الإبلاغ في الكلام ومن ثمّ الخطاب لأنّ الخطاب هو الكلام. فالقصدية، هي عنصر مهم وأساسي في قبول

---

١. رابح بومعزة: الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني،دمشق دار ومؤسسة رسلان، ط١،٢٠٠٨م، ص ١٢.

٢. عبد الله جاد الكريم: *التداولية في الدراسات النحوية* ،القاهرة ،مكتبة الآداب ، ط١، ٢٠١٤م،ص ٢٥٥.

٣. رابح بومعزة: الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني، ص ١٥.

٤. وداد مهيوبي: *الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة مفهومها وبنيتها*، إشراف الأستاذ عياش فرحات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، ٢٠٠٩م،ص ١٦.

٥.رابح بومعزة: الجملة في القران الكريم صورها وتوجيهها البياني،ص.١٨.

٦.وداد مهيوبي: الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة مفهومها وبنيتها،ص ١٢.

٧. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الجزائر، الدار العربية للعلوم والناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م، ص ٨٦.

الجمل أو عدم قبولها فلهذا قيل: إنّ الكلام:«هو ما تحصل به الفائدة سواء كان لفظا أو خطا أو إشارة أو ما نطق به لسان الحال ومؤدّاه واضح فإنّ تجليات الكلام عندهم أربعة: إثنان منها ينتسبان إلى المستوى اللغوي الخالص وهما اللفظ والخط واثنان ينتسبان إلى المحيط الخارجي الذي يكتنف موقف الكلام / الخطاب وهما الإشارة ووقائع الحال التي تحيط بالخطاب.[1]» إذن لم ينحصر الكلام والخطاب في الجملة بل يتعداها بفضل شروط القصد والتأثير المترتب عليها فضلا عن وجود شروط أخرى كالتضآم والتماسك بين الوحدات. فمن مجموع ماتقدمنا به من الأبحاث نخاص بأن الخطاب هو الكلام والكلام هو القول والقول هو الملفوظ والملفوظ يكون منطوقا ومكتوبا وبتعبير آخر الخطاب هو الصياغة الصورية للكلام والكتابة معا وإنه يكون مفردا أو متتالية من الجمل التامة المفيدة والمكتملة معنى ودلالة.

انطلاقا من البحث في الجملة ولأنّها«الوحدة الصغرى في الخطاب.[2]» يذهب بنفيست(Benveiste) بقوله إلى:«أنّه داخل الملفوظ ليست الجملة سوى وحدة دنيا من الخطاب.[3]» وكذلك عندسوسير (De-saussure) مؤسس علم اللغة الحديث بقوله:«الجملة هي النمط الرئيس من أنماط التضام(syntagma)والتضآم يتألف من وحدتين أو أكثر من الوحدات اللغوية التي يتلو بعضها بعضا وهو لا يتحقق في الكلمات فحسب بل في مجموعة الكلمات أيضا وهي الوحدات المركبة من أي نوع كانت(الكلمات المركبة المشتقات، أجزاء الجملة، الجملة كلّها، يمكن أن يكون وحدة النظام اللغوي langue.[4]» فترتبط الجمل في ما بينها فتشكّل نسيجا متشابكا من العلاقات والقيم فتبقى هذه الأمور من شأن الخطاب.[5]»

إن الخطاب يعني لدى الألسنيين:« الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتد فتشمل أكثر من جملة ومن ثمّ كان تحليل الخطاب عندهم يعني دراسة العلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية في أية لغة شفاهية أو كتابية.[6]» إنّ هاريس(Hariss) هو أول لساني غربي حديث حاول توسيع حدود موضوع البحث بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب واعتبار الجملة وحدة الخطاب. فوفقا لهذا المنظور يعدالخطاب هو النظام اللغوي الذي يتعدى إلى خارج الشكل اللغوي والبنيوي للجملة وإلى المحيط وإلى الخارج كما

---

١. محمد عبدالحميد بن محمد عبد الواحد: *الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق*، إشراف محمد عبد الحميد الشرقاوي ٢٠١٤م،ص ٩.

٢. ذهبيةحموالحاج: *التداولية واستراتيجية التواصل*،القاهرة ، رؤية للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م، ص ٦٤.

٣. المصدر نفسه: ص٦٥.

٤. ذهبيةحموالحاج: *التداولية واستراتيجية التواصل*:ص ١٧.

٥. المصدر نفسه:ص٦٧.

٦. عبد الواسع الحميري: *النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة*، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢، ٢٠١٤. ص ٩٠.

يعتقده الأخير(Hariss) بقوله:«إنّ الخطاب هو ملفوظ طويل أو عبارة عن متتالية من الجمل التي تشكّل مجموعة مغلقة يمكن خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر اللغوية حيث يتّم التركيز فيه بصورة خاصة إلى المحيط الذي تتوزع فيه الكلمة.[1]» أو بوصفه الشكل المجرد للكلام المتكلم عموما أو هو الشكل الجمعي للكلام.[2]» أي استراتيجية التلفظ أو بوصفه نظاما مركبا من عدد من الأنظمة الوظيفية والتداولية أي :

١-١-٤-مقام التلفظ للخطاب:

إذا كان هاريس (Harris) وقف عند حد الملفوظ لكن بنفيسيت(Benveiste) وهو باحث آخر فرنسيا ذهب شوطا أبعد في تعريفه للخطاب حيث أدرج المفهوم التداولي والبراغماتي فيه ويرى أن الخطاب ليس ملفوظا بوصفه الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته بل هو التلفظ يعني: « الفعل الذاتي في استعمال اللغة إنّه(التلفظ) فعل حيوي في إنتاج نص ما، كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي انجزته. فدراسة التلفظ تتيح لنا دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة ومن هذا المنطلق، لكل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول قصد التأثير في الثاني[3]. »

فوفق هذا المنظور يكون الكلام مرادفا للخطاب حيث يتمتع الكلام فيه بحضور المتكلم من جهة بحضوره فيحضرة كلامه متضمنا حضوره في حضرة ما يتكلم عنه وفيه وبه وإليه مستمرة الصلة بين المتكلم والكلام أو بين الباث والمبثوث. وفي هذا الموضوع كما يعتقد مانكينو()« تتم المعارضه بين الخطاب والملفوظ باعتبار أن الملفوظ هومتتالية من الجمل الموضوعة بين بياضين دلاليين وهذا يعني أن نظرة تلقي على نص ما من وجهةبناءه لغويا تجعل منه ملفوظا وأنّ دراسة لسانية لشروط إنتاج هذا النص بوصفه حدثا تواصليا تجعل منه خطابا[4].»

فخلاصة الكلام، إن الملفوظ يمثّل خاصية من خواص الاستعمال والمعنى أما التلفظ -وهو الملفوظ بزيادة مقام التواصل -فيمثّل خاصية من خواص الإنتاج والدلالة أي دلالة الخطاب. ففي هذه الحالة الكلام يرادف

---

١. نبيل أيوب: النقد النصي وتحليل الخطاب، ص ١٥٤.

٢. عبدالواسع الحميري:النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،، ص ١٤١.

٣. عبد الواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠١٤م،ص٩١.

٤.المصدر نفسه: ص ٩٢.

الخطاب حيث يتضمن الذات المتكلمة وكل حيثيات الإنتاج التي تضفي عليه خاصية تداولية لأنّ الاستعمال اللغوي ليس هدفه إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه.وكما يعتقد طه عبد الرحمن: «إن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية. [1]» إذن الخطاب يمنح النص البعد التداولي. أي إنّ الخطاب ليس بجملة محددة بفعل وذات فقط ولكن بكلمة تحمل مفهوما يتحدد كيانها بالنظر إلى عناصر جد مهمة في العملية التخاطبية فعلى سبيل المثال تعد كلمة قف خطابا وجملة في الوقت نفسه جملة لاحتمالها عنصرين وهما الفعل والفاعل وخطابا باعتبار العناصر المحيطة بها لاسيما في ذلك العنصر الذي يجعل المتلقي في أثناء سماعها أو رؤيتها إذا كانت مكتوبة يؤدّي عملا ما.إن مانريده هو تبيين الصورة الشكلية للخطاب ومن ثمّ تبيين الدور الوظيفي والتواصلي بما فيه الافهامي والتأثيري له لأنّ الخطاب يشتمل على ذوات متكلمة أو كاتبة كما يشتمل في الوقت ذاته على مستمعين أوقراء ممّا نستبين من هذا التعريف للخطاب:«بأنّه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم[2].» وهذا يقتضي أنّ الخطاب هو الكلام الموجّه توجيها مباشرا من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه في سياق أو مقام لتحقيق غاية بعينها أو إفهام ما هو متهيء لفهمه.

إذن حينما نتحدث عن الخطاب فالمقصود منه هو الكلام المكوّن من جملة أو جمل، متعديا إلى ما وراء ها إما لفظا وإما خطا وإما إشارة وإما كتابة عن هدف وقصد وتأثير ضمن سياق عملية التواصل والتخاطب أي التلفظ.

في الحقيقة إنّ ما قيل في تعريف الخطاب مع التركيز على البعد التواصلي والتداولي للخطاب ما هو إلا تمهيد لتناول مفهوم الخطاب في القرآن الكريم وتجلية مقاصده من منظور تواصلي.

عودا إلى بدء وتأكيدا على ما تقدم أن الخطاب:

أولا: يعني اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة فبهذا المعنى هو مرادف للكلام بتحديد دوسوسير.

وثانيا يعني الوحدة التي توازي أو تفوق الجملة متكوّنة من متتالية تشكّل مرسلة لها بداية ونهاية تخدم غرض اتصاليا. بتعبير آخر التركيز على الميزة التلفظية للخطاب واعتبار السياق في الحسبان.

وأما التحديد الثالث للخطاب فيتجلّى في :« استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدّى الجملة من وجهة قواعد تسلسل

١طه عبد الرحمن: اللسان والميزان التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت ط١ ١٩٩٨م، ص ٢٦.

٢عبد الواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠١٤. ص ٢٩.

متتاليات الجمل.[1] ›› وهذا ما يقودنا إلى مفهوم النص. أراد البحث بإيفاد هذه الميزات أن يركّز على البعد التواصلي للخطاب ومن ثمّ التداولي وانطلاقا من هذه الأبعاد تمّ رصدها في الآيات القرآنية. فقدتحققت تلك الميزات بفضل تعريف الخطاب بالكلام الذي منح الخطاب صفة التداول والانفتاح والتواصل ما يجعل الخطاب خطابا.

١-١-٥- تجاوز الجملة إلى النص

لا نبقى عند هذا الحد أي حد الجملة في تعريفنا للخطاب فنتجاوزها إلى مفهوم آخر وهو النص كما تجاوزها هاريس(Haris) ومجموعة من اللسانيين الأمريكيين حيث حاول هاريس توسيع البحث اللساني من الجملة إلى النص ومن ثّم الوصول إلى الخطاب فبما أن النص هو المادة الأولية للخطاب ووحدته الكبرى علينا بتجليته أولا:

مفهوم النص

١-١-٦ - النص من منظور لغوي:

تدور مادة(نصص) التي يرجع إليها لفظ النص في المعاجم اللغوية حول عدة معاني:«يرجعها ابن فارس إلى أصل صحيح يدل على رفع وانتهاء في الشيء.[2] ›› قال الفيروز آبادي:« نصّ الحديث إليه رفعه وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير والشيء حركه.[3] ›› قال الأزهري (ت٣٧٧ه):«النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها. وقال الخطابي(ت ٣٨٨ه) نص كل شيء منتهاه.[4] ›› وقال ابن منظور:«النص رفعك الشئء نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما أظهر فقد نص ونص الحديث إلى فلان أي رفعه ونص الدابة ينصها نصا: رفعها في السير قال ابوعبيد: النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها والنص والنصيص: السير الشديد والحثّ وأصل النص أقصى الشيء وغايته ونص كل شيء منتهاه.[5] ››

ويورد الجرجاني(ت٨١٦ه)النص بمفهوم الإظهار:«ماازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعني وكذلك قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة: أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام أي بمعنى الكلام الثابت

١سليم محمد هياجنة: الخطاب الديني في الشعر العباسي، إربد ، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩م، ص ١٤.

٢. ابن فارس: *معجم مقاييس اللغة* ،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م،مادة نصص.

٣. فيروز آبادي: *القاموس المحيط*، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢،١٣٧٢ ه،مادة نصص.

٤. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة السياق* ،مكة،جامعة أم القرى،١٤٢٣هق،ص ٢٥٣.

٥. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة نصص.

الواضح الذي لا يحتاج إلى تأويل.[1]››

وقد استخدموه بمعنى المادة المكتوبة كما نجده عند مكي بن أبي طالب في كتابه الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه.وإذا ما حاولنا استخلاص المقومات الجوهرية الأساسية للنص فإن المظهر الكتابي للنص يأتي أولا فالنص هو:«كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة كما يعبر عنه بول ريكور.[2]›› ورغم تعددية المعاني يدور النص حول هذه المعاني المحورية: الرفع،الحركة، الإظهار،منتهى الشيء وغايته ونص القرآن ونص السنة.

وأما النص في معجم المصطلحات العلمية جاء بمعنى التعبير والبيان أيضا: :«النص التعبير والبيان والتعبير يكون بأساليب متنوعة بالجسم كله باليد بالعين بالوجه بالكتابة بالصوت وأبان يبين بمعنى الظهور كما رأينا في المعاجم العربية القديمة[3]. ››

١-١-٧ - النص اصطلاحا

النص في علم اللغة الحديث و في المعاجم مثل لاروس:«يستعمل مقابلا للمصطلح اللاتيني Text.[4]›› «وهو مأخوذ من الكلمة اللاتينية((Textus) بمعنى النسيج والضفيرة. [5]›› إنّه يكون قريبا من معناه اللغوي إذا اعتبرنا النص كما يرى ايزنبرج(isenberg) بمثابة تتابع من الجمل يربط بعضها ببعض وسائل التنصيص.[6]›› وكذلك تتابع مترابط من الجمل كما يعتقده برينكر((Brinker). كأنّ الجمل في اتساقها تشبه النسيج وعلى حد تعبير بارت (Barthes):«النص ليس إلا نسيجا في حالة نسجه أي في حالة تشابك الأنظمة والصيغ، إنّه النسيج الذي يتموضع فيه الفاعل الناسج وينحل فيما ينسج مثل عنكبوت ينحل في عكاشة.[7]›› لكن نرى تودوروف (Todorov) يؤكد إمكانية كون النص كلمة أوجملة أو فقرة أو رواية كاملة:«إنّ النص: سلسلة لسانية مجكية أو مكتوبة لا يهمّ أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل أو م٩ن جملة وحيدة أو جزء

---

١. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة السياق*،ص ٢٥٣.

٢. خلود عموش: *الخطاب القرآني*،عمان ،جدارا *للكتاب* العربي، ط١، ٢٠٠٨م،ص ١٧.

١٣المصدرنفسه:ص١٧.

٤. خليل الجر: *المعجم العربي الحديث لاروس*،مكتبة لاروس،د.ط،١٩٧٣م،مادة نصص.

٥. مرجوت هاينه مان : *أسس علم لغة النص* ترجمه سعيدحسن البحيري،ص ١١.

٦.المصدرنفسه:ص ١٨٧.

٧. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،ص ١٢١.

من الجملة.[1]»

وأما مفهوم النص من منظور هاليداى (Halliday) ورقية حسن يعني :«كل متتالية من الجمل يكون بينها علاقات.[2]» وفي تعريف آخر لهما إنّ النص:«فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت و وحدة اللغة المستعملة.[3]» لكن يبقى تعريف هارفج (R.Harweg)أقرب إلى تبيين الترابط بين الجملة التي وصفها دوسوسور بوحدة التضام (syntagma) وبين التعريف للنص قائلا: «إنّ النص هو ترابط مستمر للاستدلالات السنتجماتية(التراصف والتآلف)التي تظهر الترابط النحوي في النص وهو بذلك يحدد خاصية الامتداد الأفقي للنص من خلال ترابط، تقدّمه وسائل لغوية.[4]»

هذه التعاريف كانت تركز على الشكل لكن ثمة تعاريف تركّز على المضمون والتركيز على الغرض التواصلي للنص مثل تعريف أجريكولا(Agricola) بقوله:«النص كمّ منظم من جمل تشكل موضوعا وكذلك ديمتر(Dimter) بقوله:« النص تتابع تام متماسك نحويا ودلاليا وبراجماتيا من علامات لغوية ومجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط مع بعضها على أساس محوري موضوعي.[5]»

وكذلك ديبوجراند(de- Beougrand) ركّز على المضمون التواصلي للنص في تحديد مفهومه بقوله«: النص كل وحدة كلامية تخدم غرضا اتصاليا وكذلك هارتمان(Hartman) حين يعرّف النص بأنّه علاقة لغوية أصيلة تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي.[6]»

ثمة تعريف يجمع بين الشكل والمضمون في تحديد مفهوم النص كتعريف باسل حاتم بأنّ النص:«تتابع من الجمل تؤطّر مجموعة من النوايا الاتصالية بين طرفين لتحقيق غرض بلاغي.[7]» وبهذا التعريف يقترب كثيرا من مفهوم الخطاب.

يبدو من هذه التعاريف أعلاها أن هناك تقارب واشتراك كبير بين النص والخطاب من حيث التركيز على الوحدة التواصلية لكن مع ذلك يبقى النص في المنظور اللساني وخاصة البنيوي«هو كلية لغوية مبنية متماسكة ومتجانسة ومتعاضدة

---

١. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، ص١٣٤.

٢. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة السياق*، ص ٢٥٥.

٣. صبحي ابراهيم الفقي: *علم اللغة النصي*، ص ٢٩.

٤. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة السياق*،ص ٢٥٥.

٥. مرجوت هاينه مان: *أسس علم لغة النص*، ص ١١.

٦. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة* السياق ،ص٢٥٦.

٧. المصدر نفسه: ص ٢٥٣.

وظيفيا ومغلقة وقداعتمدت القواعداللسانية لوصفه وصفا بنيويا.[1]» إنّه يعدّ مفهوما واحدا مغلقا منفصلا ومعزولا ومحايدا وغير مرتبطا بأي مرجع. بتعبير آخر إن النص عندهم هو:« سلسلة من الوحدات اللغوية لها شكلها المغلق ولها بداية ونهاية.[2]»

تأكيدا على ما قلنا أن هذه المتتاليات من الجمل لاتكوّن نصا إلا إذا كان بين هذه الجمل علاقات وتتم هذه العلاقات عبر مجموعة من الوسائل اللغوية.«فالنص من منظور هؤلاء عالم قائم بذاته إنّه مغلق ونهائي وله بنية متماسكة منتظمة يأتي هذا التماسك من خضوعه للعلاقات التي تربط أجزاءه معا تسمّى العلاقات النصية حيث عدّوا هذا التماسك هو الوحدة الدلالية للخطاب.[3] »

والكلام الأخير أنّ:«الخطاب بوصفه تواصل لساني ينظر إليه كإجراء يتمّ بين المتكلم والمخاطب أو بوصفه فعالية تواصلية يتحدّد شكلها بواسطة غاية اجتماعية في حين أن النص تواصل لساني ينظر إليه كمرسلة مشفّرة عبر وسيطها المكتوب أو الشفوي[4].» يتّم عبر علاقات تربط أجزاءه فإذا تجاوزنا هذه العلاقات، إلى الوظائف والأهداف فنحن بذلك قد أخرجنا النص إلى مفهوم الخطاب وإلى المفهوم الوظيفي وإلى الكفاءات التي تحدث عنها نوام تشومسكي(chomsky) فقد ميز بين النظام الذي يصنع الإطار اللغوي للمجتمع والنشاط الذي يتحرك مع الأفراد في تفاعلاتهم داخل هذا الإطار لقد عرفت اللغة عنده بالكفاية (competence)وقوبل الكلام بالأداء (performance). فالكفاية عنده تعني معرفة المتكلم بلغته والأداء ماينتج عن هذه المعرفة من كلام متحقق في مواقف وسياقات ملموسة والتركيز على الوظيفة والدور الذي يلعبه اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية وتواصلية ومن ثمّ البعدالتداولي للخطاب وهذا ما يهمّنا في الرسالة.

إن ما قيل في مقاربتنا لمفهوم الخطاب قد يضعنا أمام ثلاثة مفاهيم: الكلام، النص والخطاب. فقد قمنا بتعريف الكلام سابقا وبيّنا علاقته بالخطاب فقد حان الحين لكي نوضح العلاقة بين الكلام والنص أيضا:

١- ١-٨- العلاقة بين النص والكلام والخطاب

إذا صح النظر إلى النص بوصفه شكلا لغويا مميزا من أشكال الكلام عموما فهذا ما يسمح لنا بالربط بين كل من النص والكلام من جهة والنص والخطاب من جهة أخرى «فإذا كان دوسوسير قدميز بين اللغة والكلام على أساس أنّ اللغة جمعية

---

١. نبيل أيوب: النقدالنصي وتحليل الخطاب. ص١٥٣.

٢. عبد الواسع الحميري: *النص والخطاب*، ص٩٠.

٣. صلاح فضل: بلاغةالخطاب وعلم النص ،ص ٢٦٣.

٤. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ،ص ١٢٣.

والكلام فردي أو على أساس أن الكلام هو الاستعمال الفردي للغة فإننا نقيم الفرق بين النص والكلام على أساس أن الكلام هو الاستخدام الفردي للغة وأن النص هو الشكل الحسي الذي يأخذه الكلام،أو على أساس أن الكلام هو التكلم، أو فعل الإنجاز،أما النص، فهو شكل التكلم وأساليب حضوره أو طرائق تكلمه إلينا نحن الذين نكالمه نصغي إليه ونحاوره لذلك فنحن نعتبر العلاقة بين النص والكلام بمثابة الروح من الجسد إذ النص ليس إلا الشكل المجسد للكلام.[1]»

ومن جانب آخر قد يعتبر البعض ك بول ريكور((p.Ricorur): النص «هو المعادل البنائي للغة في استعمال حقيقي والخطاب،هو الكلام.[2]» والكلام يعني الفعل والإنجاز والإنجاز ما يستدعي تحقيق التواصل فتراه يشدد على ما جاء به دوسوسور(de- saussure) بقوله:«إن الكلام هو انجاز للغة ضمن حدث خطابي وإن إنتاج الخطاب المفرد إنّما يتّم بواسطة متكلم مفرد إذن كل نص يمثّل بالنسبة إلى اللغة، ما يمثّله الكلام في وضعية الإنجاز وسيكون النص بمقتضى هذه المعادلة أداء لسانيا أو إنجازا لغويا يقوم به فرد معين[3].»

فبعد أن بيننا هذه العلاقات علينا أن نخوض أكبر صراع وجدلية بين النص والخطاب وتبيين نوع علاقتهما:

١- ١-٩- الجدلية القائمة بين النص والخطاب

قد مرّت العلاقة بين اللسانية والخطاب في ثلاث مراحل:

«مرحلة اللسانية البنيوية ما بين ١٩٥٢-١٩٦٠م التي توّجت بدراسة المنظّر الأمريكي هاريس أحد أهم رواد نظرية الخطاب ومرحلة لسانية ما وراء الجملة ما بين ١٩٦٠- ١٩٧٠ م .حيث تمّ الكلام مباشرة على لسانيات النص والخطاب بمصطلحات اللسانية ومفاهيمها وقد اعتبرا كلاهما(النص والخطاب) متتالية من الجمل فحسب.

أما المرحلة الثالثة التي تلت العام ١٩٧٠م فقد بدأت مع مجموعة من المنظرين الذين أضافوا البرغماتية إلى اللسانية ولاسيما فان دايك[4].» وهذا ما انتهجناه في مشوارنا العلمي هذا أي ربط الخطاب بالتداولية والتركيز على البعدالوظيفي للخطاب.

إنّ اللسانيات المعاصرة حدّدت مفهوم الخطاب إلى ما فوق الجملة كما بيّنا باعتباره الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتدّ

١.المصدرنفسه، ص ١٤٢.

٢. محمد العبد: *النص والخطاب والاتصال* ،القاهرة،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٢، ٢٠٠٥م،ص ١٠.

٣. منذر عياشي: *النص والأسلوبية*، دمشق،دار المحبة، د.ط، ٢٠٠٩م، ص ١٢٨.

٤. نبيل أيوب: *النقد النصي وتحليل الخطاب* ج ٢،مكتبة لبنان ناشرون ، ط١،٢٠١١م، ص ١٥٤.

فتشمل أكثر من جملة إنّها:«متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل أو مرسلين.[١]»

إذن من هذه الوحدات اللغوية،أي المتتاليات من الجمل التي تتكوّن وتترابط فيما بينها وتتعاضد وتتماسك يتحقق النص الذي هو مكوّن الخطاب ووحدته الكبرى التي تحتلّ أعلى مرتبة في سلّمية التعقيد باعتبارها مجموعة جمل.

بتعبير آخر، إن الخطاب مجموعة فكرية وحدتها الصغرى النص في حين أن النص مجموعة لغوية وحدتها الصغرى الجملة.

إنّ النص:«هو البناء النظري التحتي لما يسمى عادة خطابا.[٢]» كما يقول فان دايك(van DiJk) ولايتجسّد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي.

في الحقيقة، «إن النص هو الأساس لأفعال وعمليات التلقي والتفاعل الذي تنتجها ذات فردية واجتماعية وإنّ هذه العمليات التواصلية تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفية واجتماعية وثقافية وتاريخية.[٣] »

«إن هذا التفاعل مع البنيات الثقافية هو الذي يعطي القراءة المفتوحة على الزمن إمكانية توليدالدلالات وإنتاجها على الرغم من تبدل هذه البنيات زمانيا ومكانيا.[٤]» بتعبير آخر يتيح لنا هذا التعريف، الانتقال مما هو بنيوي إلى ما هو وظيفي وتداولي كما نجده عند فان دايك. فمفهوم النصية يتعلق بالشكل الحسي أو بالجانب المادي من العمل الأدبي ما نراه أو نلمسه أو ندركه بأحدى حواسنا أمّا الخطابية ما يتعلق بالمضمون أو الجانب المعنوي من العمل ما تحيل عليه اللغة أو ما ندركه بالعقل من المعتقدات والأفكار. فالأولى تتعلق بالشكل المعبّر أما الثانية فتتعلق بالمقاصد والأغراض المعبّر عنها.[٥]» فعلى حد تعبير روجر فاير(fowler R.): «إنّ الخطاب كلام أو كتابة ينظر إليه من زاوية الاعتقادات والقيم التي يجسدانها وتمثل هذه الاعتقادات وما إلى ذلك أسلوب نظر إلى العالم تمثيلا وتنظيما للتجربة أي الإيدئولوجيا. إن مختلف أنماط الخطاب ترمز إلى مختلف أشكال تمثيل التجربة ومصدر هذه الأشكال من التمثيل، سياق الاتصال الذي يكمن فيه الخطاب.[٦]»

هذا ما استجلاه البحث في الخطاب القرآني خاصة الخطاب المعرفي منه وكذلك في اعتباره الخطاب نظاما فكريا إيدئولوجيا كما سيأتي مناقشته إنّه(الخطاب) قبل كل شيء نظام اعتقادي ومنظومة قيمية وكذلك إيدئولوجيا بصدد تبليغه

---

١. خلود عموش :*الخطاب القرآني*، عمان ،جدارا للكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٣.

٢. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: *دلالة السياق*، ص٢٥٧.

٣. محمدعزام: *تحليل الخطاب الأدبي*،دمشق، د.ط، ٢٠٠٣م،ص١٨١.

٤. محمدعزام: *المصدر نفسه*:ص ١٨٧.

٥. المصدر نفسه،ص ١٢٣.

٦. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*،ص ١٦٠.

وترسيخه لدى المتلقي.

وإذا نظرنا من المنظور السيميايي إلى العلاقة القائمة بين النصّ والخطاب حسب ثنائيات اللغة والكلام عند دوسوسير؛ يمكن اعتبار:«الخطاب والكلام بمثابة التجسيدالفعلي للغة أو بمثابة الإستخدام الفردي الخاصّ للغة عموما وكذلك اعتبار النصّ بمثابة التجسيدالفعلي للخطاب أو بمثابة الاستخدام الخاصّ للخطاب أو بمثابة السياق التداولي للخطاب، بوصفه نظاما من المعاني والمواقف والأفكار والرؤى واعتباره كينونة جمعية أو اجتماعية تتوازى أو تتماثل أوتتماهى مع الكينونة أو الوجودالجمعي أو الاجتماعي للغة.[١]»

إذن من هذا المنظور، يكون الخطاب مرادفا للغة أو موازيا لها، وله دلالة وفاعلية والنص هو الصورة المتحولة عنه كما الكلام متحوّل دوما عن اللغة مثلما في هذا التعريف:«إن النص هو عبارة عن الكينونة الفردية الخاصة المتحولة عن الخطاب الناتجة عنه والمنتجة له.[٢]» أي الناتجة عن الخطاب و«المنتجة من قبل المتلقي أو القارىء[٣].» إن النص هو:«انتظام العلامات في نسق يحمل رسالة سواء كانت تلك العلامات علامات باللغة الطبيعية(الألفاظ) أم كانت علامات بلغات أخرى.[٤]» والخطاب هو:«عبارة عن بنية ذهنية مجردة يمكن التعبير عنها أو تجسيدها أو إنتاجها وإعادة إنتاجها بطرق وأساليب مختلفة ويمكن ترجمته وتنصيصه وتداوله وإبلاغه إلى الآخرين كل بلغته.[٥] »

وقدتبع هاريس(Harris) تودوروف في تجاوزه الجملة إلى النص قائلا:« لا يتحدد مفهوم النص في الإطار نفسه كما هو في الجملة، بهذا الفهم يجب أن يتميز النص عن الفقرة التي هو وحدة تصنيفية لعدة جمل كما يمكن أن يتطابق النص مع جملة مثلما يتطابق مع كتاب بكامله فهو يتحدد باستقلاليته وانغلاقه.[٦] » إن الخطاب عند هاريس(Harris) هو: «ملفوظ طويل من متتالية من الجمل تكوّن مجموعة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية. فالمقصود من الملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به المتكلم وقبل هذا الجزء وبعده هناك صمت من قبل هذا المتكلم.[٧]» إذن الملفوظ عنده يساوي مفهوم الجملة عندنا(العرب)فبالتالي الخطاب عنده يتجاوز حدود الجملة ويفوقها وكذلك يحتضن

---

١. عبدالواسع الحميري، النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،ص ١٤١.

٢. المصدر نفسه،ص١٤١.

٣. المصدر نفسه:ص ١٤٠.

٤. حامدابوزيد: *النص والسلطة والحقيقة*، ص ١٥٠.

٥. المصدرنفسه:ص٣٥.

٦. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الجزائر،ص ١٣٤.

٧. سعيد يقطين: *تحليل الخطاب الروائي* ،النص —السرد- التبئير، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٥م،ص ١٧.

النص ويستوعبه:« يكون الخطاب نصا مفردا أو مجموعة من النصوص التي تتآلف في نظام متتابع لتشكل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد.[1]» كما أكّد ديبوجراند(de- Beougrand) هذا المفهوم:«إنّ الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة.[2]»

هذا من الجانب الغربي وأما من الجانب العربي فإنّ الخطاب قد تطوّر بقدر ما أو آخذا في التطور ليستوي موضوعا مستقلا كما يقول الدكتور منذر عياشي: «أنهم(العرب) قد تجاوزوا المفهوم اللفظي للكلام والمفهوم الجملي ليستقّر عندهم أن المتكلم في تعبيره عن حاجاته لايتكلم بألفاظ ولا بجمل ولكن من خلال النص فاتسعت بهذا أمامهم دائرة البحث الدلالي وانتقلوا من البحث من مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب.[3]»

إنّ هذه البنية الذهنية تنتظم على هيئة أفكار ومواقف ورؤى فتكون منظمة قاصدة تحقيق الأثر والفاعلية وإنتاج الدلالة كما يعتقده لطفي فكري محمد الجودي في كتابه جماليات الخطاب في النص القرآني بقوله:«يرتكز الخطاب على جملة من المتلفظات اللغوية أو التعابير التي تنتظم بطريقة معينة لتنتج دلالة ما وتحقق أثرا معينا وذلك من خلال تفاعل مع المجال الاجتماعي الذي يعد مهادا لتلّقي موضوع الخطاب وحينئذ تتاح لمثل هذا الخطاب فرصة التجادل مع غيره من الخطابات الأخرى وبالتالي يشتبك مع وعي المخاطبين في محاولة لدفعهم إلى حقل قناعاته.[4]» فبالتالي يرتبط الخطاب بالسياق والبيئة المنتجة له ويأخذ طابع الانفتاح والتفاعل والحوارية خلافا للنص.

إن الخطاب في رأي الدكتور محمدالعبد**Error! Bookmark not defined.**:«يميل إلى الطول والامتداد والانفتاح والحوارية بتمكينه من التعبير عن وجهات النظر والمواقف المختلفة حيث يتصل دراسة الخطاب بمفاهيم مثل الحوار ووجهة النظر والموقف ورؤية العالم ونبرة الخطاب والاعتقادات وشبكة العلاقات التواصلية.[5]» أي الخطاب في رأيه عبارة عن موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته وعلى ذلك أنه أوسع من الخطاب خلافا للنص بوصفه:«سلسلة من

---

١. صالح ملا عزيز: *جمالية الإشارة النفسية في الخطاب القرآني*، دمشق، دارالزمان، ط١، ٢٠١٠م،ص:ص ٤٢.

٢. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، *دلالة السياق* ، ص ٢٥٦.

٣. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م،ص ٧٦.

٤. المصدر نفسه :ص ٨٣.

٥. محمدالعبد: *النص والخطاب والاتصال*، ص ١٢.

الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة لها شكلها المغلق ولها بداية ونهاية.[1]»

بتعبير آخر إنّ الخطاب:« عبارة عمّا نتكلّمه عما ننطقه أو نكتبه أو نلقيه نحن إلى الآخرين وأن النصّ هو عبارة عمّا يتلقّاه الآخرون قرآءة أو سماعا من كلامنا أو من كلام الآخرين الموجّه إلينا.[2]» ويقول في نفس السياق الدكتور مصطفى قطب:« إنّ النص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب بوصفه فعلا تواصليا[3].» ومن جانب آخر يمكننا القول بأن فهم الخطاب أيضا لا يمر إلا عبر النص. بتعبير آخر إن النص أساسا لأفعال وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل أي نظام الخطاب وأن الخطاب هو البنية التحتية المادية.

فنخلص إلى هذا القول في تحديد مفهوم الخطاب بأنّ:

الخطاب مرادف للكلام أي استعمال اللغة واللسان الذي تتكفل بانجازه ذات معينة في مقام معين.

الخطاب وحدة تُوازي أو تفوق الجملة أشمل وأعم منها متكوّنا من متتالية من الوحدات اللغوية التي تتعدى الجملة. وكذلك له طابع الانفتاح والتعدي إلى ا لمحيط والخارج خلافا للنص الذي له بداية ونهاية فهو أشمل وأعم منه مستوعبا أياه حيث النص يشكل جزءا من الممارسة الخطابية فهو:«عبارة عما نعبر عنه بلغة القول أو الفعل وبصورة مباشرة الخطاب المباشر أو غير مباشرة الخطاب الغير مباشر ونظام العقل الذي نعقل من خلاله الأشياء ونتصرف ازاءها بمقتضاه.[4]»

تأسيسا على ما تّم بيانه حول علاقة النص والخطاب يأتي وصف الكلام الإلهي بالخطاب، بناء على مظهره الشفاهي واللفظي الذي اعتمده القرآن الكريم بداية نزول الوحي حيث كان عبارة عن حروف وأصوات أي كلام ملفوظ ومنطوق ثمّ اتخذ فيما بعد شكل المكتوب(النص) وتنسيق دقيق ملحوظ بين عباراته وجمله بحيث تبدو التعابير بل السور جميعا آخذا بعضها برقاب بعض في كل متماسك. كما يعتقد في ذلك محمود عكاشه مفرّقا بين النص والخطاب قائلا:« إنّ الخطاب في لفظه شكل لغوي في سياق تفاعلي أو تواصلي فإن إجتزئ من سياقه التواصلي صار نصّا كنص الكتاب فالفرق بينهما أن الأول يزيد على الثاني بالتواصل والتفاعل بين طرفين وأن يكون موجها من المتكلم أنا إلى المخاطب أنت مباشرا أو تعريضا والنص اللفظ الملحوظ في شكل ثابت ويراد به الموجّه إلى متلق وغيره فأن كان موجّها جاز أن يسمى خطابا وإن كان مدوّنا للحفظ فهو نص

---

١. عبد الواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،.ص٩٠.

٢.المصدر نفسه: ص ١٤٠.

٣. الدكتور حمدي النورج: *في تحليل الخطاب*،القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠١٤م،ص ٥٦.

٤. عبدالواسع الحميري: *ما الخطاب وكيف نحلله*، ص١٢.

فقط ومن ثمّ صارت الرسالة خطابا والنص الأدبي خطابا.[1]»

فيتبين من تعريف محمود عكاشة أنّ الخطاب عملية تواصلية شفوية متوجّه من المتكلم إلى المخاطب«تشكل رسالة تشتغل اللغة فيها كوسيلة للتواصل.[2]» وإنّ النص مدّون أي مكتوب موجّه إلى متلق قارىء وفي هذا السياق ما يؤيد كلامنا بول ريكور.(p.Ricorur)بقوله:« إنّ النصّ هو كل خطاب مثبّت بواسطة الكتابة. فاعتبار النص(Text) المظهر الكتابي للخطاب يضعنا وجها لوجه أمام السمة اللغوية للنص باعتبارالكتابة جزءا من النظام اللغوي.[3]» فبالتالي النص، يمنح الخطاب ديمومة الكتابة فهو يقرأ في كل زمان ومكان. وقريب من هذا المضمون يكون رأي غاي كوك (Guy cook))بقوله:«الخطاب امتدادات للغة تدركه على أنها دلالية وموحدة ولها غرض وأما النص، فهو امتدادات لغوية تفسر بالاعتمادعلى الشكل بمعزل عن السياق فهو يرى أن كلا من الخطاب والنص يشتركان في كونهما امتداد لساني لكن الفرق بينهما أنّ الخطاب وحدة تواصلية أي لها غرض ودلالة بينما النص هو شكل لغوي معزول عن سياقه بتعبير آخرالخطاب هو نص مضاف إليه سياقه.[4]»

وفي هذا الموضوع إنني لا أتفق مع تلك التعريفات التي تضع النصّ والخطاب متقابلين ومتجابهين بل أرى أن الخطاب يستوعب النصّ مشتملا عليه ثم تخصيص النص للمكتوب والخطاب للملفوظ ليس تقسيما حاسما وأنا في مقاربتي للخطاب القرآني أضع النص ضمن الخطاب وأعتبره جزءا منه فالخطاب يتعداه ويتجاوزه إلى مجالات وحقول أرحب وإن تحدث البحث عن الفروق فيما بينهما فإنّ كل ذلك يأتي طولا ولا عرضا. بتعبيرآخر، يكون النص واقع ضمن منظومة الخطاب ليس خارجا عنه.

بعد أن بيّنا جدلية النص والخطاب وأثبتنا انفتاحية الخطاب بتجاوز مفهوم الخطاب،الجملة واكتناف ظروف الخطاب التي منحت الخطاب السمة التواصلية والتداولية؛ حان الآن لكي يتطرق البحث إلى البعد الذي استشف منه الخطاب كل هذه الميزات وجعل من الخطاب خطابا:

١ – ٢ – الخطاب بوصفه كلام

يكون للكلام عندأهل اللغة معان ومفاهيم منها ما ورد في لسان العرب أنّ الكلام بمعنى:«الإفصاح وتكلّم الرجل تكلما وتكلاما

---

١. محمود عكاشة: *تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة*،القاهرة، دار النشر للجامعات ، ط ١٢٠١٣م،ص ١٨.

٢. احمد مداس: *لسانيات النص ،عالم الكتب الحديث*، إربد الأردن، ط١،ص ٨.

٣. خلود عموش:*الخطاب القرآني*، عمان، جدارا للكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٨م،ص١٨.

٤. سعيدة علي زيغد: *تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي*،عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠٠م،ص٤٧.

وكالمه: ناطقه وكليمك الذي يكالمك وكالمته: إذاحادثته فقد كان الكلام في هذا المفهوم مرادفا للنطق واقعا على الألفاظ المنطوقة وعلى المعاني التي تحتها. وقد يطلق ويراد به القول وقيل: الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه وهو الجزء من الجملة ومن أدل الأدلّة على الفرق بين الكلام والقول، إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولم يقل أحد من الناس إنه قول الله لأن هذا كما يقول صاحب اللسان موضع ضيق متحجّر لايمكن تحريفه ولا يسوّغ تبديل شيء من حروفه لذلك عبّر عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة.[1]» لكنّه عند سيبويه وابن سيده يكون الكلام مترادفا للقول فيما نستشفّه من كلامهما:«أنّ فعل القول:«قال» لايقع في كلام العرب إلا على ما كان كلاما والكلام هو المستغني عنه السكوت وما لا يستغني لم يكن كلاما.[2]» إذن لا فرق بينهما وفق هذا المنظور، فهما مترادفان فقد كان رأيهما من منظور نحوي بحت وفيه نظر قد نتطرق إليه لاحقا.

لكن ابن أثير يتوسع في معاني القول من منظور آخر دلالي عند العرب قائلا:« إنّ العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال أي جميع الأفعال الواعية المعبرة عن نسق فكري أو أيدئولوجي وتطلقه على غير الكلام باللسان أوعلى غير ذي لفظ كقوله: فقالت له العينان سمعا وطاعة وقال الحائط: سقط وقال به:حكم واعتقد واعترف وغلب وقال عنه: روى وقال عليه: كذب وقال بيده: أهوى بها وقال برأسه: أشار وقال برجله:مشى وقال بثوبه: رفعه.[3]» و«كذلك يسّمي الرأي والاعتقاد قولا وإن لم يعبَّر عنه بصوت باعتبار أن ذلك ممّا يخفى ولايعرف إلّا بالقول أو بما يقوم مقامه من شاهدالحال والجمع أقوال.[4]»

إذن ،يمكننا تلخيص مفهوم القول في عدة مفاهيم كما بيّنه راغب الأصفهاني بقوله أولا:«إنّ القول هو الملفوظ المركب من الحروف المبرز بالنطق مفردا كان أو مركبا(جملة).[5]» و«الملفوظ هو ما نلفظه أو ما ننجزه خلال فعل تلفظنا أي ما نخرجه من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل أو من حيّز الخفاء إلى حيّز التجلي وهو ما نؤثّر فيه ونغيّره لنغير من خلاله بنطق أو كتابة. بتعبير أدق إنّه ما نعبّر عنه بلفظ مكتوب أو منطوق.[6]»

ثانيا: قد يطلق ويراد به القابل لأن يلفظ بوصفه المعنى المتصور في نفس الكائن المتلفظ قبل أن يبرزه باللفظ.[7] »

---

١. ابن منظور:مادة (كلم)

٢. عبد الواسع الحميري: *النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة*، ص٥٩.

٣. راغب الأصفهاني *المفردات* : مادة(قول)

٤. عبد الواسع الحميري : *النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة*، ص ٥٩.

٥. راغب الأصفهاني:*المفردات*، ص ٤٣٣

٦. عبد الواسع الحميري :النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص٦١.

٧. المصدر نفسه:ص ٦٠.

كما في هذه الآية: ﴿وَ يقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ مجادلة / ٨. حيث ما جاء في الآية وما يتردد في نفوسهم من الكلام الداخلي المعبّر عن معتقدهم سمي قول.

بتعبير آخر« إنّ القول ما يعتمل في أعماق المتكلم من كلام نفسي غير متكلم به بعد فهو يشمل جميع المواقف والأفكار والمعتقدات والتصورات والرؤى والمشاعر والأحاسيس قبل أن تتحيز أو بالأحرى قبل أن تتخذ طريقها إلى الوجود في عالم الآخرين.

إذن تبين أن القول لا ينحصر بالمجال اللفظي فحسب بل يشمل الوجود الذهني والمعنى المتصور في النفس أيضا ما يسمى بالمعنى والكلام النفسي عند الأصوليين والذي ينضوي تحته العناصر النفسية المؤثرة في صياغة الكلام إنّ: « الكلام هو القول القائم بنفس المتكلم الذي تدلّ عليه العبارات.[1] »

ثالثا: قد يستعمل القول للدلالة على مقالة المتلفظ أي على معتقده أو مذهبه في الحياة ومنه قولهم: فلان يقول بقول أبي حنيفة بمعنى يحذو حذوه في النظر إلى الأشياء والحكم عليها أو يجري قوله في الأشياء أو الأوضاع مجرى قوله أو يسير في طريقته.

ورابعا: قد يستعمل للدلالة على المقول أو بالأحرى على ما يوحي به حال الشيء مثل امتلأ الحوض وقال قطّني مهلا رويدا قد ملأت بطني وسادسا في الإلهام.[2] »

إنّ المفهومين الأخيرين من القول يقودنا إلى العلامات الغير لغوية النائبة عن الكلام كما في هذه الآيات: ﴿ قالَتا أَتَينا طائِعِينَ﴾ فصلت/ ١١.

وكذلك: ﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً و: قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَينِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ... ﴾ ففي كلا الآيتين الأخيرتين يكون القول بمعنى الإلهام أي الدلالة الغير لغوية.

وأخيرا قد يستعمل القول بمعنى ومفهوم« النظام والسلطة الفعلية النافذة في الآخرين أو عن إرادته في التسلط عليهم.[3] »

---

١. المصدر نفسه: ص ١٨.

٢. المصدر نفسه: ص٦٠.

٣. عبدالواسع الحميري:في آفاق الكلام وتكلم النص، ص ١٣.

كما في هذه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ ﴿ إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيلِ هِي أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمل / ٥-٦.

في الحقيقة ، إن القول في هذه الآية عبارة عن الملفوظ من موقع العلو أو التعالي أو من موقع الأمر والنهي أو التكليف والإلزام « وقد تؤكد فكرة العلو والتعالي في هذه الآية وجود فعل الإلقاء الذي لا يكون إلا من عل أو من موضع العالي فضلا عن وجودحرف الجر الدال على الاستعلاء في سنلقي عليك لكنه لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتجاوزه فيصف تعالى قوله المتعالى الذي سيلقيه على النبي بأنّه ثقيل فزاده ثقلا على ثقله وقوة في التأثير على قوته.[١] »

وبما أنّ «القول مرتبطا أشد الارتباط بالسلطة المعبّر عنها ومنفصلا عن قائله في الوقت نفسه لذلك نلاحظ في القرآن الكريم جاز نسبته إلى المبلّغ عنه تعالى أي النبي صلى الله علية وآله.[٢] » ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ التكوير/ ١٩. ﴿ وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾ الحاقة / ٤١.

وهنا يكمن الفرق بين القول والكلام حيث يجوز نسبة ملفوظ القول إلى الآخر خلافا لملفوظ الكلام الذي لاتجوز نسبته إلا فقط لمتكلّمه الأساس أي لمنشئه أو مبدعه حيث يدلّ عليه ويعكس وجوده: إنّ«فعل التكلم يمرئي المتكلم في كليته أما فعل القول فيمرئي موقف القائل مما يقول وموقفه ممن يتوجه إليهم بقوله. فأفعال القول مرايا العقول ومجلي الحقيقة / السلطة أما أفعال الكلام فمرايا النفوس والشعور،حاملة بصمات المتكلم عموما ما تفرض رقابة المتكلم عليها وتجعله بمنأى عن التحريف بالزيادة أو النقص مستمدة سلطته من ذاتها لكن القول يستمد سلطته من سلطة المقال أو من سلطة الحقيقة المعبّر عنها أو من سلطة الفكر والأيدئولوجيا إن فعل التكلم خلافا لفعل القول دليلنا إلى الفاعل المتكلم ودليل المتكلم إلينا أيضا. لذلك فهو بالنسبة للمتكلم بمثابة المرآة التي تعكس حقيقته.[٣]» كما عكست لنا هذه الآية،حقيقة المتكلم(يوسف)عند الملك: ﴿ وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَينا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف/ ٥٤.

فقدجعلت هذه الآية من فعل التكلم الصادر عن يوسف عليه السلام في حضرة الملك جعلت منه الطريق الوحيد إلى معرفة حقيقة يوسف وما قيل عنه حيث دلّت على انفتاح المتكلم على المخاطب وعلى العملية التواصلية الثنائية وتعددية الصوت

---

١. عبدالواسع الحميري: المصدر نفسه ،ص٦٤.

٢. المصدر نفسه: ص٦٧.

٣. المصدر نفسه:ص ٧٦.

المتكلم وتعددية أشكال التكلم وهذا ما ينطبق مع نظرية دوسوسير واعتبارالكلام النشاط الفردي للغة فبتالي يكون الخطاب هو الكلام خلافا للقول الذي هو عبارة عن الملفوظ من طرف واحد والمعبرعن إرادة اللافظ النافذة في الآخرين.

١- ٢-١- الخطاب بوصفه كلام والكلام بوصفه حدث وفعل

تبين سابقا أن القول منطوي على عنصر التأثير والقوة والسلطة،لكن «حقيقة الكلام هو إظهار أمر أو معنى مخفي. بتعبير آخر هو الإفصاح عمّا هو في الضمير وتجلّي الغيب في الشهود والمخفي في الظهور.[١]» وهذا ما ينطبق تماما مع تعريف الكلام الذي هو بمعنى الإفصاح والإبانة:«فإطلاق الكلام على المعاني والألفاظ المكوّنة من الأصوات والحروف هو من أجل الإفصاح عمّا في الضمير لذلك سمي الكلام كلاما بغية كشف الغائب والإظهار وإنّ ماهية هذا الكلام في المصطلح القرآني ليس مكوّنا من الأصوات والحروف بل أساسه ومرتكزه هو الدلالة على المعنى المخفي والمستور أي إنه حقيقة نزلت وتجلّت في كسوة الألفاظ.[٢]» بتعبير آخر«هو الإنشاء والخلق.[٣]»

إذن وفق هذا المنظور القرآني، يكون مفهوم الكلام بمعنى الخلق والإنشاء وبهذا المعنى يكون الكلام الإلهي هو الفعل الكلامي فبالتالي يكتسب مفهوما عاما يشتمل على كل فعل ومخلوق كما تشير الآيات أدناها إلى هذا المنظور معتبرة كل المخلوقات كلام الله:

﴿ قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ كهف/١٠٩.

أو:

﴿ وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يُمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧/ لقمان.

بتعبيرآخر يسمى هذا النوع من التكوين الذي أنشىء من صفة التكلم الربوبي، التكلم الوجودي أي فعله الكلامي وفي المقابل إذا اشتمل الكلام الربوبي على مفهوم التكلم فيسمى الكلام الحروفي حيث الغالب المستخدم في القرآن الكريم هذا النوع

---

١ حيدر باقري أصل: *بررسي وتبيين قرآني وفلسفي ارتباط كلامي خدا وبيامبر* (البحث الموضوعي والفلسفي للتواصل اللغوي بين الرب والنبي)، انتشارات دانشكاه تبريز(نشر جامعة تبريز) ، ط ١،ص ١٤١.

٢. المصدر نفسه:ص ١٨٨.

٣ المصدرنفسه: ص ١٨٨.

من الكلام.[1]››وقد يسمّى وحي:

١-٢-٢- الوحي بوصفه كلام

قلنا سلفا أن العبارة تدّل على الكلام وإنّها نازلة منزلة الرموز والإشارات المفهمة للمخاطبين وكذلك تدل على طرق المكاتبات والاتصالات والأمارات المنصوبة لإفهام الكلام القائم بنفس المتكلم فإن ذلك كلّه، سيقودنا لا محالة إلى التطرق إلى مفهوم الوحي بوصفه أساس التواصل الكلامي بين ذات ربوبي وذات انساني وكذلك بوصفه ضربا من الإشارات كما تشير إليه التعاريف واصفة إياه بأن الوحي: هو الإشارة السريعة ولتضمّن السرعة قيل: أمر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة.[2]››

لكنّ الوحي ليست إشارة فحسب بل هو جنس من الكلام وقد بيّن له القرآن أقساما وصورا حسب ما ورد في الآيات القرآنية:

﴿ وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يرْسِلَ رَسُولاً فَيوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يشاءُ إِنَّهُ عَلِي حَكِيمٌ﴾ شورى/ ٥١.

كما كلّم الله من البشر ومن الأنبياء كموسى بقوله تعالى: ﴿ وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أعراف/ ١٤٤.

إذن الوحي كلام وهذا الكلام إما يتخذ شكلا قوليا حيث بعض الآيات تسمّي هذا الوحي قولا: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ مزمل / ٥.أو قرآنا: ﴿ ما أَنْزَلْنا عَلَيكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾ طه/ ١. أم يكون هذا الوحي مكتوبا فيسمى كتابا ففي كلتا الصورتين من الكلام يكون مصدرهما واحد وهو الوحي.

هذا كان من منظور الوحي باعتباره إشارة حيث يستفاد منه مفهوم الكتابة بقوله تعالى: ﴿ اتْلُ ما أُوحِي إِلَيكَ مِنَ الْكِتابِ﴾ عنكبوت / ٤٥ . أي كون الكلام صياغة لفظية تمثلت في التلاوة ومن ثمّ الصياغة المكتوبة التي تمثّلت في الكتاب أي الوحي المكتوب.

---

١. المصدرنفسه:ص١٤١.

٢. راغب الإصفهاني: *معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم*، تحقيق نديم المرعشلي، د.ت.د.ط، مادة (وحي). ابن فارس : معجم مقاييس اللغة: مادة (وحي)

رأينا في التعاريف الواردة أنّ الوحي الذي هو ضرب من الإشارة ينطوي على مفهوم الكتابة أيضا فضلا عن انضواء العبارة والكتابة ضمن منظومة الكلام سلفا عند الإمام الجويني بقوله:«إنّ الكتابة والعبارة يسميان كلاما مجازا لأنّه يفهم بهما الكلام.[1]» وفي هذا الشأن لا يختلف مفهوم القول عن الكلام والوحي في اشتماله على مفهوم الكتابة:« إنّ القول: هو الملفوظ والملفوظ هو ما نلفظه أوما ننجزه خلال فعل تلفظنا بنطق أو كتابة أو إشارة أي ما نخرجه من حيز الوجود بالقوّة إلى حيز الوجود بالفعل. ففي هذا التعريف يكون الملفوظ نتاجا لغويا بحتا.[2]» إذن يشتمل الوحي على القول والكلام والإشارة والكتابة.

فوفق هذه الرؤية، يمكننا اعتبار الكتابة أيضا نوعا من الكلام كما في الآيات التي ورد فيها لفظ الكتاب والكتابة فقد جاء في معنى الكتاب عن ابن منظور: «إنه اسم لما كتب مجموعا أو مصدر واستكتبه الشيء أي سأله أن يكتبه له واكتتبه استملاه والاستملاء هو الاملاء والإملاء هو الإملال على الكاتب و استمليته الكتاب أي: سألته أن يمليه علي.[3]»

نستوحي مما أوردناه في معنى الكتاب أنّ الإملاء لا يكون إلا بالكلام فحينما يتقيد الإملاء بالكتابة يصبح كتابا:

﴿ ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيبَ فِيهِ﴾ بقرة/ ٢. ﴿وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يرِثُها عِبادِي الصَّالِحُونَ﴾ أنبياء/ ١٠٥ أو: ليكتب كاتب بينكم بالعدل ففي هذه الآيات يكون الكتاب بمعنى ما كتب.

إذن يمكننا أن نرادف بين الوحي والكتاب والكلام لأنّ ماهيتهم واحدة لأن حقيقة الكتاب والكلام هي نفس حقيقة الألفاظ والكلمات الموحية.

بناء على ما توصل إليه البحث من اعتبار الخطاب الإلهي كلاما والكلام يدخل في تعريفه الخلق والإنشاء(الفعل الكلامي) ومفهوم التكلم الذي يتضمن مفهوم الإشارة والكتابة أخذ البحث الجانب التداولي والتواصل الغير لغوي -بما فيه من إشارات تواصلية غير لغوية —من الخطاب مركزا على الأفعال الكلامية ومن ثمّ التواصل الغير لغوي في الخطاب القرآني معلنا عدم اتفاقه مع تلك الآراء التي تقصي العبارة(الإشارة)والكتابة من تعريف الخطاب كما هو عند الآمدي (٦٣١ه.ق) واعتباره الخطاب هو اللفظ فحسب واستبعاد الإشارة من دائرة الخطاب - بل يؤيد التعاريف التي تدخل الإشارة ضمن مفهوم الكلام كما هو مذهب إبن جني في تركيزه على الإشارة بقوله: إني لا أحسن أن اكلم إنسانا في الظلمة.[4]»

---

١. ادريس حمادي: *الخطاب الشرعي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص٩.

٢. المصدر نفسه: ص ١٦٤.

٣. المصدر نفسه: ص ١٦٤.

٤.محمد عبد الحميد بن محمد عبد الواحد: *الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق*، إشراف محمد عبد الحميد الشرقاوي ٢٠١٤م، ص ١٠.

أي إنّ الإشارات تكون جزءا من الكلام وكذلك الإمام الجويني كما مرّ ذكره حيث لم يكتفي بإدخال العبارة فحسب بل يدخل الكتابة ضمن مفهوم الكلام لأنّ بدخول الكتابة ضمن منظومة الخطاب يتسنّى مقاربة الخطاب القرآني باعتباره جزءا من النظام اللغوي وبذلك يجلي مدى تعمقه وإلمامه بجوانب الخطاب.

فخلاصة المقال:

إن الخطاب القرآني هو الوحي الذي ضرب من الكلام ولإنتسابه إلى الله يسمى الكلام الربوبي فإذا اشتمل هذاالكلام الربوبي على مفهوم التكلم فيسمى الكلام الحروفي حيث الغالب المستخدم في القرآن الكريم هذا النوع من الكلام أي كلام صيغ في هيئة الحروف سواء يكون منطوقا أو مكتوبا حيث يشتمل الكلام على مفهوم الكتابة كما بيّنا.

فبعد أن بين البحث مفهوم الكلام توصل بأنّ الخطاب هو الكلام والكلام هو الحدث والفعل والإنشاء وبما أن كل كلام ينبني على فكرة إذن من منظور آخر يكون الخطاب الإلهي هو كلام له طابع النظام اللغوي والغير اللغوي والنظام الفكري معا.في الحقيقة أراد البحث أن يجمع بين مفهومي القول والكلام إذ عندالبعض لا فرق بينهما.

فبعد كل هذه التفاصيل والبحوث حان الحين لكي يتطرق البحث إلى مواصفات الخطاب القرآني وبنيته وكيفية مقاربته وميزاته لكن قبل ان يدخل في تفاصيل البحث علينا أن نتطرق إلى الخطاب الجاهلي وبنيته الفكرية وميزاته لكي يتسنى للقارىء ميزات الخطاب القرآني خاصة بنيته الفكرية والفارق الكبير الذي حدث في نوع الخطاب العربي بفضل التغيير الكبير الذي حدث في المنظومة الفكرية والقيمية.

الخطاب الجاهلي

إن ما نستشفه بادي ذي بدء في الخطاب الجاهلي وتقليب الدواوين والأشعار على وجه الخصوص هو وجود بنية الصراع وتغليب فكرة الصراع وطغيانها الذي شكّل البؤرة الرئيسة للتفكير الجاهلي أي صراع الموت والحياة « فقد أحس الشاعر الجاهلي بهذا الإحساس الرهيب العميق بالفناء إذ هو إحساس يفوق إحساس غيرهم من الشعوب ولعل من أهم الأسباب الداعية إلى ذلك قرب هؤلاء من الطبيعة القاسية التي أذاقتهم ألوانا من العذاب مما جعلهم يحسون بالموت في كل وقت فقدكان لقسوة البيئة الصحراوية ونضوب مصادر العيش فيها وقلة مواردها الاقتصادية تأثير كبير على إحساسهم بالموت.[1]»فقد تمثّل هذا الصراع والإحساس بالموت تارة في الوقفة الطللية –حيث يمكن تسميتها بواجهة الصراع – والوقوف بوجه الطبيعة إما في الصراع مع القحل والجدب والخصوبة وإما في الصراع مع الزمان والمكان وتارة أخرى في الصراع بين الذات

---

١. صالح مفقودة: *الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات*،القاهرة، دارالفجر للنشر، ٢٠٠٣م،ص ٧١.

والمجتمع(الصعلكة)أو الصراع القائم بين الذات والذات نفسها(العاشق / المحبوب)(جدلية الحب والفراق) وتارة أخرى في الصراع بين القوة والضعف(الحيوان الضعيف والمطارد من قبل القوي) لكن كلها منطلقة من منطلق الصراع بين الموت والحياة وتدور في فلكها. فعلى إثرها طغت على القصائدالعلاقات الثنائيات سواء في ثنائية الزمن الماضي والحاضر- الماضي الحافل بالذكريات الجميلة والوصل وزمن الوحشة والفراق وثنائية زمن الشيب والهرم والشباب- و ثنائية المكان: المكان العامر/ المكان المندرس(الأطلال) وثنائية الاستقرار والرحلة وثنائية الفرد والقبيلة وثنائية الإنسان والحيوان والثابت والمتحول أي الحركة والثبات وثنائية الحضارة والطبيعة وثنائية الأنا والآخر وثنائية الانفلات والحرية والكبت وأخيرا ثنائية الإنسان والدهر. قد تمثلت تلك الثنائيات في لبوس الصور الشعرية التي«عكست هموم الشاعر الجاهلي وهموم مجتمعه وتصديه لمشكلات كانت تؤرقهم كمشكلة المصير والإحساس بالعدمية تلك المشكلات التي لم تستطع معتقداته أن تحلها وتهدىء من روعه.[1]»

إذن الخطاب الجاهلي مجموعة من ثنائيات وتقابلات بين العناصر المكونة له خاصة في شعره وقصائده وقدذهب البعض في تحليلها إلى التحليل الرمزي والتعليل الأسطوري:«لأن الاقتصاد في اللغة،ألفاظا وأساليب، قدحمل الشعراء على إيثار الأسلوب التصويري في التعبير عن معانيهم بحيث صارت الصورة الشعرية أصلا من أصول الشعر الجاهلي وكان هدف الشاعر من بناء هذه الصورة التعبير من خلالها عن قضاياه وأحاسيسه ومواقفه من الحياة والناس من حوله لذا غلب التعبيرالرمزي على التعبيرالمباشر وعلا الشعرالجاهلي على الواقع الحقيقي ليصبح من خلال هذه الصورة بناء لغويا مجازيا حافلا بالرموز والمعاني.[2]» وقد تكررت هذه الصور حتى أصبحت عناصرالهيكل العام للقصيدة موضوعا وغرضا وشعوريا.

في الحقيقة كانت تلك القصائد في صوره المتناثرة مسرحا لتلك الصراعات والثنائيات التي تعود بجذورها إلى ماضي أسطوري وطقوس شعبية وثنية فالشاعر الجاهلي كانت تشغله عدة تساؤلات عن مصيره وعلاقته بالكون يقول عفت الشرقاوي في هذا الصدد: «نلاحظ أن الشاعر الجاهلي يعاني توترا خاصا يفوق كل توتّر عرفه الشاعر بعد ذلك لأن وعيه بمشكلة الموت كان ذاطابع فاجع فلم تكن هناك فكرة دينية متعالية تمنحه الخلود في ملكوت إله مخلص فهو عالق بالأرض يبحث من خلال وثنيته عن مغزى أرضي لهذا الوجود فلايجد.[3]» و«قد عبّر عن تلك الهواجس في لغة رامزة عبر عدة صور تكررت بكثرة في الشعر الجاهلي منها: الطلل والرحلة والناقة والمرأة والثور الوحشي ... وقد رمزالجاهليون للشمس بالمرأة والغزالة والمهاة

---

١. عبدالرحمن عفيف: *الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا*، عمان، دارالفكر، ط١، ١٩٨٧م،ص ٢٦٩.

٢. المصدرنفسه: ص ١٧٧.

٣. صالح مفقودة: الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات، ص ٧١.

والنخلة وللقمر بالثور.[1]» وعدّوا الطلل «رمزا لما تخلفه رحلة الشمس على الإنسان والناقة رمزا للإرادة الإنسانية التي تقحم الأهوال من أجل تحقيق الآمال.[2]» سواء كانت لتلك الرموز أسباب أسطورية أو نفسية فقد كانت مسرحا لتصارع القوى المهيمنة على التفكيرالجاهلي فالمقدمة الطللية التي عرفت بها جميع القصائدالجاهلية كان أكبر واجهة لتجلي تلك الصراعات والثنائيات خاصة صراع الموت والحياة.

المقدمة الطللية واجهة الصراع

تبين أن البنية الجوهرية للخطاب الجاهلي كانت قائمة على الصراع الذي هو نابع من وجود ظاهرة القلق الوجودي والشعور بعدم الاستقرار واللامكان بفعل جدب الطبيعة وقهرها «فهو(الإنسان الجاهلي)كثيرالنزوع إلى الترحال ولكنه ترحال كان مفروضا عليه إما بفعل الجدب وإما إنهدام الحضارة كماحدث من خراب سدمأرب والدمار الذي لحق حضارات ثمود ومدائن صالح إرم ذات العمادالتي لم يخلق مثلها في البلاد.[3]» فقد كان في صراع دائم ومستمر مع الطبيعة ومع الزمان والمكان هذان العنصران المتداخلان معا والمكوّنان ظرفا لتجليات الطبيعة والعالم الواقع حيث كانت لهما علاقة برؤيته النفسية ذات البعدالوجودي أي الشعور بالقلق والشعور بالوحدة والغربة والعجز والضآلة أمام جبروت الصحراء والفضاء الشاسع الرهيب واستشعاره بالفناء(الذات الإنسانية)أمام خلود وثبات الطبيعة والكون ومن ثم الشعور بثنائية الموت والحياة: « هذا الإحساس ذو الطابع الأنطولوجي هو الذي جعل الشاعر الجاهلي يرى أن مجرد الضرب في الفلوات والقفار ممتطيا ظهر ناقته حركة وفعل هام وجوهري في تقييم الإنسان العربي لنفسه وبنفسه فحضور الصحراء كمكان والليل كالزمان في القصيدة الجاهلية وما يرافقهما من تجسيد للقلق والوحشة والخشونة وقسوة الطريق إلا أنماطا من التعبير التي عمد إليها الشاعر لإثبات الذات أمام المكان والزمان في بعدهما الوجودي.[4]»

في الحقيقة إن محاولة إثبات الذات أمام الزمان والمكان هي جدلية الموت والحياة بعينها فهو على الرغم من تحديّه بامتطاء الناقة الراحلة في عمق الصحراء في الليل المخيف المرعب الصحراوي إلا أنه يقرّ بهلاكه وفناءه وتحولّه وحركته أمام ثبات وسكون وخلود وجمود الطبيعة ومن ثم استشعار العجز أمام قوى خارقة جبارة وقد سمّاها الدهر ومن ثم ولادة ثنائية الصراع الأخرى من رحم جدلية الموت والحياة وذلك من خلال الإيمان بالفكر الوثني الباعث على عدم الاطمئنان والحذر إنها

١.محمد البلوحي: *آليات الخطاب الشعري العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي*، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ،ط١، ٢٠٠٤،ص ١٤٢

٢. المصدرنفسه: ص ١٣٣.

٣. المصدرنفسه:ص ١٠٠.

٤.المصدرنفسه: ص ١٠٠.

ثنائية قائمة على علاقة من الصراع والغيلة(الاغتيال) في بناء تشبيهي ووصف حسي تشخيصي. كأنها فعلا حرب قائمة بين الدهر والإنسان فالخاسر في نهاية المطاف هو الإنسان لأن الدهر هو العدو القوي المتمكن الذي يمتلك أدواة الحرب من السهام والنبل الغير مرئية وقد ورد أسماء تلك الأدواة في النص الشعري ما يدل على أن العلاقة ليست صراع بل حرب.

أرى الـدَهرَ يَرمـي لا طـيشَ سـهامُهُ وَلـيسَ لمَـن غالَـه الـدهرُ مرجَـعُ[1]

كقول الخنساء:

فقد استحضرت لنا الخنساء صورة الدهر المغيل الصائب في رميه ومن ثم الرؤية التي لا تفصح عن أمل وسعادة وحياة لمن أصابه نبل الدهر.

فالفناء والموت هو النصيب والقسمة لمثل هذا الانسان التعيس فقد شخّصت الخنساء هذا الدهر وجسّدته عبر امتلاك السهام والقوة على الرمي فهو موجود متفوق ومتمرس لا خطأ في رميه.

وكذلك قول عمرو بن قميئة :

رَمَتني بَنـاتُ الـدهر مـن حَيـث لا أرى فَكيـف بمَـن يَرمـي وَلـيس بـرام[2]

قدجسّدالدهر وشخصّه وقدنسب إليه صفة الغير المرئي لكي يضفي عليه هالة من التضخيم والتخويف والتفوق والقوة.

إذن نحن أمام منظومة فكرية دهرية تحلّ الدهر محل الله وتنظر إلى علاقة الإنسان بالدهر بأنها علاقة فوقية ظالمة غاشمة و دور الإنسان فيها هو الضحية فثنائية الإنسان والدهر فيها قائمة على صراع غيرمتوازن وهناك قوى فتاكة تتربص بالإنسان وتعبث بحياته. وقد تتكررت بنية الصراع الغير متوازن مرة أخرى في لبوس المقدمة الطللية حيث الزمان والمكان والإنسان يشكلان ثالوثا متجابه ومتشابكا متصارعا. فالزمان والمكان في تقابل حاد مع الذات ومع الشعور بالتعاسة والعجز وكما يرى الدكتور يوسف اليوسف في كتابه مقدمة الشعر الجاهلي:«إن عنصرالطلل هو توليف اندغامي للحظات الثلاث: التهدم الحضاري والقمع الجنسي وقحل الطبيعة وهو ترجمة لاشعورية للرغبة في الخلاص من ظرف حضاري متهدم. فالانهدام الحضاري تمثل في المنزل الخرب والانسلاب الجنسي تمثل بالحرمان من المحبوبة الراحلة؛ وقحل الطبيعة تمثل بالانفعال أمام الشحّ الذي تمارسه الطبيعة على الإنسان.[3]»

---

١. تماضر بنت عمرو الخنساء: *ديوان الخنساء تحقيق* د.أنور أبوسويلم، دارعمار للنشر عمان، ١٩٨٨م. ص ٣١٨.

٢. عمرو بن قميئة: *الديوان*، تحقيق وشرح خليل ابراهيم العطية، دارالحرية للطباعة ،١٩٧٢م،ص ٧٨.

٣. محمد البلوحي: آليات الخطاب الشعري العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، ص ١٠٠.

إن الشاعر الجاهلي في مقدمته الطللية كأنّه يصارع الزمان والمكان اللذان كان قد تمتع وتلذذ وذاق حلو الحياة في كنفهما وتمتع في ظل خصوبتهما مسترجعا الذكريات(الزمان)التي استجمعت في مكان دارس جدب خال من الأحبة(الطلل)في محاولة لقهر الموت بتخليد ذلك الزمان والمكان شعوريا وشعريا ثم منحه الحياة عبر ذكر أسماء تلك الأمكنة والأحبة تخليدا لها في النفس وتقابلا مع الإندراس الذي حصل على المكان(الطلل)والجدب الذي لاقه بعدخصوبة والجمود والسكون بعدالحركة والحياة.«فقداستنطق الشاعر الجاهلي تلك الأمكنة في محاولة لكسرالصمت والسكوت التي خيّم عليها وقد بعث روح الحياة فيها لأن الصمت والسكوت من دلالات الموت مستحضرا بها صورة صاحبة الأطلال المترحلة إلى الصحراء.

فالصحراء عندالشاعر الجاهلي هي العدو:« فعدوّه الأول في بيئته وهو المكان.الصحراء في حد ذاته. فالصحراء هنا هي الخارج والصحراء عدو لاتعطي وهي مكان التغير والغياب.[1]» والقطب المتضاد للإنسان وكينونيته.

فقداستنطق الشاعرالجاهلي الأطلال فكأنّه يريد بعث الحياة فيها فخلع عليها سمات الأحياء وطرد شبح الموت والسكون عنها فخاطبها بقوله:

أ مـــن أمّ أوفى دمنـــة لم تَكلّـــم ... بحَومانـــة الـــدرّاج فـــالمُتثلّم...

تَبصّر خَليلَـيَّ هـل تَـرى مـن ظَعـائن ... تَحمّلـن بَالعَليـاءَ مـن فَـوق جُـرثُم

عَلَـــونَ بأنمـــاط العتـــاق وَكَلّـــة ... وراد حَواشـــيها مُشـــاكهة الـــدَم[2]

فقدجمعت هذه المقدمة المأساوية بين عنصرين أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال والآخر يذكر بالحياة وهو الحب و«ليس اجتماعهما الحياة والفناء إلا تأكيدالشاعر على التناقض والتقابل القائم في العالم الخارجي ومن ثّم سريانه إلى داخله. فقد جابه الشاعرالموت المتمثل في خراب الدار والأطلال باستنطاقها بالأسلوب الاستفهامي أولا ثم الحركة(حركة الظعائن)لمحو تعاسة الحاضر ومنح الزمن بعدا آخرا جديدا وممتعا يكشف عن استمرار القوة وهيمنة الذات.[3]» ومن ثم تحديا أمام الزمن الحافل بدلالات الموت والخروج من ضائقته.

وقد يظهر له الصباح حقيقة مرة برحيل الأحباب ويتحداه بالواقع المرير مرة أخرى فما له من حيلة أن يستعين بالطبيعة على الطبيعة فيستعين بالربع والمكان الذي كان القوم فيه؛ على الصباح و على زمن الفراق فيستنطقه ويسلم عليه ويخاطبه

---

١. حسن مسكين: *الخطاب الشاعري الجاهلي رؤية جديدة*،بيروت،المركزالثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م،ص ١٠٢.

٢. فؤاد أفرام البستاني: *المجاني الحديثة*، بيروت، ط٣، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٦م، ص ٨٥.

٣. حسن مسكين: الخطاب الشاعري الجاهلي رؤية جديدة،ص٤٣.

مخترقا حجاب الصمت والموت بقوة الكلام فكأنّه يريد أن يبدد سكون الموت بالاستنطاق وأن يحيي حياة الأحبة في الزمان مرة أخرى لكن يخفق فيذعن بإخفاقه ويكتفي بعزاء النفس فقط كما هوالحال بالنسبة إلى إمرىء القيس:

ألا عـــم صـــباحا أيهـــا الربـــع فـــانطق وحدث حديث القوم إن شئت فاصدق فاصدق

فعزيـــت نفســـي حـــين بـــانوا بجســـرة أمـــون كبنيـــان اليهـــودي خيفـــق[1]

وفي مكان آخر نرى نفس هذا الشعور والإحساس والجدلية القائمة بين الموت والحياة وتوظيف الأطلال كمسرح للتصارع والتناطح بين سلطة الزمن والطبيعة وقوة الفناء والموت على الحياة أمام ضعف الإنسان:

يـــــــا دارميـــــــة بالحائـــــــل فالســـــهب فـــــالحبتين مـــــن عاقـــــل

صـــــــــــــمّ صـــــــــــــداها وعَفا رَسمَها واستعجمت عن منطق[2] السائل[3]

وكذلك عند طرفة حيث البكاء والنحيب أمام قوة الزمن فهو يبكي على تلك الأطلال التي باتت كباقي الوشم المندرس والبالي لكن خلافا للأمثلة السابقة ليس الشاعر هو من يبدد الصمت ويريد أن يصارع الموت بمخاطبة الأطلال بل صحبه هم الذين يخاطبونه ويحذرونه من الموت والهلاك بسبب كثرة بكاءه

كأنه أصبح كالطلل المرثي عليها بقوله:

لخولـــــة أطـــــلال ببرقـــــة تهمـــــد تلـــوح كبـــاقي الوشـــم في ظـــاهر اليـــد

وقوفـــا بهـــا صـــحبي علـــيّ مطـــيّهم يقولـــون لا تهلـــك أســـى وتجلّـــد[4]

ولايختلف لبيد عن سابقيه في صراعه مع الزمن والمكان وشعوره بالموت أمام الأطلال وقوة الفناء:

عفـــت الـــديار مخلـــها فمقامهـــا بمـــني تأبـــد غولهـــا فرجامهـــا

فوقفـــت أســـألها وكيـــف ســـؤالنا صـــما خوالـــد مـــا يـــبين كلامهـــا[5]

---

١ فؤاد أفرام البستاني: *المجاني الحديثة*، ص ٤٥.

٢ المصدرنفسه: ص ٥٤.

٣ المصدرنفسه: ص ٤٥.

٤ المصدرنفسه: ص ٤٥.

٥ المصدرنفسه: ص ٤٥.

١-٢-٣- تغييرالوضع القائم

يأتي تغييرالوضع القائم لأي مجتمع عن طريق تغيير الفكر والمعتقد فيه أي عن طريق «تغيير الوضع الذهني.[١]» وذلك يبرز عبرالخطاب وبترسيخ المفهوم العقدي الجديد مكان المعتقدالقديم وبتوظيف آليات مثل الحوار والاستفهام إذ ليس الخطاب إلا الفكر والأيدئولوجيا.

فالحوار الداخلي(مع الذات)أو الخارجي(خطاب الآخر بما فيه الإنسان والجماد)هي السمة الأخرى للخطاب الجاهلي فقد ركز الخطاب القرآني على تلك السمات(الأسلوب الاستفهامي والحوار)واستخدمها واستثمرها في توجيه الأفكار والهداية والسعادة وبث روح التعقل والقضاء على القلق والارتباك والتأزم النفسي وقدأضفى عليهما سمة الإقناع والتفكر والتدبر فبذلك حوّله إلى خطاب إقناعي وتأثيري. إن الغاية من الخوض في سمات الخطاب الجاهلي ومن ثمّ الخطاب القرآني ليست عقدمقارنة بينهما بل التركيز على بعض سمات الخطاب في العصرالجاهلي واستثماره في غايات تختلف تماما عن سابقتها من قبل الله سبحانه بهدف «تغييرالوضع القائم أو نبذ للعنف.[٢]»

والآن سنتطرق إلى تغيير الوضع القائم عبر توظيف آليات الحوار والاستفهام كما في الآيات التالية:

﴿ وَ اتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ﴾ ﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ﴾﴿قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ﴾﴿ قالَ هَلْ يسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ ينْفَعُونَكُمْ أَوْ يضُرُّونَ﴾﴿ قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يفْعَلُونَ﴾﴿قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ماكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾﴿ الَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَ يهْدِينِ﴾﴿ وَالَّذِي هُوَ يطْعِمُنِي وَيسْقِينِ﴾﴿ وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يشْفِينِ ﴾﴿وَالَّذِى يمِيتُنِي ثُمَّ يحْيِينِ﴾﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يوْمَ الدِّينِ﴾ الشعراء/٦٨-٨٢.

فالآليات اللغوية المستخدمة في هذه الآيات كما يلاحظ القارىء هو الاستفهام والحوار القائم على عنصر الوصف والتذكير بأنعم الله المشهودة التي انبنت عليها الحياة الإنسانية بهدف نبذ المعتقدالقديم القائم على الشرك الوثني كما يلاحظ توظيف تلك الآليات في الخطاب الجاهلي لكن توظيف الحوار الذاتي أو خطاب الجماد فيه يأتي لأمر شعوري ونفسي بحت ليس الهدف منه إقناع أو تدبر أو تغيير أو إصلاح كما رأيناه مرارا في خطابات الشعراءالجاهليين وحواراتهم وهذا فعلا ما حدث في

---

١. المصدرنفسه: ص ٤٦.

٢. عبدالله صولة: *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية* الجزء الأول ،منشورات جامعة المنوبة ، تونس، ط ،٢٠٠٠م،ص ٤٦.

الخطاب القرآني الذي بلغ مداه في التأثير والتغيير أسمى درجات التأثير إذ هو بهذا التعبير عبارة عن: «استدعاء لفعل أو ترك لفعل أو إخبار عن ماض أو مستقبل بغية الإنذار والتبشير والإرشاد والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني والتعجب والنداء و «تقسيم الخطاب إلى الخبر والإنشاء.[1]» وقد تجلى كل ذلك في أسلوبية الخطاب القرآني التي لاتنفك عن صلتهاالوثقية بالمجتمع والثقافة والسياسة و... بهدف التأثير في المخاطب في قبوله للعقيدة التوحيدية وامتثاله للأوامر والكف عن النواهي.

كهذه الآية الشريفة:

﴿ أَمَّنْ يهْدِيكُمْ فِيظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَمَنْ يرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَينَ يدَي رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يشْرِكُونَ﴾ النمل / ٦٣.

حيث أسلوبية الخطاب القرآني في الدعوة إلى قبول التوحيدية ومن ثم تغيير المعتقد والوضع القائم تجلت في القرآن الكريم بتوظيف أسلوب الاستفهام وإجراء حوار أحادي الجانب من قبل الله سبحانه وتعالى وكذلك بتوظيف الخطاب المباشر في الجزء الأول من الآية والغير مباشر في الجزءالثاني محققا التأثير والإقناع لدى المتلقي.

فقدجاء توظيف تلك الأفكار والمعاني أي نظام التكلم،الجامع الإقناع والتأثير مع استئثار الآية بهذه الألفاظ:ظلمات،البر،البحر وإرسال الرياح التي هي بشارة المطر والرحمة حيث جاءت منسجمة مع البيئة والثقافة العربية لأن اجتياز البراري الواسعة في الظلمات وقلة الأمطار تشكل أكبر هاجسا لدى الإنسان العربي آنذاك. فالغاية من توظيف تلك الافكار فضلا عن تغييرالوضع القائم خاصة على الصعيدالفكري في المجتمع الجاهلي يأتي للتأثير في البعدالعملي أيضا وذلك بقصد نبذ العنف المترتب على الفكر الجدلي الثنائي الوثني.

١-٢-٤- نبذالعنف

في الحقيقة كانت حياة الشاعرالجاهلي بؤرة نفسية يتلاقى فيها الزمان والمكان إنها بؤرة:« فيها البعدالنفسي والحنين النوستالجي.[2]» وقدتمظهر البعد النفسي والحنين في المقدمة الطللية التي تعد مفتاح الولوج والغور في كوامن القصيدة والبنية الفكرية والنفسية لها. إنها ليست مقدمة غزلية فحسب بل في الحقيقة «رثاء للذات في قلقها ومخاوفها من وجودها وانتقاليتها

١.:إدريس حمادي: *الخطاب الشرعي*،ص٢٦.

٢. محمد البلوحي: آليات الخطاب الشعري العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، ص ١٠٤.

وما تخلفه من نفس المحب من خيبة أمل.[1]» فالحنين النوستالجي في المقدمة الطللية هو «برهة زمانية تجمع القطبين في لحظة واحدة،لحظة حضور الماضي المبتغى لما يحمل من فرح وتفاؤل لينصهر في الحاضرالمأساوي.[2]»

بتعبير أدق إنها برهة زمنية مكانية وامتزاج الزمان بالمكان تعكس البعد النفسي والشعور بالاغتراب النفسي أمام الواقع الخارجي إنها جدلية الزمان والمكان والصراع:« إنها رؤية تعكس التناقض وتبيّن مكر الحياة وجدلية الوجود الذي يكشف عن صراع القوى:الحياة / الموت.(جدلية الموت والحياة)وعلى حد تعبير سهيرالقلماوي: إن وقفة الشاعر على الأطلال تُفسَّر بأنّها كانت أكثر من بكاء على حبيبة وسعادة انقضت إنّها صرخة متمردة يائسة أمام حقيقة الموت والفناء.[3]»

إنّ القصيدة الجاهلية برمتها تنطوي على العنصرالطللي بحيث يسعنا القول بأن «الضمير التعيس وهو المضمون الأساسي للوقوف على الأطلال يباطن القصيدة الجاهلية على كافة امتداداتها وأصدائها ويسكن معظم جزئياتها وعناصرها.[4]» وفي بعض الأحيان،يتحول هذالشعور بالتعاسة إلى التمرد والنزوع إلى الهدم والفتك والدمار والقتل خاصة عند شعراءالصعاليك كالشنفرى وإلى خطاب التعدي:

وَليلــة نَحــس يَصــطلي القَــوسُ بهــا ... وَأقطُعُــه الــلاتي بهــا يَتَنبَّــلُ

دَعستُ على غَطش وَبَغش وَصُحبتي ... سُــعارٌ وإرزيــزٌ وَوَجــرٌ وأُفكــلُ

فأيّمــتُ نســوانا وأيتمــتُ ولــدَةً ... وَعُــدتُ كمــا أبــدأتُ وَاللّيــل أليــلُ

إن خروج شنفرى في ليلة قاسية مظلمة يوافق طبعه المتمرد فقد تحدى نواميس الطبيعة متماديا فيها في أشدالظروف وأقساها فقد أراد أن يضاهي القدر المحتوم بنوع من التحدي فتكرار الأفعال بضمير المفرد:(دعست، فأيمت،عدت ،ابتدأت) وتوا ترها ما هو إلا تأكيدا على روح المضاهاة والتحدي والتجابه أمام الكون فقد أراد أن ينفي الصراع بالصراع وينفي الموت بالموت فقد رمى بكل ما يملك من عدة وسلاح(قوس) فالقوس هو كل ما يملكه ويحرص عليه في حياته لكنه اصطلى بها تمردا على الحياة: «إنه خرج في تلك الليلة القاسية وكأنه قدر الموت الذي لايدفع فأيّم النسوة ويتّم الأولاد خرج في سبيل القتل والإبادة ذاك هو الطعام الذي يشبعه والشراب الذي يرويه إنها غزوة من نوع آخر إنها غزوة وجودية إذا جاز التعبير.[5]» لم

---

١. عبدالرحمن عفيف:الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا،ص ٢٩٠.

٢. محمد البلوحي: آليات الخطاب الشعري العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي،ص ١٠٤.

٣.حسن مسكين: الخطاب الشاعري الجاهلي رؤية جديدة،،ص ٤٦.

٤. عبدالرحمن عفيف: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، ،ص ٢٤٢.

٥. ايليا الحاوى: *في النقد والأدب*،الجزء الأول،بيروت، لبنان،دارالكتاب اللبناني،ط٥، ١٩٨٦م،ص ٣٧٢.

يقتصرالأمر على السلاح بل يريدأن يموّت في نفسه كل ما يمته بضرورات الحياة من صلة حتى الطعام إنها جدلية الموت والحياة ونزعة التمرد على الحياة إنه يعاند ويكابد وينطلق من مبدأ الثورة على ضرورات الحياة مثل النوم والشرب والأكل والحر والقر فقد صارع الحياة بجوعها وفراشها وحرها.

فهو يديم مطال الجوع حتى يميته ويقضي عليه بقوله:

وأطوي على الخمص الحَوايا كما انطوت خُيوطه ماريّ تُغار وَتُفتَلُ

أو:

أديمُ مطال الجوع حتى أُميتَهُ وأضرب عنه الذّكرَ صفحا فأذهَلُ[1]

فقدافترش الأرض وصارع الحياة بنوع آخر:

وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سناسن قحل

وصارع الحر في الهاجرة:

وَيَوم من الشّعرى يَسيل لعابه أفاعيه في رَمضائه تَتَملمُ

نَصبتُ له وَجهي ولا كنَّ دونه وَلا سترَ إلا تحمي المرعبل[2]

فمجمل القول أن الصورة الكلية للشعرالجاهلي هي التعبير عن حالة اللاتكيف مع الحياة وبالتالي عدم التواصل والتجاوب مع الذات والكون والشعور باللاأمن والعنف والاضطهاد.

إن « هناك أزمة مركزية الفارزة لكل توتر في الشعر الجاهلي وهي عدم استقرار الحضارة الآمنة والملبية للحاجات النفسية أي أزمة الحياة بأبعادها الثلاثة: الحضارة،الأمن،العشق.[3]» فإذا أردنا أن نصف شعور هذاالإنسان الجاهلي تجاه هذه الأزمة وترسيم واقع العلاقات بينه وبين الطبيعة والمجتمع يمكننا أن نرده إلى مصدرين ومخزونين هما:

«حس الافتراس الدائر في الطبيعة والمجتمع والشعور بإضطهاد الأعراف الاجتماعية للغرائزالبشرية أي الشعور بالافتراس والصراع الدائر في طبيعة ماهيتها الشحّ من جهة والنقض من جهة أخرى فالجاهلي يسكنه شعور فحواه لأن الطبيعة

---

١. فؤاد أفرام البستاني : *المجاني الحديثة* ،ص ٥.

٢. المصدرنفسه، ص ١١.

٣. إيليا الحاوي في *النقد والأدب*، ص ٢٥٠.

عبر قحلها تفترس الإنسان وأن الإنسان يفترس الإنسان كذلك عبر التصاول الاجتماعي اليومي.[1]»

وفي خضم هذا التوتر والصراع نلاحظ أن التعددية في الأرباب والوثنية قد زاد في الشعور بالصراع والتوتر وقدزاد الطين بلّة لأن كثرة الأرباب يعني التزاحم والتعارض والتصادم ومن ثم باعثا على القلق والتوتر والشعور بالتلاشي وفقدان السندفي الحياة ومن ثم الموت فقدكان المرء يقف وجه لوجه أمام تحديات الكون دون أن يسعفه أي إيمان توحيدي يمنحه السكون والاطمئنان فلقدأحس برهبة الموت وقد كانت أسباب الشعور بالموت كما بينا داخلية وخارجية تبدو في المظاهر الطبيعية و في الجسم وداخل نفسه حيث يرى كر السنين على جسده وما خطت عليه من فنون البلى والضعف والشيب وصروف الدهر. فلم تكن هناك فكرة دينية متعالية تمنحه الخلود في ملكوت إله مخلص فهو عالق بالأرض يبحث من خلال وثنيته عن مغزى أرضي لهذا الوجود فلا يجد وفي المقابل يكون الإيمان باللّه الواحد هو الباعث الوحيدعلى الاطمئنان والأمان وإن يكن هناك إشارات وتلميحات عن وجود الإله والفكر التوحيدي الباعث على الأمان والسكون خاصة عندالشاعر زهير ابن أبي سلمى لكنها لن تفلح وتثبت أمام الزحف الهائل للصراع الدائر في المجتمع والطاغي على معلّقته فبنظرة عابرة نلمح التوجس والقلق من نشوب الحرب والتحذير من مغباته في القبيلة إذن هو أيضا أسير ذاك الصراع وحبيس ذاك الاحساس والشعور بالفناء فقد توحي بذلك قولته: ومن لا يُبد بالظلم يُظَلَمُ أي صارع وهاجم وأفن وأبد حتى لا تفنى ولا تباد.

في خضم هذاالصراع العنيف والفكر الأناني جاء الخطاب الإسلامي وقدحوّل الصراع إلى التوافق والسلام والاطمئنان فبمجرد أن يذكر الإنسان المسلم المؤمن،ربّه يشيع الهدوء والسكينة في نفسه وقلبه ويزيل خوف وحزنه:

﴿ ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/ ٢٨. أو ﴿إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَ لاهُمْ يحْزَنُونَ﴾ البقرة/١١٢.

قدتبدلت ثنائية الصراع إلى التوافق النفسي وتبدل القلق إلى الاطمئنان والخلود والحياة الأبدية في منظومة الخطاب الإسلامي:

﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾النساء/ ١٢٢. إذن هنالك لم يكن موت وفناء بل الحياة بعينها.

جاء الإسلام وقد قضى على ذلك الصراع والقلق الوجودي الذي كان يساورهم وقد ملأ قلوبهم بإيمان حقيقي خال من شائبة الشرك الوثني ا لذي جعل من هذا الإنسان فردا يتحدى الكون بسلاح الإيمان والتوكل ومن ثم الأمل والاتصال بينبوع

١.المصدرنفسه: ص ٢٥٢.

القوة والأمان وبذلك سمى بعقولهم وأحاسيسهم التي غلبت عليها الحسية إلى آفاق معنوية أوسع ومن ثم التصالح مع الذات والآخر وتنظيم العلاقات وتحسينها مع الآخرين وقد تحولّت العلاقة الغيرمتوازنة والضدية إلى علاقة احتوائية احتضانية من قبل الرب إلى العباد المتمثلة في خطاب الرب بيا عبادي والتجائية واستأناسية من قبل العباد إلى الرب المتمثلة في الأدعية والنداء بيا رب والذوبان في بوتقة الخلوص والتسليم الكامل لرب العالمين في الحياة والممات:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْياي وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ أنعام / ١٦٢.حيث لا إشكالية ولاجدلية بين الموت والحياة بعدالتسليم المحض لله رب العالمين أو حتى أبعد من ذلك فقد تحولت العلاقة إلى الأسمى والأعلى وهي علاقة حب بين الرب والعباد:

﴿ فَسَوْفَ يأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يحِبُّهُمْ وَيحِبُّونَهُ ﴾ مائدة/ ٥٤. فانتظمت بذلك العلاقة النفسية وحل الصراع والإشكالية الفكرية في ظل العقيدة التوحيدية.

فبعد هذا التوافق النفسي والاطمئنان إلى الركن الركين والسندالمتين(الذات الربوبي)يدخل هذاالإنسان المسلم المؤمن في سلم وتوافق مع الكائنات والكون فيراها خاضعة ومملوكة لرب العالمين الذي كتب على نفسه الرحمة:

﴿ قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ الأنعام / ١٢ فيفيض الكون عليه الخير والبركة حال إيمانه بأمر الله:

﴿ وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيهِمْ بَرَكاتٍ مِنَالسَّماءِ وَالْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يكْسِبُونَ﴾ الأعراف/٩٦.

فيتحول الجدب والفقر والعالة إلى نعم وخيرات وخصوبة ورخاء بفعل الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله فيصبح الكون في المنظومة التوحيدية والخطاب القرآني رهن إشارة الرب وطوع أمره وحتى تحت إمرة الانسان المؤمن بفعل الدعاء والاستغفار:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً﴾ ﴿يرْسِلِ السَّماءَ عَلَيكُمْ مِدْراراً﴾ ﴿وَ يمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَ يجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً ﴾ نوح/ ٩-١١.

فبذلك يتحول الشعور بالاغتراب والوحدة والنفور من القوم والمجتمع والإنفراد بنفسه ومقتنياته من الناقة والسيف بقوله:

وَفي الأرض مَنأى للكريم من الأذى ... وَفيها لمن خاف القلى مُتعزّلُ

وإني كَفاني فقد من ليس جازيا ... بحُسنى وَلا في قُربه مُتعلّلُ

ثلاثـــة أصـــحاب: فـــؤادٌ مشـــيّعٌ وَأبـــيض إصـــليت وَصَـــفراء عَيطَـــلُ

وكذلك الاستيناس بالوحوش الذئب(سيد) والنمرالأملس(أرقط زهلول) والضبع(عرفاء جيأل) الموحي بالضيم والنكد والنقمة:

أقيمـــوا بـــني أمـــي صـــدورَ مَطـــيّكم فـــإني إلى قـــوم ســـواكم لأميـــلُ

ولي دونكـــم أهلـــون ســـيد عَملـــسٌ وَأرقـــط زهلـــول وَعَرفـــاء جيـــألُ

هـــمُ الأهـــلُ لامســـتودع الســـرَّ ذائـــعٌ لـــديهم ولا الجـــاني بمـــا جـــرّ يُخـــذلُ[1]

إلى الشعور بالأنس والتناغم مع الكون والبشر بعدما كان الصراع على مقوّمات الحياة يفتك بالنفوس وبعدما كان الخطاب السائد آنذاك خطاب التعدي والدعوة إلى الظلم وخطاب التعصب الأعمى والإنحياز إلى القبيلة بهذه المقولة أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقد نرى حضورا بارزا وتأثيرا كبيرا لمثل هذه الخطابات على المخاطب الجاهلي حيث الواقع الثقافي والاجتماعي المتصارع آنذاك يؤكده وقد انعكس في الخطاب القرآني تحت اسم الحمية الجاهلية وقد ذمها الله سبحانه وتعالى بقوله ونسبها إلى الكفار: ﴿إِذْجَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيةَ حَمِيةَ الْجاهِلِيةِ﴾ وفي آية أخرى ذم الأحكام الجاهلية وسماها حكم الجاهلية بقوله تعالى: ﴿ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيةِ يبْغُونَ. ﴾

قد انعكست مقولة الظلم والدعوة إليه والمبادرة اليه مخافة وقوعه على النفس في شعر شاعر يتصف بالحكمة والمتانة كزهير فإذا كان الشاعر الذي له مكانة سامية في المجتمع القبلي ويعتبر مفكرالقوم ولسانها يدعو الى تلك المثل الجاهلية فما بال الآخرين بها... بقوله:

وَمـــن لا يَـــذُد عـــن حَوضـــه بســـلاحه يُهـــدّم وَمـــن لايَظلـــم النـــاسَ يُظلَـــمُ[2]

في الحقيقة كانت طبيعة الحياة الصحراوية والفقر والحرمان هي التي جعلت من العربي سفاكا متكبرا:« قدربط بلاشير بين قوة العربي ومزاجه الثائر والبيئة التي يعيش فيها فيقول:« ففي هذالعالم حيث فقدان الأمن حالة طبيعية والغزو وسيلة للعيش والثأر واجب مقدس فرض على البدوي أن يكون محاربا ولم يكن إلا هذا حتى ولو لم يرتفع فوق مستوى الراعي

---

١. فؤاد أفرام البستاني: *المجاني الحديثة*، ص ٥.

٢. *المصدرنفسه*: ص ٨٨.

البسيط فمن واجبه حماية أمواله وعيون الماء ومواشيه.[1] »في الحقيقة إن النزعة الفردية استبدت بمعظم الشعر العربي عامة والجاهلي منه خاصة وذلك لأن نفسية الجاهلي كانت فردية.

في مثل هذه الأوضاع المأساوية الباعثة على القلق والترقب لنشوب الحروب والغارات والسلب والنهب؛ جاء الخطاب الإسلامي فحلّت الأخوة الإسلامية محل التعصب والتعدي بعدما كادت العرب أن تسقط في جهنم العداوة والبغضاء والسفك والدماء والعنف المدمر فأنقذها الله بفضله ونعمة الإسلام فتحول البغضاء إلى الألفة والتآخي بقوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يبَين اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران/ ١٠٣.

وكذلك حلّ الإيثار محل الأنانية حيث مدحهم الله بقوله تعالى: ﴿ وَلا يجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَة﴾ حشر/ ٨.

فقدحدث تغير كبير في الخطاب فتحول خطاب الشرك والوثنية إلى خطاب التوحيد وتحول الاغتراب إلى الوحدة وكذلك التعدي إلى الأخوة والبغضاء إلى الألفة والأنانية إلى الإيثار على كافة الأصعدة صعيدالعلاقة مع الرب والذات(لأنا) والآخر وصعيدالكون.

بتعبيرآخر قد قضى الخطاب الإسلامي على ثنائية الموت والحياة - أكبر بنية الصراع في الخطاب الجاهلي- وعلى حد تعبيرالدكتور زكي العشماوي:«وحدة الصراع من أجل الحياة.[2] » التي طغت على الخطاب الجاهلي خاصة الشعر منه «إن ثمة وحدة تسود الشعر(الجاهلي)الذي كان أهم مظهر من مظاهر نشاطهم الفكري وحياتهم العقلية والفنية تلك الوحدة التي يمكنك تسميتها وحدة الصراع من أجل الحياة ومن ثم فمن الممكن القول بأن في الشعر الجاهلي وحدة وأن في الشعرالجاهلي شخصية إنسانية واحدة فوحدة الشعر هذه كانت نتيجة طبيعية لوحدة الفكر والصراع.[3] » فقد تحول الموت إلى الحياة وتغيرت بنية الفكر وبنية الصراع في ظل المعتقد الاسلامي فالقتل والجهاد في سبيل الله هو الخلود والحياة بعينه وفق هذا المنظور بعدما كان خطاب الثأر وغارات السلب والنهب هو الخطاب السائدَ عصرئذ:

---

١. صالح مفقودة: *الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات*، القاهرة، دارالفجر للنشر، ٢٠٠٣م، ص ٩٨.

٢. صالح مفقودة: الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات، ،ص ١٦٣.

٣. *المصدرنفسه*: ص ١٥٩.

﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يرْزَقُونَ﴾ ﴿ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ ﴾ ﴿ يسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لايضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران/١٦٨-١٧٠.

فبعدما خاض البحث غمارالبنية الغيرلغوية (الفكرة والمضمون) في الخطاب الجاهلي، حان الحين لكي يعالج البحث الإطار اللغوي وما يستشفه القارىء من ظاهر الشعرالجاهلي بادي ذي بدء وإن الخطاب القرآني كيف استثمر تلك الميزات اللغوية في الخطاب السائد آنذاك.

١-٢-٥-الواقعية

«إن من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة فالتراكيب تامة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبر عنه وهي في الأكثر مدلولات حسية والعبارة تستوفي أداء مدلولها فلا قصور فيها ولا عجز وهذاالجانب في الشعر الجاهلي يصور رقيا لغويا فالألفاظ توضع في مكانها والعبارات تؤدي معانيها بدون اضطراب ثم تتكرر الألفاظ والمعاني الواحدة وتصقل وتجود لفظا وصيغة.[١]» إن القوة في الوضوح الناتج عن الدلالة الحسية والواقعية هي التي أدت إلى قوة الألفاظ ومتانتها. وقد فطن إبن رشيق إلى ذلك وقال:« العرب لا تنظرفي أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقدالقوافي وتلاحم بعضه ببعض.[٢]» «فلغة الشعر الجاهلي قوية المدلول في ألفاظها الوضعية حقيقيا كان التعبير أو مجازيا خشنة كثيرة الغريب.[٣]» وإن اتسمت بالغرابة والخشونة ذلك لأنها عائدة إلى خشونة حياتهم:«لتأثرهم بإقليم الصحراء وعيشهم الذي فيها شظف كثير وخشونة فلا تخلو ألفاظهم من صلابة وخشونة في أحيان كثيرة وكذلك غموض وإيجاز وغرابة في الألفاظ.[٤]» لأن الخصائص الفنية العامة في أدب أية أمة نتاج للتفاعل بين طبيعتها الفطرية وبيئتها الطبيعية كما قال ابن سلام الذي تمثّل بشعر عدي على أثر البيئة فقال: كان(عدي) يسكن الحيرة ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه.[٥]»

---

١. شوقي ضيف: *في تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي* ،ج١،القاهرة دارالمعارف، ط٨، ص ٢٢٦.

٢. ابن رشيق:*العمدة* تحقيق محي الدين عبدالحميد ج ،ص ١٢٩.

٣. بطرس البستاني: *أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام*، بيروت، دارنظير عبود،د.ط، ١٩٨٩م، ص ٤٣,

٤. شوقي ضيف: في تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص ٢٦٢.

٥.حناالفاخوري: *تاريخ الأدب العربي*، نشر طوس، ط١، ١٣٧٧ه ش، ص ٢٩٩.

فتأسيسا على ذلك لاحظ البحث أن الظاهره البادية في الشعر الجاهلي هي أنّ الموجودات العالم الخارجي حاضرة دوما وبكامل ثقلها في روح الشاعر وهذا ما أدى إلى تقديم صورة تجسيمية للموضوعات: «إن لغة الجاهلي متوافرة الصور في تشابيهها الحسية وما يختلف إليها من استعارات وكنايات قليلة الاحتفال بأنواع البديع كالجناس والتورية والطباق جارية مع الطبع بريئة من التكلف سواء جاء اللفظ عاريا أو كاسيا فقوة الشعر الفني وحدها تهدي الجاهلي إلى اختيارألفاظه وإخراجها من معدن واحد وإجادة تنزيلها وتأليفها فتأتي محكمة التراكيب متماسكة الأطراف تعبر بتموجاتها وأجراسها أصدق تعبير عن الحالة التي يحسها في نفسه مع الاعتماد على الحسية المستمدة من الواقع حيث جاءت تشابيهه وكناياته واستعاراته دلالات بينة على حياته وطبيعة أرضه فأكثرها مستمدة من الصحراء نباتها وحيوانها ومن مرافقها المحدودة هذا ما ومعيشة أهلها ومن عاداتهم وعقائدهم وأساطيرهم.[1]»

وهذا ما يمكن ملاحظته في الشعر الجاهلي بكثرة بحيث يضع الشاعرالمعنى أمامنا كأننا نبصره أو نستطلعه بدلا من أن نفهمه فهما ذهنيا « فصوره صور مادية أنعم الشاعر بالتدقيق في مظهرها الخارجي حتى أوشكت أن تغدو مشهدا نقليا لأن الشاعر الجاهلي لم يستطع أن يتحرر من الواقعية الخارجية.[2] »

فإذا أمعنا النظر في صور الشعر الجاهلي وبخاصة التشبيه نجدالصحراء ومعالمها والحياة البدوية وحيوانها ونباتها ممثلة في تلك الصور وكذلك نراها واضحة بسيطة لايجد الشاعر مشقة ولا عسرا في استحضارها ولا يجدالقارىء جهدا في إدراكها وتذوقها فهي واضحة وضوح الصحراء بسيطة بساطة البادية.[3]» وتأتي أوصافهم لوحات كاملات فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة وحتى الصوت كقول الحارث بن حلزة اليشكري:

أجمَعــوا أمــرهم عشــاء فَلمّــا أصــبحوا أصــبحت لهــم ضوضــاءُ

مــن مُنــاد ومــن مُجيــب ومــن تَــص- هــال خَيــل خــلال ذاك رُغــاءُ[4]

تراه يصف حال القوم وعزمهم على القتال ونقل صورة حية للرحيل.

وكذلك في أبيات إمرىء القيس حيث الصور مستمدة من الواقع البيئي الجاهلي من ليلها وغداتها وصخرها ونباتها:

---

١. المصدرنفسه: ص ٢٩٩.

٢. ايليا الحاوى: *في النقد والأدب* ،الجزء الأول، بيروت، لبنان، دارالكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٦م، ص ٣٤٩.

٣. يحيى الجبوري: *الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه*،بيروت،مؤسسةالرسالة،ط٥، ١٩٨٦م،ص ٢٠٨.

٤. فؤاد أفرام البستانى: *مجاني الحديثة* ،ص١٤٢.

فيـا لـكَ مـن لَيـل كـأنّ نُجُومَـهُ بـأمراس كتـان إلى صـم جنـدل

كـأنّي غَـداة الـبَين يَـوم تحمّلـوا لَـدى سَـمُرات الحَـيّ نـاقفُ حَنظَـل

أو:

إذا قامَتـا تَضـوّعَ المسـكُ منـهما نسـيمُ الصـبا جـاءت بريّـا القُرنفُـل

أو:

تُضـيءالظّلامَ بالعَشـيّ كأنّهـا منـارةُ ممسـي راهـب مُتبتّـل [1]

هذا هو التعبير العام في الشعر الجاهلي تعبير مباشر عن حياتهم يستمدون صورهم ومعانيهم من بيئتهم بأساليب رائعة فيها جمال الفطرة وبساطة الصحراء بعيدة عن المبالغة والغلو والتعقيد. فقداستثمر القرآن الكريم هذه الحسية والمادية والواقعية في إيراده للتشابيه الحسية تقريبا للمفاهيم المعنوية وترسيخها وتوضيحها كما نلاحظ ذلك في تشبيه الحياة بالماء والهشيم الذي تذروه الرياح وتشبيه المال والبنون بالزينة:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً﴾ ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾كهف/ ٤٥-٤٦.

أو تشبيه أعمال الكفار الذي هو أمر معنوي بأمر حسي الرماد واليوم العاصف بقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يوْمٍ عاصِفٍ لايقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾

ومما يلاحظ أيضا في الخطاب القرآني هو استثمار ميزة أخرى في الخطاب الجاهلي وهي الإيجاز فلا شك أن طبيعة الحياة الجاهلية وما فيها من نقلة سريعة وحركة دائبة غير مستقرة ومناخ الصحراء القاسي الشديد في حرّه وقرّه جعلت الشاعر الجاهلي يقصد إلى المعنى الكثير في اللفظ القليل.لأن شخصية الجاهلي تأبى الإطناب والإسهاب فكأنها دبت إليها تلك الجدلية والصراع(جدلية الموت والحياة)حيث جعلته يشعر بفوات الزمن وغدره به فأراد أن يجابه تلك الحقيقة بل أراد أن

---

١. المصدرنفسه، ص ٣١.

يقهرها بتعبير أدق؛ اختزل تلك المعاني و التجارب في كلامه في محاولة لقهر الموت بالكلام وتخليده بالحياة إنه(الإيجاز)من أهم ميزات الأدب الجاهلي. قال الشاعر زهير ابن أبي سلمى: و من لا يُكرّم نفسه لا يُكرَم حيث يحتوي كلامه على معان ومصاديق كثيرة في الحياة وتشمل كل الأفعال التي تصون كرامة النفس فقد أوجز في كلامه أوسع المعاني.

أو كقول عدي بن زيد:

فَلا تَقعُدنَّ عن سَعي من قد وَرثتَه وما اسطعتَ من خير لنفسك فَازدَد[1]

والشاهد في البيت الثاني حيث اختزل معان كثيرة في الخير والخير هو كل شيء حسن ومقبول.

ركّز القرآن الكريم على هذه السمات واستثمرها خيراستثمار فالشواهدالقرآنية كثيرة في هذاالمجال كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾ أعراف/ ١٩٩.﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ ﴾ البقرة/١٧٨.

صحيح أن الخطابين متشابهان في استخدام الأساليب لكنهما مختلفان أشد الاختلاف من حيث البنية الفكرية كما رأينا وحتى من حيث الأسلوب يمكن رصد انزياحات والتفنن في الأساليب في الخطاب القرآني كما في هذه الآية: ﴿ إِذْ قالَ يوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾ القصص/٥. حيث الشاهد في: ﴿ ساجِدِينَ ﴾ فينبغي أن يكون ساجدان إرجاعا إلى الشمس والقمر لكنه أتى بالجمع في رأيتهم ساجدين. إذ يعتبر هذا النمط خروجا على القالب والأسلوب أو تعددية التأويلات ومن ثم تعددية المعنى كما في الآية التالية: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ﴾ البقرة /.حيث الشاهد في ميثاقه والتعددفي مرجعية إحالة الضمير في ميثاقه إما إلى العهد وإما إلى الله.

قلنا سابقا أن التركيز على معنى الخطاب يكون على البعدالأيدئولوجي منه فالخطاب القرآني رغم صلته بالخطاب الجاهلي إلا أنه جاء بمفردات جديدة تنبىء عن البنية الفكرية والتحول الفكري الذي أحدثه في المجتمع العربي والجاهلي آنذاك فإذا نظرنا إلى تلك المفردات رأيناها توحي بمبادىء فكرية وعقائد لم تكن معروفة لدى العرب الجاهلي والتي سمت بفكره وارتقت به إلى عوالم لم يعرفه من قبل. فمن فتلك المفردات والتي اكتست بظلال من الفكر التوحيدي والعقدي هي الصراط والميزان والعرش واللوح والقلم والكرسي والساعة والقيامة والحاقة والقارعة والصاخة والبرزخ والفسق والنفاق والكفر والإيمان والتوبة والحق والباطل.

---

١. فؤاد أفرام البستاني: *المجاني الحديثة*، ص ٢٥٣.

إن الخطاب القرآني غرس تلك المصطلحات في المجتمع العربي وقد شاع استخدامها بفضله كما أشار بذلك ابو هلال العسكري في كتابه الأوائل فقال:« وقد حدثت في الإسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان آخر فأول ذلك القرآن والسورة والآية و التيمم والفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى وإنما كان ذلك في الرطبة إذا خرجت من قشرها والفأرة إذا خرجت من جحرها وسمي الإيمان مع إسرار الكفر نفاقا والسجود لله إيمانا وللوثن كفرا ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئا.[1]» وقد أضفى الخطاب القرآني على بعضها معنى آخر وإن جاءت على صورتها ومعناها الأساسي كالموت والحياة: ﴿كَيفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمّ يمِيتُكُمْ ثُمَّ يحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾البقرة/ ٢٨. ثم ما لبث أن تطور معناهما إلى معنى أخر فالحياة وهو الإيمان والعيش في جو عبادة الله والاستسلام له والموت هو الكفر والبعد عن طريق الله كما في الآية التالية:

﴿ وما يستَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ﴾ ﴿ وَلاَ الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ﴾ ﴿ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾ ﴿ وَما يستَوِى الْأَحْياءُ وَ الْأَمْواتُ ﴾ فاطر/ ١٩-٢٣. حيث الأحياء هم الذين أحيا الله قلوبهم بنور الإيمان والأموات هم الكفار الذين ماتت قلوبهم بالشهوات والصد عن سبيل الله وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأعمى والبصير فالمقصود من الأعمى (الكافر)والبصير(المؤمن) و(الظلمات) هي الكفر والجهل والضلال و(النور) هو الإيمان والإسلام.

إن الخطاب القرآني رغم صلته بالخطاب الجاهلي جاء بمصطلحات جديدة وتراكيب وصفيه كالتعبير بالحياة الدنيا والدار الآخرة: ﴿إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ ﴾ محمد/ ٣٦ . أو: ﴿ وما الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ أنعام/ ١٦٥. والحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يعْمَلُونَ﴾ النحل /٩٧. والصراط المستقيم: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الحمد/ ٦. وكذلك تراكيب إضافية كالتعبير بعالم الغيب والشهادة: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة/ ١٠٥. و يوم القيامة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يقْضِى بَينَهُمْ يوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يخْتَلِفُونَ﴾ يونس/ ٩٣. وسبيل الله: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يرْزَقُونَ»﴾ ال عمران/ ١٦٩. ودارالسلام: ﴿ لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيهُمْ بِماكانُوا يعْمَلُونَ ﴾أنعام/ ١٢٧. وأهل الكتاب: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ

---

١. ايليا الحاوى: في *النقد والأدب* ،الجزء الأول، بيروت، لبنان، دارالكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٦م، ص ٣٤٩.

الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران/٧١. وأهل الحق وأهل الباطل وإبن السبيل:﴿وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ الأسراء / ٢٦.وأصحاب الجنة وأصحاب النار: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا﴾ الأعراف/ ٤٤. و أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة: ﴿ فَأَصْحابُ الْمَيمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيمَنَةِ﴾﴿ وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ﴾ الواقعة/٩-٨ . وأصحاب الجحيم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾مائدة/١٠.

و كذلك بالنسبة إلى الاستعارات كاستعارة جناح الذل: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الاسراء/و ورجز الشيطان :﴿يُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيطانِ وَ لِيرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ ﴾ أنفال / ومتاع الغرور: ﴿ ومَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ ﴾الحديد/ ٢٠. وكذلك في استعارة الطائر في العنق: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يلْقاهُ مَنْشُوراً﴾ الاسراء/١٣. وخرق الأرض: ﴿ وَلاتَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً ﴾ الاسراء/٣٧. وكذلك في الآية الواردة: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ البقرة / ١٦. حيث استعير الضلالة للكفر والهدى للإيمان بتشبيه هذا التبادل بالتجارة وعدم الربح والخسارة فيها والضلال: ﴿ وَمَنْ يتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة/ ١٠٨. وكذلك في التشبيهات الوارده في الخطاب القرآني كما في هذه الآية:

﴿ وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيرٌ أَمَلاً﴾ كهف/ ٤٥-٤٦ . حيث شبه الحياة الدنيا بالماء المنزل من السماء ثم اختلاطه بالنبات ثم الهشيم الذي تذروه الرياح في تشبيه مستمد من الواقع الصحراوي العربي الحسي الحقيقي ثم تشبيه المال والبنون بالزينة وتشبيه الأعمال الصالحة بالباقيات في تقابل وتقارن بين تبيين زوال الدنيا وبقاء الآخرة.

وأما بالنسبة إلى الكنايات حيث كنّ الخطاب القرآني عن هذه الحياة الدنيا بالعاجلة: ﴿مَنْ كانَ يرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾الأسراء/١٨. وكنى عن الفوز والسعادة الأخروية بالبياض في الوجوه وعن الشقاوة بالسواد: ﴿ يوْمَ تَبْيضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُون﴾ آل عمران/ ١٠٦. وكنى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بالرجس: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ مائدة/ ٩٠.

إن من مثل تلك الخطابات من استعارات وتشبيهات وتراكيب (وصفية وإضافية) وكنايات لم تكن شائعة الاستخدام آنذاك على الإطلاق نظرا لحداثة المعرفة بالأيدئولوجيا والفكر الإسلامي. هذا بجانب ما نلاحظه من تغير وتمييز آخر في خطاب ذلك العصر وهو تخصيص بعض الألفاظ المتصلة بالعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والجهاد ... لمعنى خاص. فقد كانت تلك المفردات شائعة الاستخدام في المجتمع العربي لكنها تخصصت للقيام بطقوس وعبادة خاصة يعرفها كل مسلم الآن وقد خصصت أماكن لأداء تلك الطقوس وسميت بأسماء خاصة لم تكن معروفة عند العرب كالمسجد. وكذلك دخلت اصطلاحات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون والوحدة والأمة في مجتمع بعيد كل البعدعن تلك القيم والمفاهيم لا يعرفها على الإطلاق. فإذا نظرنا إلى أغراض الشعر الجاهلي من وصف وفخر ومدح وهجاء وغزل خاصة بالتركيز على الموضوعات والمحاور التي يدور الخطاب الجاهلي عليه نستشف أن مدار الخطاب هو المرأة والخمر والحرب الطاغي على كل قصيدة مستأثر بها وأن الفكرة والأيدئولوجيا التي تقف وراءه مادية بحتة باعثة على القلق والصراع غير مستشفين منه أمر أو نهي أو سن قانون أو تشريع. بينما مدار الخطاب القرآني هو التركيز على الجانب الإيماني المؤطر بالفكرة والأيدئولوجيا الباعث على السكينة والاطمئنان فتأتي جميع الأوامر والنواهي وسن الشرائع في خدمته كما لاحظنا.

١-٢-٦- مفهوم الخطاب القرآني

إنّ الخطاب القرآني هو قبل كل شيء خطاب لغوي يهدف إلى مخاطبة الناس جميعا وهذا ما يؤكده الخطاب بصيغة يا أيها الناس في آياته إنه تبليغ مرسل من رب العالمين، إلى مرسل إليه (الناس) أجمعين وأن حامله هو الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و قناة توصيله ثم الأداة التي صيغ بها هي اللغة العربية. فإنّه الخارق لحدود الزمان والمكان والبيئة المتّسم بالشمولية والعمومية والمستمر والصالح والوافي بحاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود. نلاحظ ورود لفظ الخطاب في أربع آيات من القرآن الكريم:

﴿ وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ ﴾ص /٢٠ .﴿ وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ مغرقون هود/ ٣٧ ﴿ وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ﴾ الفرقان/ ٦٣ . وقوله تعالى ﴿رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَينَهُمَا الرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً﴾ النبأ/ ٣٧.

ورد لفظ الخطاب في الآية الأولى مضافا إلى الفصل والإضافة هنا تحيل إلى مستوى عال من مستويات الخطاب الذى أوتي لداوود.يعتقد جاحظ في معنى فصل الخطاب بأنّه:« البراعة في العقل والرجاحة في الحلم والاتساع في العلم والصواب في الحكم ليجمع له بفصل الخطاب: تفصيل المجمل وتخليص الملتبس والبصر بالحزّ في موضع الحز والحسم في موضع الحسم أو هو النوع من القول الجامع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإثقال على السامع.[1]» وعند الزمخشري:«هو البيّن من من الكلام الملّخص الذي يتبيّنه من يخاطب به ولا يلتبس عليه.[2]»

ولا يبعد تفسير ابن عربي (٦٣٨) عن تفسير الزمخشري في تعريفه عن فصل الخطاب:« وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام أي الحكمة النظرية والعملية والشريعة وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالأحكام.[3]» وكذلك النيسابوري في تفسيره لفصل الخطاب بأنه القدرة على ضبط المعاني والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما.[4]»

اتضح من تفسير الآية الأولى لمفهوم الخطاب: ﴿ وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتيناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ ﴾ص /٢٠ . دلالة التبيين والوضوح في الأحكام ثم سوف يتضح في الآيات الثانية والثالثة المواجهة ونظام القول المؤثر والمحاجّة حيث يدخل الخطاب ضمن معنى المواجهة والمخاطبة أي التوجيه المباشر وعملية التوجه بالكلام إلى الآخر حول موضوع ما كما سنلاحظه:

﴿ولا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ هود/ ٣٧ .﴿ وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ الفرقان/٦٣.

ثّم يأخذ طابع المحاجّة ونظام القول المؤثر في الآيه الرابعة: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً﴾ نبأ/ ٣٧. أي لا يملكون منطقا للمحاجّة والقدرة عليها وهذا يقتضي أن الخطاب كما بينا سلفا هو نظام القول المؤثر والمقنع لكل الأطراف. بتعبير آخر الخطاب هو«الكلام الحاسم المعبر عن إرادة الحسم ونظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير.[5]»

من جملة ما سيق من الكلام اتضح «إن الخطاب قد يطلق ويراد به الملفوظ نفسه، وقد يطلق ويراد به عملية التلفظ أو ما يستدعي منا مواجهته بالقول أو بالفعل وقد يطلق ويراد به فضلا عن ذلك نظام التلفظ أو نظام القول ونظام الفعل

---

١. الجاحظ ابو عمرو بن بحر تحقيق حسن السندوبي:*البيان والتبيين*، بيروت، دار الفكر،(د.ت). ج١،ص ٢٢٤-١٣٨.

٢.الزمخشري : *الكشاف*، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٧م،صص ٨١ ـ٩٠.

٣.ابن عربي: *تفسير القرآن الكريم* ،تح: د.مصطفى غالب مج ٢، بيروت ،دارالأندلس للنشروالتوزيع،ط٢، ١٩٧٨م،ص ٣٤٩.

٤.لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*،ص، ٧٤.

٥. المصدر نفسه: ص١٥.

ودوافعهما[1].» وهنا نستطيع أن نميز بين كل من الخطاب والقول والكلام بالقول:«إن القول هو الملفوظ وإن الكلام هو عملية التلفظ أما الخطاب فهو النظام الذي تخضع لمنطقه عملية التلفظ أو هو بالأحرى النظام الذي يحكم ويتحكم بعملية التلفظ. لذلك نجد أن الخطاب عبارة عن نظام القول المعبر عن حكمة القائل.[2]»

حيث يترتب على هذا النظام القولي، باعتباره عملية تخاطبية،الوظيفة الإبلاغية والتواصلية للمرسل من جانب والوظيفة الإقناعية والافهامية للمتلقي من جانب آخر كما نستشفه من هذا التعريف الذي ورد في الخطاب:«إنّ به يقع التخاطب ويصحّ فيه التساؤل والتجاوب ويمكن توجيهه للإفهام وبيان المقصد والأفهام.[3]» فبواسطة الخطاب يحدث الإفهام والتفهيم والتساؤل والتجاوب للإقناع والتأثير والتغيير في وضع المتلقي بواسطة المرسل. أي التركيز على الفعل التواصلي للغة في مفهوم الخطاب ومن ثمّ البعد التداولي بإحداث التغيير في المتلقي كما قال فان دايك(van DiJk)بقوله:«إن الخطاب هو فعل الإنتاج اللفظي أو نتيجته الملموسة المرئية.[4]» أي يكون له أثر ونتيجة على صعيد الواقع ويكون هذا الأثر في تغيير الواقع السلوكي أو النظام العقدي لأنّ الخطاب يهدف إلى:«تغيير وضع الملتقى وتغيير نظام معتقداته أوتغيير موقفه السلوكي.[5]»

وهذا فعلا ما حدث في الخطاب القرآني الذي بلغ مداه في التأثير والتغيير إذ هو بهذا التعبير عبارة عن: « استدعاء لفعل أو ترك لفعل أو إخبار عن ماض أو مستقبل بغية الإنذار والتبشير والإرشاد والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني والتعجب والنداء. بتعبير آخر تقسيم الخطاب إلى الخبر والانشاء.[6]» وقد تجلى كل ذلك في أسلوبية الخطاب القرآني التي لاتنفك عن السياق الذي له صلة وثقية بالمحتمع والثقافة والسياسة ... بهدف التأثير في المخاطب في قبوله للعقيدة التوحيدية وامتثاله للأوامر والكف عن النواهي. كهذه الآية الشريفة:

﴿ أَمَّنْ يهْدِيكُمْ فِيظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَينَ يدَي رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّـهِ تَعـالَى اللَّـهُ عَمَّايشْرِكُونَ﴾ النمل / ٦٣.

حيث أسلوبية الخطاب القرآني في الدعوة إلى قبول العقيدة التوحيدية تجلّت فيها بتوظيف أسلوب الاستفهام وتوظيف

---

١. عبد الواسع الحميري النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،ص ٢٨.

٢. المصدر نفسه:ص ٢٨.

٣. المصدرنفسه: ص ٧٦.

٤. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص٩٣

٥. محمد مفتاح: *سيمياء الشعر القديم*،دار الثقافة، دار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م،ص ٥٥.

٦. إدريس حمادي: *الخطاب الشرعي* ،ص٢٦.

الخطاب الغير مباشر فبالتالي تحقيق التأثير والإقناع لدى المتلقي فقد جاء توظيف تلك الأفكار والمعاني أي نظام التكلم الجامع الإقناع والتأثير مع استئثار الآية بهذه الألفاظ: ظلمات البر والبحر وإرسال الرياح التي هي بشارة المطر والرحمة جاء منسجما مع البيئة والثقافة العربية حيث اجتياز البراري الواسعة في الظلمات وقلة الأمطار فيها شكلت أكبر هاجسا لدى الإنسان العربي.

عودا إلى موضوع البحث والتركيز على مفهوم الخطاب في القرآن تبيّن أنّه لم يخلو من ميزته التواصلية والإبلاغية في الآيات الآنفة الذكر سواء أكان الخطاب بين الرب والأنبياء: ﴿ولا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ هود/ ٣٧ أو بين الأنبياء والعباد: ﴿ وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾الفرقان /٦٣. وبين العباد وبين الرب: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً﴾ نبأ/ ٣٦.

نلاحظ أن للخطاب وعلى كافة مستوياته مرورا بدلالة التبيين والوضوح في الأحكام ثم المواجهة ونظام القول المؤثر والمحاجّة يرصد له البعدالتواصلي الذي يتضمن عناصره من مخاطب ومخاطَب والخطاب نفسه.

إن للخطاب دور فاعل ومهم في احتواء كل ما من شأنه أن يتيح للرسالة الخالدة مخاطبة الإنسان على وجه العموم بقصد توجيهه وتصويب مساره وبالجملة التأثير في مناحي حياته كافة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يكون مقاربتنا للخطاب القرآني أي هل يمكن معرفة الخطاب الإلهي عن طريق الألفاظ؟ وكيف تكون اللغة الاعتبارية مركبا وحاملا لخطاب شمولي وعام كالخطاب الإلهي.من المسلم به أن الخطاب الإلهي نزل باللغة العربية وقد سلّم بها النص القرآني نفسه:﴿ بِلِسانٍ عَرَبِى مُبِينٍ ﴾ الشعراء /١٩٥. و الرعد/ ٣٨. إنّ القرآن نزل بلسان العرب وجاء على نسق الكلام العربي مما يعني أنه يوجّه بحدود هذا الكلام مع الأخذ في الاعتبار تميزه بالأسلوب المعجز الذي يجعله نمطا خاصا لذلك فمن المعقول أن يطلب فهمه عن طريق المعرفة بلغة العرب. هذا ما « يؤكده الشافعي وآخرون من المفسرين فحينئذ تصبح اللغة محملا للمعاني المقصودة في الخطاب القرآني.[1] » بتعبيرآخر: «إن النص القرآني يستمد مقدرته أساسا من اللغة ويتعامل مع اللغة العربية تعاملا خاصا ينقلها من وظيفتها الدلالية الإبلاغية ويحوّلها إلى علامات تحيل إلى معان معقولة ودائما ما تلجأ لغة النص في سياق هذا التحويل إلى حفز المتلقي على فعل التعقل والتذكر والتدبر وفي هذا ما يثبت التحويل من النظام اللغوي إلى النظام السيموطيقي.[2] » كما في هذه الآية حيث يمكننا رصد هذا

١.يحيى رمضان :*القراءة في الخطاب الأصولي*، عمان، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٧م، ص٧١.

٢.لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، مؤسسة المختار، ط ١، ٢٠١٤م، ص٩٩.

التحويل من النظام اللغوي إلى النظام السيميوطيقي فيها:

﴿ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها ﴾ محمد / ٢٤.حيث جاء التحفيز على التدبر ضمن توظيف مجموعة من الجمل التامة المترابطة ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ و ﴿أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ بروابط لغوية (أم، ها المحالة إلى القلوب) من أجل الإبلاغ والتأثير ومن ثَمّ الحثّ والترغيب إلى التدبر بأسلوب الاستفهام:﴿أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ و بتحويل اللغة (قلوب،أقفال) إلى سيميائية(التدبر والتعقل) إذن كل ما استنتجناه من الآية جاء في لبوس اللفظ وفي نظام لغوي بناء على المعنى المتواضع عليه أولا كما يعتقد السيدالطباطبائي(ره) بقوله:«إن الألفاظ الدينية(الخطاب القرآني) تدّل على معانيها(الموضوع لها) كما تدّل الألفاظ في اللغة العرفية على المعنى المتواضع عليها دلالة وضعية وتعينية[1].»

في هذا التعريف تكون العلاقة بينهما أي بين اللفظ والمعنى هي علاقة اعتبارية كما وصفها الطباطبايى (ره):«إنّ ما تعرض لبيانه وشَرَحه الدينُ، من المعارف المتعلقة بالمبدأ ومن الأحكام والمعارف المتعلقة بما بعد هذه النشأة الدنيوية، كل ذلك بيان بلسان الاعتبار.[2]» لذلك وظفت تلك المعارف السامية والحقائق والمثل على هيئة الألفاظ في صياغة تناسب أفهام العامة أي في اللغة العامة والاعتبارية.« فبالتالي تعتبر اللغة ممثلة لتلك المثل.[3]»

كذلك نرى هذا الاعتقاد عند الأوائل خاصة عند الأصوليين باعتبارهم أصحاب رأي و قادة ومن السابقين في خوض غمار البحوث العقدية خاصة مفهوم الخطاب وفي سياق الحديث عن المواضعة يرى الآمدي أن:«الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه؛ المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه.[4]» أو هذا التعريف الذي يدل على مفهوم المواضعة: «إن الكلام هو اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس.[5]»

إن يكن ثمة اختلاف في التعاريف أعلاها من حيث تسمية الخطاب تارة باللفظ وتارة أخرى بالكلام في التراث العربي فذلك مردّه:«بأنّ الأصوليين بوصفهم أصحاب الريادة في هذا المجال وكذلك أصحاب المدونات التفسيرية يساوون بين الكلام والخطاب و التكلم والتخاطب والنطق ولكي يحصلوا على المعنى المقصود ويقاربوا الحقيقة القرآنية لم يغفلوا الجانب السياقي للآيات إنهم جميعا كانوا على وعي تام بأنّ فهم الخطاب القرآني لايتمّ باستحضار المستويات اللغوية الشكلية: فالأصوات

١.الشيخ شبر الفقيه: الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبايي الميزان نموذجا، دارالهادي، ط١، ٢٠٠٨م: ص ٧٧.

٢.المصدر نفسه:ص ١٢.

٣.المصدرنفسه:ص ١٢.

٤. إدريس حمادي: *الخطاب الشرعي*، ص ٢٣.

٥.المصدر نفسه : ص ٢١.

والصرف والتركيب لا تفيد المعنى بالضرورة بل لا بدّ من استحضار السياق والمقام باعتبارها عوامل أساسية من عوامل تحديد المعنى.[1]››

إن الخطاب القرآني لا يدانيه أي خطاب آخر في نظم دواله ودقة معلوماته وتأليف وتناسق عباراته إنّه خطاب متدفق عبر مسارات الأزمنة والأمكنة المتلاحقة متسما بالشمولية والخلود.

١-٢-٧- البنية الفكرية للخطاب القرآني

الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا وبشكل دائم لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية.

إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة فهو خطاب هداية ورسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس و بقوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا وكذلك عالميته: ليكون للعالمين نذيرا وكذلك خالديته وصلاحيته الباقية إلى قيام يوم الدين والمستوعبة للزمان والمكان والإنسان بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ حجر/٩. أو: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ابراهيم/١.

في ذلك يقول سيد قطب مؤكدا على عالمية الرسالة والخطاب القرآني:‹‹ لقدجاء هذا الكتاب لينشىء أمة وينظم مجتمعا ثم لينشىء عالما ويقيم نظاما جاء دعوة انسانية لا تعصب لقبيلة أو أمة أو جنس[2].››

إن للخطاب القرآني دور فاعل ومهم في احتواء كل ما من شأنه أن يتيح للرسالة الخالدة مخاطبة الإنسان على وجه العموم بقوله يا أيها الناس أو يا أيها الإنسان بقصد توجيهه ونصحه وتصويب مساره وبالجملة التأثير في مناحي حياته كافة ولا شك هذا دليل كاف على أهمية الخطاب القرآني وقدرته على إقناع العقل البشري.

إن الخطاب القرآني هو قول وكلام أولا ثم النص الفريد الذي تميزت به الحضارة الإسلامية عن غيرها ‹‹فلعل هذا هو سبب تسميتها بحضارة النص[3].››

ليس هذا فحسب أي ليس الخطاب القرآني هو مجرد كلام أو قول أو نص بل الأبعد والأهم من ذلك هو النظام والبنية

١.لطفي فكري محمد الجودي:جمالية الخطاب في النص القرآني ،ص ٩٧.

٢. لطفي محمد جودي: *جمالية الخطاب القرآني*، ص ٩٣.

٣. المصدرنفسه:ص ٩٥.

ومن ثم الانتظام والاتساق اللغوي والانسجام المعنوي القادر على الإبلاغ والإفهام والتأثير:« إنه خطاب تنتظمه وحدة بنيوية خاصة فهو نظام فكري ونظام لغوي يمتاز بالاتساق والانسجام شكلا ومعنى.[1] »

إن الخطاب القرآني يخاطب الإنسان ويتواصل معه مؤثرا فيه تارة بالحجاج والإقناع وتارة بالتأثير والنفوذ إلى أعماق الشعور والوجدان أي يضع نفسه في قلب التواصل اللساني باعتباره قولا وكلاما من المرسل(الله)والمتمتع بالسلطة الإبلاغية إلى عنصرمتضمن في الخطاب وهو عنصر المتلقي إذن فنحن أمام كلام وقول ونص وإن استمد مقدرته من ذات اللغة لكنه خطاب قادر على تغييرها واللغة المختارة لهذا الخطاب الباهر هي اللغة العربية فقد تعامل معها تعامل خاص حيث تنتقل اللغة العربية بفضله من وظيفتها الدلالية الإبلاغية وتتحول إلى معان معقولة تحفز المتلقي على فعل التعقل والتذكر والتدبر.

«إن الخطاب القرآني هو نص مكتوب ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أحد من أشكال الكتابة المألوفة ليست له بؤرة مركزية وهو بلابداية ونهاية يقبل تأويلات لاحصر لها ذوات طاقة رمزية مطلقة ولا يمكن مقارنته بالخطابات الأخرى ولا يمكن قياسه بأي شكل من أشكال الخطاب فالاختلافات بينة وإن كان يجري على سنن اللغة الطبيعية فضلا عن كونه إلهي المصدر والنص المقدس المنزل باللغة العربية والشمولية العالمية.[2] » إلا أنه يتمتع بسمة إقناعية تامة « فطبيعة آيات القرآن الكريم خطابية جدلية و يمارس الحوار بقصد تبليغي موضوعي.[3] »

أي هو خطاب تبليغ ومرسل من رب العالمين إلى المرسل إليهم أجمعين مخترق حدودالزمان والمكان والبيئة من خلال اللغة والوسيط اللغوي فيكون بذلك خطابا مستمرا وصالحا ووافيا بحاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود وغاياته.

كما أكده الدكتور لطفي فكري جودي بقوله: «إنه نظام ومنظومة اتصالية إبلاغية تنتج قيما ذات أبعاد معرفية متعددة لها سلطه روحية لتحقيق هدف سام وهو الإيمان والتوحيدبالله إن الخطاب وإن ينقل وضعية المجتمع العربي قبل الإسلام لكنّه يدعو إلى تجاوز ما نبا في هذه المجتمعات عن الفطرة السليمة ويترك في الوقت ذاته صياغة خطاب يحتفظ بفحوى الدلالة النصية للمجتمعات التي ستأتي لقراءة النص بما بثه من قرائن تقف إلى جانب ما عنّ في بنية اللغة من تطور وفي تراكيبها من جدة فعالم الخطاب هو جملة أحد اث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما أو جملة الهموم المعرفية الفكرية التي جرى التعبير عنها في إطار ما.[4] » كما في هذه الآية:

---

١. المصدرنفسه:ص٩٥.

٢. هشام بلخير: *آليات الاقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجا* اشراف الدكتور بوعمامة الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٢م،ص ٧٤.

٣. سليمان عشراتي: *الخطاب القرآني*، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص ١٨٣.

٤. لطفي فكري محمد الجودي:*جمالية الخطاب في النص القرآني*، ص ٨٣-١٠٢.القرأنى

﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِـــرِ وَ الْمَلائِكَـــةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَالَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَـــنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ»« وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة/ ١٧٨.١٧٦

حيث الخطاب القرآني أعلاه خطاب قيمي بامتياز خطاب ذات أبعاد معرفية يدعو إلى الإيمان بالله وإلى اليوم الآخر والملائكة و الكتب والرسل بغية تنظيم الحياة الفردية والاجتماعية بكل مراتبها. فبناء على تلك القيم والأسس المعرفية التي أراد غرسها وتثبيتها في المجتمع يدعو إلى نشر الفضائل في المجتمع أولا من إيتاء للمال وإقام للصلاة والوفاء بالعقود والصبر والصدق ثم عند البغي إلى القصاص ثم إلى العفو و التسامح.

عندما نتحدث عن الخطاب القرآني فالمقصود هو استجلاء البنية الفكرية والتركيز عليها فالخطاب القرآني صنع خطابا جديدا وخلق منظومة عقدية فكرية سياسية ثقافية شيّدت حضارة عظيمة لسعادة الإنسان بتعبير آخر إن :«مفهوم الخطاب الذي هو الطريقة الخاصة في الحديث عن الكون وتغييره وفهمه لايعني أنه لا يحرّك ساكنا إزاء تغيرات الكون والعلاقات الاجتماعية والثقافية بل بالعكس يسعى إلى إنشاءها أو إلى تغييرها.[1]»ما يعني أن الخطاب «يشكّل نسق التفكير في الأشياء ونسق التعبير عنها أي النسق الذهني المجرد للكلام الذي نتكلّمه بالقوّة أو بالفعل أي التغيير أو الإنشاء وفعلا هذا ما حدث للخطاب القرآني حيث تلبس بلبوس الشكل اللغوي.

١. ماريان يوركنسن وآخرون: *النظرية والمنهج في تحليل الخطاب*،ترجمة هادي جليلي،نشر ني،جاب جهارم، ١٣٩٣ه ش،ص١١٠.ص ١٩٧.

الفصل الثاني

أقسام الخطاب

الشكلاني

السلطوي

التداولي

التواصلي

المقدمة

أراد البحث في هذا الفصل وبعدالتطرق إلى المفاهيم والكليات أن يقارب أقسام الخطاب من مختلف اتجاهات علم اللغة الحديث من الشكلانية والتداولية والتواصلية فأراد بذلك وبالتدرج أن يعالج تلك النظريات مرورا بالنظرية الشكلانية في اهتمامها بالشكل وكيفية توقف المضمون على الشكل وكيفية اتساق العناصرالمكوّنة للمادة اللغوية ومن ثمّ العلاقات الداخلية بين مكوّناتها ثم أثر الصياغة والأسلوب في تشكيل المعنى ثم بعد ذلك أراد أن يعالج أثر المعنى في كيفية صياغة الأسلوب وذلك في قسم الخطاب السلطوي ومن ثم توظيفه في الواقع الخطابي أي تداوليته ووظيفيته(الخطاب التداولي).

إن البحث أراد بمقاربته الشكلانية أن ينطلق من المادة الشكلية والخارجية للغة وأسلوب صياغتها إلى المعنى فأخذ بالهدف الأساسي للبحث النقدي عندالشكلانيين وهو وصف العمليات الوظيفية للنظم الأدبية وتحليل عناصرها وفرض بناء صارم لمستوياتها من الأدنى إلى أعلى: من الفولونوجيا إلى المورفولوجيا والنحو فتبنى وحدات كل مستوى أعلى كاملة من وحدات المستوى الأدنى لها فالمورفيمات تتابعات من الفونيمات والتراكيب تتابعات من المورفيمات ويحب على اللغوي أن يبدأ على المستوى الأدنى وأن يحلل كل مستوى مفرد تحليلا وافيا وقدأخذ البحث على عاتقه تحليل تلك المستويات أولا ثم الاهتمام بالعلاقات بين عناصر المادة اللغوية كالعلاقات الائتلافية والاستبدالية ثم الوحدة العضوية التي رآها في التماسك والانسجام بين عناصر المادة اللغوي.

فوفق هذا المنظور عالج البحث التماسك والانسجام في الخطاب الشكلاني والعلاقات التي تحقق هذا التماسك والوحدة الدلالية(العضوية والموضوعية) ما تسمّى بالعلاقات النصية وقد أفرد له بحثا تحت هذا العنوان.

وفي حين كانت الشكلانية تطلق نظرياتها بواسطة رائدها الشهير تشومسكي وعنايته بانشاء أعداد غير متناهية من الجمل في أنماط مختلفة صارفا النظر عن ارتباط هذا النشاط وتلك الأنماط بسياقاتها الاتصالية الفعلية والمحيطات التبليغية الاجتماعية التي تقع فيها تلك البنى وعن جوانبها الانسانية وانصرافه التام إلى البنى التركيبية والجوانب الشكلية من اللغة وإهماله جانب الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع؛ كانت هناك مدارس أخرى أخذت الجانب الاجتماعي من اللغة وأولته عناية خاصة وركّزت على المعنى لأن المعنى هو ما يهدف المتكلم إلى إيصاله إلى أفراد المجتمع فأخذت تدرس الوظائف التي يؤديها كل تركيب لغوي أي التركيز على البعد الاستعمالي للغة ومن ثم تشكيل خطاب تداولي لأن الخطاب التداولي يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي أو بمعنى آخر يعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى والعلاقة بين الكلام وسياق حاله وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلام وهذاالفرع ما يعرف ب (pragmatics)البرجماتية أوالتداولية فقد تناول البحث تحت عنوان التداولية الأفعال الكلامية في هذا النوع من الخطاب في القرآن الكريم وما لها من قوة وتأثير وإنجاز لكن من أين يستمد هذا النوع التداولي من الخطاب القوة والسلطة

للتطبيق والفعل وكيف يمارس الخطاب سلطته في المجتمع ؟ أي كيف يمارس تداوليته؟ وكيف تكون علاقة الخطاب بالسلطة ؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن الخطاب يرتبط بالسلطة ارتباطا وثيقا على نحو قدجعل من الخطاب نفسه سلطة كما أشارت بذلك الآية: ﴿شَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطـــابِ ﴾ ص/ ٢٠. إذن للخطاب سلطة وقوة ما يمكن تسميتها في هذه الحالة بالخطاب السلطوي فهو على علاقة تلازمية بل جدلية مع السلطة فالخطاب يحتوي على آليات سلطوية تمكنه من الهيمنة من جهة ومن إنتاج ممارسات خاصة به من جهة ثانية فالخطاب يتحرك وينتج السلطة كما يهيمن وينتج مؤسساته الخاصة التي تكون صورة للنظام وطرائق المنع والمراقبة الخاصين به ومن هنا فان الحديث عن الخطاب يتضمن بالضرورة الحديث عن سلطة الخطاب وذلك من حيث أن للخطاب سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه. إذ الخطاب في تعبير فوكو — كما أشرناسابقا- عبارة عن دالة السلطة أو عبارة عن عرض لشبكة علاقات القوى الخاصة بتشكيلة خطابية معينة وتوزيع سلط التأثير والتأثر.

فقدأراد البحث أن يتناول الخطاب السلطوي في بعض من الآيات ويبيّن مدى علاقة صياغة الخطاب بالسياسة والاجتماع والاقتصاد خاصة في كيفية خطاب فرعون والسلطة التي مارسها بفضل الخطاب.

ثم يأتي بعد ذلك دور الخطاب التواصلي وكيفية ممارسة هذا النوع من الخطاب الذي هو الحجر الأساس للرسالة ونواتها لأن هدف الرسالة هو تبيين البعد التواصلي بين الرب والعبادفي القرآن الكريم وكيفية تحقيق التواصل والإبلاغ وكيفية توظيف الاستراتيجيات في التواصل الفعال خاصة الذكاء العاطفي وكذلك تبيين معوقات الخطاب التواصلي وكيفية تفادي مبلغي الخطاب القرآني تلك المعوقات.

٢- ١- الخطاب الشكلاني من المنظور البنيوي التكويني

قبل أن ندخل في موضوع الخطاب الشكلاني ومعالجته في آي القرآن الحكيم علينا بتجلية المدرسة الشكلانية أولا كما يلي:

٢- ١- ١- الشكلانية

الشكلانية(formalism) مذهب أدبي ونقدي يذهب إلى أن قيمة كل عمل فني يتمثل في عناصر صياغته وأصالة أسلوبه وهي تضم مجموعة من المناهج النقدية التي تتعامل مع النص الأدبي على أنه كيان لغوي مستقل ومن ثم فإن الأسلوب يعد الأساس في العمل الأدبي بتعبير آخرتغليب القيم الجمالية والشكل على الفكر والمضمون وحصر القيمة للعمل الأدبي في الشكل وحده لذلك كان الأدب عندهم ظاهرة كلامية قبل كل شيء وهو خطاب غير ذرائعي لا يخدم أي غرض عملي مباشر وليس له هدف إلا تحقيق الدهشة والإغراب وتحويل الواقع إلى شيء غير مألوف وهذا عندهم يتم بالشكل وحده. أي التركيز

على الشكل وحده ووصفه وطريقة صياغته فحسب.

بما أن جاء في تعريف الخطاب أنه« يدل على كل ملفوظ أكبر من الجملة منظورا إليه من حيث قواعدالتسلسل الجملي.[1]» لذلك يمكننا النظر إليه من منظور المدرسة التشكيلية التي تعتبر «الوحدة الصوتية أصغر وحدة لغوية منها انطلقت إلى الكلمات التي تتألف من تلك الأصوات ومن ثم وصلت إلى الوحدة الأكبر التي تتألف من هذه الكلمات وهي الجملة ثم من الجملة إلى المعاني من جهة ومن الأصوات من جهة أخرى.[2] » هذا ما قام به البحث من المنظور الشكلاني حيث انطلق من الوحدات الصغرى والفونيم إلى المورفيم ثم إلى التركيب ثم إلى الدلالة والمعنى المتمثلة في الدلالة المركزية ثم الهامشية وتقصيهما في بحث التماسك وأدواته لأن الشكل عندهم يتخذ مفهوم الكلية والتماسك والتكاملية وكل عنصر ينتمي إليه هو شكلي. إذن«الخطاب كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء.[3]» «يتّسم بتماسك أجزائه (cohesion) وترابط أفكاره choherence.[4]»

فوفق هذا الكلام يكون التماسك إما شكلي وإما مضموني لذلك درس البحث كلا التماسكين معا تحت عنوان العلاقات النصية التابعة للتماسك الشكلي وكذلك درس الدلالة المركزية والهامشية تحت عنوان التماسك المضموني وسيأتي الحديث عنهما لاحقا بالتفصيل.

إن الخطاب الشكلاني يذهب إلى أن قيمة كل عمل فني تتمثل في عناصرصياغته وأصالة أسلوبه انّه يهمل بشكل جلي،المعنى والمضمون وكل الملابسات الخارجية للنص،حيث يقع التركيز في البحث، على دراسة النحو والصور اللغوية وكيفية ترتيب المفردات وانتظامها ونسق الجملة وعلاقاتها فحسب« لذلك يصبح المضمون متوقفا على الشكل من دون أن يكون له وجود مستقل ضمن الأدب. فالشكل(الأداة) تفعل فعلها في المادة(المضمون)كما يقول جاكبسون الزيت في عملية الطهو أنت لا تستطيع تناوله على حدة أما عندما تستعمله مع صنف آخر من الطعام فهو يصبح أكثر من مجرد إضافة إنه يغيّر مذاق الطعام إلى حد الذي تبدو فيه بعض الأطباق وكأنها فقدت كل صلة بمثيلاتها الخالية من الزيت.[5]» فحينئذ لا يعرف من النص شيء عن معاني المفردات وتأريخ اللغة والاجتماع والثقافة حيث في النص لا توجد إلا عناصره وبالتالي عدم الاعتراف بأي عنصر خارج أدبية

---

١. نعمان بوقرة : *لسانيات الخطاب*،لبنان،دارالكتب العلمية ط١، ٢٠١٢م ،ص ١٩.
٢. نايف خرما: *أضواء علي الدراسات اللغوية المعاصرة*، كويت، عالم المعرفة ،د.ط،١٩٧٨م، ص ٩٧.
٣. أحمد مداس: *لسانيات النص* .المصدر نفسه،ص٨٣.
٤. نبيل أيوب: *النقد النصي وتحليل الخطاب* ج ٢، مكتبة لبنان ناشرون ،ط١، ٢٠١١م.ص٢٣١.
٥. وليد القصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث،ص ١١١.

الأدب.

إن استبعاد كل الملابسات الخارجية في التحليل يعني الانكفاء على الداخل والتركيز على الترابط العضوي بين الوحدات اللغوية داخل الخطاب واكتشاف الأنماط والقوانين التي تحكم (العمل الأدبي) ومن ثمّ دراسة تلك العلاقات التي تنشأ داخل بنيته.

لكن هذا الأمر سيدخل البنوية الشكلية في مزالق خطيرة عندما يعزل النص عن أية ملابسات خارجية كالتاريخ والمجتمع وعلم النفس والمؤلف نفسه لذلك جاءت البنيوية التكوينية لاستدراك المزلق الخطير الذي وقعت فيه البنيوية الشكلية فبجانب التركيز على النص الأدبي وخصوصيته وتفرده إنها تراعي الحيثيات والملابسات الخارجية للنص أيضا.

فانطلاقا من التركيز على العمل الأدبي والتركيز على قضية النظام والعلاقات القائمة بين عناصر الوحدات اللغوية في الخطاب الشكلاني حيث حدوث أدنى تغيير في الجزء الواحد ما يعني التغيير في سائر الأجزاء أي:«ترابط أجزاء الخطاب بعضها ببعض ترابطا تعالقيا كما فطن علماءنا القدامى عبدالقاهر الجرجاني بذلك وعرّفوه بنظرية النظم حين يأخذ الكلام بعضه بعجز بعض ويصبح مجموع الكلام كلاما واحدا بحيث إذا حدث تغيير في بعض هذه الوحدات سرى هذا التغيير في سائر الوحدات الأخرى.[1]» ما يعني حدوث أي تغيير في الظاهر هو حدوث تغيير في المعنى؛ لذلك قام البحث ومن منظور الخطاب الشكلاني التكويني بمعالجة التغييرات التي تطرأ على العناصر الداخلية في النص مرورا بالصياتات والمورفيمات وانتهاء بالتراكيب والأسلوب مع دراسة الحيثيات والعوامل الخارجية للنص الذي تجعله داخل حيز الخطاب.

إن مقاربة هذا البحث المتواضع للخطاب ومن المنظور الشكلاني لايعنى أنه أخذ بالنظرية الشكلانية بكل حذافيرها وخضع لها خضوعا تاما بل العكس إنه لا يتفق مع استبعادالسياق والمقام عن النص وفصل النص عن خالقه بل أخذ بدراسة النظام والعناصر المكوّنة للنص وكيفية تعالق بعضها مع بعض وعلاقاتها في استيلاد المعنى حيث أدنى تغيير في أصغر وحدات النص(الصياتات) سيؤدي إلى تغيير في المعنى والمضمون كله وكذلك التغيير في المورفيمات والتراكيب والأسلوب الذي تركز عليها الشكلانية.

إن البحث حينما يتحدث عن الخطاب الشكلاني في القرآن الكريم يقصد تبيين البعدالتعالقي والانتظامي والترابط فيه غير قاصدا اقتصار المعنى على الشكل وإهمال المضمون وتهميشه بل يرى ترابط الشكل والمضمون معا في البحث اللغوي حتى ترجيح كفة المضمون على الشكل لأن الخطاب بمفهومه التواصلي كما بيّنا هو البنية الفكرية والإيدئولوجيا إذن فكيف بالخطاب

---

١. محمد محمد يونس علي: *المعنى وظلال المعنى*،المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م،ص١٥٨.

القرآني الذي هدفه توظيف الشكل لخدمة الفكر والعقيدة والقيم السامية وهدفه الأسمى سعادة الإنسان وبلوغه الهداية.

٢- ١- ٢ - الصياتات

«إن حدوث أي تغيير في العناصر الجزئية الصغرى للغة القادرة على طريق الإبدال (substitution) على تمييز كلمة من أخرى.[١]» والتي تسمّى «بالصياتات والفونيمات» ما يعني الاختلاف في المعنى كما يرى بلومفيد.[٢]» في الحقيقة إن الصيتة في العربية هي نفس الفونيم في الإنجليزية ومعناها أنها لكل حركة أو حرف أثر.

إن هذه الفونيمات أو الأصوات الهجائية أو الوحدة الصوتية الصغرى للكلمة تدل على تغيير في دلالة الكلمة إذ يمكن استبدالها بأخرى من الحركات فإذا استبدلت بأخرى تغيّر معناها فعلى إثرها قام البعض بدراسة تلك الصياتات وبينوا مدى التفاوت والتغيير الذي سيحصل في المعنى إثر ذلك ما يمكن معالجتها تحت عنوان دقائق الفروق اللغوية التي تناوله الدكتور محمد ياس خضرالدوري في كتابه دقائق الفروق اللغوية وقدتطرق الباحث إلى الإيحاءات النفسية للحركات والحروف بناء على بحوث ابن جني اللغوية حيث ينسب إليه تلك الدراسات الصوتية وما توحيه الحروف من دلالات ومعاني.

كما جاء في مقدمة البحث أن أي تغيير في الفونيمات والصياتات ما يعتي تغيير في الدلالات والمفاهيم. فعلى سبيل المثال، تغيير الصيتة في ضُرّ وضَرّ - الضاد المضمومه والمفتوحة يعني الاختلاف في المعنى كما ستثبته الآيات على ما يلي: ﴿وَأَيوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أنبياء/ ٨٣. وكذلك: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مائدة / ٧٦.

نلاحظ أنّ الضُرّ في الآية الأولى«بمعنى المرض والشدة وسوء الحال والهزال.[٣] »الذي يظهر على الجسم وتكون آثاره بادية على الجسد أي كل ما يؤلم الظاهر من الجسد لذلك عبّر أيوب عليه السلام عن مرضه بالضُرّ لأنّ أعراض المرض بدت ظاهرة عليه وقد عاضدته دلالة الضمة على الإيحاء به لأنّ دلالتها تدل على البروز والظهور والحزن والقوة فالضمة تناسب الواو في العربية الدالة على الظهور والبروز الذي يلازم الرفع «تشعر الضمة في الضر بأنه من علو وقهر.[٤] » وكأنّها توحي بعظم المصيبة والبلوى عند أيوب لما أصابه في بدنه من المرض والأذى. وفي رأينا إن وضع علامات الإعراب تأثر بلا وعي الإنسان

---

١. المصدر نفسه:ص ٢٤٥.

٢ . المصدر نفسه:ص ٢٤٦.

٣. ابن منظور: *لسان العرب*: بيروت،دار إحياء التراث العربي، مج ١٣، ط١، ١٩٨٨م،مادة(ضرر).

٤. ياس خضر الدوري: *دقائق الفروق اللغوية*،أطروحة الدكتوراه إشراف الدكتور خليل بنيان الحسون جامعة بغداد كلية التربية ص ٨٤.

العربي الذي اعتبر واضعا للغة والنحو إذ جعل الضمة للرفع الذي يكون الظهور والبروز من خواصه الذاتية فعلى سبيل المثال إن فعل المضارع إذا كان مجردا من العوامل فيكون مرفوعا فيشبه من كان أعزبا مغترا بأحاسيسه وميوله وعواطفه لا يكترث بأحد فإذا وقعت إلى جانبه عوامل النصب أو الجزم والنصب هو الاستقرار والجزم هو القطع فإذا واجه الجزم انتهت حركيته فعلى الأقل يصبح ساكنا فإذا كان معتلا فينقطع منه جزء.

وأمّا في الآية الثانية فقد يكون«الضَّر بمعنى الخسارة والضرر حيث حركة الفتحة أخف من الضمة وإن تدل على الكبر والضخامة لكن ليس بنفس القوة.[1]» فيأتي الضر عاما وليس في سياقه شدة فبالتالي دلالة(الضَـرّ) أخف وطئا من الأولى فنلاحظ أن هذا الاختلاف في الصياتات(ضُ وضَ) في الكلمات المتشابهة ضُرّ وضَرّ هي التي تدل على الاختلاف في المعنى. وكذلك في الرُشد والرَشد حيث التغيير في الحركات(الصياتات) يعني التغيير في المعنى:

﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَينَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ﴾ البقرة /٢٥٥ . أو في هذه الآية ﴿ و وَهَيئ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً ﴾ كهف/١٠.

حيث الضّمة في الرشد تدلّ على الإستواء وإصلاح النفس والاكتمال والبلوغ العقلي البارز والظاهر وهذا أمر شاق وصعب جدا مع وجود علاقة التقابل (الغي)الوارد في نهاية الآية لكن الرّشَد في: ﴿ وَهَيئ لَنا مِنْ أَمْرِنـــا رَشَـــداً﴾ يدلّ على الاستقامة والثبات في كل أمر محبوب مرغوب فيه خاصة في الدين وهو بالنسبة إلى الإصلاح والتهذيب للنفس أهون وأسهل.

وكذلك في اختلاف الصياتة في الكلمتين:الهَون والهُون في سورتي الأنعام /٦ و الفرقان/٦٣ بقوله تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يكْسِبُونَ ﴾ والآية: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾

حيث المفردة الأولى(الُهون) تعني العذاب والثانية تعني الرفق واللين والخفة على الأرض فما يمكن استشعاره من الصيتة(ُ) في الُهون أن حركة الضمة تلقي بضلالها الثقيل على الكلمة وتضخّم الأمرفي قضية العذاب وتوحي ببروزها وظهورها وقوتها على السامع خلافا في الصيتة (َ) في الهَون التي هي أخف من الضمة في إيحاءها الخفة واللين والانكسار المرافق لحالة عباد الرحمن.

وأيضا في اختلاف صياتة الوَقر والوقر في الآيتين التاليتين: ﴿جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يفْقَهُوهُ وَ فِى آذانِهِمْ وَقْراً﴾ و: فالآية التالية: ﴿الْحامِلاتِ وِقْراً﴾ الذاريات/ ٢.

---

١. تمام حسان: أصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو الفقه البللاغة ص ٢٨٧.

حيث وَقرا في الآية الأولى تدل على معنى الثقل في السمع فالوقر هو ثقل السمع كأنه يسمع بعض الأشياء ولا يسمع بعضها إلا إذا رفعت الصوت فيسمع. أما الثانية (وقرا بالكسر) تختص بالحمل وناهيك للحمل من ثقل أيضا واللطيف فيهما أن كلا المفردتين توحيان بالثقل لكن الثقل في الأول يكون معنويا وغير ملحوظ والثاني ملحوظا وبارزا ما توحي بذلك الكسرة وكأن الثقل برز بواسطة الكسرة وتبيّن.

فخلاصة الأمر إن هذا الاختلاف قدحصل بفضل ذلك الاختلاف في الفونيم والصيتة كله.

٢- ١- ٣- المورفيم

لم يقتصر الأمر على الصياتات بل يتم التركيز على المصرفات والمورفيمات أي الوحدات الصرفية الصغرى الدالة على المعنى أيضا لأن الوحدات الصرفية هي أصغر وحدة دلالية حيث تغييرها ما يعني تغيير المعنى كما في الصياتات. فقد قسم علم اللغة الحديث الوحدات الصرفية إلى نوعين: النوع الأول: الأوزان الصرفية مثل:أوزان الأفعال والمصادر والمشتقات إسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأسماء الزمان والمكان.والنوع الثاني: اللواصق:

وهي السوابق (prefixes) واللواحق (suffixes) والدواخل (infixes) والمقصود من اللواصق هي التي تدخل في أول أو صلب أو أحشاء أو آخر بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة.[١]» وسوف يتناول البحث هذه المورفيمات بشقيها الآنفة الذكر في الآيات القرآنية بدء باللواصق:

٢- ١-٣- ١- اللواصق

٢- ١- ٣- ١- ١- السوابقprefixes

اتفق اللغويون على تعريفها بالعناصر التي تضاف إلى أول الكلمات مثال ذلك لواصق المضارعة(أ،ت، ي،ن)وأل التعريف والميم والسين وسوف التي تضاف إلى أول الكلمة فيترتب عليها دلالات تصريفية ووظائف نحوية ودلالية فمنها تدل على التعريف والتنكير كما في أل التعريف ومنها ما تدل على الطلب والاستقبال كما في السين وسوف ومنها ما تدل على تحديدالشخص وتحديد زمن الحدث فضلا عن المشاركة وتحديدالجنس والعدد كما في اللواصق المضارعة ومنها ما تدل على زمان ومكان الحدث كما في سابقة ميم المصدر. إن تلك اللواصق عندما تلتصق بالجذر تقوم بتغيير بنية الكلمة من حالة إلى حالة أخرى فمن أشهرها:

---

١. محمود عكاشة: *التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة*، القاهرة، ط١، دارالنشر للجامعات، ٢٠٠٥م، ص ٦٢.

٢-١-٣-١-١-١- سوابق المضارعة (أ ، ن، ت، ي)

إن لواصق المضارعة تضم الهمزة والنون والتاء والياء وهن خاصة بالأفعال يلحقن أوائل الفعل المضارع فإن لها دلالات تصريفية تحدد الشخص والجنس والعدد والزمن وأما بالنسبة إلى دخول سوابق المضارعة فيمكن الاستشهاد بالكثير من الآيات القرآنية في الخطاب القرآني حيث يتحول المعنى بفضلها إلى معنى آخر يفيد التجدد والاستمرار ولكثرتها وشموليتها ووضوحها تجنب البحث الولوج فيها.

٢-١-٣-١-١-٢- سابقة أل التعريف:

إنها لاصقة تسبق الأسماء فتجعلها معرفة كما في الآيتين الشريفتين:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيكُمْ كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ مزمل / ١٥-١٦.

حيث المعنى في رسول يختلف عن الرسول فالأول نكرة والآخر معرفة فدلالة الأول هو غير الدلالة الثانيةفمفردة (رسولا) بكونه نكرة تدل على الإبهام الذي يمكن أن يشير إلى أوصاف وخصائص عدة جامعة :رسولا كبيرا،عظيما، بشيرا نذيرا فإذا أدخل أدخل عليها أل أراد أن يشير إلى ذلك الرسول المتحادث عنه بجميع تلك الأوصاف.

أو في هذه الآيتين الشريفتين: ﴿كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيكَ فَلا تَكُنْ فِي صَدْرِكَ﴾..

﴿ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾.. البقرة/ ٢.حيث الشاهدفي الآية الأولى يدل على التنكير وفي الثاني يدل على معرفة الجميع به.

٢-١-٣-١-١-٣- سابقة الميم:

لاصقة من اللواصق تسبق كثيرا من الأبنية الصرفية ولها دلالات صرفية ودلالات تحديد الزمان والمكان وكذلك الفاعلية والمفعولية ففي الآية التالية يمكن رصد الدلالاتين الزمانية والمكانية لها: ﴿إِلى رَبِّكَ يوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرّ﴾

حيث الاستقرار من المصدرالميمي(المستقر) يفيد معنى الزمان أو المكان للإستقرار فكما لاحظنا بمجرد دخول السابقة(الميم) تغير المعنى كما رأينا.

وكذلك في هذه الآية الشريفة: ﴿ وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث الشاهد في مُرسها يفيد معاني الزمان والمكان وكذلك دلالة المصدر.

وأما بالنسبة إلى سوابق السين وسوف حيث يتغير معنى الفعل من زمن الحال إلى زمن الاستقبال فضلا عن توسيع الزمن من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الأوسع وهو الاستقبال.

فالسين تدل على الزمن القريب وسوف على البعيد كما في الآيات الشريفات وكثير منها:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنا هُمْ جُلُوداً غَيرَها لِيذُوقُوا الْعَـــذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً * وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ﴾ النساء/ ٤-٥.

حيث جاء خطاب الكفار في الآية الأولى مؤكدا بإنّ الدال على تحقيق الوعيد حتما لأنهم المنكرون للآخرة وعذابها وكذلك أتى فعل الصلي(نصليهم)مقترنا بسوف(سوف نصليهم) الدال على زمن بعيد في الآخرة لأنهم يرون العذاب بعيدا بينما في الآية الثانية لم يرد سوف في خطاب المؤمنين الدال على زمن المستقبل البعيد بل وردت السين المشعرة بقرب الخير من المؤمن وتبشيره به وكأنه قريب من الجنة ليس ببعيد عنها والدخول في الجنة قريبا لأن الإيمان يقطع الفواصل الموجودة بين الدنيا والآخرة وكأنه يعيشها.

٢- ١- ٣- ١- ٢- الدواخل أو المقمحات suffixes

لقد تناول البحث السوابق ودلالتها فحان الحين لكي يتناول الدواخل وهي التي تدخل بين الأصوات التي تشكّل بنية الكلمة وتدخل في صميمها أي العناصر التي تتوسط الجذر مثل: الألف في اسم الفاعل والواو في اسم المفعول والياء في صفة المشبهة التي تأتي على وزن فعيل مثل:حكيم عليم سميع.حيث تدل هذه الأبنية الصرفية على الثبوت والاستمرار في صفات المشبهين بها. ولا ننسى شمولية دلالة الأسماء وقوتها وثبوتها وعدم تقييدها بالزمان والمكان أيضا خاصة إسمي الفاعل والمفعول فمن الشواهدالتي تؤكد قوة دلالة الإسم بشقيه الفاعل والمفعول وثبوتها قوله تعالى: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيوْمٍ لارَيبَ فِيهِ﴾ آل عمران/ ٩.

والأصل تجمع الناس لأنّه في الاستقبال ولكن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه «بإسم الفاعل الدال على الثبوت.[1]» وكذلك المعنى الشمولي الغير مرتبط بالزمان والمكان أي جامع الناس في كل الأزمنة والأمكنة فضلا عن تضافر الدلالة الصوتية في حرف الألف بإيحاءه الصوتي والدلالي الدال على الرفعة والشموخ والقوة والشمول هذا ما يمكن استيحاؤه من كلمة الجامع.

أما بالنسبة إلى الآية: ﴿ذلِكَ يوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ هود/ ١٠٣. فتوحي(داخلة الواو) بالقوة والاستمرار وثبات المعنى حيث الواو تدل على صفة المواصلة والاستمرار والبروز والشهود فهي تفيد معنى الجمع أكثر وأبرز مقارنة بالآية: ﴿ يوْمَ يجْمَعُكُمْ لِيوْمِ الْجَمْعِ﴾ التغابن / ٩.

---

١. المصدرنفسه: ص ٣٢٣

فضلا عن تلك الدلالات يمكن ملاحظة شيئا آخر في هذا الجانب وهو الاتساع الدلالي وتعددية الدلالة الذي يمكن أن تتحلّى به بعض الدواخل كأسماء الزمان والمكان كما في هذه الآية المباركة: ﴿ أَصْحابُ الْجَنَّةِ يوْمَئِذٍ خَيرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ فرقان/٢٤.

« يقول الآلوسي: المستقر هو: المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث والمقيل: المكان الذي يؤوى إليه للاسترواح إلى الأزواج والتمتع بمغازلتهن سمّي بذلك لأن التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وتفسير المستقر والمقيل بالمكانين حسبما سمعت هو المشهور وهو أحد احتمالات تسعة وهو ذلك أنهم جوّزوا أن يكون كلاهما اسم مكان أو اسم زمان أو مصدرا وأن يكون الأول اسم مكان والثاني إسم زمان والثاني إسم مكان أو إسم زمان وما شئت تخيل في خيرية زمان اصحاب الجنة أو أحسنيته وكذا في خيرية استقرار هم وأحسنية استراحتهم يومئذ.[1] »

تبين ممّا استشهدنا به من الآيات، إنّ الاختلاف في الشكل والبنية يدل على الاختلاف في المعنى لكن لم يكن الأمر هكذا بل هناك طاقة تعبيريه وراء البنى الصرفية نفسها ودلالتها المتعددةحيث مجيءها على شكل وهيئة خاصة توحي بدلالات متعددة ما يسمى بالاتساع الدلالي وهذا ما يمكن إدراجه تحت البحث الشكلاني أيضا. حيث يوحي باتساع المعني المكنون المستفاد من الصيغة ومن ثم اختزاله واقتصاده في صيغة وقالب كما لاحظ البحث في اسم الزمان أو المكان أو الصفة المشبهة لمفردة(المستقر).

وأما بالنسبة إلى إسم الفاعل فإنه يشغل حيزا واسعا بتوارده في القرآن الكريم «فهو كالفعل المضارع يدل على الحدث والحدوث وفاعله إنه يدل على الحدث الذي يتحقق من معنى المصدر ويدل على الحدوث أو التجدد بدرجة الفعل ولكنه أدوم وأثبت في المعنى من الفعل ودون قوة ثبات الصفة المشبهة في صاحبها.[2] »

بتعبير آخر يفيد الإسم الفاعل دوام حدوث الفعل و قوته المستوحاة من شموخ الألف وامتداده الصوتي وتحقق الفعلية والإنجاز المستمر في التركيب الإضافي (فالق الحب والإصباح): ﴿ إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى... * فالِقُ الْإِصْباحِ﴾ الأنعام/٩٥-٩٦. لكن مجيء اسم الفاعل في الوزن الثلاثي المزيد ما يوحي بدلالة أخرى كما في الآيات التالية:

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ قمر / ٢٠. ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيةٍ﴾ حاقة

---

١. ابوالفضل شهاب الدين الالوسي: *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* ، بيروت ، داراحياء التراث العربي ، المجلد الأول، ص٢٣٦.
٢. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ٧٣.

/ ٧.

ففي الأولى يرصد لها القوة والثبات والنفوذ في الأعماق(الجذور) بشدها في أعماق الأرض وفي الآية المباركة الثانية نستوحي الضعف والهوان والبروز على السطح خلافا للأولى فكأن تعاضدنا في ذلك دلالة الكسرة الدالةعلى الميلان إلى الأسفل في: ﴿ مُنْقَعِرٍ﴾ وفي ذلك تعاضدنا ورود المفردة صرعى على وزن فعلى المؤنثة حيث الضعف في الأنثى أبرز وأظهر كما أن المذكر قد يزيدفي الشمول كما في هذه الآية المباركة: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمحْسِنِينَ ﴾ اعراف/ ٥٦. فقريب من جانب يرتبط بخبريته ارتباطا وثيقا بالرحمة ومن جانب آخر بالله سبحانه وتعالى فاختار الله تعبير :قريب لاستوائه في التذكير والتأنيث.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى إسم المفعول الذي هو أيضا يدل على الثبوت والاستمرار والدوام: ﴿عَطاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود/ ١٠٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحابُ الْيمِينِ ما أَصْحابُ الْيمِينِ﴾ ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ ﴿ وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ ﴿ وَماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ الواقعة/ ٣١-٢٧.

فإن ما نستجليه من أسماء المفعول مخضود ممدود مسكوب في الآيات دلالته على الدوام والاستمرار وثبات النعم دون أي تغيير وتحول حيث الإيقاع الموحد والثابت على وتيرة واحدة وعلى وزن المفعول ما يوحي بثبات ودوام تلك النعم أيضا.

لم تقتصر الدواخل على الأسماء فحسب بل تشمل الأفعال أيضا يواصل البحث حديثه في التغيرات الشكلية التي تطرأ على المصرفات حيث التغيير ينتاب أبنية الأفعال ويدخل في صميم البنى الفعلية ما يمنحه معنى آخر كما يحدث ذلك في بابي الإفعال والافتعال والمفاعلة والتفعيل.

لقد تناول القدامى هذه الاختلافات تحت عنوان التشابه القرآني قبل أن يتطرق الشكلانيين إلى مثل هذه البحوث والنظريات فينبغي أن يذكر تلك الجهود الجبارة ولا يستهان بها في مضمارالبحوث اللسانية حيث يمكن حشدها تحت عنوان أسلوب التشابه القرآني كما فعله الراغب وآخرون تحت عنوان المتشابهات في القرآن وكذلك عندالمتأخرين منهم فثمة كتاب تحت هذا العنوان باسم أسرار التشابه القرآني للدكتور شلتاغ عبود وكذلك بحوث للدكتور فاضل السامرائي قد بحثا الاختلافات بين المتشابهات في القرآن الكريم بالتفصيل.

أما في باب الإفعال فضلا عن التعدية فيمكن استيحاء دلالات أخرى كما في هذه الآيات الشريفات: ﴿وسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾ الإنسان/ ٢١. ﴿ وَأَسْقَيناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ المرسلات/ ٢٧. ﴿ لَأَسْقَيناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ جن/ ١٦.

حيث السابقة الهمزة أ في (أسقيناهم) والدالة على الوزن الصرفي الإفعال تدل على الكلفة ومشقة السقيا في الدنيا لكن

بدون سابقة الهمزة تعني عدم الكلفة ومشقة السقيا في الآخرة فضلا عن الفرق الدلالي بين أسقى في معناه للتعدية وسقى الدال على اللزوم كما بيّنا لأن الهمزة تدل على الشدة خاصة إذا قارنا الهز بالأز في الآيتين التاليتين:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى‌الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ مريم/٨٣. ﴿هُزِّي إِلَيكِ بِجذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيا﴾ مريم/ ٢٥. فالأز أشد من الهز وأبلغ لقوة الهمزة نسبة إلى الهاء.

فمن الشواهدالأخرى في باب الافتعال هذه الآية الشريفة:﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ الكهف/ ٩٧.

حيث الشاهدفي اسطاعوا واستطاعوا وقد وردت الآية في قوم يأجوج ومأجوج والسد الذي جعله ذوالقرنين حاجزا بينهم وبين القوم الذين كانوا يعتدون عليهم إذالفعل الأول ورد في شكل اسطاعوا والثاني في استطاعوا إذن فما الفرق بينهما؟

الجواب أن صعود الجبل لايتطلب جهدا كما يتطلب ثقبه واختراقه فكان(اسطاعوا) مع العمل الأقل جهدا وكأنما حذف التاء في الأول، ينبئ عن سهولة العمل والخفة فيه أما بقاء التاء في(استطاعوا) يوحي بالعمل الأكثر جهدا وكأنما بقيت التاء لتنبىء بمشقة العمل وصعوبته. والشيء اللطيف الذي يلفت الأنظار في مثل هذا التشابه الأسلوبي هو الامتداد الطولي اللغوي في استطاعوا الذي نراه في اسطاعوا كي يدل على مدى الوقت والعمل والجهد فإذا كان هناك عمل يحتاج إلى جهد أكثر فمن الطبيعي أن يستغرق وقتا أكثر فصور صرف الوقت والزمن في امتداد شكل اللفظ أو المفردة.

وكذلك في فعل الأمر في باب الافتعال:

﴿ وَاصْبِرْ عَلى ما يقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ المزمل/١٠. ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها ﴾ طه/١٣٢.

فاصطبر عليها تفيد بأنها بحاجة أكثر إلى الصبر والاستقامة والمصابرة إذ فيها دلالة على مقاومة ذاتية في أمر الصلاة من قبل المصلي حتى يتغلب عليها ويلتزم بصلاته ومن جانب آخر إن باب المطاوعة أيضا فيه دلالة على التأثر والانفعال البادي على السلوك. فكل ذلك يستدعي جهدا أكثر بالنسبة إلى الآية السابقة في دعوة النبي صلى الله عليه وآله إلى الصبر على ما يقولون إذ لا استمرارية لأقوال الكفار فبالتالي لا إلزام بتأصيل الصبر بالنسبة إلى أمر الصلاة والمداومة عليها حيث يتطلب الأمر التأثر والالتزام العميق المتأصل في الجذور فزيادة المباني دلالة على زيادة المعاني كما يقولون.

أو في هذه الآية: ﴿وَ لَقَدْ يسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ القمر/ ١٦.

فمجيء المذكر على الوزن الصرفي (الافتعال) بدلا من الذاكر ما يدل على التأصل والانفعال البليغ والعميق البادي على السلوك التي توحيها دلالة المطاوعة.

وأما بالنسبة إلى الوزن الصرفي(المفاعلة) فيمكن الاستشهاد بالآية التالية:﴿ يخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يخْدَعُونَ

إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾ البقرة /٩.

حيث يخادعون بزيادة الألف وعلى الوزن الفعلي يفاعلون(اسم الفاعل) يدل على المشاركة وكذلك يدل على استمرارية الخداع والمماطلة فيه والتفنن في الخداع لأن هناك أطراف عديدة يقوم الكفار بخداعهم: الله والرسول والكافرين أنفسهم وبالتالي يستغرق وقتا أكبر وبذل مجهودا أكثر. ما ظهر ذلك في إضافة الألف في الفعل يخادعون لكن بدون الزيادة كما في الوزن الفعلي يفعلون(يخدعون)يدل على خداع النفس ذاتها دون مشاركة الآخرين لأنّ هناك طرف واحد وهي نفسهم هذا إذا أخذنا القصد من أنفسهم هو ذاتهم ونفسهم وإذا أخذنا المقصود من أنفسهم(الكافرين)وشملهم فإن خداعهم لايتطلب تفننا وجهدا لأنهم كلهم متساوون وجامعون على أمرهم لا فرق بينهم فتكون عاقبة الخداع ومردها أسرع إلى ذواتهم لكن لايشعرون بها وباستمرارية الخداع على أنفسهم هذا ما دل عليه الوزن الصرفي(المورفيم) واللواصق(الحروف المضارعة) من المعنى.

فكما لاحظ البحث إن هذه التغيرات في الشكل -المورفيم والمصرّف- هي التي دلّت إلى هذا التغيير في الشكل ومن ثم إلى اختلاف في المعنى وتعدديته.

وكذلك الشأن في باب التفعيل كما لاحظ البحث لاصقة التضعيف فيه حيث تقع في حشو بنية الكلمة وتحوّل صيغة الفعل من اللزوم إلى التعدية كما في الآية: ﴿ فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَليمٍ﴾ الصافات/ ١٠٠.

أو تفيدالمبالغة والتكثير:

﴿ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ ﴾ يوسف / ١٢: ﴿فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيوناً ﴾ القمر/١٢.

ففي الحقيقة أن تكرار العين(عين الفعل) هو الذي منحها تلك الدلالات. من جانب آخر يرى ابن جني أن هذا التكرار يدل على تكرار الفعل فيقول: «إن تكرير العين دليل على تكرير الفعل فقالوا كسّر وقطّع وفتّح وغلّق وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني.[1]» وتكرار الفعل ما يوحي بالكثرة والكثرة ماتوحي بالزمان الأطول.

تناول البحث الظواهر وما يؤدي الاختلاف في الظاهر إلى تفاوت في المعنى لكن الإختلاف قدينال بنية الأفعال أيضا فبالتا لي ينتج اختلافا في دلالتها ومعانيها فالاختلاف في بنية الفعل وبناءه يترتّب عليه اختلاف في المعنى كما يحدث ذلك في بناء الفعل للمجهول والمعلوم« ما تسمى بقرينة مبنى الصيغة من القرائن اللفظية حسب تصنيف تمّام حسان:«يطلق مصطلح الصيغة على الوحدة المقيدة التي لها دلالات قواعدية أي إنها مصرّف مقيّد ومن استخدامات الصيغة التصريفية دلالتها على

---

١. ابن جني: *الخصائص*،تحقيق علي النجار، ج ٢،القاهرة، ط٢، ١٩٨٠ م،ص ١٥٥.

الفعل من حيث كونه ماضيا أو مضارعا أو أمرا وكونه مبنيا للمعلوم أو للمجهول وكذا دلالتها على المشتقات وتمييزها إسم الفاعل وإسم المفعول والصفة المشبهة .... [1] » كما في هذه الآيات:

﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ نبأ/ ٣٨. وجيء بالنبيين والصديقين.

ففي الأولى اقتدار وقوة وتفخيم وفي الثانية احترام وتكريم وتقدير للأنبياء والصديقين وزد على ذلك تعدية الفعل جاء بالباء حيث هذه الزيادة غيّرت معنى الفعل من اللازم إلى المتعدي أيضا وأما النقطة المشتركة فهي تقدسها ومكانتها الرفيعة التي رأى الله أن يختار فعل جاء ومشتقاتها لتجسيد ذلك الشرف وتلك الرفعة والقدسية فالبناء للمجهول زاد على القدسية والشرف ما يدل على الاحترام.

٢- ١- ٣- ١- ٣- اللواحق (suffixes)

هي التي تلحق بآخر البناء وتضاف إلى نهاية الجذور لتغيير وظائفها أو معانيها الأصلية كعلامات التثنية والجمع(لاحقة الألف والنون والواو والنون والف والتاء)

٢- ١- ٣- ١- ٣-١- علامة الإفراد والجمع

وقد يتجسد هذا الأمرفي اللواحق: الألف والنون والياء والنون(في المثنى والجمع). فلا يخفى على أحد إن هذه اللواحق حينما تلتصق بالكلمة توحي بمعان التثنية والجمع في التصريف لكن يمكن رصد بعض الانزياحات والعدول عن تلك المعاني إلى معان دلالية ومعنوية أخرى.

كما في هذه الآية: ﴿ثُمّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَينا طائِعِينَ﴾. فصلت / ١١.

لم يقل طائعتين وبذلك أراد أن يبين أن طاعته تشمل جميع ما في السموات والأرض حيث هذا التغيير في نسبة الجمع بدلا عن الإفراد أدى إلى تغيير دلالي فالمقصود من السماء والأرض أي أهل السماء والأرض وجميع ما فيهما فبذلك تحوّل الخطاب من الغير العاقل إلى العاقل.

وكذلك في الآية: ﴿ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ق/ ٢٤.

جاءت بنية الفعل ألقيا لخطاب مالك خازن النار وكأن الخطاب موجّه لإثنين وهو في حقيقته موجه لواحد فكأنه أراد

---

١. محمد محمد يونس علي: *المعنى وظلال المعنى*، ص ٣٤٠.

بقوله: إلق إلق قاصدا التوكيد بتثنية الفاعل عن تثنية الفعل وتكراره وفي المقابل يتحول معنى المفرد إلى الجمع كما في الآية التالية:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَينِ يَنْقَلِبْ إِلَيكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِير﴾ الملك/ ٤.

٢-٢- التغيير في التركيب

إن ما تطرق إليه البحث كان على صعيد الصياتات والمصرفات لكن حان الأمر أن يتطرق البحث إلى صعيد التراكيب وكيفية الترتيب في التراكيب ومن ثّم الاختلاف في الدلالات والمعاني.

فبما أن الشكلانيين يولون اهتماما خاصا بالأسلوبية وأن الأسلوبية شديدة العلاقة بالتركيب وبما أنّ التركيب شديد الارتباط بالوحدات اللغوية والعناصر اللغوية بعضها مع بعض فإنّ أبسط تغيير في موقع الكلمات وتموضعها من حيث التقديم والتأخير يؤدي إلى دلالات ومعان أخرى وهذا ما سيقودنا إلى المعاني النحوية ومن ثم نظرية النظم لعبدالقاهر الجرجاني« لأن المعاني النحوية هي جزء من المعاني العامة للأساليب: ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو فنظم الألفاظ في حقيقة أمره ليس إلا نظما للمعاني فالنظم الظاهر يرجع إلى قصد نظم غيرالظاهر.[١]»

وهذا شديد الصلة بقصدالمتكلم الذي ينتج النص اللغوي فلم يكن الترتيب إذن إلا سبيلا للتصور ومعينا على الإفهام إذ أن تأليف الألفاظ راجع حتما إلى تأليف الدلالات النحوية الذي يشكل صورة واقعية لتأليف المعاني في النفس فالنظم لايضم الإمكانات التي تنتجها العلاقات النحوية المختلفة فحسب بل يضم إمكانات أسلوبية تختلف وتتعدد باختلاف وتعددالمقامات والأحوال ودلالات الأساليب العامة أي هناك جانبين نفسي ولغوي فنظرية النظم هي مجموعة من تفاعلات متواصلة للدلالات المتشابكة بدءا من دلالات الألفاظ فدلالات العلاقات النحوية فدلالات الأغراض والمقامات والأحوال[٢]»

إن هذا البحث ما يمكن معالجته تحت عنوان النسبة الناقصة والنسبة التامة

٢-٢-١- النسبة الناقصة

وأما النسبة الناقصة فتتبلور في النعت والمنعوت والمضاف والمضاف إليه وفي الأولى يحذف الموصوف كثيرا ما ويستخلفه النعت الذي قد يشترك في موصوفات عدة وقد يتغير مفهوم التركيب من الحقبقة إلى المجاز كما تتأثر الإضافة بالزمان والدلالة على

---

١ . حسن البحيرى: *دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة* ، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٥.

٢ . *المصدر نفسه*: صص ٢٠١-٢٠٩.

المجاز أو الحقيقة أو الدلالة على القطع أو الاحتمال.

إن التركيب الإضافي الذي يكون المضاف فيه اسم الفاعل يدخل عنصر الزمان فيه بقوة فيحدّ معناه بزمن واحد أو ثلاثة أزمان:

﴿قلْ أَغَيرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَليا فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أنعام / ١٤. أو ﴿ إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى يخْرِجُ الْحَي مِنَ الْمَيتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيتِ مِنَ الْحَي ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أو: ﴿فالِقُ الْإِصْباحِ ﴾ أنعام /٩٥-٩٦.

حيث الدلالة الزمنية في التركيب الإضافي فاطر السموات وفالق الحي وفالق الإصباح تكون على الماضي والمضارع والمستقبل.

وأما التركيب الإضافي البياني يخرج الدلالة من القطعية إلى الشك والاحتمال ك: اشتريت قدح ماء واشتريت قدحا ماء ففي الأولى لانعلم هل اشترى قدحا للماء أو قدحا من الماء لكن في الثاني الدلالة قطعية وهي قدحا من الماء.

وأما في النسبة الناقصة الوصفية كما قلنا أن المنعوت يحذف بسبب العلاقة التجاورية كما في نعوت السيف حيث الصارم والمهنّد والمشرفيّ واليمانيّ هي نعوت لمنعوت محذوف وهذا ما يمكن ملاحظته في نعوت: الآخرة والأولى في الآيات القرآنية :

﴿ وللْآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى ﴾ والضحى/ ٤.حيث النعت أغنى عن المنعوت بسبب علاقة التجاور أي الحياة الأولى والحياة الآخرة.

لكن ثمة تراكيب وصفية لا يمكن إرجاعها إلى منعوتها إلا بحكم العلاقة التجاورية كهذه الشواهد القرآنية:

﴿ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر/٢٧. ﴿ و نَزَعَ يدَهُ فَإِذا هِي بَيضاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ أعراف/ ١٠٨. ﴿ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يتَبَينَ لَكُمُ الْخَيطُ الْأَبْيضُ مِنَ الْخَيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ بقرة/١٨٧.

ففي الأولى تعني البيض بمعنى الثلج الأبيض وفي الثانية اللون الأبيض وفي الأخيرة، بداية الصبح. لكن حينما تكون التراكيب الوصفية مجازية فتظهر دلالته الخاصة المتسعة:

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيةٍ ﴾الحاقة/ ٢١. حيث يكون الرضى مزدوجا من العيشة نفسها والعيشة أيضا راضية.

٢-٢-٢- النسبة التامة

وأما عن النسبة التامة فالمقصود منها كل عنصر متكوّن من كلمة أو كلمتين له أكثر من معنى يكون للفاعل أو المفعول أو حروف الجر فيه أثر في المعنى وهذا ما يمكن ملاحظته في التقديم والتأخير.

فاستنادا على تلك المرتكزات العريقة خاصة معاني النحو و(نظرية النظم) في التراث العربي الاسلامي يرى الشكلانيون المعاصرون أن هذا الشكل والترتيب هو الذي يمنح العبارة والصورة اللغوية بعدالتغيير في ترتيبها معنى آخر.

بتعبير آخر التركيز على عنصرين يتحكمان في تكوين الأبنية هما الاختيار والتأليف فعنصر الاختيار يختص بالمستوى المعجمي أي اختيار ألفاظ من المعجم اللغوي لأداء دلالات بعينها سبق تصورها في النفس وعنصر التأليف الذي يختص بالمستوى النحوي بمفهومه الواسع أي التأليف.

فتركيزا على تلك المبدئين والعنصرين(الأختيار والتأليف) إن أول وجه من وجوه تلك النظرية (النظم)الذي يواجهنا هو التقديم والتأخير الذي اقحمها عبدالقاهر الجرجاني في صلب عميلة التواصل أي التركيز على طرفي الخطاب: المتكلم الذي يقصد ببنية نحوية معينة، دلالة محددة والمخاطب الذي يجب أن يدرك تلك الدلالة مباشرة لأنها تتعلق بظاهر الكلام.

إن المتكلم إذا أراد أن يركّز على معنى في كلامه دون آخر فيأتي بمؤشرات بارزة منها التقديم والتأخير -الذي يعد في علم النحو نوعا من الاتساع الدلالي والخروج على القوالب والقواعد اللغوية - أي توجيه السامع وتنبيهه إلى بؤرة الخطاب والتأكيد على الخبر وتحقيقه له كما يرى عبدالقاهر الجرجاني بقوله: « تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له.[1] »

كما في هذه الآية الشريفة: ﴿ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يفْلِحُ الْكافِرُونَ ﴾المؤمنون/ ١١٧. فقد تقدم الضميرالمبهم(إنه) حيث ذكر لينبّه السامع إلى عظم شأن الكلام المذكور بعده والتأكيد على الخبر بأن الكافرين لا يفلحون.

وكذلك:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ... ﴾ حج/ ٦٥.

فبتقديم الجار والمجرور لكم على ما في الأرض تبيّن أن مدار الاهتمام في الآية هو الإنسان وأنّ جميع المخلوقات هي في خدمة الإنسان.

وأيضا في هذه الآية:

﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ المنافقون/ ٩-١١.

فقد قدّم الأموال على الأولاد وذلك لأن المال هو أعز وأهم عند الأنسان من أولاده فقد يكد ويشقى الإنسان في تحصيل

---

١ . *المصدر نفسه*، ص ٢٣٩-٢٤٠.

المال ويبذل أقصى جهده و مساعيه لكن لا يفعل ذلك بالنسبة لأولاده فربما ينساهم مفضلا تحصيل المال عليهم. والشيء الذي يجدر الإشارة إليه هو أن التقديم والتأخير فضلا عما قيل فيه حتى الآن في الكتب البلاغية من الأغراض يمكن أن يكون عامله نفسيا بمثل هذه الآية الشريفة فقدّم الله سبحانه وتعالى الأموال لأجل تجسيد الشخصية البشرية التي تفكر بالأموال وتهتم بها أكثر من الأولاد.

إذن، يمكن تصنيف أغراض التقديم تحت غرضين أساسيين هما الغرض العام وهو الاهتمام بالمقدَّم كما ذكر البحث بعض الآيات والغرض الخاص كإرادة التخصيص فالمثال على ذلك هو القصر والقصر هو تخصيص شيء بطريق مخصوص ويعني ذلك جعل الشيء خاصا بشيء أو جعل شيء مقصورا على شيء بحيث لايتعداه إلى غيره كهذه الآية الشريفة:

﴿ إِنَّما وَلِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهم راكِعُونَ ﴾ مائدة/٥٥.

حيث اقتصرت الولاية بتقديم وليكم في الآية المباركة عبر أداة القصر(إنما) التي تفيدالحصر على الله والرسول والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون(علي بن أبي طالب) وهذا النوع من التقديم فضلا عن توجيه السامع هو نوع من التأكيد على الخبر وتحقيقه.

أو الاختصاص:

والاختصاص هو تخصيص حكم علق بضمير ما تأخر عنه من اسم ظاهر معرّف والغرض الأساسي من الاختصاص هو توضيح الضمير المتقدم وتبيينه وتخليصه من غيره: ﴿ إِلَينَا الْمَصِيرُ﴾ ق/ ٤٣. فقد قدّم الظرف ليفيد اختصاص أمر المصير إليه فحسب فإذا كانت الآية المصير إلينا فكان معناها أن المصير إليه ويكون للآخرين أيضا.

فقد يكون التخصيص في تقديم المفعول على الفعل وليس في تقديم حروف الجر والظرف كما: ﴿ بلِ اللَّـهَ فَاعْبُدْ﴾ الزمر/ ٦٦. فالله تعالى وحده مختص بالعبادة دون غيره ونظيرها: ﴿ إياكَ نَعْبُدُ وَإِياكَ نَسْتَعِينُ ﴾ حمد/٥.

وقد يكون التقديم لتخصيص المسند بالمسند إليه كقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِى دِينِ﴾ الكافرون/٦.

فقدكان هذا التقديم في لكم أشد وأوقع في النفس من قولنا دينكم لكم وديني لي حيث يبين هذا التقديم مدى وجود الفاصلة والفجوة وشدة التباين والتقابل بين المعتقدين.

إن من مثل هذه البحوث ستقودنا إلى مباحث في النبر لأن في النبر ما يمكن استشفاف نوعا من التأكيد على مقطع أو كلمة في التركيب حسب قصد المتكلم أي رصد الوظيفة الانفعالية والتأثيرية فالمتكلم عندما يضغط على كلمة ليس قصده إلا التأكيد على أهميتها وعلى دلالتها المعينة.

فالنبر يصنف في مجال الفونيمات ويعد من العناصر الشبه لغوية الذي له أهمية بارزة على صعيد الوظيفة الدلالية

وكذلك الوظيفة التمييزية «لأنه فونيم يفرق بين المعاني والصوت.[1]» وذلك «بالوضوح النسبي لصوت أو مقطع وإعطاءه مزيد من الضغط والعلو إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع.[2]» وكما قلنا يحدث ذلك تبعا لغرض المتكلم وقصده كما نلاحظه في كثيرا في الآيات القرآنية: ﴿ وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ الأنبياء/ ٥٧.

حيث يمكن استيحاء الشدة والقوة والضغط على تاءالقسم واللام المؤكدة ونون المؤكدة في إيصال دلالة التأكيد على قصدالمتكلم.

وكذلك : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾أنعام/ ٩١. حيث التأكيد على قل ثم الله لإفادة القصد بترك ما سوى الله.

٢-٣- التغيير في الأسلوب

هذا كان على صعيد التغيير في الصياتات والمصرّفات والتركيب لكن لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل شمل التغيرات في الأسلوب أيضا.

استنادا إلى نظرية النظم -الذي لا تنفصل عن مفهوم الأسلوب بتأثير غرض المتكلم في ترتيب وتوالي الألفاظ حيث «توالي الألفاظ في النطق لا يصنع نسقا أبدا وإنما يصنعه قصد المبدع بتكوينه الأسلوب.[3]»- وبما أن مدار البحث هو الخطاب الشكلاني الذي يعني أشد العناية ببيان خصائص الأسلوب ولأنّ هذا الأخير ما يعني:«التأليف الخاص للغة والتنظيم الدال للعناصر اللسانية التي تمنح الخطاب لغته البعيدة عن اللغة المألوفة المعتادة وتحويله إلى نوع من العنف الألسني وطقم من الانحراف عن المعيار الباعث على الإدهاش والتغريب والتأثير.[4]» عالج البحث، التغيير في الأسلوب والخطاب القرآني الذي تمثّل في تغيرات أسلوب الخطاب كما تسمّيها الشكلانية البنيوية ظاهرة الانزياح والعدول.

لذلك أختار البحث ظاهرة العدول والانزياح الأسلوبي أو كما يسمّونها القدامى مخالفة مقتضى الظاهر في بعض من الآيات خاصة ظاهرة العدول عن ضمير الغائب إلى المتكلم وتغيير أسلوب الخطاب من الخطاب المباشر إلى خطاب غير مباشر

---

١. خالد عبدالحليم العبسي: *النبر فى العربية*، ط١، إربد لبنان، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م، ص ٣٤.

٢. المصدرنفسه:ص ٣٤.

٣ حسن البحيري: *أسس علم النص*،ص ٢٢٢.

٤. وليد القصاب: *مناهج النقد الأدبي الحديث*، مشق، دارالفكر،ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧.

ما يسمى بأسلوب الالتفات «لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب آخر كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.[1]» حيث ينزع المتكلم إلى كسر روتين الخطاب بإحداث تغيير مقصود من صيغة التكلم إلى صيغة الغائب أو بالعكس. فالتغيير في نمط الخطاب هو الذي سيؤدي إلى تغيير في المعنى كما نلاحظ:

﴿ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/ ٦٥ تحوّل لِيَتَمَتَّعُوا إلى فَتَمَتَّعُوا في الآية التالية : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الروم/ ٣٣-٣٤. إذ يترتب على هذا التغيير في الأسلوب، التغيير في المعنى:

﴿ فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُوا بِما آتَيناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يعْلَمُونَ﴾ العنكبوت : ٦٥-٦٦ ﴿وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَــةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْبِرَبِّهِمْ يشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِما آتَيناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٤-٣٣.

فنلاحظ تضافر أسلوب الخطاب مع دخول السابقة الياء المضارعة على الفعل (لِيَتَمَتَّعُوا) ثم حذفها وتحويل الخطاب من الغائب إلى الأمر في (فَتَمَتَّعُوا) ما يترتب على هذه التغيرات من دلالات ومعان.

ففي سورة الروم يتحوّل الخطاب من الغائب إلى خطاب التهديد للمخاطب فبالتالي تتغير الصيغة من الغائب إلى المخاطب ومن ثم يتغير المعنى لأن الذي لا يشكر النعمة بعد إسدائها له، أحقّ بالتهديد من غيره وكلّما كانت النعمة أكبر كان أحق بالتهديد حيث ورد في سورة الروم كلمة الضُرّ وهي تعني الضرر ولم يذكرها في سورة العنكبوت على أساس أنه أذاقهم رحمة وإنّما هي نجاة إلى البّر من غير ضُرّ أصابهم. إذن المذكورون في سورة الروم أحق بالتهديد بالنسبة إلى سورة العنكبوت لأنّهم أصابهم ضُرّ وأنّه أذاقهم منه رحمة لذلك التفت إلى تهديدهم مباشرة.

إن إثارة انتباه المتلقي بالخروج على سياق الكلام في الآية أعلاها(الالتفات)قد أسهم في عملية التواصل والتأثير الكبير على المتلقي و قد «يحدث هذا الاتصال والتأثير، عندما يتشكل في النص إجراء أسلوبي غير منتظر أو مقابلات دلالية تكون هذه العناصر هي الأكثر بروزا عبر سياقات النص مما يهييء للقارىء الالتفات إليها فكلما حدثت مثل هذه الأشياء يكون التأثير أكبر فليس شرطا أن تكون هذه الإجراءات والأساليب قائمة على التناسب وإنما تكون على التقابل والتضاد حيث تثير وعي المتلقي .[2]» كما رأينا في التقابل الدلالي بين﴿ رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ و ﴿الْبَرِّ﴾ وبين ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ و ﴿ إِذا هُمْ

---

١. نادية رمضان النجار: *الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي*، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣.ص ٢٠٩.
٢ موسى ربابعة : جماليات الأسلوب والتلقي الاردن، دارجرير، ط١، ٢٠١١م، ص ١٨٣.

يشْرِكُونَ﴾ وفي سورة الروم بين ﴿مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ و﴿ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيهِ﴾ و بين﴿ بِرَبِّهِمْ يشْرِكُونَ﴾

وكذلك في الآيتين التاليتين:

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِياهُمْ ﴾ الأنعام / ١٥١. ﴿وَ لاتَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِياكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ الإسراء / ٣١.

حيث يتبدل الخطاب في سورة الأنعام من الخطاب المباشر(نرزقكم) إلى خطاب غير مباشر وإلى الغياب(وَإِياهُمْ) ثم في سورة الإسراء إلى الغياب(نَرْزُقُهُمْ) ثم إلى مباشر(إِياكُمْ) لأن الخطاب في سورة(الأنعام) كان مع قوم فقراء يهمهم رزقهم أولا ثم رزق أولادهم ثانيا وفي (الأسراء) كان الخطاب مع غير فقراء لكنهم يخشون وقوع الفقر في المستقيل فتجوع أولادهم وقد صرّحت الآية بكلمة خشية إملاق على ذلك فرزق أولادهم كان أهم عندهم لأنهم حاصلون على رزقهم.

هذا من حيث التحويل في الخطاب من الحضور إلى الغياب ثم من الغياب إلى الحضور.فضلا عن التقابل الدلالي بين ضمائر الغياب والحضور بين كم وإياهم وإحداث التأثير.

إن مثل هذه الجماليات الأسلوبية في تناوب الخطاب من الغياب إلى الحضور فضلا عن إحداثها التأثير والتواصل لها جماليات في المعنى أيضا ولها إيحاءات دلالية كما رأينا.

والكثير الكثير من الشواهدالقرآنية التي يمكن رصدها في خطابات القرآن الكريم يرجى مراجعتها والتزود بجمال أسلوبها والغور في معناها.

إن ما يلفت انتباههنا في أسلوب الخطابات القرآنية هو أسلوب التغييب أي توظيف الضمير الغائب خاصة ضمير هو فكما قيل سابقا إن التنويع في توظيف الضمائر خاصة في الخطاب القرآني مرورا بالضمير المتكلم إفرادا أو جمعا وانتهاء بالضمير الغائب هو؛ ما ينبىء عن دلالات وإيحاءات.

فبناء على ذلك؛ إن توظيف الضمير هو في القرآن الكريم له دلالة التعظيم والتفخيم:«فالقصد بالإبهام هو تعظيم الأمر وتفخيم الشأن.[1]»

مثلما في هذه الآيات:

---

١. سعيد حسن بحيري: *دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة*، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٢٧.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ * هُوَاللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَاللَّهِ عَمَّا يشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَـهُ الْأَسْـماءُ الْحُسْنى * يسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ﴾ الحشر/٢١-٢٤.

وكذلك في سورة التوحيد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

«إنّ الضمير الغيبة الواقع في أوّل الأيات عائد إلى ذات الجلالة(الله)وكان مقتضى الظاهر الاقتصار على الضمير دون ذكر اسم الجلالة لأنّ المقصود الإخبار عن الضمير ب الذي لا اله الا هو وبما بعد ذلك من الصفات العلية فالجمع بين الضمير وما يساوي معاده اعتبار بأنّ اسم الجلالة يجمع صفات الكمال لأنّ أصله الإله ومدلول الإله يقتضي جميع صفات الكمال. وقد تكرر القول في ضمير هو لأنّ المقام مقام تعظيم وهو من مقامات التكرير وفيه اهتمام بصفة الوحدانية.[1]» فتكرار هو في الحقيقة «تكرار لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد.[2]»

والسر في التغييب وتصدير الآيات أعلاها وسورة التوحيد بالضمير هو؛ التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيها من زيادة التحقيق والتقدير فإن الضمير لا يفهم منه أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل كما يرى الرضي:«القصد بالابهام ثم التفسير تعظيم الأمر وتفخيم الشأن فعلى هذا لابدّ أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئا عظيما يعتنى به.[3]»

فبهذا التفخيم والتعظيم يبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه وهذا يجعل النص القرآني أكثر قدرة على التأثير العقلي والوجداني معا في المتلقي

إذن الضمير هو في الحقيقة تنبيه وإثارة للمتلقي وهذا يتفق مع الوظيفة الانتباهية المقصود منها في اللغة وادخال عامل القصد من جانب المرسل سبحانه وتعالى في الآية أعلاها في توجيه وشدّ انتباه المخاطب كما بيّناها في وظائف اللغة عند راي جاكبسون وهي الوظيفة الانتباهية حيث عمد المرسل إلى الإبهام ثمّ توضيحه.

ففلسفة التغييب لاتقتصر على التفخيم والتعظيم ولاتقتصر على الضمير هو فحسب بل تتناول الضمائر الغائب أيضا فحينما يعمد الله سبحانه وتعالى إلى توظيف ضمير الغيبة للجمع المذكر على سبيل المثال وبناء على الوظيفة الانتباهية والتاثيرية المتوخاة في هذه الآية الشريفة: ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ

---

١. ابن عاشور، جزء ٢٨، ص ١٠٦.

٢. ابو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* ، مج ١٥، الجزء السابع والعشرون، لبنان ،دارالفكر، ١٩٩٧م، ص ٩٠.

٣. المصدرنفسه:ص٤٨٤.

الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ زمر / ٥٣.

فبالعدول من الغيبة إلى الخطاب ليس المقصود الانتقاص من شأنهم وترك أمرهم بل العكس ما يدل الغيبة على تكريمهم ومراعاة مشاعرهم وطمأنتهم فقد غيّبهم الله عن دائرة خطابه تكريما وخاطبهم تشريفا وهوّن عليهم أمرهم باختتام الآية بالغيبة ثانية والتأكيد على مغفرتهم: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

جدير بالذكر أن توظيف ضمائر الغيبة قد تكون لعدم الاهتمام بالمخاطب أيضا وذلك ما يحدث عندالآيات التي تتحدث عن الكافرين كأن الله سبحانه وتعالى بتوظيف الخطاب(الغيبة) أراد تغييبهم والانتقاص من قدرهم وإبراز عدم المبالاة بهم ففي الحقيقة إن التغيير في الأسلوب و نوع الخطاب (المباشر والغير مباشر)فيه رسالة قوية وإيحاءات دلالية تؤثر في متلقيها بقوة.

كما في هذه الآية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافلون * أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يكْسِبُونَ﴾ يونس/ ٧-٨.

فنلاحظ توظيف وتتابع ضمائر الغيبة في وصف الكفار بإيراد أفعال الغيبة المضارع منها والماضي (لا يرْجُونَ رَضُوا اطْمَأَنُّوا كانُوا يكْسِبُونَ) والأسماء(مَأْواهُمُ) فقد تكثفت الضمائر في دلالة قوية على عدم المبالاة بهم واستخفافهم من قبل الله سبحانه وتعالى.

٢- ٤- العلاقات النصية

بما أنّ ميدان البحث هو الخطاب القرآني وبما أنّ الخطاب هو متكوّن من النصوص والنص متكوّن من متتالية من الجمل استدعى كل ذلك القيام بدراسة العلاقات النصية بين الجملة الواحدة أو المتعددة استجلاء لبنية الخطاب الشامل أي البنية الكبرى أي وحدة الموضوع التي تصب العلاقات للنصية في روافدها ومن ثم تحقيق الغاية التواصلية.

إنّ هذه العلاقات تسعى إلى الكشف عن الأبنية السطحية ومن ثم العميقة للنصوص من خلال البحث في علاقات الترابط والتماسك ضمن ثلاثية النص/ السياق/ التداول.

فالبحث لايعتمد على التحليل الداخلي والكشف عن العلاقات الداخلية فحسب بل يتعداها إلى العلاقات الخارجية ومن ثم يبرز دور السياق ووظيفته في تفسير النص غير متمسكا بالوصف الشكلاني والقيمة الشكلانية للبحوث فحسب بل حاول ربط الشكل بالمفهوم التداولي أيضا انطلاقا من المبدأ الذي تمسك به البحث، بأنّ بنية الخطاب هي الأعم والأشمل من النص

مستوعبة إياه؛ لذك عالج تلك العلاقات محاولا ربطها بالمفهوم البرغماتي والتداولي.

تركيزا على تعريف النص بأنّه متتابعة من الجمل الذي لها بداية ونهاية أو كما عرفناه في الفصل الأول بأنّه كلية لغوية مبنية متماسكة ومتجانسة ومتعاضدة وظيفيا ألزم البحث على نفسه التطرق إلى التماسك والانسجام الذي يربط أجزاء الجملة في كل أكبر يسمى النص بوصفه «سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليا يحمل رسالة.[1]»

في الحقيقة إن وجود هذه العلاقات هي التي جعلت منها نصا فكما يمثّل الحرف نواة الكلمة والكلمة نواة الجملة فكذلك الجملة تمثل النص والنصوص تمثل نواة الخطاب.

وفي هذا الفصل، أراد البحث التطرق إلى جماليات النص وتحليل الخطاب القرآني على صعيدالعلاقات النصية المتمثلة في العلاقات الاستبدالية والمجاورة والتماسك أي العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة الواحدة ثم بين الكلمات داخل عدة جمل لأن هذاالنمط من الأبحاث(العلاقات النصية) لايكتفي بالجملة في التحليل اللغوي وإن كانت نواة النص لكنها ليست البنية الكبرى.

إن هذا التماسك والانسجام يتجلّى في الخطاب القرآني بقوة حيث نظر المفسرون إلى النص القرآني كالكلمة الواحدة، كله أخذا بعضه بيد بعض فأكدوا التماسك الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ومن ثم التماسك الذي يعتبره صلاح فضل خاصية «دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى.[2]»

إنّ دراسة الكلمات في حد ذاتها لا تمثل بناء لغويا بل الذي يمثل بناء اللغة أو نظامها هو العلاقات بين الكلمات التي تشكّل الأنساق الصغرى ومن ثمّ تكوين نسقا أكبر هو النص؛ وذلك يكون بالربط بين الوحدات اللغوية المفردة داخل نسق هو الجملة الكاملة المفيدة أو مجموعة من الجمل تمثل الأنساق الصغرى وتكوّن في اتحادهما نسقا أكبر هو النص وهذا ما يسمّى بالنظام اللغوي وهذه العلاقات التي تقوم بين الكلمات لتشكيل الانساق الصغرى أو الكبرى نوعان: سياقية وإيحائية.

فلنتطرق إلى العلاقات السياقية باعتبارها مدخلا للتحليل وأساسا أوليا له. أو كما تسمى بالعلاقات الأفقية والخطية.[3] «وقدسمّاه دوسوسور من قبل، العلاقات السياقية (syntagmatic) وسمّاه جاكبسون العلاقات المجاورة.[4]» وهي العلاقات الجملية المسؤولة عن ترابط الجملة النصية الواحدة في داخلها «حيث تكتسب الكلمة عند دخولها في التركيب قيمتها من

---

١. حامدابوزيد: *النص والسلطة والحقيقة*، المغرب، دارالبيضاء المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٠م،ص ١٥٠.

٢. صالح ملا عزيز: جمالية الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، ص ٢٥٥.

٣. رضوان احمد عزت يونس: *العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم* ،القاهرة ، دار الآفاق العربية ،ط١، ٢٠١٤م، ص ٨.

٤. وليد القصاب: *مناهج النقد الأدبي الحديث*، مشق، دارالفكر،ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧.

مقابلتها بما يسبقها أو يلحقها من كلمات فهي علاقات تقوم بين الكلمات في تسلسلها وتتابع بعضها إثر بعض بحيث تتآلف في سلسلة الكلام.[1]»

إنّ ما يمكن إيراده من أمثلة قرآنيه هذه الآيه الشريفة: ﴿ وَ فإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ يونس / ١٢.حيث اقترن في هذه الآية المس بالضّر في علاقة سياقية تجاورية وكذلك اقترن الكشف بالضرّ كما أن التقابلات تظهر إثر العلاقات التجاورية ما سماه نوام تشومسكي بالنحو المحدد الذي له مراحل نحو: فأذا واجهنا الضر في القرآن فنرى دون شك فعل مسّ مقترنا به وإذا واجهنا الضر رافقه كلمة النفع متلازمة إياها.

وأيضا في هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ يصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يبْغُونَها عِوَجاً﴾ هود/ ١٩. حيث اقترن الصد في الآيات القرآنيه ب(سبيل الله). فنلاحظ دوما أن تلك الكلمات تشكل علاقة تآلفية وتجاورية معا في الخطاب القرآني.

في الحقيقة، إن لهذه العلاقات «طبيعة خطية أفقية تظهر في مستوى تتابع الكلمات والجمل المسؤلة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص.[2]» «أي المكونات السطحية التي تمثل علامات لغوية تربطها علاقات نحوية لتشكيل المعنى.[3]» كعلامات العطف والوصل والفصل وأسماءالإشارة وغيرها.

جدير بالذكر أنّ هذه العلاقات الأفقية هي التي دعا هاريس(Hariss) إلى دراستها من قبل؛ فبفضله أصبحت دراسة هذه العلاقات النصية جوهرا لنظرية علم اللغة النصي وحان الرفض لما يراه البعض بأنّ: «الوحدة اللغوية لا تعرف إلاّ بغيرها من الوحدات بل يجب أن نقول إنّها مكوّنة من مجموعة علاقاتها بباقي الوحدات[4].»أي التركيز على العلاقات فيما بين الوحدات.

وفي هذا الشأن يحاول البحث أن يركّز على البعد التداولي للخطاب في معالجته للعلاقات النصية آخذا برأي فان دايك(van DiJk) في أهمية النص بوصفه التسجيل الحرفي للحدث التواصلي أي(الخطاب)الذي هو نواة بحثنا وموضوع رسالتنا وكذلك دور السياق وقد رأى في هذا الجانب أن:« قواعد النظرية النصية تشتغل في مستويين: البنية الصغرى والبنية الكبرى حيث قواعد البنية الصغرى تشتغل على مستوى الجملة أما قواعد البنية الكبرى فتشتغل في الجانب الموضوعي كاشفا

---

١. المصدر نفسه، ص ١٢٧.

٢. نعمان بوقرة: *لسانيات الخطاب* ،بيروت، دارالكتب العلمية، ط١، ٢٠١٢،ص ٥٨.

٣. المصدرنفسه: ص ٥٦.

٤. الدكتور رضوان احمد عزت يونس: *العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم* ، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠١٤م،ص ٧٦.

التعالق بين البنية السطحية والبنية العميقة معتقدا أن الاختلافات الدلالية الصغرى هي التي تحدث التغيرات الأسلوبية ذلك أن أي حذف أو ضم أو إبدال يغير بنية الجمل العميقة الدلالية الكلية حتى في المستوى المعجمي مشددا على كون الترابط في البنية السطحية(الترابط بين أجزاء النص) هو وليدالبنية العميقة (التماسك ووحدة الموضوع).[1]»

قلنا سابقا أنّ هذه العلاقات تعتمد على الطبيعة الخطية للغة لأنّها مرتبطة بعضها ببعض مرتبة بصورة متعاقبة في التركيب وسلسلة الكلام. وبما أن التركيب قطاع من النحو ويقوم على أساس النحو اذن تلك الروابط النصية هي علاقات نحوية بامتياز ما تسمى في علم النحو « بعلاقة النسبة والإسناد حيث تكوّن الأساس الذي تبنى عليه الجمل وهذا ماأكّده علماء النص المحدثون فأطلقوا الموضوع المسند اليه(topic) على المعلومة المذكورة سلفا في النص أما المحمول(المسند) أو الخبر (predicaie)) فهو المعلومة الجديدة في النص فمن الممكن أن يأتي المسند إليه في الجملة الأولى ثمّ تأتي المسندات المتعددة في الجمل التالية للجملة الأولى.[2]»

كما نرى هذه الظاهرة الإسنادية في القرآن الكريم كثيرة جدا خاصة عند حديث القرآن عن الأفعال المسندة إلى ذات الله تبارك وتعالى فالمسندإليه حينئذ واحد وهو الله تعالى والمسند هو الأفعال الموجودة في بقية النص كثرت أو قلّت على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ ﴿ قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾ ﴿ ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ ﴿ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾» الكهف / ١-٥.

إن هذه العلاقات السياقية تفيد الترتيب والذكر أيضا كما هي الحال في حرف العطف(ثم) مثلما نراه في هذه الآية الشريفة:

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ غافر / ٦٧.

أو تكون هذه العلاقات كربط خطي يقوم على الجمع بين المعاني كما هي في حرف العطف الواو في قوله تعالى:

---

١. نبيل أيوب: *النقد النصي وتحليل الخطاب* ٢، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠١١م، ص ١٥٩.

٢. صبحي ابراهيم الفقي: *علم اللغة النصي ،الجزء الأول* القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٧٢.

﴿ وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هود / ٤٤.

فقدربطت الواو بين الأرض والسماء والماء وقضاء الأمر وبين معان قد تبدو متناثرة لكنها جمعتها في سلك واحد منسجمة مترابطة.

وأما النوع الثاني من العلاقات حسب تقسيمات دوسوسور هي العلاقات الإيحائية (Associative): «أي لو أخذنا كلمة من الكلمات السياقية المتسلسلة لوجدنا أنها تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خارجة القول ولكنها تشترك معها في علاقة بالذاكرة ومن هنا تتكون مجموعة من الكلمات تقوم بينها علاقات متعددة فكلمة كتابة مثلا تسوق إلى الذهن كلمات كثيرة مثل كاتب وقلم ومكتب وكتاب وورق ومداد وغيرها مما يشترك معها في وجه ما.[1]»

على صعيد الأمثلة القرآنية والعلاقات الإيحائية يمكن إيراد هذه الآية مع التركيز على كلمة الرحمة وما توحيها بقوله تعالى: ﴿ وَ أَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حيث توحي كلمة الرحمة بكشف الضُرّ(المرض) عند أيوب عليه السلام: ﴿ وَ أَيوبَ إِذْنادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ﴾ الأنبياء/ ٨٦-٨٧.

وكذلك توحي بالنجاة والخلاص من القرية التي تعمل الخبائث عند لوط:

﴿وَلُوطاً آتَيناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ﴾ ﴿ وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء /٧٥.

قد نستشف من الآية السابقة أن العمل بالصالحات هو السبب في دخول الرحمة وفي هذه الآية الصبر والصلاح سبب الدخول:

﴿وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّمِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿ وَ أَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿ وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَالظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء/ ٨٥-٨٧.

---

١. وليد القصاب: *مناهج النقد الأدبي الحديث*، دمشق، دارالفكر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧.

استطرادا للبحث أن كلمة الرحمة توحي بوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا حيث وجوده الشريف رحمة للعالمين:

﴿ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ الأنبياء / ١٠٧.

أو توحي القرآن:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾﴿ فِيها يفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ دخان / ٦-١.

أو الوقاية من السيئات:

﴿وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ غافر/ ٩.

أو نزول الغيث بقوله تعالى: ﴿ وَ هُوَ الَّذِي ينَزِّلُ الْغَيثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ ينْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِي الْحَمِيدُ﴾ الشورى/ ٢٨.

٢-٤-١- العلاقات الإئتلافية والاستبدالية

إذا نظرنا من منظور آخر إلى العلاقات السياقية والإيحائية نرى أنّها تتناسب مع العلاقات التركيبية والاستبدالية التي لاحظها دوسوسور في النظام اللغوي حيث يعتقد هو ومن بعده —جاكبسون- أنّ: «معاني العلامات تتغير داخل نظام النص حسب التفاوت بين العلامات وأن المعنى ينشأ من الاختلاف بين الدوال و هذا الاختلاف في رأيه نوعان: تركيبي(يتعلق بالتموقع) واستبدالي(يتعلق بالإبدال).

وكما يرى وليد القصاب:«إنّ هذه العلاقات التركيبية التتابعية هي احتمالات مزج هذا مع هذا فترجع داخل النص إلى دوال أخرى حاضرة فيه في النص.[1]» بتعبير آخر، تكسب قيمتها ومعنيها بتجاورها مع علامات ودوال أخرى متجاورة معها داخل النص: كما في الآيتين: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ ﴾نصر/١. و :﴿ أَتى أَمْرُ اللَّهِ﴾ نحل/١. فجاء وأتى مترادفان من حيث المعنى لكن معناهما مختلف في الآيتين وذلك بحكم التركيب والتجاور مع نصرالله في الأولى ومع أمرالله في الثانية حيث في الأولى تدل على المشقة والصعوبة وفي الثانية على السهولة.

---

١. نبيل أيوب: *النقدالنصي وتحليل الخطاب* ٢ ،بيروت ،مكتبة لبنان، ناشرون ط١، ٢٠١١م، ص ١٤٢.

أما البعض الآخر من العلامات لها علاقة استبدالية والمقصود: «تعويض عنصر في النص بعنصر آخر وقد تكون هذه العلاقة علاقة مبنية على التقابل والاختلاف.[1]»

بتعبير آخر إنّ العلاقات الاستبدالية: «هي تغايرات وظيفية ترجع إلى دوال خارج النص وغائبة عنه ويمنح السيميائيون الدوال المستخدمة صفة الحضور ويطلقون على ما كان من الممكن استخدامه ولم يستخدم "الغيابات "[2].»

إذن ما يحدد قيمة الإشارة اللغوية من منظور هؤلاء السيميايين والألسنيين هو علاقاتها التركيبية والاستبدالية فيكون التمييز بين هذين النوعين أساسيا في تحليلهم.[3]» وإن هناك اختلافا بين هاتين المحورين: المحور الائتلافي والمحور الاستبدالي.حيث يقع المحور الائتلافي على صعيد الأفقي والخطي والاستبدالي على محور العمودي والرأسي لكنّهما متداخلان متشابكان. إذن نحن أمام مصطلحين (cohesion.) (collocation)

«ما يعني مصطلح (collocation) المصاحبات اللغوية بين أجزاء الجملة الواحدة أو أجزاء النص وقد تكون بالتضاد والتقابل إن هذه المصاحبات تشير إلى الطريقة التي يمكن من خلالها انتظام الكلمات معا وإلى القيود المستعملة لبيان كيفية تضام الكلمات معا مثل حروف الجر ومعمولاتها والأفعال مع الأسماء.[4]» أي تآلف الكلمات.

«أما مصطلح (cohesion))فتضمن علاقات المعنى العام لكل طبقات النص والتي تميز النصي من اللانصي ويكون علاقة متبادلة مع المعاني الحقيقية المستقلة للنص مع الآخر ما يسمى التماسك(cohesion) إذن التماسك لا يركز على ماذا يعني النصي بقدر ما يركّز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا.[5]» وهذا ما ذهب إليه هاليداى(Halliday) ورقية حسن فسنتطرق إليه بالتفصيل تحت عنوان العلاقات النصية والتماسك الدلالي.

« إنّ هذه المحاور ما تسمى أيضا بمحاور النص الدلالية فمعظم السيميائين والألسنيين البنيويين يركّزون على هذه ا لمحاور منها المحور الاستبدالي حيث منحه جاكبسون أهمية بالغة معتبرا الوحدات اللسانية مرتبطا بعضها ببعض بمنظومة تقابلات ثنائية وهي تقابلات ضرورية لتوليدالمعنى خاصة علاقات التقابل الاستبدالية.[6]» وقد وصل التشديد والتركيز على التقابل مبلغه عندغريماس حيث أفاد هذا الأخير – من السيميائيين الذين اهتموا كثيرا بالعلاقات الداخلية لدلالات النص –

---

١. محمد الخطابي: *لسانيات الخطاب*، ص ١٢.

٢.المصدرنفسه: ص ١٣.

٣. نبيل أيوب: النقدالنصي وتحليل الخطاب المجلد ٢، ص ١٤٢.

٤. صبحي ابراهيم الفقي: *علم اللغة النصي ،الجزء الأول* القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٣.

٥. صبحي ابراهيم الفقي: المصدرنفسه،ص ٩٥.

٦. نبيل أيوب: النقدالنصي وتحليل الخطاب المجلد ٢،ص ١٦٦.

بأنّ: «تحديد المعنى لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة.[1]» إذن نستشف أن العلاقات الاستبدالية تقوم على علاقة التقابل.

تطرق البحث في تحليله للآيات إلى المحور الاستبدالي والائتلافي معا حيث رأى أنهما متداخلان بعضا مع بعض لايمكن التحليل الكامل من دون الآخر حيث تكون على صعيدالحركات والحروف والكلمة والأفعال والتركيب.

٢- ٤- ١-١- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الحركات:

﴿ وَ أَيوبَ إِذ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أنبياء/ ٨٣. وكذلك: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مائدة / ٧٦.

فنلاحظ أنّ الضرّ في الآية الأولى بمعنى «المرض والفقر والشدة وسوء الحال والهزال[2].»الذي يظهر على الجسم وتكون آثاره بادية على الجسد لذلك عبّر أيوب عليه السلام عن مرضه بالضُّر لأنّ أعراض المرض بدت ظاهرة عليه وقد عاضدته دلالة حرف الضاد الموحية بشيء من البروز والشدة والقساوة والخشونة وكذلك الراء الموحية « بالتحرك والترجيع والتكرار خاصة إذا كانت في نهاية الكلمة ما توحي بنوع من عدم الاستقرار والاضطراب النفسي[3].» فعندالضر يشتد الاضطراب والترجيع في الدعاء والإفصاح والبوح عند الإنسان ما تعاضده في ذلك دلالة حركة الضمّة الدالة على البروز والظهور.[4]» أيضا.

أمّا في الآية الثانية فقد يكون الضَّر بمعنى الخسارة والضرر حيث حركة الفتحة أخفّ من الضمّة عليه. وأما من حيث دلالة التقديم والتأخير حسب تقسيمات الوظيفيين الثلاثة(التقديم الموضوعي،الشخصي والنصي) نلاحظ تقديم أيوبَ على الفعل إذْ نادى رَبَّهُ ما يدخل تحت تصنيف التقديم الموضوعي أي التركيز على أيوب الموضوع(subject) وجعله البؤرة (focus)

وقد يكون جامعا للمعنيين السابقين(الضُرّ والضَرّ)كما في هذه الآية:

﴿ وَ فإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾

يونس / ١٢.

---

١. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*،ص٢٢٩.

٢. ابن منظور: *لسان العرب*: بيروت، دار إحياء التراث العربي، مج ١٣، ط١، ١٩٨٨م،مادة ضرر

٣. احسان عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص ٩٣.

٤. االمصدرنفسه: ص ١٢١.

حيث يمكن اعتبار ضُر في الآية بمعنى الضرر والخسارة وكذلك بمعنى سوء الحال وشدة الفقر والمرض.

تبين أنّ هذه العلاقة الاستبدالية المتمثلة في حركة الضمة والفتحة على كلمة(الضر) والقائمة على علاقة التقابل والاختلاف بين الضرر والنفع والدعاء وعدم الدعاء ومس الضر والكشف عن الضر والقعود والقيام وكذلك التقابل بين الضمائر (أنا وأنت): ﴿ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أنبياء/ ٨٣. كيف منحت النص معنى متفاوتا فضلا عن استشفاف العلاقة الائتلافية(السنتجماتية)في الآية حيث « اقترن الضر بكلمة المس التي تستخدم للمسح المادي بمعنى لمس[1].» وكذلك اقترانها بالكشف مما يعني وجود العلاقة الائتلافية بينهما كما نلاحظ ذلك في هذه الآيات الشريفة:

﴿وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيهِ تَجْئَرُونَ﴾ نحل / ٥٣. ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيهِ قالُوا يا أَيهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف/٨٨.

تبين أن العلاقة الإئتلافية بين المسّ والضّر في كلا الآيتين كيف ساعدت على التساوق والترابط بين وحدات النص وكذلك علاقة التقابل في العلاقات الاستبدالية بين الأسماء والحروف (نِعْمَةٍ /الضُّرّ، لَنَا /عَلَينا)

حيث تفيد الآية الأولى:

﴿ وَ فإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ يونس / ١٢.

إنّ الإنسان عند النعم ينسى ربه كأن لم يدعه إلى ضر مسه لكنّه عند الضر يجأر اليه باستمرار وذلك عبر توظيف الفعل المضارع في تجأرون.

في الحقيقة يكشف لنا أنانية الإنسان أيضا حيث يهمّه كشف ضرّه فحسب فهذا ما استجليناه من كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ وقد انتسب الضر الى الانسان أي ضره فإذا انكشف ضره الذي كان يدعو إليه لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً لايبالي بأن ينكشف ضر الآخرين أم لا. بتعبير آخر إذا انكشف ضرّه لا بأس بضرّ الآخرين وهذه أيضا سمة أخرى في الإنسان وكذلك نستشف التدرّج في الهيئة التي يتخذها هذا الانسان عند الضر في الدعاء حيث يكون على جنبه ثم يشتد به الأمر فيدعو قاعدا حتى يبلغ الضرّ مبلغه فيدعو قائما.

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*: المصدر نفسه: مادة مس.

﴿ وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيهِ تَجْئَرُونَ ﴾نحل / ٥٣ .

فتقديم فَإِلَيهِ على تَجْئَرُون هو أيضا تأكيد وتركيز على هذه السمة في الإنسان في رجوعه إلى الله عند الضرّ فقط. فقد كان هذا التقديم هو التقديم النصي حسب تقسيمات الوظيفيين للمقدَّم كما مرّ ذكره.

وأما في الآية الثانية :﴿ فَلَمَّادَخَلُوا عَلَيهِ قالُوا يا أَيهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف/ ٨٨ .

حيث نرى توظيف دلالة المضارع في الفعل(يجْزِي) الذي دلّ على فعل التجدد والاستمرار من قبل إخوة يوسف حينما أرادوا ترغيب العزيز(يوسف) بالتصدق عليهم وقد نسبوا الجزاء إلى الله بصيغة المضارع دلالة على استمراره وتداومه وعدم انقطاعه على المدعوّ(يوسف) هذا من جانب ومن جانب آخر لا ننسى التقابلات بين لنا وعلينا في أوف لنا الكيل وتصدق علينا أيضا فعلى تومئ إلى القدرة بالجاه والمال.

٢- ٤- ١-٢- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الحروف

إن هذه المصاحبات كانت على صعيد الحركات أما الآن يمكننا رصد هذه العلاقة الاستبدالية على صعيد الحروف في القرآن الكريم أيضا مثلما في هذه الآية الشريفة: ﴿ وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ همزة/ ١. حيث يمكن استبدال الهمزة واللام في هذه الآية المباركة.

في الحقيقة إن توظيف هذه العلاقات ليست غريبة وبعيدة عن اللغة العربية وتراثها فيمكن رصدها (الاستبدالية) في البلاغة العربية ما تسمى بالجناس وقد وظّفت بالفعل في الآية أعلاها حيث كان جناسا لاحقا بين (همزة / لمزة).

فضلا عن وجود العلاقة الاستبدالية التي ساعدت على الانسجام والترابط النصي لا ننسى الدلالة الصوتية وإيحاءها النفسي الذي تضافرت معها حيث الهاء في ﴿هُمَزَةٍ﴾ واللام في ﴿لُمَـــزَةٍ﴾ بإيحاءهما النفسي وثّقت عرى ذلك الارتباط. فبتمعن حصيف في خصائص حرف الهاء نستشف أنهّا تدلّ على الاضطرابات والعيوب النفسية والأخلاقية والمشاعر السلبية وما يستتبع ذلك من حالات الضعة والرداءة.[١]» ذلك ما يتناسب مع معنى هُمز ولُمز المعجمي فهَمَزَه بمعنى: «غمزه واغتابه وغضّ

١. احسان عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٩٨

منه ولمزه بمعنى عابه.[1] ››

هذا من جانب ومن جانب آخر نلاحظ أن دلالتها الصوتية وطريقة نطقها أيضا أقرب ما يكون إلى الانفعالات والمشاعر النفسية: ‹‹ إن الاهتزازات الصوتية للهاء، تحدث في الحلْق قريباً من جوف الصدر فإن هذا الموقع الممتاز لمخرجها قد جعل اهتزازاتها الصوتية أكثر عرضة للتأثرّ المباشر بمختلف الانفعالات.التي تجيش في الصدر، من حِدَّة وقساوة، أو حزن وأسى، أو تهكم وسخرية، أو رقة وشفافية.[2] ››

إنّ هذه الإيحاءات تتواشج مع إيحاءات حرف اللام في تأكيد المعنى ومن ثمّ الترابط بين الكلمات في الآية وإعطاءالانطباع المتماسك والمنسجم في حروف الآية حيث دلّ حرف اللام على معني الالتصاق والنسبة ما ينسجم مع معناه المعجمي من نسبة العيوب وإلصاقها بالآخرين إما باللسان وإما بلإشارة والتمثيل. وحتى طريقة النطق بهذا الحرف تحاكي أحداث اللسان والإلتصاق: ‹‹إنّ طريقة النطق بصوت اللام تماثل الأحداث التي تتم فيها الاستعانة باللسان في عمليات اللوك والمضغ واللحس وما إليها، مما جعلها ألصق ما يكون بالذوقيات، فصنفت حرفاً ذوقياً. وكذلك تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق مما يجيز تصنيفها في فئة الحروف الإيمائية التمثيلية.[3] ››

إذن نستشف من ذلك كله، أن الإلصاق ونسبة الاتهام والعيوب، يتم عبر اللسان والإيماء والتمثيل لأنّ الهمّاز واللمّاز يتحرّى العيوب في الآخرين ويلصقها إليهم إما باللسان وإذا لم يتمكن فبالإشارة والتمثيل غضا ونيلا منهم.والشيء الذي يمكن أن نراه أن المصادر والأفعال التي تبدأ بالهاء فيها دلالة خفية على الجمع كأن صورة الهاء تشبه ظرفا يجمع شيئا فيه والهمزة تقوم بجمع العيوب كما أن المصادر والأفعال التي تبدأ باللام تدل خفية على الالتحاق والانضمام إلى الآخرين واللمزة شأنه هكذا في الطعن بالعيوب.

٢- ٤- ١-٣- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الكلمات

تطرقنا إلى العلاقات الاستبدالية والائتلافية على صعيد الحركات والحروف أما الكلمات باعتبار أهميتها في خلق المعنى وما تبنيها من روابط نصية داخل النسق تتأثر بسياقها الذي يفرض الإتيان بمفردة تناسب الحال والمقام ‹‹لأن كل نص له سياق وأي نقطة أو جملة بعد البداية - أي بداية النص - ترتبط بما سبقها وبالبيئة المحيطة وترتبط بما سوف يأتي بعد كما قرر هاليداى

---

١. ابراهيم شمس الدين: *قاموس الأعلم*، بيروت ،مؤسسة الأعلمي، ط١، ٢٠٠٥م،باب الهاء.

٢. احسان عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٧٨.

٣.المصدرنفسه:ص ٧٨.

ورقية حسن.[1] ››

بتعبير آخر إن السياق لم تكن أهميته مقصورة على تحديد معنى الوحدات اللغوية فقط وإنما في تحديد معنى الكلمة وتحديد معنى الكلمة يؤدي إلى بيان دلالة الجمل وذلك كله مع تضافرالعلاقات النصية معا.

كما في هذه الآيتين الشريفتين: ﴿قالَ يا قَوْمِ لَيسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ أعراف/ ٦١ وكذلك: ﴿ قالَ يا قَوْمِ لَيسَ بِي سَفاهَةٌ ﴾ أعراف/ ٦٧.

فقد وردت كلمتا: ضَلالَةٌ و سَفاهَةٌ في آيتين متشابهتين في الأسلوب وفي سورة واحدة بفاصلة قريبة جدا ما يعني وجود علاقة استبدالية بين الكلمتين ضَلالَةٌ و سَفاهَةٌ فضلا عن وجود علاقة التجاور فيها لأنّ في الآية السابقة أي(الآية ٦٠) وردت كلمة الضلال بقوله تعالى: ﴿قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أعراف/٦٠.

لذلك وردت كلمة الضلالة تناسبا وائتلافا و ردّا على كلامهم ونسبتهم إليه(نوح) الضلال.

وكذلك في (الآية ٦٦)حيث وردت كلمة السفاهة بقوله تعالى: ﴿قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَالْكاذِبِينَ﴾حيث كانت في جواب القوم وعن لسان نوح: ﴿قالَ يا قَوْمِ لَيسَ بِي سَفاهَةٌ ﴾

إذن كانت العلاقات الاستبدالية والائتلافية، واضحة وجلية في الآيات أعلاها حيث حققت الاتساق في الآيات فضلا عن وجود رابطة التكرار في قالَ الْمَلَأُ وفي مستهل الآيتين والذي بدوره أدّى وظيفة التماسك الذي سوف نتطرق إليه باعتباره أهم العلاقات النصية والمحور الذي يندرج تحته كل هذه العلاقات.واللافت للنظر هو استخدام (في) الواردة في قول الملأ الناظرة إلى السلوك واستخدام (ب) في قول نوح الناظرة إلى الذاتية والالتصاق الروحي فهم يتهمونه بالضلالة والسفاهة في السلوك وهو ينفيها عنهم.

٢- ٤- ١-٤- المحور الائتلافي collocatiod على صعيد الأفعال

حيث العلاقات الاستبدالية والائتلافية في الأفعال كما في هذه الآيات:

﴿فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ ﴾قصص/ ٢٩ أو: ﴿ فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ ﴾ نمل / ٧ .حيث ورد فعل أتى مرة و جاءَمرة أخرى. فقد يبدو للقارىء أن هناك ترادفا بين الكلمتين لكنه ثمة فروق لغوية دقيقة بين الفعلين: ‹‹بين أتى الدال على السهولة والبعد المكاني

---

١. صبحي ابراهيم الفقي: *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*، جزء ١،ص ١٠٧.

والزماني والنفسي وبين المجيء الدال على الصعوبة والقرب الزماني والمكاني والنفسي.[1]››

إن موسى قد آنس نارا كانت تترائى له من بعيد من حيث الزمان والمكان فرغم دلالة فعل أتى على السهولة والبعد، نرى في التعبير الرجاء المتصور لَعَلِّي وفي حالة التوقع والانتظار يود الإنسان أن ينقضي الوقت بسرعة فلهذا جعل آتيكم مقتضبا بدل آتي لكم: ﴿إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ ﴾القصص/ ٢٨.

فقد كان هذا حدسا وتقديرا منه لكن بدا له بعدذلك أن الأمر ليس سهلا كما كان يظنه فقدكان محقا في توقعه حيث واجه صعوبة أمر الرسالة والتبليغ وقد وردالفعل بصيغة جاء في الآية بعدها:

﴿ فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النمل /٨.

إنّ: ‹‹ما قطعه موسى على نفسه في (سورة)النمل أصعب مما في (سورة)القصص فقد قطع على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس في حين ترجّى ذلك في القصص والقطع أشق وأصعب من الترجي لذلك جاء بالفعل(جاء) دون أتى الذي هو أخف. فضلا عن أنّ مقام الخوف في سورة القصص لم يدعه أن يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن في سورة النمل بقوله: ﴿سآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ النمل/٧. فلم يذكر الخوف في سورة القصص لذلك بنى حكمه على الوثوق والقطع بالأمر مناسبا لجو السورة الذي وردت فيه القصة حيث الترجي من سمات سورة القصص والقطع من سمات سورة النمل.[2]››

هذا بجانب الائتلاف والتجاور بين الفعل (فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ) والأفعال في الآيات التي وردت بعده ك: ﴿ فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ النمل / ١٢. فهذا ما يسوّغ لنا ورود فعل(جاءَها)في الآية من حيث الائتلاف.

وأما في الآية: ﴿فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَالشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾القصص/ ٣٠.

ورد فعل أتى لكي يكون متآلفا مع الآية السابقة التي ورد فيها فعل أتى بقوله تعالى: ﴿إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها

---

١. شلتاغ عبود: *أسرار التشابه القرآني*، ص ٥٩-٦٠.

٢. فاضل صالح السامرائي: *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل*، د.ط، د.ت. ص ٨٧.

بِخَبَرٍ ﴾القصص/ ٢٨. فمن الطبيعي أن يبلغ الإنسان، بعد الخوف وبعد أن ناداه الله بالبقعة المباركة وفي حالة الأمن والأمان يصبح الأمر واحتماله سهلا له فنرى ملامح السهولة قد صورت في فعل (أتاها) وإطالة الكلام من رب العالمين بذكر (ياء)النداء.

إنّ ما يلحظ استشفافه أيضا في هذه الآيتين وجود علاقة التكرار في: فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ وفَلَمَّا أتاها نُودِيَ وبنفس الصيغة المجهولة(نُودِيَ)إيحاء بالإبهام والتهويل والغرابة في الأمرحيث منحتها الآية تساوقا وترابطا مضاعفا وكذلك الأمر في هاتين الآيتين ومن نفس سورتي النمل والقصص:

﴿ اسْلُكْ يدَكَ فِي جَيبِكَ تَخْرُجْ بَيضاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ ﴾ قصص/ ٢٨. ﴿ وَ أَدْخِلْ يدَكَ فِي جَيبِكَ تَخْرُجْ بَيضاءَ مِنْ غَيرِسُوءٍ ﴾نمل / ٢٧ .

فكما هو واضح من الآية: أنّ هناك علاقة استبدالية بين (الأفعال اسْلُكْ وأدْخِلْ) فضلا عن الترادف بينهما حيث «سلك يكون بمعنى دخل ونفذ وسلك الشيء: أدخله. [1]».لكن بفروق طفيفة بينهما حيث «الإدخال هو أخص وأشق من السلك والسلوك فإن السلك قد يكون سهلا ميسورا فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر في سورة القصص حيث كان ورود الفعل بصيغة أتى ووضع الإدخال في موضع المشقة والتكليف الصعب لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله:﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ النمل/ ٧.

وقوله: فلما جاءها ومهمة التبليغ وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف وأن يوضع الادخال في مقام الأمن والثقة.[2]»

وكذلك ائتلاف الفعل اسلك بحكم التجاور والائتلاف مع الفعل أضمم في الآية: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾خلافا للآية التي ورد فيه الفعل(أدخل)حيث يتآلف مع الأفعال الواردة في الآيات السابقة واللاحقة والمتقاربة معه في المعنى كجاء بصيغه العديدة ك(جاءتهم،جئتك)أو نفس الفعل(أدخل) بصيغه المختلفة مثل (أُدخلوا، أدخلني) وهنا يبرز دور السياق جليا في مثل هذه العلاقات النصية.

ومن جانب آخر واستنادا إلى العلاقة الاستبدالية التي تقوم على التقابل والاختلاف نلاحظ أيضا في الآية المباركة أعلاها،تقابلا بين الأفعال دخل /خرج واسْلُكْ / تخرج.

---

١. ابراهيم شمس الدين: *قاموس الأعلم*، بيروت ،مؤسسة الأعلمي، ط١، ٢٠٠٥م،باب السين.

٢. فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ١٠٤.

وقد تبرز جليا تلك التقابلات والاختلافات في الآيات اللاحقة بين الصدق والكذب وعدم إطلاق لسان موسى و فصاحة هارون أيضا بقوله: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْيقْتُلُونِ﴾ ﴿وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ﴾القصص/ ٣٤.

فقد ورد فعل يقتلون تآلفا وتجاورا بحكم العلاقات السياقية مع الفعل(قَتَلْتُ) الذي قبله وأما في الآية الثانية ورد الفعل أنْ يكَذِّبُونِ لأنّ سياق الآية وطلب موسى من الله بإرسال هارون لكي يصدّقه استدعى ذلك:

﴿ وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ ﴾ القصص/٣٤.

إذ عدّد لأخيه من مواصفات وميزات في صيغة أفعل التفضيل(أفْصَحُ مِنِّي) وبررّ طلبه(إرسال هارون) ب رِدْءاً يصَدِّقُنِي وهذا ما يؤكد مجيء الفعل أنْ يكَذِّبُونِ متلائما ومؤتلفا حيث العلاقات في الآية هي علاقات مبنية على التقابل بين عدم إطلاق اللسان(عندموسى) والفصاحة(عندهارون) وكذلك بين الصدق والكذب(يصَدِّقُنِي و أنْ يكَذِّبُونِ) والشعور بالخوف عندموسى والطمأنة بإرسال هارون وكذلك بين موسى وهارون وقومهما أي بين هما وهم.

وكذلك في الآيتين: ﴿ وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ ﴾انفطار/ ٣. ﴿ وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ ﴾تكوير /٦.

حيث نرى علاقات ائتلافية واستبدالية في الآيتين فقد كان الاستبدال في فجرت وسجرت والائتلاف بين الفعل فجرت وباقي الأفعال(انتثرت،انتشرت وبعثرت) والملاحظ في تلك الأفعال أنّها:« تدلّ على التغيير والمزايلة والحركة لأنّ المشهد هو مشهد تتغير فيه قوانين الأشياء وتصبح على غير ما عهدت عليه في الحياة الدنيا فكان مجيء الفعل فجرت بهذا المكان أولى وأنسب لأنه يدل على فيضان الحياة على وجه الأرض وخروجها عن مقارها أما الفعل سجرت في سورة التكوير وهو بمعنى: أوقدت فصارت نارا من قولهم سجرت التنور فهو مناسب للفعل سعرت في الآية ١٢: ﴿وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار.[1]»

هذا من جانب و من جانب آخر نلاحظ أن مجيء هذه الأفعال لها صلة قوية بالنفوس البشرية فجاءت تناسبا وتلائما مع المشهد والجو النفسي للآيات فبالتالي تحقق الائتلاف من حيث التركيب والتأثير النفسي معا.

بعد الخوض في العلاقات النصية حان الان لكي نتطرق الى التآلف والانسجام الذي تحققه هذه العلاقات النصية فيما بينها سواء على صعيد الشكل السبك (cohesion) وسواء على صعيد شكل المحتوى ما يسمى بالحبك.(Coherenc).

---

١. شلتاغ عبود: *أسرار التشابه القرآني*، ص٣٠ .

إي في مقابل وجود العلاقات الخطية التي تمثلت في العلاقات السياقية هنالك النوع الثاني من العلاقات وهي العلاقات الرأسية أي العلاقات النصية المسؤولة عن ترابط وتماسك وحدات النص كله.[١]» والتي لها طبيعة دلالية تجريدية عمودية تتجلى في علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل.[٢]» أي المكونات العميقة التي تمثل التصورات فتربطها علاقات دلالية.» ما تسمى ب coherenc)) وسنتاوله تحت عنوان الدلالة المركزية.

٢-٥- التعريف بالتماسك cohesion

يأتي التماسك في اللغة مقابلا لمفهوم التفكك وهو بهذا يعني الترابط التام والشدة والصلابة كما ورد في الأساس: أمسك الحبل وغيره وأمسك بالشيء ومسك واستمسك وأمسك عليك زوجك وأمسكت عليه ماله حبسته وأمسك عن الأمور: كف عنه.[٣]» وفي اللسان: المسيك من الأساقي التي تحبس الماء فلاتنضح. وأرض مسيكة لا تنشف ماءها لصلابتها وأرض مساك أيضا.[٤] » يتضح أن دلالة التماسك لغويا توحي بالصلابة والمتانة وترابط الأجزاء بعضها مع بعض. وأما في علم اللغة الحديث يأتي بمعنى التلاحم بين أجزاء النص الواحد بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص.

إن التماسك يعني:«العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية.[٥].» و«الصلابة و الوحدة والاستمرار والبارز لنظام التفكير؛ سواء كان نظريا أو نصا كما أنّه خاصية دلالية للخطاب[٦].»

إنه يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحق بها خاصية الاستمرار اللفظي مترتبا على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي. »

بتعبيرآخر إن التماسك يشكّل طبيعة الكل ويجعل من الصورة الكلية وعلاقاتها الداخلية لوحة واحدةعبر علاقات لغوية كالمناسبة والتكرار والعطف والإجمال والتفصيل والمرجعية(الضمائر والإشارة) في الحقيقة إنه مجموعة الوسائل اللسانية الرابطة بين عناصر الجملة التي تؤدي إلى الاتساق:«يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين أجزاء المشكّلة للنص /

---

١. رضوان احمد عزت يونس: *العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم*، القاهرة، دار الآفاق العربية ،٢٠١٤م، ص ٨.

٢. نعمان بوقرة: *لسانيات الخطاب*، ص ٥٨.

٣.الزمخشري:*أساس البلاغة*، مادة مسك.

٤.ابن منظور: *لسان العرب* مادة مسك

٥.صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق جزء ١، ص ٩٨.

٦.صلاح فضل: *بلاغة الخطاب وعلم النص*، كويت ، عالم المعرفة ، ١٩٩٢م ، ص ٢٦٣.

خطاب ما؛ ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكتوبة لجزء من خطاب.[١] ››

إدراكا لأهمية التماسك في علم اللغة يلاحظ أن بعض علماء اللغة قد جعل عناوين كتبهم تحمل هذا العنوان مثل كتاب هاليداى (Halliday) ورقية حسن (cohesion in english) فقد أكّدا في كتابهما على موضوع التماسك لدرجة يمكن أن يقال أن النص ما هو إلا تماسك. وبما أنّ اللسانيات النصية تبحث في المضمون لأنّه نتيجة لقواعد دلالية وتداولية تمّ توظيفها في الخطاب وبما أنّ مصطلح علم النص يرجع إلى التعامل مع البنية الكبرى للنص المتكوّنة من الأبنية الصغرى بوصفها المضمون الأساس و‹‹البنية التجريدية الكامنة التي تمثل منطق النص أي البنى التنظيمية أو التخطيطية المجردة التي تنظم الشكل الكلي للنص[٢].›› حسب ما ذهب إليه الألسنيين وبما أنّ فهم النص يتحقق على مستويين: المستوى الأول:

‹‹المكونات السطحية التي تمثّل علامات لغوية تربطها علاقات نحوية لتشكيل المعنى والمستوى الثاني:

‹‹المكونات العميقة التي تمثل التصورات تربطها علاقات دلالية وهي تحتاج إلى معرفة واسعة.[٣]››

لذلك ارتأينا بعد معالجة المصاحبات اللغوية وتجلياتها الخطية المباشرة بعلاقاتها الائتلافية والاستبدالية أن نخوض غمارالمكونات العميقة للنص والمتمظهرة في الدلالة المركزية (coherence)في مقطعين من سورة المؤمنون معتمدا على تصنيف الدلالات إلى المركزية والهامشية وما يتمخض عن الأولى من روابط وعلاقات في تكوين التماسك النصي كالمناسبة والاحالة والتكرار وعلاقة الاخير بالدلالة النفسية ذات العلاقة الوثيقة بالدلالة الهامشية والكشف عن الإيحاءات الصوتية الدلالية في الفواصل القرآنية أي المحاولة على الإجابة بتبيين كيفية العلاقة بين الدلالتين في إحداث التماسك ككل موضوعي(coherence)ما تمثل البنيات الكبرى للخطاب أي القضايا المستنتجة من ضم مجموعة قضايا معبرا عنها في متوالية.[٤]›› المتوالية الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين المفاهيم.[٥]›› ثم استخدام ضابط معياري صوري في كل متوالية من الجمل فيجب أن تكون ‹‹كل متوالية بهذه الصفة متسقة مع الموضوع أو على وجه أشمل منسجمة مع البنية الكبرى.[٦]›› ما يمكن تسميته ب(cohesion). المتمثلة بالمناسبة والإحالة ثم التكرار وكيفية ارتباطها بعامل غير صوري ونفسي(الدلالة الهامشية) ثم كيفية تساوقها مع البنية الدلالية الكبرى (الدلالة الهامشية) فانطلاقا من مرتكز تأكيد

---

١ .محمد خطابي: لسانيات الخطاب، ص ٤.

٢. نبيل أيوب: النقد النصي وتحليل الخطاب ٢،ص ١٥٤.

٣. نعمان بوقرة: *لسانيات الخطاب*، بيروت، ص ٥٦.

٤. فان دايك: *النص والسياق* ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، ٢٠٠٠م، ص ١٩٠.

٥. صبحي ابراهيم الفقي: *علم اللغة النصي* بين النظرية والتطبيق جزء ١، ص، ٩.

٦. *المصدرنفسه*، ص ١٩٢.

اللسانيات _ في التحليلات على النوعين من الدلالة: «الدلالة الأساسية وهي الفكرة الرئيسة التي تقوم بوظيفة أساس تكوين النص والبنية للنص في شكل مركز ومجرد.[1]» ثم الدلالة الثانوية «التي تتمخض عنها أنماط من الدلالات منها النفسية.[2]» ما تسمى« معنى المعنى والدلالة الهامشية وهي ما تفيض به الكلمات والعبارات والنصوص من إيحاءات واستلزامات عقلية أو نفسية من ذكريات ومشاعر لكونها مشحونة بطاقة عاطفية و وظيفتها تأثيرية.[3]»

وكذلك تكوين اتساق الخطاب في المستوى الدلالي بفضل البنيات الكبرى أخذ البحث على عاتقه التطرق إلى الدلالة الأساسية في السورة باعتبارها قطب الرحى ومن ثم وظيفتها الإبلاغية ثم الدلالة انطلاقا من هذا المرتكز أخذ البحث على عاتقه التطرق إلى الدلالة المركزية في السورة باعتبارها القطب الرحى ومن ثمّ إلى وظيفتها الإبلاغية ومن ثم الدلالة الهامشية وإيحاءاتها النفسية والتأثيرية حيث رسالة البحث ومهمته هو التواصل والتداولية سواء على صعيد الإبلاغ أو التأثير. فهذه الأخيرة ما تذكّرنا بالعلاقات الإيحائية للكلمات إذن أتاحت لنا الآن هذه الفرصة لكي نعالج هذه العلاقة تحت عنوان الدلالة الهامشية في سورة المؤمنون.

تأسيسا على ما تقدم، جمع البحث بين الوظيفة الإبلاغية والتأثيرية لكلتا الدلالتين؛ حيث الدلالتان تعملان إلى توصيل الأفكار والمعاني معا فالأولى مرتبطة بفهم قواعداللغة والثانية مرتبطة بالإيحاءات والمشاعر والعواطف والقيم السلوكية حيث تستطيع الأخيرة أن تنحرف بالمسار الدلالي إلى آفاق مختلفة من الفهم. فبناء على ما تمّ من القول يحاول البحث،التركيز على الدلالة المركزية التي تعّد نقطة ارتكاز النص والوحدة التي تجعل النص مترابطا متماسكا.

تطرق البحث سابقا إلى المصاحبات اللغوية وقد بين تلك العلاقات والروابط النصية أما الآن يريد أن يبين ما أفرزته تلك العلاقات من دلالة ومفهوم وذلك على صعيد الدلالة المركزية أي على صعيدالمفهوم انطلاقا من أن التماسك يبدأ من البنية الكبرى((macro structur)وينبني عليه.

٢- ٥-١- الدلالة المركزية

جاء في متقدم البحث أن المقصود من الدلالة المركزية هي بنية النص الكلية وإن هذه البنية الكلية هي مفهوم مجرد تتجلى بها كلية النص ووحدته فترتبط أجزاءه وتضم متتالياته وهي محوره ولا إمكان لفهم النص بل لا وجود لنص من دونها

---

١. هاينه مان: *أسس علم لغة النص التفاعل النص الخطاب* ترجمة سعيد البحيري القاهرة مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م،ص ١٤٢.

٢. فخرية قادر غريب: *تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني*،إربد لبنان عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١١م،ص ٢٤.

٣. يونس محمد علي: *المعنى وظلال المعنى* ،صص ١٨٠- ١٨٥.

وإلا بقي النص متشتتا بها يبلغ ذروة تماسكه وترابطه فتقصيا للدلالة المركزية في سورة المؤمنون لاحظ البحث أن الإيمان في سورة المؤمنون هو البنية الكبرى والدلالة المركزية فيها وهو الذي يمثّل موضوع النص والوحدة الموضوعية للسورة فإذا اعتبرنا الإيمان أس القاعدة والهرم الدلالي للسورة فإن الفلاح والفوز والفردوس يشكلان رأسه وقمته:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ ﴿ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُالعادُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يحافِظُونَ﴾ ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ مؤمنون/ ١-١٢.

يتحقق التماسك النصي في المقطع الأول من السورة عبر هذه الحلقات والسلاسل: الصلاة،الخشوع، الإعراض عن اللغو،أداء الزكاة،حفظ الفروج،حفظ الأمانات والعهود المحافظة على الصلاة ووراثة الفردوس حيث تترابط في ما بينها وتتواشج.

إن السورة تبدأ بتصوير إستعاري عن أمر محتوم بفعل ماض مقرون بقد كأنّ من دخل الإيمان في قلبه كحبة بها كفاءة ذاتية أضفاها الله تعالى لتكون مستعدة للإنبات فالمؤمن مثل الحبة المزروعة يطلع من الأرض أخضر ينمو شيئا فشيئا يستفيد من جميع العناصر الحياتية يستجلب النور الإلهي كما تجذب القمح أنوارالشمس فيتمتع بقيمة يرفع رأسه ناطحا السماء يفيدالمجتمع فإذا نظرنا أفقيا إلى العناصر اللغوية نرى في المقطع الأول كثرة أسماء الفاعل لتبيين الثبوت ثم يتجاوز التعبير إلى المضارع للدلالة على المستقبل(يرِثُونَ) وعلى الاستمرار التجددي(يحافظون).فكل مقطع من مقاطع السورة له بداية ونهاية أي له هرم دلالي له أس وقمة كما في المقطع الأول الصلاة هي الأس والفلاح والفردوس هما القمة والبقية من اللوازم بناء الهرم الدلالي لاكتماله.

إنها سورة الإيمان حيث شكلت وحدتها الدلالية وحدة موضوعية انبثقت منها وحدات عضوية(البنيات الصغرى) كالخشوع والإعراض عن اللغو وأداء الزكاة وحفظ الفروج... متناسبة ومتناسقة معا حيث انضوت كلها تحت ظلال واحد وهو الإيمان.

تلك الوحدة الدلالية المركزية التي تدور عليه السورة أي الإيمان وإن تبدو خافية بادي ذي بدء ولكن ترتبط بخيط عضوي محكم يشع بجمالية فائقة يربط جميع مقاطع السورة فيما بينها كما يربط المقطع الأول بالمقطع الثاني﴿ و لَقَدْخَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ»« ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِى قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ»« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ»« ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ مؤمنون/ ١١-١٨.

إنه الحديث عن أطوار نشأة الإنسان والتذكير ببداية الحياة ثم نهاية الحياة وهو الموت المؤكد بلام التوكيد لميتون).

إذن البنية الدلالية الكبرى(الإيمان)هي المحور والمدار فالعلاقة بين الإيمان والبعث والنشور علاقة ترابطية والحديث عن الموت والبعث مترابط ومنسجم تماما مع المقطع الأول من السورة ويدخل ضمن الوحدة الأساسية للسورة أي تحقق (coherence) على الصعيد الدلالي للسورة. لأن المقطع الثاني يريد أن يومي إلى أن الإنسان الذي خلق من نطفة له جدارة وكفاءة لازمة للبلوغ إلى الفلاح الذي يليق به. فبعد أن تطرق البحث إلى الدلالة المركزية وشكل المحتوى على حد تعبير الشكلانيين آن الآن لكى يتطرق إلى التماسك النصي الذي تحقق في سورة المؤمنون عبر أدواته كالمناسبة والتكرار والإحالة.

٢- ٥-١-١- تحقيق التماسك الcohesion عبر المناسبة

إن المقصود بالمناسبة حسب التعريف الذي أورده الزركشي هو « جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التاليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.[١]» أي« أنّ المناسبة تسهم في تحقيق الارتباط بين عناصر النص وأنّ هذا الارتباط واقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره.[٢]» تحققت هذه الوحدة العضوية ما بين أجزاء السورة إما بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى وإما بين البداية والنهاية(أولها وخاتمتها) وإما بين الآيات نفسها.

٢-٥-١-١-١- التناسب بين اسم السورة والنص

تحقق التماسك النصي في سورة «المؤمنون» عبر مناسبة اسم السورة والآية الأولى باعتبار المناسبة «هي الأكثر تحقيقا في القرآن الكريم فتسمى السورة تبعا للآية الأولى منها؛ تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب على ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز.[٣]» فضلا عن ذلك؛ أن هناك علاقة وثيقة وقصدية بين السورة واسمها و إن اسمها يجسدالعتبة الأولى للولوج في موضوعها، ما تسمى هذه العلاقة النصية بسيميائية العنوان. حيث تعتبر من أهم العتبات النصية التي تساهم في توضيح دلالات النص واستكشاف معانية الظاهرة والخفية فهما وتفسيرا وتفكيكا وتركيبا فهو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص كما

---

١. بدر الدين الزركشي: *البرهان في علوم القرآن المجلد* ١، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، دارالفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ص ٣٦.
٢. عبدالواحد المنصوري: *قراءات في النظم القرآني*، القاهرة، دار الفيحاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤م، ص٢٠١.
٣. بدر الدين الزركشي: *البرهان*، ص ٢٧٠

أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه ولها تنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة «فالنص هو العنوان والعنوان هو النص.[1]» فمن ثم يتحتم على العنوان أن يحتوي على علاقة ما بمحتوى السورة. فالآية الأولى من سورة المؤمنون: قد أفلح المومنون شكّلت المناسبة والعنوان والوحدة الموضوعية فيها إذ التناسب بدا جليا بين افتتاحية السورة وطرحها الموضوعي أي الإيمان ودلائله وسماته عند أهله (المؤمنون) فالسورة كلها تدور حول مفهومه. ثم نلاحظ إنها أقرنت مفهوم الإيمان بالفلاح للمؤمنين في بداية السورة وبعدمه في النهاية. فالفلاح للمؤمن وعدمه للكافر كما فيما يلي:

٢- ٥-١-١-٢- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

قد يؤدي توالي الفقرات والجمل داخل النصوص إلى وجود فجوات تباعد بين مفتتح النص ومختتمه فياتي المختتم فيذكرنا بمطلع هذا النص. يعتبر هذا الأسلوب نوعا من رد العجز على الصدر وقد تحصل هذه المناسبة عبر بعض الأدواة والروابط كالتكرار إما بالمعنى وإما باللفظ وأيضا بالترادف وحتى التضاد.

إنّ المناسبة في السورة تجلّت برابطة التضاد بين المطلع والخاتمة. فكما بينا سلفا إن السورة، تدور حول محور الإيمان ودلائله عندالمؤمنين وتأكيد فلاحهم وعدم فلاح الكافرين فيبدو أن كلاهما كانا موضوع المقدمة والخاتمة ومن ثم التأكيد عليهما بواسطة التناسب وعلاقته التضاد. يقول سبحانه وتعالى في المطلع: قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وفي الخاتمة: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون/ ١١٧.

فقضية الفلاح هي محور المقدمة والخاتمة لكنّه مثبت للمؤمنين ومنفي بالنسبة للكافرين وهذا النفي الأخير يؤكد الإثبات السابق. فانتقال الخطاب من الحديث عن المؤمنين في البداية ثم الحديث عن الكفارفي النهاية بتكرار(أفلح)في البداية و(لايفلح) في النهاية قد جعل بين الآيتين مناسبة و«هذه المناسبة هي التضاد[2].» إنّ المؤمنين موصوفون بالفلاح في أولها بينما الكافرون موصوفون بضده وفي خاتمتها.

٢-٥-١-١-٣- التناسب بين الآيات في السورة

تعد وحدة الموضوع في النص القرآني من أهم الجوانب التي تحقق الانسجام والتماسك النصي. تتحدد أوجه هذه المناسبة في"سورة المومنون" من خلال بنيتها الكبرى(الأيمان) التي تربط مقاطع السورة(الآيات) بعضها ببعض وتترابط فيما بينها

١.عبد الكريم حاقة:ابلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص دراسة في سورة البقرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجمهورية الجزائرية، جامعة بسكرة ، ٢٠١٦م، ص ٣١٨.

٢. عبد الكريم حاقة: المصدرنفسه، ص ١٨٦.

ترابطا وثيقا عبر علاقات نصية كالعطف والتكرار والإجمال والتفصيل فضلا عن تحقيق الوحدة العضوية وإشاعة جو واحد متناسب منسجم في الآيات.

٢- ٥-١-١-٣- التماسك عبرالمرجعية الإشارية

«تسمى الإحالة أو الارجاع وهي عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص وتحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة وهي الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وأدوات المقارنة و لابد من التطابق الدلالي بين المحيل والمحال إليه.[١] » فقد تكون هذه الأدوات رابطة شكلية مؤثرة في تشكيل التماسك النصي في الجمل ومنها تركيب الآيات في السور.حيث تنقسم «هذه الأداة المرجعية إلى: الشخصية (personal) (أنا،أنت،نحن،هو،هم، ..) وإشارية(موصوله): Demonstrative(هذا، هؤلاء،أولئك .. ومقارنة ((comparative أي أفضل، أكثر ....[٢]»

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ ﴿وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ ﴿ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُالعادُونَ﴾ ﴿ والَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يحافِظُونَ﴾ ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ مؤمنون/ ١-١١.

تلك الآيات أعلاها لا تخلو من المقاطع المنطوية على دلالة الياء الموحية بالانكسار والرقّة بوصفها دلالة صوتية هامشية،خاصة في تكرار(الياء المدية) في مفردة (الذين)التي تعتبر أداة مرجعية(Refrenc)إشارية في تكوين العلاقات النصية. وقد تسمى الإحالة أيضا وهي:«عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص وتحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة وهي الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وأدوات المقارنة ولا بد من التطابق الدلالي بين المحيل والمحال إليه فقد تكون هذه الأدوات رابطا شكليا مؤثرا في تشكيل التماسك النصي في الجمل ومنها تركيب الآيات في السور. وقد تنقسم بدورها إلى نوعين من الإحالات: إحالة داخل النص وتسمى نصية (textual) وإحالة خارج النص ما تسمى بالمقامية

---

١. محمد خطابي : *لسانيات الخطاب*، ص ٧.

٢ صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق جزء ٢، ص ١٢٠.

أي المرجعية الخارجية(situational) وتكون معتمدة على السياق وعلى مناسبة النزول. [1]، مثل:﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيمانِهِمْ ﴾ الأنعام/ ١٠٩.

فالمقسمون هم الكفار لأنّهم لم يذكروا صراحة في الآية ولم يأت ذكرهم حيث الضمير(هم) محال إلى الكفار الذين هم مقصودون خارج النص المفهوم من السياق فبذلك تتحقق المرجعية الشخصية.

وأما بالنسبة إلى سورة المؤمنون في الآية: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾

حيث الضمير في سيقولون محال إلى الكفار الذين هم مقصودون خارج النص المفهوم من السياق.وقد تكون في مجموع من الآيات:

﴿وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾﴿ وَ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَ إِلَيهِ تُحْشَرُونَ»« وَهُوَ الَّذِى يحْيى وَ يميتُ وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّيلِ وَ النَّهارِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ المومنون ٨٠-٧٧.

حيث المرجعية الشخصية في الضمير (هو) تكون مرجعية مقامية وخارجية لكون المحال عليه خارج النص مع وجود التكرير في الموصول الذي يتكرر وصفا لله عزوجل في مقام إثبات ألوهيته و وحدانيته ونعمه سبحانه وتعالى على خلقه وغالبا ما يقترن بالضمير هو مكونا معه رابطة نصية قوية تفيدالتخصيص والتأكيد لأن الوظيفة للضمير ليست شكلية فقط بل دلالية أكثر ففي كثير من الأحيان تبقى الدلالة غامضة وكذلك تبقى الجمل متناثرة لا رابط يربطها إلى أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتناثرات ويربط بينها فضلا عن إنه يؤدي دورا في تحقيق التماسك في تشكيل المعنى أو إبرازه باعتباره أحد أدواة تركيب الخطاب وكذلك الكشف عن العلاقة بين الأقوال داخل الخطاب تارة بالغياب عن الدائرة الخطابية وتارة أخرى بقدرته على الإسناد للصفات حيث تم انتساب الصفات كالخشوع والإعراض عن اللغو وتأدية الزكاة والحفاظ للفروج ورعاية الأمانات والعهد والحفاظ على الصلوة عبر توظيفه في الآيات الأولى من السورة. فضلا عن رصد المرجعية الضميرية يمكننا رصد المرجعية الإشارية أيضا بكثافة في الذين بتكرارها سبع مرات أيضا.

وقد تكون في سورة واحدة بأكملها؛ كما في سورة الضحى في دلالتها على عنصر الربط المتمثل في الضمير(ك) ذو مرجعية خارجية بحتة وذلك من الآية الثالثة حتى نهاية السورة بقوله تعالى:

١.محمد خطابي: *لسانيات الخطاب*،ص ٧.

﴿ وَ الضُّحى﴾ ﴿ وَ اللَّيلِ إِذا سَجى﴾ ﴿ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى﴾ ﴿ وَ لَلْآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَالْأُولى﴾ ﴿وَ لَسَوْفَ يعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾ ﴿ أَ لَمْ يجِدْكَ يتِيماً فَآوى﴾ ﴿ وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى﴾ ﴿وَ وَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى﴾ ﴿ فَأَمَّا الْيتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ ﴿ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى/١-١١.

فهذه سبعة عشر ضميرا(ك،ت) ترجع كلها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسول لم يجر له ذكر صريح في السورة. لذلك تكون المرجعية خارجية. بما يوحي بتماسك هذه الآيات في وحدة موضوعها(التماسك الدلالي) وهو تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وتذكيره بآلاء الله الكثيرة عليه وما يجب عليه ليس الحزن على ما يقال له من الكافرين بل عدم رد اليتيم وعدم نهر السائل وأن يحدّث بنعم الله عليه ومنها نعمة الهدى إلى الإسلام فعليه أن يحدّث بها ويدعو إليه.

إن هذه العلاقات النصية شكلت تماسكا دلاليا وشكليا خاصة في الضمائرفي آيات من السور القرآنية.

وقد تكون المرجعية كما أشير سابقا، داخلية والداخلية تكون لما سبق من الآية كما في الآيات أدناها أي الإحالة تكون نصية وهي بدورها تنقسم إلى الإحالة على السابق وتسمى قبلية:حيث مرجعية(هم) تعود إلى المؤمنين في مستهل السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقد ربطت بين الآيات المتلاحقة مع ربط صفات عديدة إلى موصوف واحد وهم المؤمنون.

وقد تكون المرجعية متأخرة وتسمى بعدية كما في هذه الآية: ﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ مؤمنون/ ١١٦. وكذلك:﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُه فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ مؤمنون/ ١٠٢.

حيث الضمير هو محال إلى ما بعده(رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) والضمير هم محال إلى المفلحون بعده وبذاك تم توظيف ما أكده هاليداى (Halliday) ورقية حسن في إبراز دور الضمائر عن طريق مرجعية الضمير في تحقيق التماسك النصي.

وأما عن المرجعية الأخيرة وهي ماسمّيت(بالمقارنة) فيمكن التطرق إلى الآيات التي يكون فيها عقد المقارنة ومن ثّم تبيين الأفضلية بينهما كمثل الآية الشريفة: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يصِفُونَ﴾ مؤمنون/٩٦ حيث تحققت الأحسنية لدفع السيئة بالنسبة إلى الطرق الأخرى والأعلمية لله تعالى بالنسبة للآخرين وبالتالي ربط بين موضوعين متقابلين من أجل تحقيق المرجعية التفضيلية ومن ثم التماسك.

وكذلك في هذه الآيات:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يسْتَكْبِرُونَ ﴾ المائدة/ ٨٢.

حيث المفردات (أَشَدَّ وأَقْرَبَ)كوّنت علاقات نصية داخلية شكلية أي مرجعية المقارنة و ربطت بين وحدات الجمل مبينة

ميـزات كـل مـن اليهـود والنصـارى بالنسـبة إلى المسـلمين. وقـد أدّى تكـرار الفعـل لتجـدن مـع إحالـة الضـمير القبليـة في(أَقْرَبَهُمْ)إلى(النَّاسِ) في أشـدالناس عـداوة والاحالـة القبليـة في أنهـم الراجعـة إلى القسسـيين والرهبـان أدى إلى تماسـك وترابط شكلي مكثف في الآية فضلا عن الإحالة الإشارية في الذين والتكرار المكثف لها أيضا.

وكذلك في هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾ الزمر/ ١٨.

حيث نلاحظ الترابط الشكلي المكثف في الآية أعلاها كإحالة المقارنة في أحسنه والإحالة القبلية للضمير(ه) الراجعة إلى القول في يستمعون القول وكذلك الضمير(هم) فضلا عن الإحالة الإشارية في أولئك والذين والتكرار في الضمير هم.

فضلا عن رصد المرجعية الضميرية يمكننا رصد المرجعية الإشارية أيضا بكثافة في الذين خاصة في سورة المومنون:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ ﴿وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ ﴿ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُالعادُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يحافِظُونَ﴾ ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ مؤمنون/ ١-١١. حيث مرجعيته داخلية سابقة أي راجعة الى المؤمنين في مستهل السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقدجمعت هذه العلاقات النصية تماسكا دلاليا وشكليا معا سواء في الضمائر وأسماء الإشارة(الموصولات) فضلا عن وجود الدلالة الصوتية في الفواصل: مؤمنون، فاعلون، خاشعون .. التي بدورها أدت إلى تماسك نصي أكثر والتي سنتطرق إليها لاحقا.

٢- ٦- التكرار والدلالة الهامشية

إن التكرار من مادة «(كرر)وحسب ما جاء في لسان العرب بمعنى الرجوع والإعادة والبعث والتجديد.[١]» وأما اصطلاحا فهو بمعنى:«الترديد والإعادة المباشرة لعناصر النص وضمّ الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير. وفي هذا بيان لوظيفة من وظائف التكرار وهي الضم يعني ربط الشيء بما ضم إليه وفي هذا الربط يتحقق التماسك بينهما.[٢]»

«إن التكرار هو واحد من عوامل التماسك النصي باعادة ذكر لفظ أو عبارة أوجملة أو قصة ويندرج تحتها الترادف

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة كرر.

٢. صبحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق جزء ٢، ص ١٨.

والاشتقاق والتفسير و رد العجز على الصدر وتشابه الأطراف.[1]»

إذن انسجاما مع معناه المعجمي الذي يحمل في طياته بعضا من معاني التماسك وكذلك معناه الاصطلاحي، يقوم التكرار بشدّالنص وربط الوحدات النصية وإحكام تلك الروابط وتحقيق الوحدة العضوية ومن ثم الموضوعية في الخطاب القرآني. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هو الدور الذي يؤديه التكرار في الخطاب القرآني وماهو فائدته ؟

في الحقيقة إنّ التكرار يؤدي وظيفتين أساسيتين:

١- أولا: من الناحية الدينية وثانيا من الناحية الأدبية فمن الناحية الدينية إنّ أهمّ ما يؤديه التكرار في النص القرآني بوصفه كتاب هداية وإرشاد وتشريع أنه:« تقرير المكرّر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون مثلا ساميا وراقيا في السلوك وبينّة في الاعتقاد.[2]» كما يقول غوستاف لوبون(lobon)أن من:« يكرر لفظا أو فكرة أو صيغة تكرارا متتابعا يحوله إلى معتقد والتكرار من القوة بحيث يجعل الرجل يؤمن بالكلمات التي يكررها ويسلم بالأفكار التي يعرب عنها.[3]»

ولعل هذا الكلام يصح في القرآن الكريم فقد كان هدفه،الهداية وتحقيق السعادة الخالدة بترسيخ المعتقد والإيمان عبر تكرار تلك المفاهيم والمعاني السامية في كثير من الآيات والسور.

٢- وأما الوظيفة الثانية فهي:«وظيفة أدبية تتمثّل في تأكيدالمعاني وإبرازها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم.[4]» فقد تمظهر هذا الجانب الأدبي في الأسلوب والصياغة وكيفية صياغته وتشكلة اللغوي بتعبير أدق في كيفية تشكله الصوتي والتكرارفي الحروف والأصوات وهذا ما يقودنا إلى الدلالة الهامشية وتقصيها في هذا الجانب حيث هذه الأخيرة «كفيلة بإيقاظ وعي المتلقي واستنفاره وكذلك شحنه عاطفيا.[5] »

٢-٦-١- التكرار على صعيد الأصوات

إن الدلالة الهامشية ما تسمى الدلالة الثانوية إذ لها عدة تسميات فيطلق عليها تارة معنى المعنى أو الإيحائية أو التأثيرية أو الدلالة الهامشية وهي ما تفيض به الكلمات والعبارات والنصوص من إيحاءات واستلزامات عقلية أو نفسية من ذكريات

---

١. المصدر نفسه: ص ٢٦.

٢.عبدالعظيم ابراهيم محمد: *خصائص التعبير القرآني*، القاهرة، ط١، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م، ص ٣٢٢.

٣.طلال خليفة سلمان: *مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة أسلوبية*، بغداد، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، ط١، ٢٠١٢م، ص ١١٧.

٤.عبدالعظيم ابراهيم محمد: *خصائص التعبير القرآني*، ص٣٢٢.

٥.المصدرنفسه:ص ١١٧.

ومشاعر لكونها مشحونة بطاقة عاطفية و وظيفتها تأثيرية[1].» لأن القوة التعبيرية والدلالية للكلمة المفردة لا تظهر من معناها فقط بل من طبيعة صياغتها التي تعمل على جذب انتباه المتلقي

قد عالج البحث هذا الجانب الأدبي التأثيري عبرالتكرار الصوتي نفسه وما تثيره الحروف والأصوات من مشاعر وإيحاءات لأن: « أصوات الحروف على سمت الأحداث التي جاءت صياغتها للإفادة بالتعبير عنها.[2]»فالدلالات النفسية الإيحائية لها صلة وثيقة بالدلالة الهامشية لأن هذه الأخيرة تعني بالأحاسيس والشعور والوجدان وأنّها تعتبرظلال للمعاني وإيحاءات للدلالة المركزية مرتبطة بالنفس وانطباعاتها بتعبير آخر محاكاة الأحداث صوتيا.

لقد فطن القدامى من اللغويين إلى هذه الظاهرة خاصة ابن جني بقوله: «إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه، أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس، وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف.[3]»

فطائفة كبيرة من الألفاظ القرآنية تميزت بدقتها في التعبير عن دلالاتها إذ يدل كل لفظ على الصوت نفسه الذي يتجلى منه اللفظ ذاته حيث وظفت طبيعة الأصوات لتجسيم المواقف النفسية والانفعالية فمنها ما ورد في نهاية السورة بقوله تعالى: ﴿ وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُالرَّاحِمِينَ ﴾مؤمنون/ ١١٨.

حيث يلاحظ فيها تكرار لحروف الراء والحاء والميم في ارْحَمْ والرَّاحِمِينَ فالحرف الحاء المهموسة الرخوة المستفلة الدالة على الانفتاح.[4]» ما يتماشى مع حالة الرقة والانكسار والخشوع والدعاء عند المؤمنين وانفتاح النفس على استمداد القوة والاتصال بينبوع العلى مع ترسيخ لفكرة الإيمان الجوهرية والدلالة المركزية عبراستشعار دلالة الحروف ومعانيها النفسية ما تسمى معنى المعنى والدلالة الإيحائية بدءا بالفكرة المركزية(الإيمان)الطاغية على السورة بأكملها وختاما بها.

إن ما يزيد من قوة التماسك الدلالي عبر توظيف الدلالة الهامشية هي تكرار حرفي الواو والنون في الفواصل.إن المقصود من الفواصل هي:«حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني و فيها بلاغة و يرى الزركشي أنها: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان

---

١ محمد محمد يونس علي: *المعنى وظلال المعنى*، صص ١٨٠- ١٨٥.

٢. طلال خليفة سلمان، *مستويات الوصف السرد القرآني*، ص ١١٣.

٣. أبو الفتح عثمان بن جني: *تحقيق محمد علي النجار* ، دارالشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م، ١/ ص ٦٦.

٤. محمد فريد عبدالله: *الصوت اللغوي ودلالاته*، ص ١٢٦.

وذلك أن آخر الآية فصل بها وبين ما بعدها.[1]»

وقد ترصد للفواصل وظيفتان أولا: «إعطاء الآيات جرسا موسيقيا مناسبا وشحنة صوتية إيقاعية حيث تتجلى هذه الشحنة الصوتية في تكرار حروف الفواصل ولاسيما حروف النون والميم والألف والواو والياء والوظيفة الثانية هي: جذب انتباه المتلقي إذ تجعل أذنه لاتمل سماع آيات القرآن وذلك بسبب جرس الأصوات المنبعث من تتابعها وإيقاعها المميز إلى جانب تشكيلها المقطعي وانسجامها مع معنى الآيات.[2]». فبالتالي تحقق الائتلاف اللفظي والمعنوي والتأثير على المخاطب معا.

في الحقيقة إنها-الفواصل-« ليست قيدا صوتيا أومعنويا بل إنها جزء من الآية وعنصر تعبيري متميز ومثير قوي للإيقاع حيث تأتي تبعا للمعنى ومناسبة له[3].»

تطبيقا لما عالجه البحث نظريا يمكن أن يقال:«إن للواو والنون المتكررة في الفواصل القرآنية لها دلالات تخضع للسياق والفكرة المركزية الإيمانية المسيطرة على السورة حيث يعدّ الواو:«حرف باطني وحامل معنى الغيوب والأسرار[4].» «مستغرقا الزمان والمكان ما يمنحها صفة الاستمرارية والثبات والمواصلة في خط افقي ممتد.[5]» فصوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم كانّه يصوّر حركتهم التقدمية والمتواصلة التي لاتعرف التراجع والانعقاب فالخشوع والإعراض عن اللغو والحفاظ على الفروج والصلاة ورعاية العهد كلها أمور ينسحب عليها الإقبال على الذات والانكفاء عليها تلبية للكمال والسمو بالنفس.

٢-٦-٢- التكرار على صعيد الفواصل والمقاطع

إن هذا المقطع(الواو والنون)المتمثل في تكرار الفاصلة الواحدة منح دلالات ثلاثية الأبعاد(الزمان والمكان والحركة التقدمية) للمؤمنين. لأن الإيمان صفة ثابتة مستقرة باطنية شاملة للزمان والمكان في نفوس المؤمنين وهي حركة تواصلية تقدمية من الخارج إلى الداخل يدخل الإيمان في الباطن والصميم ويستقر فيه. كأن الصفات المنسحبة على المومنين طابقت فطرتهم السليمة في طواعية وانسيابية دون رفض داخلي وتأصلت في صميم دواخلهم واحتضنتها. فبإضافة الواو إلى النون تشكل أيضا مقطع صوتي مغلق له دلالاته فالمقطع: «هو كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم وينقسم إلى المقاطع المفتوحة والمقاطع المغلقة

---

١. بدر الدين الزركشي: *البرهان في علوم القرآن* تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م، المجلد ١ص٥٣.

٢. طلال خليفة سلمان: مستويات السرد الوصفي القرآني ، ص ١٣٦.

٣. محمد قطب عبدالعال: *الأداءالتصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم*، مجلة الداعي الشهرية ، دارالعلوم ، ذوالقعدة، ١٤٣٠ه، عدد ١١ص ٣٣.

٤. فخرية قادر غريب: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، ص ١٠٨.

٥. عبدالله محمد فريد عبدالله: *الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم*، بيروت،دار ومكتبة الهلال، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢١٣.

وله قيمة إشارية في انتاج الدلالة وتكوينها ويكون منفذا للولوج إلى البنية العميقة والمضامين والحالة النفسية والأفكار.[1]»

أي انغلاق أنفسهم على المبادىء التي يعتقدون بها وعدم الخروج من دائرتها محاكاة للنون المغلقة والانكفاء على الذوات حيث لاتنحصر أنفسهم في تلك الداوئر بل تطفو أعراض تلك القيم والمبادئ إلى العلن أيضا.

قد تم رصد حرف العين في بداية السورة وفي الفواصل ك:خاشعون معرضون فاعلون راعون حيث يعد الأخير مع حرف النون «حرفان دالان على بواطن الأمور الظاهرة الأعراض.[2]» إذ يلاحظ للخشوع وللإعراض عن اللغو والزكاة والعهد دلالات وإشارات،بادية على سلوكيات المتصف بها. وما يعاضده في هذا الجانب وجود التكرير في (الذي والذين)خاصة في بدايات السورة و حيث يشتملان على الياء المدية التي توحي ب«الديمومة والاستمرار والتقصي فضلا عن دلالته بالانكسار والرقّة والخشوع.[3]» أي هولاء المؤمنون يتقصّون تلك الميزات في ذواتهم حتّى تصبح طبعا وخليقة باطنية فيهم تتفاعل انفعالا شديدا فيهم.

لأنّ دلالة(الياء) هي:« للانفعال الشديد والمؤثر في الباطن.[4]» أي تلك الميزات بعدالتأصيل والترسيخ في ذواتهم تظهر وتبرز إلى الوجود وتبدو إلى العيان مع استمرار وثبات يشاهدها الرائي.

فطبقا لما يراه علماء العربية بأن كل صوت له ظل وشعاع وأن صوت الحرف معبّر عن غرض في سياق ويستقل كل صوت من أصواتها ببيان معنى خاص يرى البحث أن توظيف صوت النون في فواصل السورة حسب السياق هو الأنسب والأفضل تماشيا مع الجو العام فيها.

«إن صوت النون، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع فإذا لفظ مخففا مرققا أوحي بالرقة والاستكانة وبالحركة من الخارج إلى الداخل معبرا عن الصميمية والبطون في الأشياء.[5]» وهذا ما يمكن استجلاءه في السورة من حيث استبطان الإيمان والخشوع والحفاظ على الصلاة والعهد والفروج؛في نفوس المؤمنين مع قبول تلك الأمور التي تعد تلبية لدعوة خارجية ومن ثم ظهورها مع وجود حالة الرقة والشعور المنتاب والمنسجم مع سماتهم المذكورة تبعا للسياق والجو العام والمهيمن على السورة طبعا.

---

١. فخرية قادر غريب: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني،ص ١٠٧.

٢. عبدالله محمد فريد عبدالله: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم الصوت، ص ٩٥

٣. المصدر نفسه: ص ١٩٦.

٤. حسن عباس: *خصائص الحروف العربية ومعانيها*، منشورات اتحاد كتاب العرب ، ١٩٨٨م، ص ٩٨.

٥. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٦٠.

مـن جانـب آخـر، فـإذا تأملنـا في الفواصـل نفسـها وجـدناها علـى وزن فـاعلون في سـورة المؤمنـون وقـد بـدأت بمقطع(الفاء)المفتوح والمختوم بالألف الدال على الشموخ ثم تتوسط بين(الألف والواو)الكسرة الدالّة على الإنكسار والخشية وعلى الرضا والسكينة النفسية؛ ثم تليها باطنية الواو وانغلافها.في الحقيقة أن هذا الإيقاع الصوتي ينسجم مع الجانب الدلالي،خاصة عند التعريف بسمات المؤمنين.

ثمة مقاطع مفتوحة مستمدة انفتاحها من دلالة(الألف) متخللة السورة ومتناوبة فيها فإن لها دلالات. فالمقاطع المفتوحة(فا،حا،عا،وا،خا) في: فاعلون،حافظون،عادون، وارثون،خالدون ... توحي دلالتها بالديمومة والاستغراق للزمان والمكان لتلك الأفعال والصفات.(فالألف) فضلا عن احتوائه لميزات الدوام والثبات، يوحي بدلالة الامتداد إلى الأعلى[1].»

إن هذه المقاطع المفتوحة والتي يكون اتجاه الفم فيها إلى الأعلى يأتي منسجما ومتماشيا مع تطلع المؤمنين وصعودهم إلى العلى والقمة في العقيدة والإيمان «فإنّ هذا الامتداد في النطق ما يناسب التعبير عن الامتداد في الزمن وشمولية هذه الصفات وخلودها وتأصّلها لديهم.[2]»

إن ما يوحيه المقطع المفتوح:(خا)+ش المكسور+ مقطع المغلق (عون) وعلى شاكلته فا +ع +لون و را+ع+ون حا +ف+ظون وا+ر+ثون هو التطلع والسمو بالنفس من الدناءة المتمثلة في الشح والبخل (عدم إيتاء الزكاة) وعدم الحفاظ على الصلاة والفروج وعدم رعاية العهد فبتالي يتحقق التوازن النفسي للمؤمنين ما بين شموخ الألف وباطنية الواو بانكسار الكسرة بينهما.

إن اختتام الآية بمقطع (الواو والنون) يكون موحيا بتوجههم الدائم إلى الأمام وكأنّه عودتهم إلى القاعدة الإيمانية نفسها لبدء انطلاقة إيمانية جديدة بنفس القوة والثبات والعزيمة لتكملة مشوارهم الإيماني الصاعد. فبتالي تعاضدت الدلالتان المركزية والهامشية عبر التكرار الصوتي والحرفي للفواصل والمقاطع في تحقيق التماسك الدلالي في السورة

إذن تبين أن التكرار في القرآن قدجمع الوظيفتين(الفكرية والعاطفية معا) وحقق هذه الأخيرة(التأثيرية) عبر تكرارالفاصلةالواحدة أي فاصلة الواو والنون مثل:المؤمنون،خاشعون،معرضون،فاعلون،حافظون،عادون،راعون، يحافظون وارثون وإلى نهاية السورة.

حيث بدا جليا إن هذه الفاصلة (الواو والنون)كيف أسهمت في تحقيق التماسك النصي وتحقيق التناسب بين الآيات ليس على صعيد اللفظ والمعنى فحسب بل على صعيد الحالة النفسية ومن ثم تحقيق الوظيفة التأثيرية من الخطاب لأن خلق

---

١. أبو الفتح عثمان بن جني: *الخصائص* تحقيق محمد علي النجار، دارالشؤون الثقافية العامة،بغداد، ط٤، ١٩٩٠م، ٢/ ص ٣٦٠

٢.احمد أبوزيد: *التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم اللغوي والصوتي*، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مغرب ، دارالبيضاء، د.ط،١٩٩٢م، ص ٣٢٤.

حالة نفسية منسجمة مع الدلالة الصوتية والمقاطع القرآنية هي أحد أركان التماسك ودلالة الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

٢-٦-٣-التكرار على صعيداللفظ

قد تمثل التكرار المحض على صعيد المفردات في سورة المؤمنون وذلك عبر الضمائر الشخصية للغائب والإشارية بكثافة تأكيدا وتوظيفا للدلالة المركزية وهو التوحيد والإيمان فرغم التعدد إلا أن المرجعية واحدة وهو الله سبحانه وتعالى فان التكرار للفظ الجلالة الله ورب ثم الضمائر التي تحيل إليه يحدث التماسك النصي بين الآيات المتقاربة والمتباعدة تذكيرا بالدلالة المركزية لأن كما ذكر هاليداى Halliday ورقية حسن قد ترجع الضمائر إلى أفكار سابقة كما ترجع إلى كلمات أو جمل أوفقرات كما في هذه الآيات:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ ﴿ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُالعادُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يحافِظُونَ﴾ ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ مؤمنون/ ١-١١.

يلاحظ أن الضمير هم والمحال إلى المؤمنين المذكور في بداية السورة والمتكرر أثناء الآيات -فضلا عن التبسيط في السمات والصفات -يقوم بمعاودة فكرة الإيمان مع المتصفين به على التوالي وذلك على صعيد الآيات في المقطع الأول ولم تكن تكرار الفكرة على صعيد المقطع بل تكون في الآية نفسها:

﴿ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ ﴾ مؤمنون/ ١٨.

أو في هذه الآية:

﴿ فَأَوْحَينا إِلَيهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيننا وَ وَحْينا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا ﴾ مؤمنون/٢٧.

حيث التكرار على صعيد الضمير المتكلم للجمع والمحال إلى الله سبحانه في أنْزَلْنا فَأَسْكَنَّا أَوْحَينا بِأَعْيننا وَحْينا أَمْرُنا (المرجعية الخارجية) قد زاد في تماسك الآيات أعلاها.

وقد يكون التكرار لفظا كما في هذه الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَهُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يؤْمِنُونَ ﴾﴿وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يشْرِكُونَ﴾«﴿ وَ الَّذِينَ يؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ﴾ مؤمنون/٥٧- ٦٠﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّكَ خَيرٌ وَ هُوَ خَيرُ الرَّازِقِينَ ﴾ مؤمنون/٧٢. ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِّي مايوعَدُونَ﴾ ﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾ مؤمنون/٩٣-٩٤. ﴿وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾ ﴿وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾

حيث تكرر لفظ الرب في السورة تأكيدا على موضوع السورة وهو التوحيد والإيمان بالله تارة مضافا إلى الضمير الغائب هم وتارة إلى ضمير المخاطب كم وك وتارة أخرى مجردا منها فبالتالي قد أدى إلى تماسك شديد سواء على المستوى الشكلي أوالدلالي حيث التنويع والاضافة إلى الضمائرالمتعددة ما يعني التعدد في المربوبين والوحدة في الرب أيضا وكذلك ينبغي للمؤمن وللداعي أن يكثر من اسم الرب في موضع الدعاء والاستعاذة حتى يتحقق بذلك الانسجام النفسي والشعور بالوحدة للعبد مع وحدانية الرب والالتجاء به تماشيا مع الانسجام والتماسك الشكلي والصوتي والدلالي. وقديكون في تكراراسم الفعل أيضا كما في هذه الآية المباركة: ﴿هَيهاتَ هَيهاتَ لِما تُوعَدُونَ ﴾

وكذلك قد يكون على صعيد تكرار الجملة الواحدة وذلك تكرارا لنفس الشعور بالمعاناة وعدم جدوى الدعوة بعد طولها والإبلاغ ما يعني تكرارا للإمداد والنصرةمن الرب: ﴿قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُون ﴾ المؤمنون/ ٢٦﴾. قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون/ ٣٩.

ثمة ملاحظة هامة يجب التنويه عليها وهي أن أنماطا كثيرة من فنون البديع يمكن إدراجها تحت عنوان التكرار مثل الترادف ورد العجز على الصدر وتشابه الأطراف و الجناس ... كما في الآية التالية حيث رصدالبحث لها فن رد الصدر على العجز مع التكرار في الضمائر والألفاظ علقة مضغة عظام:

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ﴾ المؤمنون/ ١٤.وذلك رد العجز على الصدر في هذه الآية:

﴿حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ المؤمنون/٦٤. ﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ ﴾ المؤمنون/٦٥.

وكذلك صنعة الترادف في أنشأنا وخلقا في: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُأَحْسَنُ الْخالِقِينَ ﴾ المؤمنون/١٤.

وكذلك صنعة التجنيس في السماء والماء:﴿وَأَنزَلنا من السماء ماءً بقَدَر ﴾ المؤمنون/ ١٨.

٢-٧- الحذف Ellipsis

يعد الحذف واحدا من العوامل التي يحقق التماسك النصي فهو يعني لغة:«الطرح والإسقاط كما جاء في لسان العرب:« حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه وقال الجوهري:حذف الشيء إسقاطه ومنه حذفت من شعري... أي

أخذت منه[1].» وفي علم اللغة النصي وعلى ما ذهب إليه هاليداى(Halliday)يعني الحذف:« علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني« أن الحذف يكون عادة علاقة قبلية.[2]»أي يحذف جزء من الجملة الثانية يدل عليه دليل في الجملة الأولى كما أشار إليه سابقا ابن جني بقوله:« قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة والحرف وليس شيء من ذلك وإلا عن دليل عليه[3].»

فبذلك يساعد على الاختصار وعدم الإحالة بذكر معلومات زائدة أي تسقط كلمة لدلالة فحوى الكلام عليها فبذلك تكون دلالة المحذوف كدلالة المذكور في تكوين التماسك والربط بين المعنى السابق والمعنى اللاحق فإذا نظرنا إلى ظاهرة الحذف من منظور تواصلي يظهر أن المواقف الاتصالية تقتضي حدوث ذلك الاختزال والاختصار أيضا ليكون النص واضحا من جهة ولا يشعر المخاطب بالسأم والملل من جهة أخرى.

فضلا عن وجود الدواعي الجمالية والتماسكية التي تزيد النص رصانة «إن الحذف يؤدي إلى تفعيل المشاركة بين المخاطب والمخاطَب في إنتاج الدلالة وتشكيلها والإفادة من التراكم المعرفي لدى كل منهما.[4] » ومن ثم تحقيق التماسك النصي على صعيدين أولهما:

«إن الحذف يترك أثرا في النص ويحث المخاطب على البحث عما يشغله ويسده ويستند في بحثه إلى مكونات النص الذي بين يديه كما ذهب إليه الجرجاني من قبل:«إنك ترى فيه (الحذف)ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة.[5]»

والجانب الثاني هو «أن يكون المحذوف من جنس المذكور أو يكون للمذكور مايدل عليه لأن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به[6]. »

بتعبير آخر إن العلاقة في العملية الحذفية علاقة قبلية كما ذكرها هاليداى(Halliday). إذن لايخفى على أحد دور العلاقات النصية في إحداث التماسك بين النصوص.

بتعبيرآخر يقوم الحذف بدور اتساقي وتماسكي رغم عدم وجوده في النص إما معتمدا على ذكره في كلام سابق

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة حذف

٢. محمد الخطابي: *لسانيات الخطاب*، ص ٢١.

٣. ابن جني: *الخصائص*، ج ٢، ص، ١٤٠.

٤. عثمان أبو زنيد: *نحو النص* ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م. ص، ١٢٧.

٥. عبدالقاهر الجرجاني: *دلائل الإعجاز في علم المعاني*،ص ١١٧.

٦. ابن جني: *الخصائص*، ج١/ ص٢٨٥.

أوالقرائن والسياق أو على فهم المخاطب. إن ما قام به البحث في موضوع الحذف ليس تبيين دوره في التماسك والتركيز على الدلالة المركزية فحسب بل أراد البحث بتطرقه إلى مفاهيم التكرار والحذف وعلاقتهما بالتماسك أن يجلي أثر التغيرات الشكلية وحتى حذف بعض العناصر المكونة في الخطاب في استيحاء واستيلاد الدلالات والمعاني.

كما جاء متقدما يكون المحذوف إسما أو فعلا أوحرفا أو جملة حسب ما صنفه ابن جني في الخصائص وما تبعه ابن هشام في ذلك بقوله: قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة والحرف وليس شيء من ذلك وإلا عن دليل عليه كما أشار البحث إليه سابقا. أما هاليداي(Halliday) ورقيه حسن فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف: «الحذف الإسمي ويعني حذف اسم داخل المركب الإسمي مثل أي سيارة ستركب؟ هذه هي الأفضل. والحذف الفعلي ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي مثل هل كنت تسبح؟ نعم فعلت والحذف داخل شبه الحملة مثلا كم ثمنه؟ واحد دينار[1].»

٢-٧-١- دلائل الحذف

والدليل للحذف يكون لغرض بياني كما صرح به الشريف مرتضى:«إعلم أن من عادة العرب الإيجاز والاختصار وطلبا لتقصير الكلام وإطراح فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره.[2]» وما يمكن إضافته من أسباب الحذف أيضا هو موضوع الاقتصار اللغوي وإدارة الوقت أيضا.

وأما الإيجاز ما يمكن الاشارة إليه بهذه الآية من سورة المؤمنون:

﴿فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَينِ اثْنَينِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾

المؤمنون/٢٧. حيث حذف اسلك طلبا للاختصار في وَأَهْلَكَ أي واسلك فيها من أهلك فكان بذلك الحذف الفعلي.

وقد يكون المحذوف إسما يمكن الإشارة إلى هذه الآية وذلك للتقصير في الكلام والاختصار كما في هذه الآية: ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون حيث حذف أجلها فالمحذوف هو الإسم أجلها دل عليه ذكره السابق.

وقد يكون المحذوف حرفا وذلك أيضا طلبا للاختصار وكذلك وضوح الكلام واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الأعراف / ١٥٥ اي اختار موسى(من) قومه.

وأما هناك أسباب وأغراض نفسية للحذف فضلا عن اغراض الحذف البيانية كما ذكر الزركشي بقوله :«من أغراض

---

١. محمدخطابي: *لسانيات النص*، ص ٢٢.

٢. مصطفى شاهر خلوف: *أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز* ،الأردن ، عمان، دارالفكر، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٥٦

الحذف موقعه في النفس.[1]» أي يحذف جزء من المبنى لأسباب نفسية قد يكون التعجيل في إيصال المعنى إلى المتلقي بأسرع طريق بسبب ضيق المقام الناشئ عن حالة جسمية كما في الآية: ﴿فاقبلت امرأته قالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ ذاريات/٢٩.

حيث حذف الضمير(أنا)في الآية أعلاها إبرازا للدهشة والتعجب ومن ثم الاستغراب وإبراز الحالة الجسمية التي تعاني منها زوج ابراهيم من شيخوخة وطعن في السن والعقم الناتج عنه حيث غاب وجودها وكأنها غير موجودة بسبب هذا الشعور ولذلك لم يأت الضمير مذكورا.

وبالمقابل لاتعني بالضرورة قضية(زيادة المباني الدالة على زيادة المعاني) أن طرح وحذف المباني يعني طرح المعاني ففي مقابل الامتداد اللغوي وأضافة عنصر إلى المبنى كما تطرق البحث إليه في قسم السوابق هناك اقتصار لغوي(الحذف) ما يدل على دلالة ومعنى مكنون ما يثير انتباه السامع ويحمله على التفكير فبسبب الحالة النفسية من الضجر أو السآمة أو الحالة الزمنية من قصر مدة أو وقت يحذف جزء من المبنى وفي هذا الحذف معنى وقصد:

كما في هذه الآية:﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُون ﴾ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحا﴾ المؤمنون/ ٩٩-١٠٠.

فقد حذفت ياء النداء في مناداة الرب لشعور الكافر بقصر المدة والزمن وفوات الأوان ورهبة الموقف الذي يعانيه فإنه بحاجة ماسة إلى توصيل الفكرة والقصد حيث حذفت الياء المحال إليه(الكافر) في (ارْجِعُون) أيضا ما يعني شعوره بالتلاشي والانهيار والغياب عن دائرة الحضور والدنيا والقلق والخوف عند موقف الموت فإذا بالحقيقة الباهرة التي أخفت حضوره وأغابته عن نفسه: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِي أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فيقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ منافقون/١٠.

فالشاهد في (فَأَصَّدَّقَ)حيث حذفت التاء في الوزن الصرفي أتفعل(أتصدق) إيحاء بالاختصار والاقتصار الزمني الذي يعاني فيه المخاطب في الآية فظهرت تلك الحالة النفسية في هيئة الاقتصار اللغوي والحذف ثم يستمر الحذف ويشمل الفعل بعده في (أكُن) بدلا من (أكون) وكذلك في الآية الشريفة:

﴿ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيهِ صَبْراً﴾ كهف/ ٨٣. حيث حذفت التاء إيحاء و إيذانا بعدم استطاعته على الصبر ما تجلي شعور موسى عليه السلام واستعجاله لمعرفة الأسباب والعلل.

ليس الشعور بالضجر والسآمة ما يستدعي الحذف بل يكون في أسمى الحالات الوجدانية المتمثلة في الدعاء وشعورالعبد

---

١. مصطفى شاهر خلوف :*المصدر نفسه*،ص١٦٢.

بالالتجاء والملاذ بحصنه الحصين والشعور بالقرب والحميمية كما في الآيات التالية حيث حذفت الياء في رَبٍّ وذلك في مقام الدعاء:

﴿قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ المؤمنون/ ٩٣-٩٤. ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ ﴾﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ المؤمنون/ ٩٥ - ٩٦.

إن ما بحثناه في هذا الفصل كان التركيز على البعدالشكلاني للخطاب لكن حان الحين لكي يتطرق البحث إلى الأبعادالوظيفي والتداولي للخطاب وممارسته واستعماله على الصعيدالاجتماعي والمجتمع.

٢-٨- الخطاب الوظيفى

٢-٨-١- مقام التلفظ للخطاب

في مقابل النظرية الشكلانية التي يتم التركيز فيها على داخل النص فحسب تأتي النظرية الوظيفية حيث يعتقد أنّ التركيز لابدّ أن يتمّ على توظيف العناصر اللغوية والدور الذي تقوم به خدمة للوظيفة التواصلية على«أنّها إنتاجا للعوامل الغير لغوية كالعوامل النفسية والاجتماعية والأيدئولوجية.[١]» إنّها تركّز على السياق وعلى الدور الاجتماعي للغة فترى أنّ تحقيق الشكل اللغوي وبنية اللغة هو من أجل غايات اجتماعية وخدمة لها كما يعتقد هاليداى.[٢] » بتعبير آخر الوظيفية ترى أن البنى اللغوية محكومة بوظائف اللغة التي لا تتحقق إلا في سياقات الكلام الفعلي.[٣]» لذلك يصبح الخطاب من هذا المنظور هو التلفظ بزيادة مقام التواصل فبالتالي الربط بين النظام اللغوي واستعماله لتحقيق أغراض تواصلية حيث الأهداف التواصلية هي التي تحدد شكل البناء اللغوي وكما يقول سيمون ديك (simon dick): «النظام اللغوي يستجيب للوظيفة التواصلية وهي الوظيفة الأساسية للغة.[٤] »

إنّ الوظيفيين يدرسون كيفية تشكيل المفاهيم في صياغات الجمل وما يوحي الإسناد والخبر ومكوناتهما من معاني مع

---

١. فردوس اقا كل زاده*تحليل* كفتمان *انتقادى*، ص ٤٩.

٢.المصدرنفسه: ص ٥١.

٣. منذر عياشي: *النص والأسلوبية*، دمشق، دار المحبة، د.ط، ٢٠٠٩م، ص ٩٨

٤. سعيدة علي زيغد: *تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي*، عمان ،دار مجدلاوي، ط١، ٢٠١٥ م، ص٤٠.

التركيز على البعد الوظيفي والنفسي والعاطفي.[1] »كما يرى أبرز ممثلي هذه النظرية(هاليداى) أنّ المعنى الوظيفي للغة يختزل في ثلاثة وظائف:«الدور التجريبي(الانعكاسي) النصي والشخصي.

«فالمقصود من التجريبي هو إدراكنا للواقع وتمثيله فبالتالي تنظيم التجارب سواء الواقعية أو الذهنية منها. والوظيفة النصية ما تعني الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه – ما يمكن أن تكون هذه النظرية تمهيدا للولوج إلى التداولية – والشخصية أو التفاعلية وهي وظيفة أنا وأنت حيث تستعمل اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي.[2]» فقد كانت الوظيفة النصية والتفاعلية منصة الانظلاق لمعالجة الخطاب التداولي ثم التواصلي فيما بعد.

في الحقيقة أنّ الوظيفة التجريبية ما هي إلا تعبير عن رؤية المتكلم عن الكون وتجاربه في الحياة وأما الوظيفة الشخصية وهي التركيز على التواصل المتبادل بين الأشخاص تحقيقا للتواصل المناسب والأفضل وأما الثالثة فهي الوظيفة النصية والتركيز على علاقة اللغة بالسياق لتكوين النص من جهة والعلاقة النصية بين عناصر النص الداخلية من جهة أخرى كالتقديم والتأخير والتكرار والحذف والذكر..[3]»

إن هذه الوظائف الثلاثة تأتي لتحقيق الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل والإبداع كما يرون الوظيفيون فإن هذا الإبداع اللغوي يتمثل في قدرة المتكلم على خلق معان جديدة لا في قدرة المتكلم على توليد أو خلق جمل جديدة كما يرى الشكلانيون خاصة تشومسكي إلى اللغة على أنها شيء نعرفه في حين ينظر هاليداى (Halliday) إلى اللغة على أنها شيء نفعله.[4]»

إن الوظيفيين يرون أن الصور اللغوية مظهرا وظرفا لظهور المعنى وأن الكلمات تتآلف وتتقدم أو تتأخر من أجل تحقيق التأثير على المتلقي تابعة أحوال النفس وما يثار فيها من معان وصور وفي هذا المعنى يقول عبدالقاهر الجرجاني: إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق.[5] »

---

١. فردوس اقا كل زاده: *تحليل الخطاب النقدي*،ص ١٨.

٢ نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص ٢٠٣.

٣. راجر فالر: *بررسي زبان بمنزله ادبيات*، ترجمة مريم خوزان ،طهران، نشر ني، ط٢، ١٩– ٣٨.

٤. احمد المتوكل : *قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية*، دارالآمان ، رباط ، المغرب، ١٩٩٥م، ص ١٦.

٥. الشيخ شبر الفقيه: الدلالة القرآنية في فكر الطباطبائي، ص ٢٢١.

إن هذا المعنى الوظيفي الأول للغة(الانعكاسي) شديد الارتباط بالمعنى التأثيري والنفسي للغة فبالتالي يكون الخطاب وفق هذا المنظور ذو طابع نفسي تأثيري مع تمثيل الواقع وتبيين التجارب وفي هذا الشأن قد قسم الوظيفيون ما سمّي بالمتقدم إلى ثلاثة أقسام:«المتقدم الموضوعي والمتقدم الشخصي والمتقدم النصي.[1]» فسيحاول البحث أن يعالج تلك الأقسام في الآيات المستشهد بها. إن هذه الوظيفة ما يمكن ربطها بنظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني خاصة عند التقديم والتأخير.

تطرق البحث على سبيل المثال وتبيينا للوظيفة الانعكاسية إلى تعبيرين مختلفين وبيان تجربتين من الواقع من سيدنا هارون عليه السلام بعد عتابه وتعنيفه من قبل موسى عليه السلام وذلك في قصة رجوع موسى من الميقات إذ في كل مرة يفصح عن إحساسه وشعوره وكذلك تمثيله للواقع من منظور ومفهوم مختلف أي الوظفية التمثيلية:

﴿إِلَيهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْداءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف/١٥١ وفي طه/ ٩٤. ﴿ قالَ يا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لابِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَينَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾.

في الآية الأولى يطلب هارون من موسى أن لا يشمت به الأعداء وفي الآية الثانية يعبر عن ذلك ب لاتَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي وكذلك في جواب موسى مرة يجيب ب:

﴿إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يقْتُلُونَنِي ﴾ ومرة أخرى ب: ﴿بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَينَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾وكل ذلك من منظور ورؤية المتكلم وإحساسه وفي كل مرة يختلف الأسلوب عن تصوير وتمثيل الواقع.

المفهوم واحد في هذه الآيات وهو استعطاف واستدرار عطف موسى عليه السلام(التجريبي) لكن تمثّل مرّة في تهويل الأمر بقتله (هارون) ومرة بتمثيله في تشتت وتفريق بني إسرائيل ففي هذا الشأن لا نغفل دور السياق والمقام في الآية أيضا حيث استهلت الآية الأولى بخطاب موسى عليه السلام لقومه ولذلك جاء الحديث عن القوم فيما بعد عن لسان هارون:

﴿إِلَيهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين﴾ الأعراف/١٥١.

حيث يصوّر لنا استضعافه وعدم جعله مع الظالمين وعدم تسويته معهم من قبل موسى فقداستهل كلامه بالاستضعاف

---

١. نادية رمضان النجار: *الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي*، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٩٠.

ومحاولة القتل وختمها بالظالمين أي صوّر لنا واقعه المظلوم وواقعهم الظالم. لكن في الآية الثانية لم يأت ذكر القوم و لذلك اقتصرت الآية على الحديث بين هارون وموسى وعدم التشميت وعدم الأخذ باللحية والرأس وخشية التفريق بين بني إسرائيل.

ففي الآية الأولى ركّز هارون على استضعافه وتمثيل الواقع الملمّ به من استضعاف ومحاولة قتله واكتفى ب﴿ فَلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْداءَ ﴾ لكن في الآية الثانية ركّز على عدم تشميت الأعداء به وبيّن ووضّح ذلك ب﴿لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لا بِرَأْسِي ﴾ حيث كان الموقف ثنائيا تم فيه العتاب أوضح. أي تم إدماج وظيفتين الانعكاسية(تمثيل الواقع) والوظيفة الشخصية (الارتباط والتواصل) لتوظيف أفضل خطاب وتواصل ومن ثمّ التأثير حيث كان التأثير ناجحا إذ حمله(موسى) على الغفران:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أعراف/ ١٥١.

وفي هذا الشأن يمكن أن نربط بين الوظيفة النصية المتمثلة في التقديم والتأخير المتعلقة بالخطاب الشكلاني والتي مرذكرها تحت عنوان التغيير في التركيب والوظيفة الانعكاسية الشديدة العلاقة بالحالة النفسية والعاطفية حسب رأي الوظفيين لأنّ التقديم والتأخير عندهم ينبيء عن ترتيب المعنى في النفس كما يرى عبدالقاهر الجرجاني:«إنّ نظم الكلم يقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعنى في النفس.[١] »

وفي الآية أعلاها المتقدم هو (القوم)حيث تقدم على فعل (استضعفوني)ومن ثم تحقق التقدم الموضوعي بجعل القوم البؤرة والموضوع حيث قصد المتكلم هو التركيز على القوم. بتعبير آخر حصول التقديم الموضوعي لكن التقديم دائما لم يكن موضوعيا بل يكون نصيا له دلالاته كما في هذه الآية:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْيبايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يأْخُذُونَها وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ الفتح/ ١٨.

حيث قدّم سبحانه وتعالى الرضى على المبايعة وذلك لاستعجال المسرة والإخبار بالرضى عنهم تسكينا وتطمينا فأنزل السكينة عليهم ولم يقل(أنزل عليهم السكينة) فتقدمت السكينة على(عليهم) لأنها المطلوبة في تلك الظروف العصيبة وهم أحوج إلى السكينة والتثبيت من الله سبحانه وتعالى ثمّ بشّرهم بالفتح القريب ثمّ الحصول على المغانم فقد تقدمت المغانم على الفعل يأخذونها ووجود الضمير الهاء الذي يعود إلى مغانم.

---

١. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٤٨.

فقدكان هذا الترتيب كله عن حكمة ما يؤكّده مجيء الحكيم في نهاية الآية فضلا عن مراعاة الترتيب الزمني للأحداث حيث البيعة(بيعة رضوان) أولا ثم البشارة بالفتح القريب(فتح مكة) وبعدها وقعت غزوة حنين حيث حصلوا غلى مغانم كثيرة فيها.

فقد تقدم العزيز على الحكيم أيضا في نهاية الآية: ﴿وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ مايعني التقدم الموضوعي المتناسب مع الفتح والعزة المتناسبة مع الانتصار والاستبشار بالمغانم وهذا ما يفسر أثر الوظيفة الانعكاسية على التقديم والتأخير.

فإذا كانت الوظيفية تركز على الفكر والقصد والأغراض ومن ثم الأدوار والوظائف الست للغة حسب أكبر ممثليها عندجاكبسون والتي يجعلها تتفق مع الخطاب التواصلي في خططه خاصة الوظائف اللغوية من إفهامية وتأثيرية والمرجعية .. فإن الجانب التداولي يركز على كيفية تحقيق ذلك التواصل وفي الفعل اللغوي والإنجاز خاصة على مقام التلفظ للخطاب.

قبل أن ندخل في تداولية الخطاب علينا أن نوضح بأن مقام التلفظ للخطاب، هو الذي يمنحه البعدالتداولي وقد وضحنا في فصل الأول وفي جدلية النص والخطاب ما هو مقام التلفظ وما يعني لكن الآن يتطرق البحث إليه باختصار لكي يتسنى للقاريء تناول الخطاب التداولي في القرآن الكريم وهذا يتطلب الإلمام بحيثيات الخطاب أي سياق الخطاب الذي يأتي من مقام التلفظ:

إذا كان هاريس (Harris) وقف عند حد الملفوظ لكن بنفيسيت(Benveiste) وهو باحث آخر فرنسيا ذهب شوطا أبعد في تعريفه للخطاب حيث أدرج المفهوم التداولي والبراغماتي فيه ويرى أن الخطاب ليس ملفوظا بوصفه الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته بل هو التلفظ كما أورد ذلك البحيري في كتابه النص والخطاب بقوله:« وهو(الخطاب) يعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة إنّه فعل حيوي في إنتاج نص ما، كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي انجزته. فدراسة التلفظ كما يقول بنفيست تتيح لنا دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة ويعني بالتلفظ الفعل الذاتي في استخدام اللغة بوصفه فعلا حيويا في إنتاج نص ما ومن هذاالمنطلق يعرّف بنفسيت الخطاب بأنّه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول قصدالتأثير في الثاني.[1]»

إذن يكون الخطاب تلفظا وليس ملفوظا أي يتمتع ببعد تواصلي كما يعتقد مانكينو(Mancino)« إن الملفوظ هو متتالية من الجمل الموضوعة بين بياضين دلاليين وهذا يعني أن نظرة تلقي على نص ما من وجهة بناءه لغويا تجعل منه ملفوظا

١.عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،ص٩١.

وأنّ دراسة لسانية لشروط إنتاج هذا النص بوصفه حدثا تواصليا تجعل منه خطابا[1].» أي الأصل في الخطاب أنه عبارة عن فعل أو عن فعالية تواصلية.

فخلاصة الكلام، إن الملفوظ يمثّل خاصية من خواص الاستعمال والمعنى أما التلفظ -وهو الملفوظ بزيادة مقام التواصل -فيمثّل خاصية من خواص الإنتاج والدلالة أي دلالة الخطاب. ففي هذه الحالة الكلام يرادف الخطاب حيث يتضمن الذات المتكلمة وكل حيثيات الإنتاج التي تضفي عليه خاصية تداولية لأنّ الاستعمال اللغوي ليس هدفه إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه.وكما يعتقد طه عبدالرحمن:«إن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.[2]»

إذن الخطاب يمنح النص البعدالتداولي أي إنّ الخطاب ليس بجملة محددة بفعل وذات فقط ولكن بكلمة تحمل مفهوما يتحدد كيانها بالنظر إلى عناصر جد مهمة في العملية التخاطبية فعلى سبيل المثال تعد كلمة قف خطابا وجملة في الوقت نفسه جملة لاحتمالها عنصرين وهما الفعل والفاعل وخطابا باعتبار العناصرالمحيطة بها لا سيما في ذلك العنصر الذي يجعل المتلقي في أثناء سماعها أو رؤيتها إذا كانت مكتوبة يؤدّي عملا ما فالخطاب يشتمل على ذوات متكلمة أو كاتبة كما يشتمل في الوقت ذاته على مستمعين أو قراء ممّا نستبين من هذا التعريف للخطاب:«بأنّه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم.[3] »

وهذا يقتضي أنّ الخطاب هو الكلام الموجّه توجيها مباشرا من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه في سياق أو مقام لتحقيق غاية بعينها أو إفهام ما هو متهيء لفهمه وإن له وظائف منها إبلاغية ومنها تأثيرية أي التركيز على القصد والإبلاغ والتأثير. فإذا انتقلنا من الشكل والعلاقات الشكلية في النص وخضنا غمار القصد والفكر والإبلاغ والتواصل والتأثير ما يجعلنا نخوض في دائرة الخطاب الوظيفي وإذا ركزنا على جانب الاستعمال اللغوي والبعدالأنجازي والقوة وتداولية الكلام في الواقع مايتحتم علينا أن نعالج الجانب التداولي والبرغماتي للغة وإذا ركزنا على السلطة والقوة التي يستمدها الكلام ومن أين ؟ فعلينا أن نخوض غمار الخطاب السلطوي.

إن ما نلاحظه من اختلاف في الخطاب من حيث المنظور عند كل من الألسنيين -وإن تبدو غير مرتبطة البعض بالآخر- لكن تلتقي في عدة أصول ومبادىء تخدم بحثنا التواصلي وهو أصل التواصل لأن البحث جاء مركّزا على تلك الأصول

---

١. المصدر نفسه: ص ٩٢.

٢. طه عبدالرحمن: *اللسان والميزان التكوثر العقلي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٦٠.

٣. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة،ص ٢٩.

المشتركة حيث يمكن الترابط بين أصل التجريب والاستعمال عندالوظيفيين والتداوليين واللسانيات المعرفية فبما أنّ الاستعمال لا ينفصل عن السياق فلا بدّ من التطرق إلى الحيثيات وقد بينا إنّ هذه القضية هي التي تمنح الخطاب بعدا تواصليا ووظيفيا فبذلك يربط تلك النظريات أمر واحد وهو التواصل والتركيز على التوظيف والاستعمال.

تركيزا على الجانب التواصلي في الخطاب ومقام التلفظ الذي منح الخطاب وظيفة أخرى ترتبت عليها آثار وأفعال في الواقع والاستعمال حسب الظروف والحيثيات وعلى إثرها انتقل الخطاب من التركيز على داخل النص وعلاقاته إلى خارج الخطاب وإلى الأدوار والوظائف المعبرة عن القصد والإبلاغ والتأثير تطرق البحث إلى البعد الوظيفي والخطاب الوظيفي. فالوظيفيين يسعون إلى تحقيق اتصال تحاوري مع الآخر ضمن الواقع والحقيقة الاجتماعية ولم يقصروا وظيفة اللغة على التعبير عن أفكار متكلميها فحسب بل أصروا على تعدد وظائف اللغة سواء منها الإبلاغية أو التعبيرية أو الترغيبية والمرجعية والميتالغوية حسب الدور الذي تقوم به اللغة كما فعل جاكبسون(R.jakobson). إذن حينما نتحدث عن الخطاب فالمقصود منه هو الكلام المكوّن من جملة أوجمل، متعديا إلى ماوراء ها إما لفظا وإما خطا وإما إشارة وإما كتابة عن هدف وقصد وتأثير ضمن سياق عملية التواصل والتخاطب أي التلفظ والسياق.

إذن تركيزا على المبدأ التواصلي المستوحى من السياق الذي يشترك فيه الخطابين الوظيفي والتواصلي، بدأ البحث بالوظيفة المرجعية القاسم المشترك بينهما تمهيدا للانتقال إلى الخطاب التداولي لأن السياق ومقام التلفظ هوالذي يمنح الخطاب بعده التداولي والتواصلي فتناسبا مع المقام تطرق البحث إلى الوظيفة المرجعية ذي الصلة الوثيقة بالبعد التداولي ثم سيتطرق البحث إلى الوظيفيتين الإبلاغية والترغيبية في الخطاب التواصلي.

٢-٨-٢- الوظيفة المرجعية Referentillefonction

إن: « الوظيفة المرجعية هي أساس كل تواصل بوصفها تحدد العلاقة بين الرسالة وما تحيل عليه والوظيفة الغالبة على بقية الوظائف في كثير من الرسائل اللغوية والتي تتوجه نحو المرجع المشترك بين طرفي التواصل الأساسيين أي ما هو مشترك ومتفق عليه من قبل المرسل والمرسل إليه وهو المبرر لعملية التواصل. ذلك لأننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب بإيصاله إلى الآخرين فهي أشد الارتباط بالسياق حيث للسياق، أثر بارز في دلالة العبارات فغالبا ما تحدد الدلالة المتبادلة بناء على هذا السياق الذي وردت فيه فتتولد عنه الوظيفة المرجعية التي تؤدي إلى التواصل.[١] »

---

١. العزوزي حرزولي: التواصل اللغوي في الخطاب القرآني، ص ٢٩.

بناء على الوظيفة المرجعية ما قام بتحديد المعنى في الآية الشريفة: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ دخان/ ٤٩. هو السياق حيث جاءت الآيات السابقة لها في وصف أهل الجحيم: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ﴾ دخان/٤٧. إذن يستدل بأنها صيغت في أسلوب ومقام تهكمي.

وقد لاننسى في هذا الشأن الوظيفة المرجعية التهكم في هذه الآيات:﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ أو: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ دخان/ ٤٩. حيث التعبير في الآية الثانية يكون تهكميا وهذا ما يستفاد من السياق أي الوظيفة المرجعية للغة.Referentillefonction حسب وظائف اللغة الست عند جاكبسون. فعلينا بالخوض في أكبر مكوّنها وهو السياق:

٢-٨-٢-١-السياق لغة

إن المقصود من السياق لغة كما جاء في لسان العرب: «ساق الإبل سوقا وسياقا وهو سائق وسواق بمعنى:حاد يحدو فهو يسوق الإبل بحدائه والسياق حدو الشيء والساق للإنسان وغيره والجمع سوق إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها.[١]» وقد انساقت وتساوقت الإبل إذا تتابعت.[٢]» كما دلّت حروفه الأصلية السين والواو والقاف على التتابع وذلك عن قول ابن فارس: السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء وتتابعه بالسير. فبالتالي جاءت مقاربتهم للنص(الخطاب)القرآني مقاربة أساسها على الاهتمام بالمعنى الذي ينتجه تتابع الكلمات في الآيات بتعبير آخر المعنى الاصطلاحي للسياق خاصة في مفهومه القرآني وهو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال.[٣]»

لكن هذه الألفاظ تتنوع دلالتها وتتعدد في ظروف ومقامات فمن أجل هذا لايمكن النظر إلى الخطاب القرآني على«أنه أوعية لفظية محملّة بدلالات لغوية فحسب وإنما لها أبعاد نفسية وأخرى فكرية أعمق من ذلك وأجدر بالعناية والملاحظة. فلا يمكن فهم هذا الخطاب القرآني واستنباط الأحكام منه إلا في ظل تكامل الإلمام بالأسرار اللغوية والقيم الثقافية والمفاهيم العلمية والفكرية والممارسات الاجتماعية والخبرات الإنسانية.[٤]» فمن ثم جاء الاهتمام الكامل بالسياق وظروف الخطاب.

لا يخفى على أحد مدى اهتمام القدامى من غير الأصوليين أيضا كسيبويه والمبرد وابن جني والجاحظ والجرجاني

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*: مادة سوق. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ،بيروت ،لبنا ن،دارالفكر ، ط٢، ١٩٨٨م،مادة سوق.

٢. المصدرنفسه: مادة سوق

٣. المثنى عبدالفتاح محمود: *نظرية السياق القرآني* ،ط١، ٢٠٠٨م،ص ١٤.

٤. المصدرنفسه:ص ٩٦.

وغيرهم بالمقامات والأحوال والاعتبارات التي تعتري اللفظ والكلام حيث أُفرد له باب مستقل يسمّى علم المعاني في البلاغة العربية يدرس فيه أحوال ومقامات الخطاب. ما يؤيد كلامنا هذا قول الجاحظ (ت٢٥٥)في معرض حديثه عن الأحوال والمقام:«وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما.[١]»

وكذلك حديث الجرجاني:«فاللفظة قد تروق لك في موضع وتثقل عليك في موضع آخر.[٢]» فالموضع ليس إلا المقام الذي يجب أن يتناسب مع المقال.وكذلك عند المفسرين كالزركشي (٧٩٤ ت)حيث عقدالأخير في كتابه البحرالمحيط في أصول الفقه مبحثا سماه دلالة السياق.[٣]» وكذلك في كتابه البرهان حيث أفاد قائلا:«إن دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييدالمطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.[٤]»

قد تتضاعف أهمية السياق في الخطاب بوصفه نشاطا تواصليا:« إن الخطاب هو الطابع السياقي الغير المتوقع الذي يحدّد قيما جديدة لوحدات اللسان.[٥] » و إنّه يكون:«إنتاج ممارسات متعددة في الحياة الاجتماعية، في ميدان التعليم أو في السياسة أو القانون أو الدين أو الفلسفة فالخطاب لايفصل من هذا المنظور عن السياق الاجتماعي — الثقافي الذي يتعلّق به فيجب أن يدرك من جوانب متعددة وحتى من الجانب الخارجي بما فيه من تفاعلات مؤسساتية وتفاعلات إيدئولوجية أوجمالية.[٦]» ولأنّ:« المتحدّث حينما يقوم بلفظ جملة معينة فإنه يحيل شئنا أو أبينا إلى واقع أو إلى حالة الأشياء أو الموضوعات التي يتحدث عنها وقد لايكون هذا الواقع ممثّلا بالضرورة في الجملة وبالتالي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار سياق اللفظ والعناصر الداخلة في تركيب الجملة لكي يتّم التمكّن من فهم ما يريد المتحدث قوله.[٧] »

في الحقيقة، إن دراسة السياق ليس ببعيدة عن النظرية التداولية وسيمائية التواصل التي تبنّاهما البحث في مقاربته للخطاب القرآني على أساس مهمتهما: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ وفي أي ظرف ومقام نتكلم؟

---

١. شيباني الطيب: *استراتيجية التواصل في تعليم وتعلم اللغة العربية دراسة لغوية*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، السنة الدراسية ، ٢٠١٠م، ؛شراف الدكتور لبوخ بو جملين، ص ٢٧.

٢. خلود العموش *الخطاب القرآني: عالم* الكتب الحديث جدارا للكتاب العالمي ط ١ ٢٠٠٨ ، ، ص ٦٤.

٣. إدريس مقبول:الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في ممارسة التراثية العربية، إربد لبنان، عالم الكتب الحديث، ص ٥٦..

٤. الشيخ شبرالفقيه: *الدلالة القرآنية* فكر الطباطبايي بيروت، لبنان، دارالهادي، ط١، ٢٠٠٨م ، ص ١٣٦.

٥. الدكتور حمدي النورج: *في تحليل الخطاب*، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠١٤م، ص ٨٢.

٦. ذهبية حمو الحاج: *التداولية واستراتيجية التواصل*، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص ١٠٤.

٧. نعمان بوقرة: *لسانيات الخطاب*، لبنان، دارالكتب العلمية، ط١، ٢٠١٢م، ص ٧٤.

وكيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟

بتعبير آخر، إن التداولية تلتقى والبلاغة العربية في اهتمامها بعنصر السياق(المقام) ومطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وكذلك الاعتماد على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي وهذا ما سوف نتطرق إليه تحت عنوان الأفعال الكلامية لاحقا.في الحقيقة إن البلاغة هي تداولية في صميمها لأنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير والتأثر المتبادلين بينهما وذلك كله بمقتضى الحال والظرف والمقام ما دفع بالبعض كأمثال ماكس بليك (Blake) إلى تسمية البراغماتية بالسياقية[1].» نظرا لأهمية الظروف وشروط إنتاج الخطاب وقد يكون السياق لغويا يتأسس على وفق التركيب أو التشكيل أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات حيث يعلق بعضها ببعض على وفق الأنظمة والقواعد والضوابط المعتمدة في لغة ما وهذه القواعد والأنظمة هي التي تعمل على تحديد القيمة الدلالية لكل كلمة داخل التركيب النحوي.[2]» كما في هذه الآية : ﴿ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها ﴾ محمد/٢٤.

إذ سياق الآية بتآلف كلماتها(التدبر القرآن القلوب الأقفال)شكّل الوحدة العضوية التي دلت على أن المقصود من الأقفال ليست الأقفال المعروفه بل الأقفال المعنوية والحجب النفسية وكذلك القلوب ليست القلوب الظاهرية الجسدية بل النفوس البشرية أو عقولها فبالتالي قد انتج بذلك معان مستوحاة من تآلف الألفاظ وترابط الكلمات.

أو كما في هذه الآية الشريفة حيث استعمل القرآن الكريم في مواضع متعددة الفعل رأى بصيغة المضارع للتدليل على الرؤية الفكرية أو الرؤية العقلية لا الحسية:

﴿ أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيهِ دَلِيلاً﴾ الفرقان/ ٤٥.

وجاء الفعل رأى بدلالته الحسية الرؤية البصرية كما في قوله تعالى: ﴿ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْ هُـــدَ ﴾ النمل/٢٠. فما استبان لنا من القول، إن السياق هو الذي يفرض قيمة دلالية واحدة بعينها على الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة المفتوحة والعائمة في المعنى المعجمي لها. بتعبير آخرالسياق هو «الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به من الأبعاد الثقافية والاجتماعية والدينية وكذلك النفسية[3].»

كما في هذه الآيات حيث توظيف أفعال الأمر(فاعبدوا، فأتوا، وأمر) قدأفاد عدة معاني بفضل سياق الموقف التي من

---

١. حافظ اسماعيلي علوي: *التداوليات*، إربد لبنان، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م، ص ٧٦.

٢. هادي نهر : *علم الدلالة التطبيقي* أردن، دارأمل للنشر، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٦٤.

٣. المصدر نفسه: ص ٢٦٥.

أبعاده البعدالنفسي مثلما قصد به التهديد بقوله تعالى:

﴿فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ الزمر / ١٥. مثلما قصد به التعجيز والتحدي بقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ البقرة/ ٢٣.

إن ما جاء من الأمثلة البلاغية في الآيات الكريمة إنما هو بالتحديد خروج عن مقتضى الظاهر كما سمّاها البلاغيون وذلك كان حسب الحال والمقام والظروف الاجتماعية والثقافية التي فرضها الخطاب.

﴿ وَلَيسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُواالْبُيوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة / ١٨٩.

فدلالة السياق الاجتماعي في هذه الآية هي التي قادتنا إلى مقصود الآية لأنّ الرجل من العرب كان إذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فدلهم الله تعالى على أن هذا الفعل لا بر فيه وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم إليه. [1]» وكذلك في هذه الآية: ﴿ وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَي ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكوير/ ٩-٨

حيث دلالة السياق الاجتماعي أفادت بأن الموؤدة هي المقتولة الصغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات وتدفنها حية خشية العار أو خشية إملاق: ﴿ وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِياكُمْ ﴾ الانعام/١٥١.

أو يكون السياق دينيا كما في هذه الآية:

﴿ يا أَيهَا النَّبِي جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التوبة / ٧٣. حيث تطورت كلمة الكفر دلاليا من النكران للجميل والشكر حتى أطلقت على كل من لايؤمن بالله والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك كلمة المنافق حيث أطلق على كل من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

لكن ثمة ملاحظة في مقاربة السياق القرآني إذ لابدّ من تقسيمه من حيث العموم والخصوص إلى سياق السورة وسياق الموضوع:

فهناك سياق ا لسورة الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة وسياق المقطع الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور

---

١. الشيخ شبرالفقي : *الدلالة القرآنية* ، ص ١٤٧.

سياق السورة وسياق الآية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع وتتخذ مباني الآية حول معاني مقطعها ويشكل المقطع عضوا أساسيا في جسم السورة حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السورة الواحدة ألا وهو موضوعها الذي سيقت المعاني والموضوعات لأجله(سياق الموضوع)

كما في هذه الآية: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ الدخان/ ٤٩ .

حيث السياق اللفظي للآية لم يكن وافيا بالمقصود لذلك يتحتم النظر إلى سياق المقطع والنظر إلى ماقبلها من الآيات وبعدها،ما يعني التآلف والتجاور على صعيد الآيات وليس على صعيدالكلمات كما في الأمثلة السابقة بقوله تعالى:

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴾ ﴿طَعامُ الْأَثِيمِ﴾ ﴿كَالْمُهْلِ يغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ﴾ الدخان/٤٣-٤٨ .

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِالْحَمِيمِ ﴾ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ الدخان / ٤٣- ٤٩.

فتبين بفضل سياق الموقف(المقامي) للآية أن المقصود هو(الاستهزاء والتقريع) وليس التكريم والإحترام.

وكذلك السياق الموضوعي للسورة المتمثل في التماسك والتناسب في الآيات أي الدلالة المركزية والوحدة الموضوعية حيث عالجه البحث تحت عنوان التماسك الدلالي والدلالة المركزية في سورة المؤمنون.

في الحقيقة، إنّ الخطاب القرآني هو نظام فكري ونظام لغوي يمتاز بالاتساق / الترابط الشكلي والترابط المعنوي / الانسجام.حيث كل آية ومقطع، يأتي ضمن سياق متراص ومنسجم(الوحدة العضوية) بتآلف وتجاور كلماته في الآية أو الآيات معا، ضمن الوحدة الموضوعية(الترابط المعنوي)التي سيقت السورة لأجلها.

فعلى سبيل المثال إذا كانت السورة تدور حول موضوع الإيمان كما في سورة المؤمنون تأتي الآيات والمقاطع متناسبة ومتماسكة خادمة الغرض والموضوع:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ * الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ المؤمنون/ ١-٧ وإلى آخر السورة.

حيث تدور الآيات والمقاطع على محورالتعريف بالمؤمنين ثم التذكير بخلقة الإنسان والاعتبار باللأمم السابقة والتنبيه بحقيقة البعث والنشور تأكيدا وتشديدا على مبدأ الإيمان الوحدة الموضوعية والدلالة المركزية حيث كان النظام اللغوي والسياق اللفظى والغير لفظي مترابطا مع النظام الفكري تماما كما في هذه الآية من السورة نفسها :

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ حيث ترتبط بالآية الأولى وقد مدح الله فيها المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

إذ نستنتج أنّ الإيمان وبما يستتبعه من الأعمال يؤدي إلى ثقل الموازين وبالتالي الفلاح وليس هذا فحسب بل ترتبط الآية بالآية الأخيرة من السورة _ بين أول السورة ونهايتها_ حيث تشكل علاقة تضاد من أشكال التناسب والتماسك الدلالي بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾. لقد تطرق البحث إلى ذلك في الفصول السابقة ضمن بحث التماسك الدلالي.

أو كما نلاحظ التآلف والانسجام في هذه الآية: ﴿ عالِمِ الْغَيبِ وَالشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يشْرِكُونَ ﴾ المؤمنون/٩٢ .

فتركيزا على مبدأ السياق الموضوعي بقوله ﴿ عالِمِ الْغَيبِ وَ الشَّهادَةِ ﴾ فإنّه جاء انسجاما وتآلفا مع الآيات السابقة بتوارد الأفعال في صيغة الاستقبال فإنّه العليم بالأحداث وبما سيقوله المنكرون في مواقف الدنيا والآخرة وإن يحدث في المستقبل. ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ بِيدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَ هُوَ يجِيرُ وَ لا يجارُ عَلَيهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ المؤمنون/ ٨٩ . فإنّه عليم بالأحداث وبما سيقوله المنكرون في مواقف الدنيا والآخرة.

تبين أن السياق هوالذي يسوغ توظيف الخطاب في ظرف ما وقوله لكن لم يقتصر الأمر على ذلك بل ان الخطاب ضمن السياق يريد أن يحقق إنجاز فعل ما ضمن الواقع الخطابي أيضا وهذا ما يقودنا إلى معالجة الأفعال الكلامية والإنجازية مع التأثير على المتلقي في الخطاب القرآني وهذا ما أيّدناه في بحثنا موظفين النظرية البراغماتية والتداولية باعتبار التداولية:« تهتّم بما هو موجود على محور المتكلم - المستمع أي بمعنى تبادل الكلام باعتباره نشاطا بين الذوات وممارسة اجتماعية إلى جانب ما نفعله بالكلمات.[1] » أي الاهتمام بدراسة اللغة في حيز الاستعمال فإنها :«علم استعمال اللغة ودراسة اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعنى بالأبعاد الخطابية والاستعمالية للغة[2].»

إن للبعدالتواصلي للخطاب نماذج أشهرها نموذج جاكبسون ولاسويل التواصلي فقدعالج البحث كلا النماذجين فقدعالج الأولى في البعدالتواصلي للخطاب ورأى النموذج الثاني لاسويل يتماشى أكثر مع النظرية التداولية وإن كل نظرية تواصلية هي تداولية بامتياز.

---

١. ذهبية حمو الحاج: *التداولية واستراتيجية التواصل*، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط،٢٠١٥م، ص١٧٣.

٢. حافظ اسماعيلي علوي: *التداوليات علم استعمال اللغة*، عالم الكتب الحديث، إربد — أردن ط١، ٢٠١١م،ص٣٢.

٢-٩- الخطاب التداولي

٢-٩-١- التداولية

إن التداولية تعني في لغة العرب وفي معناها المعجمي الانتقال: «فالتداول في لغة العرب هو الانتقال من حال إلى حال وأدال الشيء جعله متداولا وتداولت الأيدي الشيء أخذته هذه مرة وأخرى مرة.[١]»

أما اصطلاحا فهي تسمى« pragmatique والصفة منه pragmatic مشتقان من اللفظ اللاتيني pragmatiance)) الذي يعني المهارة في القانون أو التجارة واللفظ اليوناني(gma) بمعنى عملي أو تطبيقي.[٢]»

فإذا أردنا أن نعرفها أكثر فإنها تعني نظرية في التعامل الاجتماعي تهتمّ بالجانب الاستعمالي (الاستعمال اللغوي) كما يؤكّد ذلك فرانسيس جاكويس(jaequesfrancis) حينما اعتبر:« التداولية ظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية معا.[٣]» وفي تعبير آخر التداولية pragmatismمن مكوّنات النظرية السيميائية الجوهرية التي تدرس العلاقات بين العلامات (signs)ومستخدميها. إنّها تهتم بما هو موجود على محور المتكلم - المستمع أي بمعنى تبادل الكلام باعتباره نشاطا بين الذوات وممارسة اجتماعية إلى جانب ما نفعله بالكلمات [٤].»

بتعبير آخر التداولية أقوال تتحول إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية لمجرد التلفظ بها وقد ركز فان دايك في تعريفه للخطاب على هذا الجانب بقوله:«أن الخطاب مجموعة متتالية من الأفعال الكلامية.أي الأفعال التي تنجز عمل ما في الواقع[٥].»

قلنا سلفا إن مفهوم الخطاب يساوي مفهوم التلفظ ومفهوم التلفظ يعني الفعل الذاتي في استخدام اللغة بوصفه فعلا حيويا في انتاج نص ما وهذا يعني إن الخطاب هو الفعل الحيوي الذي في قلب العملية التواصلية وبالتالي يعني دراسة شروط إنتاج هذا الفعل.

إنطلاقا من هذا المنظور التواصلي جاء التركيز في البحث على البعد التداولي للنموذج التواصلي الذي بناه لاسويل على أساس مقولته الشهيرة ذات المنظور السلوكي: من يقول ؟ ماذا يقول ؟ بأية واسطة؟ لمن؟ ولأي تأثير؟ والتي تتضمن خمس

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (دول) دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت ١٩٩٣م.

٢. مسعودصحراوي: التداولية عندعلماء العرب — دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

٣. عمار الساسي: *منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب*، عالم الكتب الحديث، اربد، لبنان، ط١، ٢٠١١م، ص٢٢٣

٤. ذهبية حمو الحاج، *التداولية واستراتيجية التواصل*، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٥ ص١٧٣.

٥. نبيل ايوب: *النقد النصي*، لبنان، مكتبة ناشرون، ط١، ٢٠١١م، ص ٣٢٣

عناصر وهي: المرسل والرسالة والوسيط والمتلقي والأثر. وقد ربط كل سؤال بتحليل خاص: من؟ هو المرسل. يقول ماذا؟ هي الرسالة. بأية وسيلة هي الوسيط. لمن ؟ هو المتلقي. لأي تأثير؟ هو الأثر. إن هذا النموذج قائم على عنصري الإثارة والإستجابة أي التأثير في المرسل إليه من أجل تغيير سلوكه ايجابيا وسلبا[1].»

٢-٩-٢-جذور التداولية في التراث العربي

إنّ دراسة عملية التواصل أو الاتصال قديمة تعود جذورها إلى الدراسات التنظيرية التي قام بها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وفي هذا الموضوع قدذهب الدكتور محمدالعمري في كتابه البلاغة العربية:«بأنّ للتداولية الحديثة بعد جاحظي في أصله لاهتمام الجاحظ وتركيزه على هذاالمستوى في كتابه البيان والتبيين وعلى عملية التأثير في المتلقي والإقناع وقدسمّيت هذه النظرية عنده والتي تعرف اليوم بالتداولية بنظرية التأثير والمقام.[2]» ما يؤيد كلامنا هذا قول الجاحظ (ت٢٥٥)في معرض حديثه عن الأحوال والمقام:«وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما[3].» أي فن استعمال اللغة وتوظيفها ما يعني المفهوم التداولي.

فقدبين جاحظ عناصر التواصل المعتمدة على العلاقات اللسانية التي تجري في عالم الشهادة وتجمع بين المتكلم والمخاطب وتنقل البيان إلى البلاغة والكلام إلى رسالة مع ما تتضمنه الرسالة من إلقاء وتلقي ورموز ومعاقد وحال ومقال ومقام مرورا «باللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصبة.[4]»

إنّ النظرية التداولية تتواشج مع السيميائية خاصة سيميائية التواصل التي نحن بصدد مقاربتها في بحوثنا حيث تركّز الأخيرة على المقصدية والتأثير في المتلقي. إن التداولية تضع القوانين للتأثير في المخاطب وإحداث نوع من السلوك لديه في الحقيقة أنها ليس ببعيدة عن مفهوم الكلام الذي كان بمعنى الخلق والإنشاء وقد جاء تعريفه في الفصل الأول حيث اعتبرت كل كلام الله هو إنشاء وخلق وإيجاد فعل وحدث وكذلك تنطبق مع طبيعة اللغة العربية الذي اتخذت الشعر والنثر وسيلة للإقناع والتحريض وتغيير مواقف المخاطبين.

هذا بجانب نزول القرآن باللغة العربية بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيا﴾ رعد / ٣٨. والذي نزل في غاية التأثير

---

١. نبيل ايوب: *النقد النصي*، المصدر نفسه، ص ٤٢

٢. مجلة الموقف الأدبي العدد ٣ السنة الرابعة والثلاثون تموز، ٢٠٠٤م.

٣. شيباني الطيب: *استراتيجية التواصل في تعليم وتعلم اللغة العربية دراسة لغوية*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، السنة الدراسية ٢٠١٢م، اشراف الدكتور لبوخ بو جملين، ص ٢٧.

٤.نادية‌رمضان النجار: *الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي*، الاسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٣م،ص ٢١٩.

والبلاغ مستخدما آليات أتاحت له النفوذ في أعماق النفس البشرية. وبما أنّ المرسل هو الله سبحانه وتعالى والعليم بخبايا تلك النفس وكيفية احتواءها ومن ثمّ يكون له المعرفة الشاملة والملمّة بهذه النفس البشرية حيث استطاع أن يبلغ مدى وغايته القصوى في التأثير؛بادر البحث باتخاذ المنهج التداولي في الكشف عن جماليات الآيات القرآنية خاصة الآيات التي فيها بعدا تداوليا تواصليا غير مدعيا العلم في ذلك بل كانت المقاربات على ما يفهمه من الجوانب التداولي من بعض النظريات اللسانية كخطة لاسول وكذلك جاكبسون التواصلية والتركيز على البعدالتعبيري والتأثيري فيها.

٢-٩-٢-١- نموذج لاسويل Harold Lass welالتداولي

إن نظرية هارولد لاسويل توضّح عملية الاتصال بدراسة القائل والمتلقي والقول أو الرسالة والوسيلة وأثر القول.حيث قامت نظريته على المقولة الشهيرة: من ؟ يقول ماذا؟ بأية وسيلة ؟ لمن ؟ ولأي تأثير؟

إن هذاالتعريف الدقيق لعملية الاتصال يقرّبه كثيرا من المفهوم التداولي للغة على حد قول جورج يول(yule) بقوله:« الخطاب التداولي هو دراسة المعنى كما يوصله المتكلم(الكاتب) ويفسره المستمع(القارىء)لذا فإنّها مرتبطة بتحليل مايعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال كما يتطلب التمعن في الآلية التي ينظّم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقا لهوية الذي يتكلمون إليه وأين ومتى وتحت أي ظروف.[١]»

إذن الخطاب التداولي هو دراسة اللغة في سياقاتها وفي علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب وبالأفراد الذين تجري بينهم العملية التواصلية فالخطاب التداولي هو عقد الصلة الكاملة بين المرسل والمتلقي والانفتاح على السياقات الاجتماعية والثقافية والانثروبولوجية.[٢]»إن الأثر الذي يحققه الخطاب التداولي يحدث بالفعل الخطابي والمقصود بالفعل الخطابي هو الفعل الكلامي وقبل أن نقترب من الخطاب القرآني على ضوء هذه النظرية التي اتخذناها معينا لنا ووسيلة للكشف عن بعض الجوانب التواصلية فيها؛ علينا أولا بتعريف الفعل الكلامي:

٢-٩-٢-١-١- الأفعال الكلامية speech act

تحدثنا عن وجود أفعال كلامية (speech act) فالمقصود منها هي:«كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري يتوسل أفعالا قولية locutionary act لتحقيق أغراض إنجازية؛ كالطلب والأمر والوعد وغايات تأثيرية(

---

١. جورج يول: *التداولية* ترجمة الدكتور قصي العتابي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٩.

٢. جورج يول :المصدر نفسه ،ص٢٣٨.

illocutionaryact)تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ذات تأثير على المخاطب.[1]››

« إن أوستين(Austin) ـ واضع هذه النظرية ـ يستعمل تعبير الفعل الكلامي Illocution Act أو – معاني الكلام على حد تعبير اللغويين العرب للدلالة على تنفيذ الأغراض أو المقاصد التواصلية المقصودة من الكلام.[2]››

فاللغة عنده لا تقتصر على وصف العالم الخارجي بل تتعدى ذلك إلى كونها أداة لبناء العالم والتأثير فيه. ‹‹إنّه في نظرته هذا متاثر بأفكار الفيلسوف اللغوي. لودفينغ فيتغنشتاين (١٨٨٩– ١٩٥١) صاحب فكرة ألعاب اللغة والذي يرى أن: ‹‹وظيفة اللغة لاتقتصر على مجرد تقرير الوقائع أو وصفها بل تتجاوزها إلى وظائف أخرى كالاستفهام والأمر والتمني والشكر والتهنئة والتحذير وغيرها واللغة عنده ليست حسابا منطقيا دقيقا ومجردا. فلكل كلمة فيها معنى محدد ولكل جملة منها معنى ثابت بل إنّ الكلمة الواحدة تتعدد وتتنوع معانيها بتعدد وتنوع استخدامها كما تتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها فالمعنى عنده الاستعمال.[3]››

بعبارة أخرى فإن وظيفة اللغة هو تحويل الأفكار ومن ثمّ الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية. وقد قسّم أوستين (Austin)الجمل إلى جمل إخبارية وانشائية. و‹‹ المقصود من الجمل الأخبارية أو تقريرية هي الجمل التي يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة بحسب مطابقتها للواقع وسماها جملا وصفية constatif).) وكذلك جمل ذات نمط خاص لاتخضع لمعيار الصدق والكذب وهي الجمل الإنشائية أو الأدائية(performative)حسب تقسيماته.

إنّها لا تخضع لمعيار الصدق والكذب وهي جمل تنجز أفعالا بمجرد النطق بها.‹‹[4] وفي الغالب إنها تمثّل الأفعال الكلامية فتأكيدا لقول أوستين، يورد بنفست (Benveiste)) قولا بأن الأفعال الكلامية هي:‹‹تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي.[5]›› بتعبير آخر الكلمات هي أفعال والأفعال هي نوع من الكلمات. لأن الرسالة في عملية التواصل لاتقتصر على مجرد التلقّي بل لابدّ لها أن تكون متجلية ومؤثرة بالفعل فكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل فالفعل متمم للقول مكمل له والفعل الكلامي بدوره يندرج ضمن النظرية التداولية(علم الفعليات)محققا أعمق صور التفاعل والتواصل.

---

١. عبد الله جاد الكريم: *التداولية في الدراسات النحوية القاهرة*، مكتبة الآداب ط ١ ، ٢٠١٤ م، ص٤٣.

٢. المصدر نفسه : ص ٨٩.

٣. عيسى تومي: *الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاداب واللغة العربية ، اشراف الدكتورة دليلة مزوز، السنة الجامعي ٢٠١٤– ٢٠١٥–الجمهورية الجزائرية. ص ١٢.

٤.المصدرنفسه، ص ١٣.

٥. ك اوريكيولي: *فعل القول من الذاتية في اللغة*، ترجمة محمد نظيف، المغرب،آفريقيا الشرق، د.ط، ٢٠٠٧م، ص٤٠.

«إنّ هذه الأفعال الكلامية لا تخلو من سمات وميزات حسب رأي أوستين (Austin) إن هذه الأفعال عنده:«أفعال دالة وأفعال انجازية أي تنجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات وأخيرا إنها تأثيرية؛أي تترك آثارا معينة في الواقع.[1]»

بتعبير آخر أنّ الناطق بمثل هذه الجمل لا ينشىء قولا بل ينجز فعلا كلاميا في وسط اجتماعي.فالقول حسب رأي سورل(j.R.Searle)تلميذ أوستين هو العمل وهو شكل من أشكال السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد[2].» وقد صنف أوستين المنظّر الأول للأفعال الكلامية تلك الأفعال على ما يلي وتبعه تلميذه سيرل:

«الحكميات (verdictives) أو الأفعال اللغوية الدالة على الحكم وتتمثل في مختلف الأحكام التي يصدرها القضاة والحكام.

كهذه الآيات:

﴿ وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِـهِ﴾ النساء/ ٩٢.

﴿ وَمَنْ يقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً ﴾ النساء/ ٩٣

أو: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَينٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيكْتُبْ بَينَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ البقرة / ٢٨٢.وكذلك: ﴿ وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيسَ عَلَيكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ﴾ النساء/ ١٠١.

فغالبية الآيات التي تنص على حكم تدخل ضمن الأفعال الكلامية فيترتب عليها الامتثال والإلزام.

التنفيذيات (exercitives) أو الممارسات وهي الأفعال المعبرة عن اتخاذ القرارات كالتعيين والعزل والطرد.كهذه الآية: ﴿ وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِيالْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وكذلك: ﴿ يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَينَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ ص /٢٦.أو في خطابه إلى الشيطان: ﴿ قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف/ ١٨.

الوعديات(commissives) وتتمثل في ما يقطعه المتكلم على نفسه من وعود. مثل: تلك الجنة التي وعدت للمتقين

---

١. جوتس هنده لانج: *مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي*، ترجمة سعيد بحيري،القاهرة، زهراء الشرق، ط ١، ٢٠١٢م، ص ٤٥- ٤٤.

٢. عيسى تومي: *الأبعادالتداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا*، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية إشراف الدكتورة دليلة مزوز، السنة الجامعية ٢. ٢٠١٤- ٢٠١٥،الجمهورية الجزائرية. ص ١٨.

أو ذلك وعد علينا انا كنا فاعلين

السلوكيات:(behabitives) وهي أفعال تعبر عن ردود أفعال وسلوكات مثل : أعتذر آسف، شكرا. كهذه الآية: فيا أسفي على يوسف أو: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاًلِأَصْحابِ السَّعِيرِ ﴾ أو: ﴿ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى ﴾

العرضيات: (expositivse)وهي الأفعال الدالة على العرض والإيضاح وبيان وجهات النظرمثل: أوافق، أنكر، أكد، أستفهم[1].« كهذه الآية: ﴿ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود/ ٣٥.

٢-٩-٢-١-٢- نظرية الفعل الكلامي في التراث

لابد الإشارة هنا أن تلك التصنيفات التي جاء بها أمثال أوستن وسورل في الأدب الغربي لها ماضيها العريق في الأدب العربي وإن العلماء العرب القدامى من النحويين والبلاغيين وعلماء الأصول وغيرهم قد كانوا على وعي كبير بالجانب التداولي الاستعمالي للغة وما يؤيدكلامنا هواهتمامهم بدراسة معاني الكلام ضمن نظرية الخبر والإنشاء و« وقد تحدّث المبرد (ت ٥٢٨٥) في كتابه المقتضب عن تقسيمات الخبر والإنشاء بقوله:الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب والإنشاء خلاف له وكذلك الغزالي (ت ٥٠٥ ه) في كتابه المستصفى عن تقسيمات الخبر والإنشاء والحديث عن معايير التمييز بين الخبر والإنشاء وإعتماد معيار الصدق والكذب في باب تقسيم الخبر والإنشاء.

وكذلك السكاكي (ت ٥٦٢٦) في المفتاح العلوم بقوله: إنّ الخبر والإنشاء يفترقان باحتمال قبول الصدق والكذب والشريف الجرجاني (ت٥٨١٦) في كتابه الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة في تعريفه للخبر والإنشاء واعتماد معيار المطابقة الكلام النسبة الخارجية وغيرهم من العلماء.[2]»

فيبدو مما أوردناه مدى اغفال دور العرب القدامى بكافة شرائحهم وعدم تسجيل ريادتهم في مثل هذه الأبحاث التي طالما تنسب إلى فلاسفة الغرب ولغوييهم فبالتالي تحظى بالاهمتمام وتوصف بالسبق والريادة لهم دون تقدير مساعي العرب فيها.

وأمّا عودا إلى بحثنا وتحليلنا التداولي للآية الشريفة أدناها:

﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

---

١. عيسى تومي: الأبعادالتداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاداب واللغة العربية ، اشراف الدكتورة دليلة مزوز،السنة الجامعية ٢٠١٤- ٢٠١٥ الجمهورية الجزائرية. ص ١٨.

٢. عيسى تومي: المصدرنفسه، ص ٢٤-٢٥.

الرَّحِيمُ﴾ زمر / ٥٣ . نرى استفتاح الخطاب بالياء النداءية التي لها وظيفة ودور تداولي مميز فسنقوم بتبيين ذلك وقبل الخوض في الأفعال الكلامية علينا بتشريح أداة النداء:

٢-٩-٢-١-٣- النداء فعل كلامي

يعتبر النداء فعل كلامي يؤدي وظيفة تداولية إذ يدخلنا ضمن الأفعال التوجيهية الكلامية التي بينا تقسيمها سلفا وقلنا سلفا أنّ الأفعال الإنشائية كالطلبية(الأمر والنهي والنداء والدعاء)تعد أفعال إنجازية صريحة تدخل ضمن الأفعال التوجيهية حسب تقسيمات جان سيرل (searle) الخمسة للأفعال الكلامية من الإخباريات والتوجيهيات والالتزاميات والتعبيريات والإعلانيات.. فالنداء من هذا المنظور يعتبر فعل كلامي يحفّز ويلفت انتباه المتلقي ويهيء المتلقي لرد فعل المتكلم ويبعثه على الامتثال والقبول. فبالتالي يرصد له أولا وظيفة انتباهية لأنّ «الوظيفة الدلالية المنوطة بالنداء الذي ينتمي إلى النمط الإنشائي الطلبي،هو:التنبيه وطلب الإقبال.[١]»

وكذلك له وظيفة التأثير: «إذ يهدف المرسل من وراءها إلى التأثير في مواقف المرسل إليه أو سلوكياته وأفكاره فتتمثل هذه الوظيفة في الجمل الإنشائية والطلبية.[٢]»

وأخرى وظيفة التكريم والتشريف للمنادى حيث تبين النعوت في الخطاب مدى أهمية المخاطب وتكريمه في الخطاب القرآني.

النداء بوصفه فعلا كلاميا يحتلّ مساحة واسعة في الخطاب القرآني نظرا لارتباطه بأفعال التكليف والأوامر والنواهي حيث يعتبر بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي تأتي بعدها فهي المقصود من الخطاب مباشرة.

فالنداء يعتبر أول فعل كلامي يقوم به المخاطب ليتمكن بعد ذلك من تحديد مقاصده. فهذا مايؤكده ورود أفعال الأمر والنهي بعد النداء.

فإذا نظرنا إلى القرآن لاحظنا أنّه استخدم عن وعى وعن كامل القصدأنجع الطرق وآليات التواصل لانتقال المعنى.

تأسيسا على ذلك فإنّ التنويع في النداءات خاصة في الخطاب القرآني لايخلو من وظيفة قصدية وإبلاغية وتأثيرية وقدظهرت بأشكال مختلفة ومتفاوتة ك: يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا يا أيها النبي يا داوود يا زكريا يا عيسى و..

فإن هذا التنويع في الخطاب وأساليبه يأتي وفق الغاية التي أنشأها الله سبحانه وتعالى فيأتي متناسبا وجميع

---

١. خالد ميلاد: *الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة – دراسة نحوية تداولية*: الموسسة العربية للتوزيع، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٠م، ص ٢١٩.
٢ ليلى جودي: *استراتيجية التواصل في البلاغ القرأني*، دارغيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م. ص٤٧.

المخاطبين حسب طبيعتهم ودرجات إيمانهم أو مكانتهم الاجتماعية أو غيرها حيث يراعى في النداء مقام التلقي والمخاطب فلا يخلو من مراعاة الجانب النفسي وإبداء المؤائمة النفسية مع المخاطب خاصة في بعض الآيات التي وظفت النداء فيها لمناداة المخاطب وذلك بالانتساب إلى الله وإضافته إليه كالخطاب ب يا عبادي كما في هذه الآية الشريفة من سورة الزمر والتي نستشعر منها جوا من القرب والحدب والاحتضان في هذاالنوع من الخطاب فإذا نظرنا من المنظورالشكلاني إلى هذا النوع من الخطاب الذي يعتبر خطاب تداولي خاصة مع التركيز على اللاحقة(الياء) فلايمكن أن نتغافل عن الدلالة الهامشية وظلال المعنى التي تثيرها هذاالنوع من اللواحق لأن بعض اللواحق تشتمل على بعض الدلالات الهامشية وعلى قيم عاطفية تتمثل في إبراز مشاعر المتكلم كعاطفة اللطف أو الحنان أو الانعطاف أو الإشفاق وقد أولى فندريس عند حديثه عن الانفعالية في لغة اللواحق عناية خاصة ويتجلى ذلك في قوله: «فإذا وجدت كلمة على درجة عالية من قوة التعبير واشتملت هذه الكلمة على لاحقة ما فالذي يحصل أن اللاحقة تتشرب هذه التعبيرية إلى حد أنها تمتصها كلها لتصير عنصر الكلمة المعبر.[1]»

وفي هذا الجانب لا ننسى أن النداء يحقق وظيفيتين: الإبلاغية والإفهامية للمرسل والمرسل إليه حسب خطة ياكبسون التواصلية أيضا:

﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُالذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ زمر / ٥٣.

نلاحظ في الآية الشريفة إنّه سبحانه وتعالى: «تلطّف في مخاطبة عباده بعد أن أقبل عليهم وناداهم بهذا الخطاب وقد دعاهم كذلك إلى عظيم رحمته وأضافهم إليه إضافة تشريف مثلما أضاف الرحمة إليه(من رحمة الله) وكذلك لم يحصر عباده في المؤمنين فلم يقل يا عبادي الذين آمنوا وإنما خاطب جميع عباده من غير تحديد مؤمنين وكافرين ومنافقين وعصاة لأنهم جميعا يقعون تحت اسم الخطائين.[2]»

إنّ هذا النوع من الخطاب والنداء،له بعد تداولي إنجازي تأثيري يشعرنا بالحميمية والقرب واحتضان العباد المسرفين على أنفسهم والقانطين والترحيب بهم من جانب الله سبحانه وتعالى.

إن مناداة العباد بياءالنداء وإضافة الياء المتكلم إلى(العباد)لها أيضا مقاصدخطابية متعددة وذلك أن:« الإسم المضاف يكتسب من المضاف إليه سمة التوضيح والتعيين والتخصيص فضلا عن قيم ثانوية مثل: التعظيم والتشريف والتحقير

---

١ اشواق محمد النجار: دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، بغداد، داردجلة، ٢٠٠٦م، ص ٢٥.

٢. ليلى جودي: استراتيجية التواصل في البلاغ القرأني،:ص ٣٦٨.

والتهويل... وقد يكتسب المضاف إليه من المضاف هذه القيم أيضا.[1]››

ففي هذه الآية خطاب (ياعبادي)يدل على تكريمهم وتشريفهم بانتسابهم إلى الله ثّم يتضاعف هذا التكريم بالجمع بين ياء المتكلم (ياعبادي) وأداة النداء(يا) كما يراها النحاة فهي تستعمل إذا كان المنادى بعيدا حيث عدّ منزلتهم رفيعة ومكانتهم سامية ‹‹يعتقد ابن هشام إنّ استعمال الياء في النداء أندى وأنفذ وقد ينادى به القريب توكيدا وإنّها تفيد بأنّ الخطاب الذي يتلوه معني به جدّا.[2]››

إذا أخذنا هذا الجانب في التحليل نرى خطابهم من الله يشعر بالقرب أي إنّهم القريبين من الله فلا داعي للحزن واليأس الذي يوحي بالبعد من رحمة الله وإنهم المعنيون بهم في الخطاب رغم ما أفرطوا في جنب الله.هذا النوع من الخطاب كذلك يواكب الحالة النفسية التي تمرّ بهم لأنّهم في حاجة إلى المواساة والإحتضان والترحيب بعداليأس والقنوط من الرحمة والشعور بالدونية إنّه:‹‹خطاب التحنن والاستعطاف.[3]››

فبالتالي يأتي خطابهم بياءالنداء(سواء للقريب والبعيد) منسجما مع حالتهم النفسية والدالة على تكريمهم وتشريفهم فضلاعن استمالة قلوبهم.

وبما أن المقاربة للخطاب القرآني تأتي من ربطها بالبعدالشكلاني والتواصلي والتداولي والإلمام بالأبعاد الآنفة الذكر إذن يتحتم على الباحث أن يتطرق إلى البعد الشكلاني في الآية خاصة الميزة الأسلوبية وذلك بتحويل الخطاب والالتفات من الغيبة في(أسرفوا)إلى الخطاب المباشر(لاتقنطوا)

فقدكان هذا النوع من الخطاب تكريما لهم وباعثا على الأمل والسرور بعداليأس والقنوط ونوعا من الاحتضان المعنوي بعدالشعور بالطرد والنبذ فبتضافر الإيحاء العاطفي في اللاحقة(ياء) وأسلوبية الخطاب بالعدول من الغيبة إلى الخطاب تحققت الكلامية الانتباهية التأثيرية من المنظور التداولي.

وفي هذا المجال لاننسى أن هذه القيمة التأثيرية أي الإرشاد والطمأنة الذي يشيعه فعل لاتقنطوا تكون مرتبطة بمقام الكلام لأنّ الموقف والسياق الذي كان يعيشه القانطين من رحمة الله هو الذي كان باعثا على خلقها ومن ثّم تحقيق البعدالتداولي للآية.

---

١. فضل عباس حسن: *البلاغة فنونها وأفنانها — علم المعاني*، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٣١٨- ٣١٩.

٢. محمد محمد ابو موسى: *أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الاحزاب* ،مكتبة وهبة،القاهرة ط٢، ١٩٩٦م، ص ٤٣.

٣. شهره شاهسوندي: *تعبير المخاطب في القرآن* ، ناشر بزوهشكاه علوم و فرهنك اسلامي قم بوستان كتاب، ط١، ١٣٩٢هش، ص ١٤٧.

لأنّ التداولية ترتبط ارتباطا وثيقا بالموقف والمقام كما قيل في التداولية إنها «علم استعمال اللغة في المقام.[1]» جانب التداولي للأفعال وفي الكلام ما يسمّى بالأفعال الكلامية أو (speech act) لأن اللغة لاتستعمل فقط لتمثيل العالم ولكن تستعمل في إنجاز الأفعال أيضا. أي أن الإنسان المتكلم لاينتج كلمات دالة على معنى بل يقوم بفعل ويمارس تأثير.

إن هذه الأفعال طلبية في الآية قل لاتقنطوا الذي « تصدر من مرسل إلى متلق على وجه الاستعلاء.[2] » تعتبر أفعال توجيهية إرشادية ضمن منظومة الأفعال الكلامية حسب « تقسيمات جان سيرل(searle و (Austin الخمسة للأفعال الكلامية وما يؤكد البعدالتداولي لهذه الآية أن فعل لا تقنطوا يعتبر فعل إنجازي توجيهي يطلب إزالة حالة الشعور باليأس وعدم المغفرة والقنوط الملازم بعد اقتراف الذنب من نفوس العباد.

إن مجيء هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ مباشرة بعد فعل(لا تقنطوا) كانت بمثابة جوابا لسوال مقدر: هل يغفر الله الذنوب ؟ أيغفر كل الذنوب ؟

إن مجيء هذه الآية مصدّرة بإنّ التوكيدية إن الله يغفر الذنوب جميعا زادت في الاطمئنان والتهدئة لدى المخاطب ما يضاعف حالة الشعور باستعادة الأمل والتفائل لديهم وعلى حد تعبير أوستين: إنّ قول شيء ما يخلق في أغلب الأحيان تأثيرا على المشاعر والأفكار وعلى نشاط المتلقي والسامع.[3] » وفعلا حدث نوعا من الهدوء والراحة لدى سامعه ومتلقيه حيث يستفهم أن المقام كان مقام الخوف والقلق لذلك استدعى الموقف خطاب التهدئة والاطمئنان.

الأفعال الكلامية في الآية ١٩٣من سورة البقرة

﴿ رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً ينادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ﴾ بقرة /١٩٣

حيث نرى تواتر ورود الأفعال الكلامية التوجيهية كالنداء بربنا ثلاث مرات في الآية فقد حذفت الياء لتناسب المقام والمقام هو الدعاء والتذلل إلى الله القريب المجيب ولعل حذف الياء فيه كان « تعبيرا عن شعور الداعي بقربه من ربّه. لأنّ الدعاء خطاب ومقام الخطاب مقام مشاهدة وحضور فلا تناسبه الياء.[4]» فكما لحضور اللواحق من دلالات هامشية وعاطفية

---

١. أحمد فهد شاهين :*النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة* ،ط١، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٥م،ص ١١.

٢. أبو الفتح عثمان ابن جني: *الخصائص*، ج ٢، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠١م، ص ٤٦٥- ٤٦٤

٣.ذهبية حمو: التداولية واستراتيجية التواصل ،ص ١٨١.

٤. عيسى تومي: الأبعادالتداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا ص ١٠.

كذلك لحذفها دلالات عاطفية تأثيرية ومعنوية.

يقول الشاطبي في ذلك:« أنّ القرآن أتى بالنداء من الله تعالى للعباد ومن العباد لله إما حكاية وإما تعليما فحين أتى بالنداء من قبل الله للعباد جاء بحذف حرف النداء المقتضي للبعد ثابتا غير محذوف ...فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حذف فلا تجد فيه نداء بالرب تعالى بحرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه في الأصل والله منزه عن التنبيه.[1] »

فإذا أردنا أن نطبق كلام الشاطبي على النظرية التداولية يتضح لنا أن حذف الياء أدى وظيفة تداولية إن الدعاء في الحقيقة هو الطلب لكن جهته من الأدنى إلى الأعلى. فجهة الخطاب في الآية أعلاها -خلافا للآية السابقة- يكون موجّها من المؤمنين إلى الرب؛ أي من الأدنى إلى الأعلى فهو نداء رغبة وطلب لإصلاح شؤونهم وأحوالهم فهم في حضرة الرب والله محيط بهم حاضرا مشرفا عليهم إذن لاداعي لإثبات الياء.

إن غالبية الأدعية في الخطاب القرآني تكون بلفظ الرب ومناداته لشمولية معناه ودلالته وتناسبه مع كل ظروف الإنسان. فالرب لغة بمعنى المربي والقائم بشوون المربوبين وقد قمنا بمعالجة هذا الموضوع في مبحث آخرتفصيلا وبسطا حيث أفردنا له بحثا مستقلا تحت عنوان سيميائية الرب في الخطاب القرآني.

تركيزا على الجانب التداولي للآية إن دلالة صيغة الأمر حوّلت مرتبة المرسل والمتلقي إلى الدعاء وذلك بحسب السياق والمقام كما في (فأغفر لنا، كفّر عنا، توفنا) فالمقام هو مقام الدعاء وإبراز الضعف والخشوع إلى رب واحد عبر تحقيق الانتماء في ربنا والانتساب إلى الرب وذلك بورود صيغة الجمع وتواترها في: فَاغْفِرْ لَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا وَتَوَفَّنَا إذ توحي بضعف الكثرة أمام رب واحد أحد و من جانب آخر لاننسى تضافر الجانب الشكلاني للخطاب وتغيير أسلوب الخطاب من التكلم إلى الخطاب في (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً ينادِي لِلْإِيمانِ) إلى (أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ)وتشريف المخاطب (بربكم) بنسبته إلى الرب حيث يمكن اعتباره من المنظور التواصلي مد جسور التواصل بين الرب وبين المتلقي فالمرسل(المؤمنون) يرسل رسالته إلى المتلقي(الرب) قاصدا تحقيق الطلب والتأثير والرغبة في اصلاح شأنه لأن في الدعاء يتحقق البعدالتواصلي من جانب ثم القصد والطلب والرغبة من جانب آخر فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ﴾ بقرة /١٩٣ ثم التأثير والامتثال ب(آمنوا /فآمنّا)

فعلى ضوء ما تقدم من هذه النظرية إنّ آمنوا بربكم فعل طلبي أمري يصدر من مرسل إلى متلق على وجه الاستعلاء كما بينا سابقا وفيه قوة إنجازية كبيرة إنّه فعل كلامي حثّ من خلاله المرسل(الله تعالى)المتلقي(المؤمنون) على فعل محدد وهو

١.المصدر نفسه: ص ٤٩.

الإيمان بالله، فكان الرد من قبل المؤمنين ب(آمنا)؛ هو القيمة التأثيرية ونتاج طلب النطق بفعل آمنوا بربكم.

إن هذه الآية بينت مدى تحقيق البلاغ القرآني قولا وعملا بواسطة الفهم والإفهام من قبل المتلقين إن هذه الأعمال المنجزة كانت نتيجة تفاعل وتجاوب ناجح بين المرسل والمتلقي.

وكذلك في الآية الشريفة:

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى‌الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بقرة/ ١٨٣. ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيصُمْهُ ﴾بقرة / ١٨٠.

يتضح من الآية: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى‌الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بقرة/ ١٨٣.

إن الله تعالى(المتكلم)يخاطب المؤمنين في أمر الصيام ويخبرهم بصيام الأمم السالفة لكن المخاطبين يفهمون من الفعل الكلامي الغير صريح(كتب) أنّ المقصود ليس الإخبار بل الإلزام بالصيام لكن في الآية الثانية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيصُمْهُ ﴾بقرة / ١٨٠.

إن الفعل الكلامي الطلبي(فليصمه) بما فيه من قوة إنجازية حث المخاطب على الصيام وحقق الإنجاز والتأثير معا ومن ثّم ألزمه بذلك.

ولاننسى إن التأثير لفاعلية القول في كل من هذه الأفعال قد تحققت بخطاب النداء أيضا فاستهلال الآية بخطاب يا أيها الذين آمنوا لا تخلو من دلالات وقيمة تأثيرية لهذه الأفعال الإنجازية. كما يرى الآلوسي في هذا النوع من الخطاب ياأيهاالذين آمنوا بأن:« الله تعالى وصف المخاطبين بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وهذا الخطاب يعتبر خطاب تكريم وتشريف للمؤمنين.[١]»

إن اشتمال الآيات على أصول التشريع والأحكام والتكاليف بعدالنداء يا أيها الذين آمنوا يحقق البعدالتداولي والإنجازي وكذلك التأثيري إذ تمثلت قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتكريمهم بيا ايها الذين آمنوا وتهيئتهم لتلقي الخطاب و ومن ثم التأثير ثم الامتثال..هذا من جانب ومن جانب آخر وممّا يزيد في فاعلية التأثير خاصة في الآية الشريفة:

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى‌الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ بقرة/ ١٨٣. عدم إغفال

---

١. محمود آلوسي: *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* ، داراحياء التراث العربي، بيروت ، بي تا، ج ٩،ص ١٩٠

البعدالنفسي للمتلقين وتفهم حالتهم النفسية إنه سبحانه وتعالى بتوظيف خطاب يا أيها الذين آمنوا أبدى موائمة نفسية مع المتلقين وأقرّ ضمنيا بمشقة الصيام وتفهُّم حالة المخاطبين فحاول التخفيف من وطأة الصيام بتسليتهم عبرالتذكير بفرضه على الأمم السالفة فبالتالي يسهل عليهم قبوله إذ ليسوا وحدهم في هذا التكليف فكما استطاعوا الماضون إنهم كذلك يستطيعون فتهون عليهم مشاقّه.

فخلاصة القول ومن منظور تواصلي أنّ:«من سمات التواصل الناجع إبداء الموائمة النفسية مع المتلقي وتقمص حالته العاطفية وإشعاره بالدعم والمساندة وهذا يخلق جوا مؤاتيا لتنفيذ الأوامر ومن ثمّ الامتثال عند المتلقي.[1]» ثم إنّ الترغيب في الصيام قد تمّ بواسطة تبيين النتيجة المترتبة على ذلك وهي التقوى أي القوة التأثيرية.

إن استفتاح الآية بهذا الخطاب الموقّع في النفس(يا أيها الذين آمنوا) و إبداء المؤائمة الوجدانية(التقمص العاطفي)مع المتلقي؛ يعتبر آلية لغوية تزيد من قوة التواصل والتفاعل مع المخاطب وكذلك تعزز الوظيفة الترغيبية للغة بهدف التأثير عليه. هذا ما يوكده جميل حمداوي في معرض حديثه عن الوظيفة الترغيبية للغة إنه يرى أن قوة العلاقة بين المتكلم والمتلقي هي التي تحدد درجة نجاح المتكلم في ترغيب المتلقي في أداء فعل ما وكذلك في تحذيره وتخويفه.[2]»

نستخلص مما أفاده البحث؛ أنّ النداء في هذا النوع من الخطاب أدى وظيفة تداولية بالتنبيه أولا حيث يترتب على الأخير دور كبير في إيصال الرسالة حتى يتهيء للقبول والامتثال والثانية هي التكريم والدلالة على ارتفاع شأن المنادى والمخاطب. فقد لاننسى في هذا الشأن الذكاء العاطفي الذي أفردنا له فصلا كاملا في التوصيل والتبليغ والتأثير أيضا لأن إبراز الموائمة النفسية والتقمص الوجداني مع المتلقي هما العاملان الأساسيان في تهيئة الأرضية المناسبة للتاثير والقبول.

٢-١٠-الخطاب السلطوي

بعد أن تطرق البحث إلى أبعاد الخطاب من مختلف المنظور الشكلاني والتداولي حان الحين لكي يتطرق إلى إلبعدين الآخرين للخطاب وهما البعدالحواري والسلطوي فما يسوّغ لنا إضافة هذين البعدين إلى الأبعاد الانفة الذكر هو تجاوز مفهوم الخطاب من الجملة _متتالية من الملفوظ إلى مفهوم التلفظ والتلفظ يعني هو الفعل الذاتي في استخدام اللغة بوصفه فعلاحيويا في انتاج نصا ما بتعبير آخر كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما كما قاله بنفيست وهذا يعني

---

١. حسن زارعي متين: *مديريت رفتار سازماني، (ادارة السلوك في المنظمات)*، جاب أول، ١٣٨٨ ه ش ، نشر آكاه تهران ص ١٣٠.
٢. جميل حمداوي: *السيميوطيقا والعنونة* ،مجلة عالم الفكر المجلد ٢٥، العدد٣، ١٩٩٧م،ص ١٠٦.

أن هناك كلام يتبادله المتكلم والمستمع(الحوار)بقصد التأثير وفرض الكلام على الآخر(السلطة)فيتضح إن هذين البعدين هما من افرازات مقام التلفظ. والخطاب في مقام التلفظ ما يعني الحدث الاجتماعي الذي يحيل معنى الخطاب إلى مفهوم التواصل أي الحوار بين أطراف الخطاب. في الحقبقة إن الخطاب في هذا المفهوم يعني نتاجا لسياق اجتماعي معبرا عن فكرة ومضمون له بنية فكرية تحاول التأثير والسلطة على الآخرين بناء على تعريف هيرست(Hirst) بقوله: «الخطاب هو عبارة عن أفكار وضعت في نظام محدّد من التعاقب منتجة لآثار محددة.[1]»

بتعبير آخر إن الخطاب هو النظام الفكري والأيدئولوجي المعبّر عن الرأي والموقف، عبرالتفاعل (الحوار) كما يعتقده باختين (Bakhtin) بقوله:«إن الخطاب يتحدد من خلال الحوارية التي تتواصل مع تعدد الأصوات وهو تعدد يظهر الخطابات وجدواليتها عبر صوت الذات المتمركزة حول ذاتها والمتكلمة عبر لغتها والتي تتقاطع معها أصوات أخرى لتعكس عالما متعدد الأصوات.[2]»

وقد مرّ في التعريف اللغوي للخطاب خاصة في مفهوم الخطاب القرآني«إنّه نظام القول المؤثر في الآخرين والإقناع وهذا يقتضي القول بأن الخطاب هو عبارة عن نظام السلوك التواصلي بوصفه نظاما للتفاعل والفعل المتبادل(الحوار) بين أطراف العملية التواصلية أو بوصفه نظاما للتسلط والفعل من طرف واحد(الخطاب الاستعلائي)أو بوصفه نظاما للتبعية والخضوع.[3] »

في الحقيقة إن القرآن الكريم قبل تكوين هذه النظريات والأنظمة قد قام بترسيم تلك الأطر والمقومات التواصلية وما علينا إلا أن نجليها حيث يكتسي الخطاب القرآني في سلوكه التواصلي بطابع التفاعل المتمثل في الحوار وتارة بطابع التسلط.

إن الخطابات الحوارية في القرآن الكريم مثلت لنا نظاما تفاعليا غلبت عليه المسحة التواصلية موحية بقوة الدافع النفسي وجيشان العاطفة سواء بين الرب والعبد:

﴿ وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يوحى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا ﴾طه/ ١٣ و ١٤.

أو بين العبد والرب وقد بلغت تلك المسحة التواصلية مداها في الخطاب الدعائي:

﴿ قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿ وَيسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿ وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ ﴿ يفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿ وَاجْعَلْ

---

١. عبدالواسع الحميري: *النص والخطاب والسلطة* ، ص ٩٤.

٢. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، مؤسسة المختار ط ١، ٢٠١٤م، ص ٨١.

٣. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص١٧٥.

لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿ هارُونَ أَخِي﴾ ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ﴿ كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾ ﴿ قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾ طه / ٣٦. أو المسحة التواصلية الاستئناسية بإطالة الحوار:

﴿ وَما تِلْكَ بِيمِينِكَ يا مُوسى﴾ ﴿ قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِي فِيها مَآرِبُ أُخْرى﴾

بما أن « الخطاب حدث اجتماعي وليس حدثا فرديا له طابع حواري لأنّ الذات المتكلمة وإن بدا عليها أنها مأخوذة من الداخل إلا أنها تعتبر بصورة كلية نتاجا لعلاقات اجتماعية متداخلة.[1] » ولأن مقام الخطاب هو: « مقام التلفظ وهذا ما يمنحه الانفتاح والاتصال. يقتضي التعبير عن موضع الشعور بالموقف الأصلي تجاه الذات واختيار عالم الحرية وكذلك بيان أفق التوتر والصراع بين كائن المتلفظ وعالم ملفوظاته أي بين الذات المتلفظة والأطراف العاملة أو الفاعلة بوصفه بنية علاقة توتّر جدلية.[2] » لذلك يتجاوز الرؤية الواحدة إلى تعددية الرؤى كما بيّنه باختين بتعددية الأصوات ودراسة عمليات التلفظ اللغوي ضمن السياق الاجتماعي. بتعبير آخر « يكون كل خطاب بمثابة فضاء أو عملية تتأسس فيها العلاقات بين الأفراد ويتم إنتاج موضوعات المعرفة وتتولد مواضعات القيم وذلك على نحو يميز كل خطاب عن غيره في علاقات المعرفة التي هي علاقات القوة في المجتمع.[3] » ثمّ يتجاوز الرؤية الواحدة إلى إيدئولوجية منتجة للخطاب بقوله:«إنّ الوجه الأكثر أهمية في المحاورة يكمن في قدرتها على استيلاد ملفوظات غير متوقعة وأفكار وآراء هي ثمرة تفاعل المتحاورين فإنّ الكلمات تحمل دائما معنى إيدئولوجيا.[4] » ليس هذا فحسب بل الأكثر من ذلك:«يتضمن موقفا جاهزا من العالم.[5] »

فمن هذا المنظور لا يخلو نظام الخطاب من مسحته الإقناعية والتأثيرية المعبّرة عن تلك الفكرة والموقف حتى في مقام التسلط والخطاب من طرف واحد وكذلك إمكانية اشتباك مباشر ومواجهة مفتوحة مع الآخرين ما يعني:«مقام التلفظ أو ساحته، هو ساحة مواجهة وصراع بين الأفكار والمواقف للأنوات المتعددة التي تتنازع الكيان المتلفظ كلاّ بطريقتها الخاصة ما يحيل أفق التلفظ أفق مواجهة وصراع داخلي / خارجي بين الأنا من جهة وبين الأنت من جهة أخرى.[6] »

---

١. المصدر نفسه: ص ٩٩.

٢. عبد الواسع الحميري: *ما الخطاب وكيف نحلله*،بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط١، ٢٠٠٩م،ص ١٠٦.

٣. لطفي فكري محمد الجودي: *جماليات الخطاب القرآني*، ص٨١.

٤. نبيل أيوب:: *النقد النصي وتحليل الخطاب* ،ج ٢، لبنان مكتبة ناشرون، ط ١، ٢٠١١م، ص٢٣٢.

٥. عبدالواسع الحميري: *ما الخطاب وكيف نحلله*، ص ١٠٠

٦. المصدرنفسه: ص ١٠٩.

ومن هنا يظهر أن الخطاب الحواري تقف خلفه بنية فكرية سلطوية ففي هذه الحالة يصبح الخطاب نظام صراع بين المواقف والأفكار أي صراع المواقف بين القوى الإيدئولوجية المتصارعة كما تذهب مكدونيل (Mac danel) بقولها :«إ ن الخطاب لا ينهض مستقلا عن أي خطاب آخر بل ينشأ الخطاب ليكون في مواجهة مع خطاب آخر.[1]» وهذا لايحدث إلا إذا قام كل خطاب على موقف وفكرة.

تبين أن الحوار له بنية فكرية و إنه يتمتع بتعددية الاصوات والآراء عند كل من أطراف العملية التواصلية وله قصدالتأثير على المخاطب وبما أن التأثير لا يخلو من سلطة وقوة ذهب فوكو رائد نظرية السلطة في الخطاب بأن الخطاب هو «شكل من أشكال الهيمنة وممارسة أيديولوجية.[2]» فبالتالي يحتوي على آليات سلطوية تمكّنه من الهيمنة من جهة ومن إنتاج ممارسات خاصة به من جهة ثانية. بهذا المعنى يذهب فوكو(M.foucault) إلى أن الخطاب هو:«عبارة عن دالّة السلطة وعبارة عن عرض لشبكة علاقات القوى الخاصة بتشكيلة خطابية معينة وتوزيع سلط التأثير والتأثر.[3]»

إذن يجّسدالخطاب في ذاته سلطة إنجازية تمتلك قوة التأثير على من حوله في المجتمع من بشر ومؤسسات وإن هذه السلطة المتجسدة في الخطاب هي قبل كل شيء حدث لساني و«الحدث اللساني في ذاته ذو طبيعة تسلطية ونفاذ تحكمي لذلك لا يمكن الانفلات من هيمنة الخطاب.[4]» إنّه:«كيان خاص متماسك بنفسه ومترابط وصحيح ومفهوم ينتج بطريقة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرزالكيفية التي ينتج بها الكلام كخطاب.[5]»

وحينما نتحدث عن الخطاب السلطوي المنطوي على مفاهيم السلطة والايدئولوجيا فأنه لا محالة يقودنا إلى الخطاب النقدي الذي يرى أن الخطاب«هو حدث لساني احتماعي يصنع المعرفة والهوية والعلاقات الاجتماعية خاصة مناسبات السلطة ويغيرها وفي علاقة جدلية مع باقي النظم الاجتماعية إذ هو صانع الأحداث والظواهرالاجتماعية ومصنوعا لها أيضا بتعبير آخر أن هناك علاقة جدلية بين اللغة والسلطة والايدئولوجيا من هذا المنظور.[6] »

فالخطاب النقدي يسعفنا بأن ندرك أن أقوال الناس هي محصلة الفكر والأيدئولوجيا الفردية والسياسية والاحتماعية والثقافية وأن هذه الأيدئولوجيات كيف تبحث وتناقش أمام الخطاب المعارض إن الخطابات تكتب وتصاغ في هيئة لكي تحافظ

---

١. عبدالواسع الحميري: *ماالخطاب وكيف نحلله*،ص٩٥.

٢. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م،ص ٨٨.

٣. عبد الواسع الحميري: *النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة*، بيروت مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٤، ص ١٨٩.

٤. إدريس حمادي: *الخطاب الشرعي*، ص ١٩.

٥. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*،ص ٨٠.

٦. ماريان يوركنسن: *تحليل الخطاب* ترحمه هادي جليلي، ص ١١٦.

على منافع الفرد والجمع .في الحقيقة إن الخطاب النقدي يحاول أن يكشف الستار عن العلاقة بين اللغة و السلطة الحاكمة والمؤسسات الاجتماعية والثقافية و الأيدئولوجيا والسلطة الدينية.

إن الخطاب النقدي هو الخطاب الذي «يريد أن يكشف مدى أثر الظواهرالاجتماعية والثقافية والسلطوية والسياسية في تكوين وبلورة الخطاب وكذلك تبيين العلاقة الجدلية بينه وتلك الظواهر.[1]» ومن جانب آخر له أثر كبير في إحداث التغيير أيضا في تلك الظواهر لأنه يرى للغة قوة وسلطان :«يستطيع الأفراد عبرها تغيير الكون وإنّ لها علاقة جدلية مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية.[2]» كما يعتقد نورمان فيركلاف(fair clough) رائد تحليل الخطاب النقدي حيث بنى خطابه النقدي على أسس يمكن تلخيصها والخروج بهذه النتائج:

«للسلطة مفهوم خطابي وتكون علاقاتها خطابية.

الخطاب النقدي يقوم بمعالجة المشاكل الاجتماعية .

الخطاب له دور ووظيفة إيدئولوجية.

الخطاب هو صانع الثقافة والمجتمع ويمثّلهما.

ان لكل خطاب معنى ايدئولوجي إذن للخطاب ثلاثة وظائف:وظيفة صناعة الهوية وصناعة العلاقات والوظيف الفكرية.[3]»

فتأسيسا على تلك المبادىء خاصة الدور الأيدلوجي للخطاب حاول البحث أن يقترب من الخطاب السلطوي الذي يراه في صميم الخطاب النقدي في بعض من الآيات القرآن الكريم أدناها والتي تتيح لنا استجلاء نظام الخطاب بوصفه نظاما حواريا متعدد الأصوات ومن ثم متعدد المواقف المنبثقة من الأيدئولوجيا والعقيدة في هذه الآيات الشريفة من سورة غافر/٢٨ – ٢٤:

﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيوا نِساءَهُمْ وَ ما كَيدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِـــي ضَلالٍ﴾ ﴿وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ﴾ ﴿وَ قالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يؤْمِنُ بِيوْمِالْحِسابِ﴾ ﴿وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يكْتُمُ إِيمانَهُ

---

١. المصدر نفسه: ص١١٠.

٢.المصدر نفسه: ص ١١٢.

٣. ماريان يوركنسن: *تحليل الخطاب*، ص ١١٩.

أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يكُ صادِقاً يصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾

إن في الآية أعلاها نلاحظ ثلاثة أصوات وآراء إذن هناك تعددية الآراء والأصوات(صوت الملأ والفرعون ومؤمن آل فرعون) فبالتالي ثلاثة خطابات الخطاب الأول والصوت الأول هو صوت حاشية فرعون والقوى الحاكمة التابعة لفرعون التي تأمر في خطابها بقتل الأبناء واستحياء النساء(الخطاب السلطوي)المستوحى من(القول) كما مر سابقا أن للقول سلطة وقوة بالنسبة لمفهوم الكلام في التمييز بين القول والكلام:

﴿و قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيوا نِساءَهُمْ وَما كَيدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي‌ضَلالٍ﴾ غافر/٢٤.

والصوت الثاني هو صوت فرعون وخطابه لقتل موسى﴿ وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى﴾ والذي يمكن استشعار القوة والسلطة من لفظ القول فيه.

إذا كانت القوى الحاكمة صوّبت سهامها إلى أتباع موسى وشيعته التي رأتها تشكل خطرا على كيانها وموجوديتها فإن فرعون استشعر مركز الخطر على سلطته و هو موسى عليه السلام الذي في رأيه شكّل خطرا على حرية وسلطة الانا لديه(فرعون) لذلك قام بخطاب القتل: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى ﴾ ثم خاطب الناس متحديا ربّ موسى قائلا:﴿وَ لْيدْعُ رَبَّهُ مُوسى﴾ فكلا الخطابين انتهجا سياسة القتل وإلغاء الآخر السياسة المتبّعة من قبل كل الجبابرة والطغاة.

كما قلنا أن الخطاب ذوعلاقة بالنظم الاجتماعية مستمد قوته منها فبناء على ذلك نلاحظ أن فرعون -وإن كان في قمة النظام السلطوي وفي أرقى منصب -لكنه بقوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى﴾ أراد أن يستمد سلطته من النظام الاجتماعي ومن مراكزالقوة والمؤسسات السلطوية والحاكمة الأخرى(القوى الضاغطة من كبار الساسة والأثرياء) وكأن هذا الخطاب هو تلويح بالقوة والسلطة لديهم وكأن لسان حاله يقول إنني أستأذنكم في قتل موسي وسيتم أمره بعدالتخويل منكم فنلاحظ أن لهم سلطان أيضا بجانب سلطة فرعون حيث ظهر مدى سلطة خطابهم كما رأينا في بداية الآيات:

﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيوا نِساءَهُمْ وَما كَيدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي‌ضَلالٍ﴾ غافر/٢٤.

في الحقيقة إنهم يستمدون سلطتهم من بعضهم البعض فرعون منهم وهم من فرعون و كأن خطاب فرعون بقوله:

قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسى أيضا هو استمداد للقوة منهم في القتل وإيعاز منه في توسيع دائرة القتل والإبادة لكن لاننسى أنه إنطلق من مبدأ السلطة والهيمنة المتمثلة في أنا في ذَرُونِى وأَقْتُلْ ومن مبدأ القوة والسلطة باعتباره رأس الفئة الكبيرة

الكثيرة في العدة والعدد إذ مكّنته من التفوّه بمثل هذا الكلام فالقوة مكنونة في أنا: ﴿ فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾

إن التفوه بمنطق الألوهية واعتبار الأنا، مطلق السلطة والقوة « يحيل مقام التلفظ أو أفقه إلى ساحة مواجهة وصراع مع كل ما من شأنه أن يستلب حرية الأنا أو يلغيها أو يهمش دورها.[1] » كما يعتقده فوكو(M.foucault) رائد نظرية سلطة الخطاب.

فالإقرار بمقام ألوهية (الأنا) وضعه في مجابهة رب موسى وذلك في خطاب غيرمباشر من جانب فرعون: ﴿وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ مُوسى ﴾

فقدأراد بهذا الخطاب الاستعلائي أن يلغي ويهمش دور إله موسى مقللا من شأنه بتوظيف صيغة الغياب في:﴿وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ مُوسى ﴾ فقد أكد فرعون حضوره وسلطته بتوظيف ضمير الأنا الكامن في ذروني وأقتل وغيّب رب موسى بتوظيف ضمير الغائب.

فقدكان فرعون يرى لنفسه السلطة الإيدئولوجية باعتباره الإله والرب الأعلى وإن له سلطة يستطيع بها أن يصوغ وعي المخاطب ويوجّه إرادته لهذا الاتجاه أو ذاك فيملي على المخاطب شروط القبول عليها أو رفضها في الحقيقة إن مقام ألانا فوض فرعون السيطرة على المعتقد والاستيلا ء على الفكرة بتسييرها وصياغتها في الوعي فإنه هو الذي يأذن بالكفر أو الإيمان ومن يخرج على ذلك فمصيره التنكيل والتعذيب وقطع الأرجل والأيدي والصلب لا بقاء لمن يخالف ويعارض ألوهيته فاعتمادا على تلك السلطة الإيدئولوجية مارس فرعون سلطته من خلال قبول الآخرين بها أي هناك سلطة على عقول الناس والتحكم بمعرفتهم وآراءهم واتجاهاتهم فالسيطرة على العقل« تعني السيطرة على الأفعال كما يعتقد فان دايك.[2] » فإذا ضبطهم بالفكر سيسهل ضبطهم بالفعل أيضا كما نرى ذلك في تجاوب حاشيته معه والعامة من الناس بقوله ﴿ فَحَشَرَ فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾النازعات / ٢٤.

فحشر في الآية دليل على أن كثيرا من الناس كانوا معه ويخضعون لربوبيته وبالتالي يفعلون ما يفرض عليهم

وفي مقابل القبول والرضوخ لسلطته حينما يواجه رفضا من خطاب آخر معارض يلجأ إلى العنف والتصفية الجسدية والقتل كما في خطاب رفض السحرة ومن ثم توجيههم خطاب التهديد من قبل فرعون:

---

١. عبد الواسع الحميري: *ماالخطاب وكيف نحلله*، ص ١٣٥.

٢. فان دايك: *الخطاب والسلطة*: ص ٣٥.

﴿ قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَينا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى﴾ الشعراء/ ٤٩.

إذن هناك صراع أرباب وإيدئولوجيات وصراع إرادات . فبما «أن الدراسات النقدية خاصة الخطاب النقدي يتم التركيز فيا على خصائص الخطاب المرتبطة كثيرا بالتعبير عن السلطة الاجتماعية التي تتراوح خصائصها بين نبر معين أو خصائص سمعية ومرئية كاللون وملامح الصورة والموسيقى وبين البنى النحوية.[1]» إرتأى البحث أن يتابع خصائص الخطاب في الآيات أعلاها فيمكننا القول في تبيين خصائص هذا الخطاب السلطوي بأنه قد بلغ ذروته في فلأقطعن ولأصلبنكم ولتعلمن للخطاب الفرعوني حيث جاء الخطاب مؤكدا باللام ونون التأكيدالدالّ على القطع والحتم ثم تفصيل العقاب وترسيم الصورة بأبشع شكل ممكن بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ثم الصلب في جذوع النخل واختتام الخطاب بكلمات على وزن أفعل في أشد وأبقى ما يدلّ على شدة العذاب وتداومه وبقاءه بالنسبة إلى العذابات الأخرى وقد كرر فرعون ضمير المخاطب مباشرة (آمنتم،آذن لكم،كبيركم،علّمكم أرجلكم ولأصلبنكم) ما يعني قوة اقتناعه بما يظن فيهم وكذلك شدة تهديده لهم حيث يمكننا استشعار شدة النبر واللحن فيه عبر توظيف الحروف المجلجلة ذات القوة والشدة كالكاف والجيم والصاد في كبيركم وعلمكم وأرجلكم ولأصلبنكم وجذوع النخل فأراد أن يثبت ظنه في السحرة أولا باستخدم الجملة الإسمية الدالة على الثبات والثبوت وقد أكدها بإنّ ولام التأكيد:

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ طـــه/ ٧١. ثم أراد ممارسة السلطة على أرض الواقع و تفعيلها لذلك قام بتيوظف الجمل الفعلية في خطابه التهديدي ما يعني تفعيل التهديد والتكرار والتجديد لخطاب الإلغاء.

فبما أن كل خطاب هو تعبير عن إرادة و فكر و رأي سواء على الصعيد الخارجي المتمثل في السلطة السياسية والحكومة أو على الصعيدالفردي نلاحظ أن خطاب السحرة هو تعبير عن إرادة قوة ما في مقابل إرادة قوة أخرى (إرادة فرعون) بقولهم:

﴿ قالُوا لاضَيرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء/٥١.

في الحقيقة كان خطابهم خطاب المجابهة وصراع الإرادات المواجهة بين(الأنا)عند فرعون و(نحن) عندالسحرة حيث نلاحظ توظيف ضمير نا بكثرة (إنا، ربنا، لنا ،خطايانا، كنّا) الدال على الجمع والقوة أمام أنانية فرعون فقدأرادوا في خطابهم أن ينتسبوا فيه إلى الرب الواحد الأحد وكأنهم يتشرفون ويتباهون بهذا الانتماء لذلك كرروا ضمير نا المحال إلى الرب

---

١. المصدرنفسه: ص ٣٥.

سبحانه وتعالى.

وإما عن خطاب موسى في الآية أعلاها فإنه أمام هذه الإيدئولوجية الإثنينية والنظام الوثني الاستعلائي قام بالردّ مصرّا على موقفه التوحيدي والوحداني نافيا هذه الإثنينية بقوله: ﴿وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ﴾ وعن لسان مؤمن آل فرعون:﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبِّي اللَّهُ﴾ :

﴿وَ قالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لايؤْمِنُ بِيوْمِالْحِساب﴾ ﴿وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَ قَدْجاءَكُمْ بِالْبَيناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يكُ صادِقاً يصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر/٢٤-٢٨.

إنه عليه السلام ما كان بحاجة أن يستمد قوة خطابه من القوى الضاغطة والمؤسسات بل بيّن بخطابه أنه استمد قوته من ربه فقط نافيا الاستمداد بالغير داعيا الكل أن يلجأووا ويعوذوا بالله رب العالمين خلافا لفرعون الذي بحجة إضفاء صفة الإقناع والمشروعية على خطابه قام بالتمويه على الناس وذلك بإبداء الحرص على حفظ الديانة والإيدئولوجيا وصيانة البلاد من الفساد بتبرير قصده للقتل(قتل موسى) وبالحجج التي ترضاها الناس وتستسيغها وذلك عبر إبداء الخوف على دين الجماعة وتبديل معتقدهم الذي يعتبر تغييره تغييرا للحكم ونهاية لسلطته فقدرسم لهم نهاية مؤسفة إما في تغيير الدين وإما في ظهور الفساد: ﴿إِنِّي أَخافُ أَنْ يبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ﴾ فقدأراد فرعون بهذا الخطاب أن يرسخ هذه الفكرة في الجمهور بأن الحرص والخوف على حفظ الأيدئولوجيا(دينكم) والمنع من تغييره وتبديله هو الذي يحافظ على أمن البلاد ومن ثم عدم ظهور الفساد فيه.

فبما أن الدراسة النقدية خاصة الخطاب النقدي فيظهر أن التغيير عند فرعون يساوي الفوضى والفساد والخراب وقدأراد أن يروج لهذه الفكرة لذلك قام بخلقها إذن الخطاب هنا خطاب له:« وظيفة ايدئولوجية كما يعتقد بعض أصحاب التحليل الخطاب النقدي أمثال فركلاف(fairclough) إنّ الوظيفة الايدئولوجية تتجلى في صيانة السلطة فضلا عن أنّها تصنع الخطاب.[1]»

هذا بجانب الإصطفاف الأيدئولوجي والعقدي كما لاحظناه في الآيات : ﴿قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيدْعُ رَبَّهُ

---

١. ماريان يوركنسن: *تحليل الخطاب* ، ص١١٨ - ١١٤.

﴾ غافر/٢٤.

لكن ثمة خطاب لفئة لا تعترف بسلطة فرعون فما عليها الا أن تكتم إيمانها خوفا من بطش السلطة: ﴿وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يكْتُمُ إِيمانَهُ ﴾ غافر/ ٢٦. إنها تريد أن تحافظ على كيانها واستقلاليتها وما عليها حينئذ إلا أن يتسّم خطابها بالطابع العقلي والإقناعي فيأخذ صوتها طابع المحاجّة ونظام القول المؤثر للوقوف بوجه القول الاستعلائي والسلطوي الفرعوني وذلك بقوة المنطق فاتخذت على إثره طريق التأثير والإقناع لأن الخطاب هو : «نظام القول المؤثر والمقنع لكل الأطراف.[١]» وهو «نظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير[٢].»

فضلا عن ذلك فإن خطاب مؤمن آل فرعون أراد أن يعالج مشاكل المجتمع أيضا لأنها من وظائف الخطاب كما مر عند رأي فركلاف. فقام الرجل المؤمن بالرد على خطاب القوة و خطاب القتل بإيجاد حل لهذا المأزق عبر تذكيرهم بالبينات التي جاءبها موسى وتحذيرهم مغبة أعمالهم حالة صدق كلام النبي موسى عليه السلام ومنعهم القتل.

إن هذا الخطاب التوسطي أراد أن يهوّن وقع كلام موسى على القوى الحاكمة والايدئولوجيا السائدة فاستفتح كلامه بالاستفهام لكي يمهدخطابه للتأثير والإقناع وذلك بالسؤال الذي أراد به التأمل والعقل ووضع المخاطب أمام خيارين ثم التذكير بعاقبة الأمور بقوله تعالى:

﴿وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَ قَدْجاءَكُمْ بِالْبَيناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يكُ صادِقاً يصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر/٢٦-٢٨.

٢-١٠-١- مصدر سلطة الخطاب

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو من أين يستمد الخطاب سلطته؟ وكيف يكون قادرا على التأثير والإنجاز؟ يجيب فوكو على هذا السؤال بأنّ الخطاب، يستمد سلطته من طبيعة الخطاب نفسها.[٣]» أو من «سلطته الايدئولوجية.[٤]» أي يستمد سلطته من«

---

١. عبدالواسع الحميري : الخطاب و النص المفهوم العلاقة السلطة، ص ١٥.

٢.المصدر نفسه: ص ١٥.

٣. عبدالواسع الحميري: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ص.١٩٢

٤. المصدر نفسه: ص ١٩٨.

قدرته الفائقة على صوغ مجاله وقوانينه وإحتواء المتكلمين وتأطيرهم في إطار شبكة أخرى من الأوامر والنواهي[1].»

كما أنّه يستمد سلطته من: «قدرة المرسل / الباثّ اللغوية بوصفه الفاعل الرئيس في الخطاب باعتباراللغة الأداة الأهم في التفاعل مع المرسل اليه وذلك من خلال القدرة على إنجازها في صورتها المتقيدة بالقواعد[2]» وقد تتمثل في قوة أنا في الخطاب لأنّ الأولية في نمط التلفظ(الخطاب)للأنا المتلفظة.[3]» كهذه الآية:

﴿إِنَّنِي اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ أو عن لسان فرعون: ﴿فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾ وقدتجلت قوة السلطة والتفوق في مصدر السلطة والقوة وهو كتاب الله التي انطلقت كثير من الآيات من مبدأ الأمر والنهي المرتكز على سلطة إيدئولوجية مبنية على نظام التوحيد وهو عبادة رب الواحد.

يتوجه هذا الخطاب التفوقي أولا إلى الأنبياء كما في هذه الآيات: ﴿ وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيها﴾ طه/١٣٢ ﴿ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِالنَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ هود/ ١١٤. أو ﴿ يا أَيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ المدثر /١-٢ أو ﴿ياأَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ مائدة / ٦٧.

ثم إلى الخاضعين لتلك القوة والسلطة (المؤمنين)

﴿ قاتِلُوا الَّذِينَ لا يؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لابِالْيوْمِ الآخِرِ وَ لا يحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ التوبة/٢٩.

تبين مّما قمنا بتحليله أنّ تعددّية الأصوات والحوارات تنبىء عن تعددية المواقف والأفكار وأنّ الخطاب ذو صلة وثقى بالسلطة والمجتمع والسياسة والأيدئولوجيا كما رأينا في الآيات أعلاها إن منطلق الخطاب منطلق إيدئولوجي يمنحه السلطة وتعددية المواقف والأفكار وبالتالي الأصوات فالسلطة الإيدئولوجية والفكرية وراء السلطة السياسية والاقتصادية حيث التمتع بكلا القوتين يمنح سلطة للخطاب أيضا بتعبير آخر الخطاب يمنح السلطة والسلطة تمنح الخطاب كما نلاحظه في خطاب فرعون:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً يسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كان

---

١. المصدر نفسه:ص ١٩٨.

٢. لطفي فكري محمد الجودي: *جمالية الخطاب في النص القرآني*،القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م ص ٨٨.

٣. عبد الواسع الحميري: *ماالخطاب وكيف نحلله* ،بيروت، مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩ م،ص ١٠٧.

مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص/٤.

حيث تمتع بالقوة المتجليه في السياسة والتي خوّلته أن يقوم بما يحفظ له هذه السلطة باستضعاف الشعب والتصفيات الجسدية والعنف.

وكذلك في تأثير القوة الاقتصادية على خطاب فرعون المعلن بمالكية الظواهر الكونية له:

﴿أَ لَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ زخرف/ ٥١.

كما لوحظ ذلك في خطاب الإلغاء والتهديد:

﴿قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ ﴾ غافر/٢٦.

إن الخطاب من هذا المنظور،هو نظام سلطوي كما نلاحظه في:أنا ربكم الأعلى وشكل من أشكال الهيمنة مستمد سلطته من سلطة إيدئولوجية:

﴿ أَخافُ أَنْ يَبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ أو في خطابه للسحرة:﴿قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يرِيدانِ أَنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى ﴾ طه /٦٣.

وأيضا الآيات التي نلاحظ فيها التمسك الشديد بدين الآباء سواء من قول فرعون أو غيره: ﴿ قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يفْعَلُونَ﴾ الشعراء/ ٧٤.

فبذلك يشكل صراعا وجدلية مع أنظمة أخرى وخطابات تدعو إلى التوحيد وعبادة رب الواحد من قبل الأنبياء كما في هذه الآية:

﴿ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام / ١٠٢.

فتنتهي فيما بعد بصراعات دموية من قبل النظام السلطوي:

﴿ فَلَأُ قَطِّعَنَّ أَيدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَينا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى﴾ وكذلك من حاشية النظام: ﴿ قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ الأنبياء / ٦٨.حيث سبقتها حوارات غالبيتها حوارات عقيمة وجدال عقيم انتهت بصراعات كما لاحظنا.

٢-١٠-٢- الخطاب السلطوي الشخصي

تبين أن السلطة هي التي تصنع خطابها الخاص وفي المقابل نلاحظ الشخصيات المذكورة خاصة السلبية (فرعون/ الملاء)هي التي تصنع الخطاب أيضا فبذلك يصبح لها سلطة التأثير والفعل في المجتمع.

في الحقيقة هناك سلطه تصنع الخطاب وخطاب يصنع السلطة وذلك عن طريق الشخصية أو المؤسسات أو غيرها. حاول البحث أن يعالج خطاب السلطة عند الشخصية السلبية المذكورة في الآيات أعلاها حيث أكثر القرآن الكريم من ترديد إسمها إسم فرعون (٧٢ مرة) مقارنة بالشخصيات السلبية الأخرى ولذلك ارتأى البحث أن يتطرق إلى هذه الشخصية حيث جسد القوة والسلطة والكبرياء والربوبية في انا ربكم الأعلى. حيث أراد البحث استجلاء مكوّنات شخصيته وخاصة خطابه وكيفية تواصله مع النبي موسى والمؤمنين حيث كان خطابه استعلائيا يتطابق مع اسمه: «إنّ فرعون لغة يعني التجبر والتكبر مشتق من الفرعنة أي الكبر والتجبر وقيل فرعون إسم أعجمي ولذلك لم يصرف اسمه وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة[١] وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي ذو دهاء وتكبر.[٢] »

فوجود هذه الشخصيات في القرآن يعني الإقرار بوجودها أولا في الحياة البشرية التي لاتخلو من وجود تلك الشخصيات في مختلف عصورها ومختلف أقوامها محتذين حذوها مطبّقينها تمام التطبيق بكل حذافيرها وكأنّ لسان حالهم ينطق عن لسان فرعون مرة ب: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى ﴾ نازعات /٢٤.وتارة ب: ﴿وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيرِي﴾

وبالتالي تتكرر هذه الشخصية وتنمو من جديد نافثة إفرازاتها السلبية والمرضية في مفاصل المجتمع مهددة الحرث والنسل والحياة.

نستجلي من الآية السابقة: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيرِي ﴾ قصص/٣٨. أنّ فرعون نفى وألغى كل إله إلا نفسه وقد بين للملأء بأنّه أعلمهم حيث لا يوجد إله في الكون إلّا هو فبالتالي يوحي بقوله هذا أنّه هو المسيطر والغالب والقاهر على عقولهم وعقيدتهم حيث لا رأي ولا فكر إلا رأيه وفكره كما يعتقد فوكو في شأن الخطاب:«بأنّه عبارة عن

---

١. ابن منظور: لسان العرب، *مادة فرعن*: راغب الأصفهاني: *مفردات* غريب القرآن ، باب الفاء.

٢.قاسم توفيق قاسم خضر: *شخصية فرعون في القرآن* ، اشراف الدكتور محسن الخالدي كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين ، ٢٠٠٣م، ص١٥.

شكل من أشكال الهيمنة أو عبارة عن ممارسة إيدئولوجية ترتبط بصراع الطبقات وتعمل على تكوين الأفراد في صورة رعايا.[1]»

في الحقيقة إن خطاب السلطة هو تعبير عن إرادة القوة/ التسلط يقوم بتقليص عدد المتكلمين ليتمكن من محاصرتهم ومنعهم من اختراق لنظامه سواء في إخضاع الذوات المتحدثة باسمه أو الآخرين[2].»كما تمثل في خطاب فرعون ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى ﴾حيث الخطاب السلطوي شمل جميع الفئات حتى الفئة المنتسبة إلى ذلك النظام أيضا.

فبما أنّ الخطاب ارتبط بالسلطة وارتبطت السلطة بالخطاب وبما أنّ لا تخلو سياسة أو سلطة من خطاب يصوغ الوعي ويوجّه الإرادة والسلوك في الآخرين تتبع البحث ذلك في خطاب فرعون الذي أراد به توجيه سلوك الآخرين ومنعهم من الخروج من الدائرة المغلقة التي سجنهم فيها ومن ثمّ كبت حريتهم:

﴿ قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى﴾ الشعراء ٤٩.فلايخفى في هذا الشأن مدى تجبره في خطابه للملأ أيضا حيث خاطبهم بيا أيها الملأ في كناية عن بعدهم بالنسبة اليه من حيث الرتبة والمكانة﴿ وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيرِي ﴾ فبعد إدعائه الألوهية والسيطرة الفكرية يرى أنّ الأرض وبما فيها من خيرات ملك له قائلا: ﴿أَ لَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ زخرف/ ٥١.

إننا بقوله هذا نلمس تلك اللمسة الأنانية المتعجرفة خاصة في تكرار ضمير الياء المتكلم في الآية (لي وتحتي) مؤكّدا نظرته الاستعلائية المتألهة بأسلوب الاستفهام الاستنكاري في (أفلا تبصرون) خاصة في استخدام الظرف (تحتي)في الآية: تجري الأنهار تحتي.

حيث أفرزت هذه النظرة الاستعلائية في شخصيته الشعور بالفوقية واعتبار الآخرين في مرتبة دون مرتبته حتى مظاهر الكون يراها تحت إمرته.

إنّ هذه النظرة تكشف قصرالنظر وكذلك النظرة المادية البحتة عنده حيث جاء التركيز على البصر والمحسوس من الأمور فحسب في (أ فَلا تُبْصِرُونَ﴾ وفقد كان يرى أنّ امتلاكه مصرا وجري الأنهار من تحته تخوّله أمرالربوبية وتؤهّله لذلك فالأمر،لم يتوقف عند هذا الحد فحسب فبعدادعائه الألوهية ثم امتلاك الأرض والخيرات والعلوّ فيها ،حان الأمر لكي ينفّذ

---

١. عبدالواسع الحميري:الخطاب و السلطة والنص،ص ١٠٥.

٢.المصدرنفسه: ص ١٨٨.

ويمارس على أرض الواقع خطابه المهيمن ضد كل أشكال المقاومة وضدالشعب . لأن الخطاب ينتج عنه الممارسات الخاصة به أيضا فالحديث عن الخطاب يتضمن بالضرورة الحديث عن سلطة الخطاب أيضا وكما أفاد البحث سلفا أن للخطاب سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه بوصفه نظاما وهي سلطة تمارس عملية الضبط والإقصاء بغية الحفاظ على وجوده كما نستشفه من الآيات التالية:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً يسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص/٤ .لقد جعل فرعون أهلها شيعا متفرقين كان يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحي نساءهم مفسدا.

في الحقيقة إنّ تلك الممارسات الوحشية خاصة في (يذبّح أبناءهم) على وزن(التفعيل) والتي توحي دلالته بالتكرار والاستمرار، ما هي إلا تثبيتا لسلطته فقد اتبّع سياسة فرق تسد المعروفة قبل آلاف السنين فقدأسّس نظاما طبقيا تكرّست فيه القوة والسلطة والثروة عند قوى ضاغطة وفئة قليلة احتلت مراكز القوة في أعلى هرم النظام الذي كان فرعون يشكّل رأسه وقمته فالخطاب أيضا ينتج مؤسساته الخاصة التي تكون صورة للنظام لأن سلطته مقرونة بالمؤسسة التي ينتجها.

فقد تمادى في تعسفه وكذلك تفخيم ذاته وتعظيمه باستخدام ضمير الجمع بقوله: قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ كأنّما فرعون في هذه الآية لم يشف غليله هذا التفخيم والتعظيم في سَنُقَتِّلُ، فيعود ويستخدم ضمير الجمع مرة أخرى في إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ وقدتعاضد هذه الفكرة الاستعلائية كثرة ورود الأصوات المدية والموحية بالشموخ والرفعة مثل الألف المدية في(قال،أبناءهم نسائهم، إنا، قاهرون) والتأكيد على التفوق والغلبة باستخدام كلمة(فوقهم) في إنا فوقهم وتقديمها على القاهرون وكذلك اسم الفاعل(قاهرون)الدال على الثبوت والتداوم.

لقد كان فرعون حريصا أيضا على حفظ ممتلكاته وعرشه وهذا ما أدّى إلى تأصيل صفة الاستكبار في ذاته وشخصيته فقدكان مستكبرا حقا وممتنعا عن قبول الحق.[1] رغم قيام الحجة وظهور الآيات لقدنص القرآن على حقيقة استكباره بالعبارة الواضحة: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَينا لايرْجَعُونَ ﴾ القصص/ ٣٨.

وكذلك في هذه الآية:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ * إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً عالِينَ﴾

---

١. المصدر نفسه:مادة (كبر)

مؤمنون/ ٤٥-٤٦. وقد تبعه جنوده وملأئه في اتصافهم بهذه الصفة كما تشيرالآية أيضا.

فقدأكد القرآن في الآية الأولى على وجود هذه الصفة في فرعون في ذاته،خاصة بورود ضمير(هو)الفصل الذي يعتبر إحدى البنى التوكيدية المستخدمة فيه ممّا يعطي انطباع الدى المتلقي بتأصيل وتأكيد هذه الميزة في ذاته فإنّها هي سبب في تكوين وتأصيل صفة أخرى(العلو والاستعلاء)لديه أيضا حيث نلاحظ تقديم الاستكبار(فاستكبروا) على ﴿وَكانُوا قَوْماً عالِينَ﴾ بتعبير آخر إن العلوّ والشعور بالعظمة ما هو إلا نتيجة الامتناع عن قبول الحق والإعراض عنه. وقد صرّحت هاتان الآيتان على علّوه واستعلائه بمجيء المفردتين: لعال وعاليا كما في هاتين الآيتين:

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِى الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ أو في هذه الآية: ﴿إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الدخان/ ٣١-٣٠.

وقدجاء الإخبار عنه(الفرعون) مؤكّدا بإنّ في صيغة الجملة الإسمية وذلك للدلالة على الثبات والشعور بدوام هذه النظرة عند فرعون في الآيتين.

لقداقترنت هذه الكلمة(عاليا ولعال)بفرعون تأكيدا على وجودها فيه تارة مؤكدة باللام وتارة دونها مع وصفه واعتباره(من المسرفين).

في الحقيقة،لا يبتعد معنى الإسراف عن معنى العلو والتعظم:«فالعلو هو العظمة والتجبر يقال:علا فلان في الأرض إذا استكبر وطغى ويقال لكل متجبر قد علا وتعظم.[1]»ممّا يؤدي هذا الشعور(الاستكبار إلى الترفع والنظرة الفوقية فبالتالي الإسراف وتجاوز الحد والإفراط والتعدي.فبسبب هذه النظرة الفوقية المنحرفة بغى وطغى وظلم واعتدى وتعظم وتكبر وتجبر في الأرض وأسرف في أمره وأفرط فما استشفناه من خطاب فرعون ما هو إلا خطابا أحاديا سلطويا الذي يقضي على كل صوت. إن ما عولج من الخطاب القرآني أعلاه خاصة في خطاب فرعون كان من منظور سيميائي سلطوي وقد كان خطابا أحاديا استعلائيا.

بعدأن تطرق البحث إلى الخطاب الشكلاني والتداولي في القرآن الكريم وركّز على الشكل والتعبير في الرسالة ثم تداولها واستعمالها اللغوي وكذلك التركيز على البعدالسلطوي والتفيذي لها؛ يعود البحث إلى البعدالتواصلي في الخطاب القرآني الحجر الأساس الذي بنيت عليه سائر أبعاده.

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة علا.

الفصل الثالث

الخطاب القرآني من المنظور التواصلي

سيميولوجيا التواصل

نظريات التواصل

٣-١- مفهوم الخطاب القرآني من المنظور التواصلي

كما جاء سابقا اتضح اهتمام علماء اللغة بمصطلحات النص والخطاب واللغة والكلام والجملة وكذلك الاهتمام بالفروقات بين تلك المصطلحات فبناء على ما استقصاه البحث تبين: « أنّ الخطاب هو وحدة تواصلية، لها موضوع وغرض معين يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة فيمكن أن يأتي الخطاب كلمة مفردة ويمكن أن يأتي جملة واحدة كما أن يكون نصا والشرط الاساسي في اشكاله المختلفة أن يكون وحدة تواصلية لها موضوع وغرض معين[١]. » إذن يكون الخطاب:«وسيلة تعبيرية منتجة عن طريق العلامة اللغوية تتيح للإنسان التعايش الجمعي الذي يمكّنه من مشاركة الآخرين والاندماج معهم في بوتقة الثقافة الجماعية.[٢]» فبذلك، يكتسب سمة تفاعلية وتواصلية باعتباره عملية من عمليات الاتصال وفعالية اجتماعية عبر وسيط اللغة فبالتالي يدخل ضمن الحدث اللغوي والتواصل اللساني. كما يعتقد اللسانيون من مثل، ليتش (litch) وشورت (cohort) الذين يعتبرون الخطاب:« إجراء لغوي يتمّ بين المتكلم والمخاطب له فاعلية تواصلية مقصدية تأثيرية يتحدد شكلها بوساطة غاية اجتماعية.[٣]» هذا ما يؤكده أيضا لغوي ولساني غربي آخر، بنفيست (Benveiste) بقوله: « إنّ الخطاب يمثّل اللغة في حركة ونشاط وبالضرورة بين المتخاطبين.[٤] » وكذلك جوفمان(Goffman)حيث يعتقد ان الخطاب هو نشاط اجتماعي يتحقق بوجود عدة اطراف وكذلك سارة ميلز(sarah Mils)حيث تعرّفه بأنّه: محادثة خاصة ذات طبيعة شكلية، تعبير شكلي ومنسق عن الأفكار في شكل خطبة دينية أو رسالة.[٥]» وكذلك أوركيوني(orecchioni) حيث قالت: «كل خطاب عبارة عن صياغة اجتماعية أو تحقيق تفاعلي.[٦]» فبهذا التعريف يقع الخطاب ضمن منظومة التواصل والدورة التخاطبية.

يبدو من كلام هولاء اللغويين المعاصرين مدى تأكيدهما على دور الخطاب بوصفه حدثا لغويا وأداة ينتقل بها الكلام في الممارسة اليومية وأن انتقاله يفترض تبادلا يؤدي وظيفة وفعالية تواصلية لسانية تستلزم وجود طرفين لها؛هما المتكلم والمستمع في هذه الدورة التخاطبية بغية تحقيق الغاية المرجوة من التخاطب؛ كما يشير بنفيست بقوله:«لكل قول يفترض متكلم ومستمع

١.ذهبية حمو الحاج :التداولية واستراتيجية التواصل، القاهرة،روية للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥م، ص ٨٢.

٢.لطفي فكري محمدالجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ٢٠١٤م.ص٧٢.

٣.عبد الواسع الحميري :النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠١٤م،.ص١٢٣

٤، ذهبية حمو الحاج :التداولية واستراتيجية التواصل ،ص٩٧.

٥.فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الجزائر، الدار العربية للعلوم والناشرون منشورات الاختلاف، ط١ ،٢٠١٠م ، ص ١٥٨.

٦.ذهبية حمو الحاج :التداولية واستراتيجية التواصل ،ص ٨٢.

للأول قصد التأثير في الثاني.[1] ››

وفي المقابل وبتمعّن حصيف يمكننا رصد المفهوم التواصلي للخطاب من خلال التنقيب في المعاجم العربية القديمة وفي ثقافتنا العربية حيث مرّ ذكره في التعاريف الواردة في المعاجم وكذلك في بحوث الأصوليين حيث اتصل مفهومه عندهم بكلام الله الذي عُدّ خطابا إ بلاغيا وجماليا يوجّه الى المتلقين في صورته اللفظية القائمة على ضرب من التأليف يقصد منه الافهام والتأثير.

قد أشار محمود عكاشة الى أسبقية الأصوليين في معالجة مفهوم الخطاب وتفسيره بقوله: ‹‹إن أصالة استخدام الخطاب في التراث الإسلامي ترجع إلى إطلاقه على لفظ القرآن الكريم من جانب علماء أصول الدين في تسميتهم خطاب الشارع وخطاب الوحي والخطاب النبوي؛ بالخطاب القرآني كما ترجع أصالة استخدام الخطاب إلى إطلاقه على الأدلة المعتمدة من الكتاب والسنة بالخطاب الشرعي وسبرهم أغواره بغية استخلاص الأحكام الشرعية منه.[2] ››

فتأسيسا على ذلك يتضح مدى تعمق علماء المسلمين في هذه البحوث اللسانية واللغوية وأصالة بحوثهم بالنسبة الى آراء الغربيين ومن ثمّ نفض الغبار عن تلك المفاهيم التي فطن إليها اللغويين المسلمين وتسجيل مأثرهم وتأكيد ريادتهم فيها.

فإن اعتبار القرآن كخطاب موجّه إلى البشرية بهدف الإسعاد وبلوغ الإنسان إلى الكمال والرضوان الربوبي يدخلنا ضمن بوابة الولوج في مباحث لسانية ولغوية بغية الكشف عن الخطاب الإلهي وأركانه وصياغته.

قلنا إن مصطلح الخطاب يدل على الصياغة النطقية والصورية(الشكلية) للكلام والكتابة معا لكن لا يتوقف التعريف عند هذا الحد بل يتعدى ذلك إلى التواصل حيث يتسم بهذا الميسم عند بعض اللغويين الجدد خاصة عند محمود عكاشة بقوله: ‹‹ هو القول الموجّه المقصود من المتكلم (أنا، نحن) إلى المتلقي المخاطب (أنت أنتما أنتم أنتن) لإفهامه قصده من الخطاب صريحا أو مباشرأ أو كناية أوتعريضا في سياق التخاطب التواصلي.[3] ›› فالخطاب كما تبينّ في الدراسات المختلفة عملية اتصال تتمّ في إطارين:

الإطار اللغوي الذي يكون باللفظ والإطار الغير لغوي الذي يشمل العادات والتقاليد والعبارات (الاشارات)و.... وكذلك يتسم بميزة اخرى – فضلا عن وظيفة التواصل – ويؤدي وظيفة آخرى وهي القصدية وتوصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب

١ذهبية حمو الحاج ،المصدرنفسه: ص١٠١.

٢محمود عكاشة: *تحليل الخطاب* ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٨.

٣.محمود عكاشة المصدر نفسه:ص ١٧.

إلى المخاطَب. وهذا ما يتماشى مع البعد السميائي للغة خاصة سيميائية التواصل الذي يركز على القصدية والتأثير على المخاطب.

٣-٢- التواصل في المفهوم اللغوي

إن إعجاز الخطاب في القرآن لا يعود إلى مستوياته اللفظية أو التركيبية أو الدلالية أو إلى نظمه البديع أو أسلوبه الباهر أو إلى ما فيه من الإخبار عن الغيوب وأمور المستقبل بل يرتد إلى سحر التواصل الذي يتدفق على المبلَغ والمتلقي مهما كان نوعه ذلك التواصل الذي يحدث بين الخالق العظيم وبين مخلوق ضعيف فكيف يستطيع نص(ملفوظ/مكتوب) أن يتواصل مع مخاطبه ويؤثر في نفسه ويبعثه على التغيير بكامل الرغبة والطواعية وبمنتهى الروعة والجمال؟؟

إن سحر هذا التواصل الرفيع والسامي يصبح هو الإعجاز بعينه فلابدّ من الكشف عن جمالياته قبل كل شيء لابد من القول بأن التواصل صفة لصيقة بالإنسان تتغلغل في كل مفاصل حياته حيث لا يمر عليه وقت إلا وفيه نوع من التواصل في الحقيقة: ‹‹إن الناس بواسطة سلوكهم ومواقفهم وفي تفاعلهم مع الآخر يبنون علاقات أفقية لبني جنسهم وعمودية مع كيان الطبيعة وهذا التفاعل يطلق عليه التواصل فهو جوهرة العلاقات الإنسانية تضع المتلقي وسط المجال ليتفاعل مع الرسالة. فالخطاب القرآني هو نوع من الرسالة ونوع من التواصل بنيت على الفهم والإفهام: فالرسالة القرآنية والخطاب القرآني في جوهره وظاهره حضارة نصية بيانية تقوم علي مقاصد الخطاب ومغزاه في عملية الفهم والافهام.[١]››

إنها بنيت على خطاب وفكر وعقيدة تمثلت في نص وهو نص القرآن. إذن الوظيفة الأساسية للتواصل القرآني هي تكوين أناس أو إعادة تكوينهم على نحو سليم تام يمنحهم درجات من الرقي الفكري والسمو الروحي فللقرآن مقاصدوتأثير إن القرآن الكريم هو كتاب تواصل متواصل بامتياز:﴿ وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ قصص /٥١.

تعني هذه الآية ‹‹أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه[٢].››

يقال:«وصل الشيء بالشيء إذ لأمه به وربطه به وجمعه عليه ووصل الشيء توصيلا جعل أجزاءه متتابعة غير متقطعة

---

١. ليلى جودي: *استراتجية التواصل في البلاغ القرآني* ،دارغيداء للنشر، ٢٠١٢م. ط١، ص ٣٢١.

٢. الزمخشري: *الكشاف* ج ٣،بيروت ،دار الفكر ، ط١، ١٩٧٧م، ص١٨٤.

[1]. « والوصل ضد الانفصال[2].» وعرّفه أبو عبيدة في مجازه:«أن التواصل بمعنى الالتمام [3]» ويفسر ابن كثير﴿ وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ «بالبيان والإخبار.[4]» ويكون عند المتأخرين أمثال طه عبد الرحمن حيث بسط معنى الوصل بدقة آخذا بعين الإعتبار عناصر التواصل فيه فيقول في هذا الصدد:«إن الوصل يفيد معنى الجمع بين الطرفين بواسطة أمر مخصوص فالوصل لا يكون إلا بواصل والوصل في هذه المرتبة هو الخبر ثم يأتي الإيصال وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبرالذي هو المتكلم ثم الاتصال والتواصل وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم واعتبار مقصده الذي هو المستمع.[5]»

لأن التواصل عملية هادفة بالنظر إلى قصدية المرسل وتستدعي وجود طرفين على الأقل هما المرسل والمرسل إليه فإذا لم يكن هناك طرف يستقبل الرسالة ويرد تصبح العملية مجرد اتصال وإذا حصل إرسال ورد على الإرسال فهي تواصل. ولذلك يمكن اعتبار رد الفعل معيارا للتواصل بين الإنسان وأخيه.

أو في معنى قريب للتواصل وهو البلاغ حينما يصف الله القرآن بالبلاغ: ﴿ هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ابراهيم/ ٥٢. فالبلاغ، بمعنى الإيصال والانتهاء إلى أقصى القصد والمنتهى والوصول والإيصال والتوصل إلى غاية مقصودة أو حد مراده.[6]»

إذا نظرنا إلى أغلب الألفاظ التي استعملت للدلالة على التواصل عند العرب وجدناها لا تخرج عن نطاق الإيصال والإرسال والإخبار والتبادل والإتصال والإبلاغ وإن كان التاكيدعلى التواصل اللغوي لكنهم لايغفلون التواصل الغير اللغوي كإيماءات الجسد والإشارات بوصفها شريكة في التواصل. على سبيل المثال قدتناول جاحظ هذا الموضوع في كتابه البيان والتبيين تحت عنوان اللفظ والإشارة وأشار إلى تلازمهما معا في إيصال المعنى بقوله:«اللفظ والإشارة شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه....[7]» فبحق كان رائدا في مجال التواصل بشقّيه اللغوي والغير اللغوي.

---

١. مجمع اللغة العربية معجم ألفاظ القرآن الكريم،الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، ط٢، ١٩٧٠م. ص ٨٥٢ -٨٥٤.

٢. بطرس البستاني: *المحيط* ،مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م. ص٩٧٣.

٣. ابوعبيدة معمر بن المثنى: *مجاز القرآن*، ج٢، مصر، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨١م، ص ١٠٨.

٤. ابن كثير اسماعيل بن عمر: *تفسير القرآن العظيم* ج٥ ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ه، ص٢٨٨.

٥. طه عبد الرحمن : *اللسان والميزان التكوثر العقلي* ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت ،ط ١، ١٩٩٨، ص ٢٩.

٦. الراغب الإصفهاني: *مفردات ألفاظ القرآن* تجقيق صفوان عدنان داوودي ،دار القلم دمشق، ط،٢، ١٩٩٧م، ص ١٤٤.

٧. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٣٣.

٣-٣ - التواصل اصطلاحا

لاينفك المفهوم اللغوي من المفهوم الاجتماعي للتواصل إذ نلاحظ هذا المفهوم ملاصقا لتعريفه إنّ: «لفظ التواصل (communication) منبثق من اللفظ اللاتيني(commuis) الذي يعني المشاركة فهو عبارة عن نقل أو تبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة بحيث يترتّب عليه تغيير المواقف والسلوكات وبهذا يكون التواصل من الظواهر الاجتماعية التي تندرج فيها كل الأنشطة التي يمارسها الإنسان في حياته.[١]»

وكذلك لايخلو من هذه الصفة في معجم اللسانيات الذي أشرف عليه جون ديبوا (j.dubois) فيعرّف التواصلcommunication)) بأنّه:« تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم.[٢]» وهذا يتطلب:« نسقا اجتماعيا يكون المتكلم والمستمع فيه في عملية أخذ وعطاء وعلى حد تعبير إمبرتو إيكو umberto Eco)) التواصل: « سيرورة اجتماعية لا تتوقف عند حد بعينه سيرورة تتضمن عددا هائلا من السلوكات الإنسانية[٣].»

يتضح من هذا الكلام أن التواصل أولا هو حدث لغوي مصحوبا بالعلامات الغير لغوية كالإيماءات والنظرة والمحاكاة الجسدية وحدود الفضاء بين المتحدثين وغيره. وعلى حد تعبيرإيكو:(umberto Eco) في كتابه السيميائية وفلسفة اللغة: «إن اللغة العادية تحدد صنفا آخر من العلامة ففي قولنا أشار بتحية وعبّر بالإشارات تكون العلامة حركة تصدر عن الشخص بنية التواصل أو بالأحرى يراد بها نقل لتصور ذاتي أو لحالة نفسية في اتجاه شخص آخر[٤].»فبالتالي تندرج هذه العلامات الغير لغوية تحت عنوان السلوكات الإنسانية التي يعتقدها إيكو.

٣-٤- سيميولوجيا التواصل

إن الهدف الأساس من توظيف العلامات والإشارات هوالتواصل وإن أهمّ أنظمة التواصل جميعها هو التواصل اللغوي خاصة عند أب السيميائيات فرديناند دوسوسور (de-saussure) الذي يرى اللغة المحور الاساس في النظام التواصلي بقوله:«إن اللغة

---

١. محمدمحمود مهدلي: *مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي* ، القاهرة المكتب الجامعي الحديث ، ط١، ١٩٩٧م. ص١٢.

٢. عبد الجليل مرتاض: *اللغة والتواصل الجزائر* دار هومة د.ط، ٢٠٠٣م: ص ٧٨.

٣. سعيد بنكراد: *استراتيجيات التواصل من اللفظ ;لى الإشارة* مجلة علامات، العدد ٢١، ٢٠٠٤ ص١١.

٤.امبرتو إيكو: *السيميائية وفلسفة اللغة*، ترجمه أحمد الصمعي بيروت، المنطمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٤٨.

أساس التواصل و وسيلة التواصل وغايتها الوصول إلى غاية الإبلاغ.[1]» أي إنها عملية للإيصال أو الإبلاغ من المصدر إلى الهدف أو من المرسل إلى المرسل إليه عبر نسق من العلامات الغير سببية ذات الوظيفة المقصدية المعبّرة عن الأفكار فبالتالي تكون السيميولوجيا عنده مجموعة من العلامات والإشارات اللغوية والغير لغوية: « إن اللغة نظام اجتماعي وهو نظام من الإشارات(system of signs)التي تعبر عن الأفكار ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق أو الطقوس الرمزية والعلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة ويمكنّنا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع. مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم الإشارات[2].» أي علم السيميولوجيا وبهذا التعريف يكون قد مهّد الحديث لبحثنا وهو سيميولوجيا التواصل أي التأكيد على البعد الاجتماعي للدليل كما لاحظناه في التعريف أعلاه. بناءً على هذا التعريف ارتأى البحث التركيز على البعدالتواصلي والتداولي للعلامات.

إن سيميولوجيا التواصل مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظرية دوسوسور حول اللغة التي يقول بشأنها هي نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار.في الحقيقة، إنه أراد أن يجعل من الإشارات فعلا تواصليا مع الآخرين وبقصد من المتكلم. «إن المقصود من القصدية حسب رأي أصحاب سيميولوجيا التواصل. « هو توفّر القصد في التبليغ لدى المتكلّم وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد.[3] » « لكنّ دوسوسور (de-saussure)) لم يبلور هذه النظرية كما ينبغي فأصبحت هذه الآراء مادة خامة لتكوين نظرية سيميولوجيا التواصل على يد بويسنس (Busyness) و كرايس(Circe) وبريطو(Prieto)الذين طوّروا هذه الآراء وأشبعوها تفصيلا فقدأضافوا فضلا عما جاء به دوسوسور(القصدية)شرطا آخر وهو التأثير على الغير.[4] »

إن التأثير يعد وظيفة أساسية للكلام في حقل السيميولوجيا فهو عندهم ضروري جدا إلى درجة « أنهم جعلوا هدف سيميولوجيتهم الأساسي هو الأبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو عن غير وعي[5].» وكذلك البحث عن طرق التأثير ودراسة وسائل التأثير، عند بويسنس(Busyness) بقوله: «يجب دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والشخص الذي

---

١. فرديناند دي سوسور: *علم اللغة العام* ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الافاق العربية ط٣، بغداد ١٩٨٥م ص٣٤.

٢. المصدر نفسه: ص٣٤.

٣. المصدر نفسه: ص ٨٦.

٤. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الدار العربية للعلوم والناشرون منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠١٠م.، ص٨٨.

٥. المصدر نفسه: ص ٨٨.

نتوخي التأثير عليه[1].»

في الحقيقة، إن أصحاب سيميولوجيا التواصل لايهمهم من الدوال والعلامات السيميائية غير الإبلاغ والوظيفة الاتصالية أو التواصلية. إن وظيفة اللسان الأساس حسب رأي بويسنس(المؤسس لها):«هي التواصل.[2] »

إن مثل هذه النظريات سواء القصدية أو التأثير، لها جذور في التراث العربي فهذا ابن جني في خصائصه يقترب من القصدية في التواصل اللغوي فنراه يقول في تعريفه عن اللغة إنّها:«أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم.[3]» فالأغراض هي تعبير عن القصدية عنده فضلا عن تخطيطه التواصلي القائم على العناصر الأربعة المستشفّة من تعريفه: المتكلم، المتلقي، الرسالة والقناة. فالمقصود من المتكلم والمتلقي(القوم) ومن الأصوات (الرسالة اللغوية والقناة) ومن الأغراض هو(القصد).

في الحقيقة ما نراه الآن في بعض النظريات الغربية التي عرفت بالتركيز على البعدالتواصلي والوظيفي ما هو إلا نسخة متطورة ومقعّدة لنظريات القدامى من أمثال ابن جني بتركيزه على عناصر التواصل ومكوناته والجاحظ بتأكيده على التواصل الغير لغوي -الشق الآخر في التواصل- فقد كانوا بحق روّادا في هذا المجال.

إذن يكون الخطاب القرآني في قمة التواصل مع الإنسان حيث خاطب الإنسان بقصد توجيهه ونصحه وتصويب مساره وبالجملة التأثير البليغ في كل زوايا فكره وحياته والتغيير في بعده النفسي والاجتماعي حيث ساندة في تشييدحضارة على أسس قيم إنسانية إلهية في أروع صورة وكمال. في الحقيقة إن الخطاب القرآني يضع نفسه في قلب التواصل اللساني.

٣-٥- نظريات التواصل

في هذا المجال نتناول أهم نظريات التواصل كنظرية دوسوسور (de-saussure) ولاسويل(Harold Lass wel) ورومن جاكبسون ((R.jakobson محاولين معالجة نظرية لاسويل وجاكبسون ضمن البحث القرآني لأنّهما تخدمان بحثنا التواصلي كثيرا وقد عالجنا نظرية لاسويل ضمن الخطاب التداولي سابقا.

---

١. المصدر نفسه: ص٨٧.

٢. المصدر نفسه: ٨٥.

٣. ابوالفتح ابن جني: *الخصا ئص* ، تحقيق علي النجار، دار الهدى ،بيروت ١٩٥٣م، ج١، ص٣٣.

٣-٥-١- نموذج دي سوسور

٣-٥-١-١- النموذج الخطي التواصلي

إنّ نموذج فرديناند دوسوسور التواصلي يقوم على التمييز بين اللغة التي هي مخزونة جماعية مشتركة تتداول بين افراد الجماعة اللسانية والكلام الذي هو انجاز فعلي لها.

«إن عملية التواصل اللغوي عنده تستلزم وجود شخصين عبر عملية فيزيولوجية حيث يأخذ الاتصال نقطة انطلاقه من دماغ الشخص المتكلم دفعة مناسبة للصورة السمعية ثم تعمل الموجات الصوتية على نشر الكلام من فم الشخص إلى أذن السامع هذا ما حمله على الاهتمام بالدال والمدلول.الدال عنده هي الصورة السمعية وإنها حقيقة مادية ونفسية أما المدلول فهو الصورة الذهنية التي تشكلها الأصوات نفسها في ذهن المستمع الشيء الذي يجعل المفهوم يدل على مجموع الصفات المشتركة بين أفراد الجنس الواحد.[١]»

إن مخطط دي سوسور يأخذ عدة أبعاد ذهنية وتصورات فكرية وقنوات فيزيائية وصوتية ونفسية فيزيولوجية يركز على الباث والمتلقي وقد كان مخططه أساسا لمخططات تواصلية أخرى كخطة لاسول و رومن جاكبسن التواصلية (R.jakobson) بتركيزه على الباثّ والمتلقي في الدورة التخاطبية والتواصلية.لكن للنموذج الخطي أعلاه نقائص وهي:

«الافتراض بأن الشخص إما أن يكون مُرسلاً أو مستقبلاً، مع أنه في الحقيقة يلعب الدورين معاً.

الافتراض بأن التواصل يحمل رسالة واحدة، والحقيقة أنه توجد رسائل عدة،حيث أن الرسالة التي يرسلها المُرسل لا تكون أبداً متطابقة مع الرسالة التي يستلمها المستقبل، مهما كان هناك تشابهاً بينهما.[٢]»

٣-٥-١-٢- النموذج التفاعلي للتواصل:

وجد الباحثون في التواصل قصوراً في النموذج الخطي، وبدؤوا بإضافة مكونات أخرى ليجعلوه نموذجاً أفضل، واليوم يتكون النموذج الأكثر فعالية والأكثر انتشاراً من سبعة عناصر و هو النموذج التفاعلي للتواصل وعناصره هي :المتكلم والرسالة والمستمع(عناصر النموذج الخطي) القناة، التغذية الراجعة، السياق والوضع.

القناة(أو الناقل): ويشير هذا العنصر إلى الطريقة التي ترسل بها الرسالة، في التواصل مع الجمهور وجهاً لوجه" يكون الناقل

---

١. ليلى جودي: *استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني* ،دارغيداء للنشر، ط١، ٢٠١٢م. ص ٣١ .٣٠.

٢ . ليلى جودي: المصدر نفسه: ص ٣١-٣٢.

عبارة عن اهتزازات في الهواء ما بين المتكلم والمستمع، والتي تنتج عن حركة صوت المتكلم.من الممكن أن يتم كتابة الرسالة بأية لغة مفهومة لكل من المتكلم والمستمع، أو يتم تسجيلها صوتياً أو عبر فيديو، أو إرسالها عبر الإشارات الدخانية أو أية طريقة أخرى، كما تلاحظ فإن الصوت والكلمات ليست هي طريقتنا الوحيدة للتواصل.

التغذية الراجعة: «وهي الاستجابات اللفظية وغير اللفظية ما بين المتواصلين، والتي تكون عادة حول وضوح أو قبول الرسائل المتبادلة، ومن الممكن أن تكون على شكل مداخلات أو حركات غير لفظية كتعبيرات العيون أو الإشارات والإيماءات ومن خلال التغذية الراجعة يتمكن المرسل من معرفةما إذا كانت الرسالة سلبية المردود أو إيجابية المردود وذلك من خلال قراءة الحركات وسماع الردود.[1]»

فعلى سبيل المثال، إذا كنت في مجموعة، وقمت بإخبار نكتة ما فسيقوم أفراد المجموعة بإخبارك عن طريق إشارات صوتية (ضحكة مثلاً)أو إشارات لفظية أو مرئية فيما إذا فهموا النكتة أم لا، وكيف شعروا تجاهها، وإذا كنت منتبها فسوف تعرف من أحبها، ومن لم يحبها، ومن لم يفهمها ومن تضايق منها.

إن هذا المكون الأساس في التواصل هو الذي يقودنا إلى الإشارات الغير لغوية التي يتلقاه المتكلم من متلقيه استجابة أو ردا وقدخصص له بحثا مستقلا تحت عنوان التواصل الغير لغوي لاحقا.

(وضعية المرجع): « فهو يوجد خارج الإرسالية الحوارية ويحيط بالتواصل ويتصل به في نفس الوقت لأن جزءا من المرجع حاضرحسيا وواقعيا وهو الذي نعني عموما بمقام الخطاب[2]. » وقد تطرق البحث إليه سابقا وسيتطرق إليه لاحقا ضمن تحليل الآيات.

يحاول البحث أن يعالج مكونات التواصل أعلاها ضمن خطة ياكبسون التواصلية موظفا إياها في تجلية البعدالتواصلي في الآيات الشريفة حيث يراها منسجمة مع النموذج التفاعلي:

٣-٥-١-٢-١- خطة جاكبسون R.jakobsonالتواصلية

لاتقتصر أهمية رومن جاكبسون (.jakobson) على أنه من الذين اهتموا بنظرية الأدب وركزوا على أدبية الأدب والوظيفة الجمالية أو الشعرية فحسب بل له نظرية وخطاطة في التواصل أيضا عرفت فيما بعد باسمه فلا ضير إذا استعنا بتلك النظريات في تجلية الوجه التواصلي في الخطاب القرآني.

---

١ .رافدة الحريري :فاعلية الاتصالات التربوية في المؤسسات العلمية ، عمان، دارالفكر، ٢٠١٠م، ص ٢٥٠.

٢. رافده الحريري: المصدر نفسه، ص ٢٥١.

لكن قبل معالجة نظرية جاكبسون لاحظ البحث ،أن تلك النظريات الحديثة كان انبثاقها من العرب ومن التراث العربي وذلك كله بفضل القرآن الذي كلّف علماء العرب أنفسهم بالتدقيق والتمحيص فيه ففي الحقيقة يمكن القول أن البحث استعان من نظريات تحققت بفضل القرآن وإن اتسمت بأسماء الغربيين فيما بعد، كما مر أسماء ابن جني والجاحظ والجرجاني وفضلهم في بلورة النظريات اللسانية الحديثة كنظرية التواصل اللغوي والغير اللغوي ونظرية النظم.

إذا كان سوسور ينظر إلى اللغة باعتبارها منظومة متكونة من مرسل ومتلقي لها وظيفة الإبلاغ والتلقي فإن(جاكبسون) أضاف إليها بعدين آخرين: الوظيفة الاجتماعية والوظيفة الشعرية.[1]» فالوظيفة الاجتماعية للغة تبلورت في الوظائف الإبلاغية والإفهامية والتأثيرية والشعرية تمثلت في أدبية اللغة.

إن العوامل المكونة للتواصل والمنضوية تحت الوظيفة الاجتماعية، تألفت عنده من ستة عناصر:

المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والسنن(الرموز) وقناة الإتصال وكل منها يؤدي وظيفة من وظائف الكلام وهي أيضا ست وعلى الترتيب: الوظيفة التعبيرية والوظيفة الإفهامية والوظيفة الشعرية والوظيفة المرجعية والميتالغوية والوظيفة اللغوية.

بناء على هذه التقسيمات جاء البحث مركّزا على الوظيفتين التعبيرية (fonction expressive) والإفهامية / الندائية (fodnctiong coative,) وكذلك الوظيفة المرجعية(Referentillefonction) من بين وظائف اللغة الستة.

فقد عالج الوظيفة التعبيرية لأنّها ارتبطت مباشرة بالمتكلم ومقاصده لكون اللغة من وجهة نظر(جاكبسون) وسيلة إفصاح عمّا في نفس المرسل وكذلك الوظيفة الإفهامية لأنّها ارتبطت بالمتلقي والتأثير عليه والوظيفة المرجعية لأنهّا ارتبطت بكليهما. فضلا عن أنها مرتبطة ببعد آخر للتواصل وهو التواصل الغير اللغوي وقد تناول البحث هذه الوظيفة تحت عنوان التغذية الراجعة.

٣-٥-١-٢-١-١-الوظيفة الإفهامية

إنّ للمرسل وظيفة «ما تسمّى بالإفهامية (fonction expressive) وإنّ القصد منها هو التجاوب فهي تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف المتكلم كما تبدي عواطفه بالإضافة إلى أنها تتميز باستعمال ذاتي للخطاب وقد تتجلى هذه الوظيفة

---

١. ذهبية حموالحاج: *التداولية واستراتيجية التواصل*، القاهرة ،رؤية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٥م، ص، ٤٥.

بإيراد ضمير المتكلم ونون الجماعة.[1]»

إن هذه الوظيفة، تحدد علاقة المرسل بالرسالة وموقفه منها وتوظف هذه الوظيفة أساليب الإنشاء كالتعجب والتهكم والسخرية والابتهاج أما هدفها إقامة تعبير مباشر لموقف المرسل إزاء من يوجه إليه الكلام فيبدو أنّها تركز على ثلاثة عناصر أساسية في الدورة الخطابية هي المرسل،المبلغ والمتلقي.

قد تبرزحالة المرسل النفسية خاصة في صيغ التعجب والمدح والذم والاستفهام أو التهكم أوالتحسر.لقد وظفت تلك الوظيفة في هذه الآية الذي جاء التعبير فيها في صيغة التعجب:

﴿ قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾ عبس/ ١٧. وكذلك إبراز الإستياء من كفران الإنسان والتبرم منه ومذمته. وبما أننا لانستطيع أن نرصد نفس الخالق ارتأى بعض الباحثين أن يسمى التعجب الوارد في الخطاب القرآني تعجيبا أي هو تعجيب من الله للمخاطبين لأنّ الله لايتعجب من شيءكما في هذه الآية:

﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى وَالْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة/ ١٧٥. والمعنى أنه ينبغي أن تتعجبوا من شدة صبرهم على عذاب النار. لكن يمكن رصد تلك الوظيفة في الآيات التي تم إبرازالتعجب فيها على لسان البشر:

﴿ أَنَّى يكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ مريم/٢٠. أو في هذه الآيه:﴿ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى ﴾آل عمران/ ٣٦.حيث يرصد لهما توظيف الوظيفة الإبلاغية وإبراز الموقف النفسي.

أو يكون عكس ذلك في أسلوب المدح وقد يبرز موقف المتكلم وارتياحه ورضاه بقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْيبايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ الفتح/ ١٨.

أدت هذه الآية وظيفتها الإبلاغية في توظيف الفعل الماضي(قدرضي) الذي يفيد التحقيق وإتمام الرضى والثناء عليهم من جانب الله بتفصيل الموقف والمشهد(البيعة تحت الشجرة) ومن ثمّ نزول السكينة والفتح القريب.

وكذلك تبرز الوظيفة الإبلاغية في الذم أيضا كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ ﴾ أبو لهب / ١. أو قتل

---

١. ذهبية حموالحاج: المصدر نفسه: ص ٤٦.

الخراصون ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ ذاريات /١٠.أو : ﴿ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾مؤمنون/٤١.

أو التحسر: ﴿ يا لَيتَ بَينِي وَ بَينَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَينِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ الزخرف/ ٣٨. وقد لاحظنا في هذه الآية الشريفة أن الإنسان عبّر عن تذمره وحسرته ب (يا لَيتَ) الدالة على استحالة تحقيق الأمر ثم جاء وصف القرين(الشيطان في الدنيا والآخرة)ب: فَبِئْسَ الْقَرِينُ وذم ذلك القرين، بتوظيف بئس الفعل الدال على الذم.

أو التعبير عن الترجي: ﴿ وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أعراف/ ٢٤٠. أو ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً ﴾ القصص/ ٢٨. حيث كان الإبلاغ عن تحقيق أمر ما بتوظيف لعل المفيد للترجي والوقوع والحدوث.

وقد تبرز جليا الوظيفة الإبلاغية والإنفعالية في الدعاء حيث التعبير عن أسمى آيات الانكسار والخشوع والطلب: ﴿ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيتَنا ﴾ آل عمران/٨. أو ﴿ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَي مِنْ خَيرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص/ ٢٢. أو: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيباً ﴾ مريم/ ٤. حيث شاهدنا في الآيات أعلاها التركيز على دور المرسل ووظيفته الإبلاغية والإنفعالية وكذلك على السياق حيث المقام استدعى التفوه بتلك المشاعر والأحاسيس ومن ثمّ إبراز الدور الوظيفي للغة وهو الوظيفة المرجعية.

كذلك نلاحظ هذه الوظيفة الإبلاغية في أسلوب الإستفهام والإستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة من إحدى أدواته وهي الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وكيف. كما في هذه الآية الشريفة حيث يكون الاستفهام بالهمزة:

﴿أَ وَ لَمْ يرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَخَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾يس/ ٧٧. حيث يكون الاستفهام إنكاريا وباعثا على التفكر وبالتالي مؤديا وظيفته الإبلاغية.

٣-٥-١-٢-٢- ايحاءات لغة الجسد

بما أن الضمير هو المرآة الذي يعكس نفسية المرسل وأحاسيسه وخير ممثل للوظيفة التعبيرية ارتأى البحث أن يتطرق إليه ويبرزالوجه التعبيري والإبلاغي له كي يتم الترسيم النموذجي للتواصل وذلك مستمد من القرآن الكريم.

رغم أنّ لا صوت يعلو في القرآن إلا صوت الله ولا غلبة إلا لسطان كلامه وهو المتكلم الوحيد و«الصوت الصادق الذي

لاريب فيه.[1]» إلا أنّه ثّمة كما عالج البحث في نظرية باختين تعددية الأصوات في القرآن الكريم كالخطابات التي حدثت بين الأنبياء وبين الله من مثل :حوار سيدنا إبراهيم مع الرب في سورة البقرة / ٢٦٠. و كذلك حوار سيدنا موسى مع الله في سورة القصص / ٣٥.

وكذلك الخطابات والحوارات التي سوف تحدث في عالم الآخرة بين أهل النار وأهل الجنة في سورتي المدثر / ٤-٧ و الأعراف / ٩-٣٨ فضلا عن خطاب الجماد والحيوان في سورة النمل للنبي سليمان/ ٢٨.

ممّا هو جدير بالإشارة أنّ خطاب النبي الأكرم صلي الله عليه وآله وسلم يحتل المركز الأول في الرتبة والشرف من بين جميع الخطابات وقدخاطبه الله ب ﴿يا ايها الرسول ويا أيها النبي﴾ في السور المدنية وإنّه صلوات الله عليه في تلك الآيات يصبح مخاطبا بالدرجة الأولى وليس ناقلا وحاملا للرسالة فحسب لكن «رغم تعددية الأصوات يبقى الصوت الغالب في القرآن الكريم هو صوت الله وقد تمثّل في صيغة (أنا، نحن) وإن يكن ثمّة أصوات لكنّها في حقيقة الأمر كلّها صوت الله وقد سماها موريس (Maurice) «التلاعب الصوتي الحافل بالأسرار والمتغير على الدوام.[2]»

في الحقيقة، ثّمة بنية مهيمنة في الخطاب القرآني وهي(أنا)المتكلم و(نحن)و(أنت) المخاطب أو أنتم المخاطبين. إنّ هذه البنية (المتكلم) يمكن أن تكون الأكثر حضورا في الخطاب القرآني لكنها ليست البنية الوحيدة لأن القرآن لا يمثل خطابا أحادي الصوت بل هو خطاب متعدد الأصوات بامتياز. بمعنى أن ضمير المتكلم لا يشير دائما إلى المقدس بل كثيرا ما يمثله الضمير الغائب "هو" وهو دائما أنت في الدعاء القرآني و يمثل هذا النوع من الخطاب نموذجا في غاية الروعة والجمال لعملية التواصل خاصة بين الانسان والرب عملية يتبادل فيها الصوتان مكانهما ويحل أحدهما الآخر.« إن هذه التعددية في الأصوات تمنح حيوية وفعالية للخطاب القرآني إذ يصبح الخطاب القرآني كلّه خطابا متكلّما يخاطب كل مخاطب في كل عصر وزمن.[3]»

تبين سلفا أن الضمائر في القرآن الكريم تختلف من صيغة إلى أخرى ولها مرجعيات مختلفة لكنها تتفق في أنها كلها صادرة عن الله سبحانه وتعالى.

« إن المتكلم في القرآن يتغير دائما لكنه في الغالب يتحدث بصيغة المتكلم وحده أو نحن انه يدل على صوت الله وإن نلاحظ على حد تعبير موريس تلاعبا صوتيا حافلا بالأسرار والمتغير على الدوام متمثلا في: أنا، نحن، هو، الراوي المجهول،

---

١. شهره شاهسوندي : *تغيير المخاطب في القرآن وآليات الترجمة*، الناشر دارالبحوث للعلوم والثقافة الإسلامية ، ط١، ١٣٩٢هش، ص١٧٠.
٢.المصدر نفسه، ص١٧١.
٣. عامر قيطوري: *القرآن ورجعة الدلالة تهران* مطبعة سبهر، ط١، ١٣٨٢ه ش، ص ١٢٣.

النبي محمد صلي الله عليه وآله، الأنبياء، وباقي الأشخاص.[1]››

لكن ثمة ملاحظة جديرة بالانتباه في استعمال ضمير الإفراد والمتكلم في القرآن إنّه -تعالي- لم يستعمل عند مسألة التوحيد والعبادة ما يدلّ علي الجمع بل استعمل ما يدلّ علي وحدانيته وهو ضمير الإفراد. وفي كل القرآن يكون الأمر بالدعاء أو بالذكر أو بالعبادة أو التقوى أو الأمر بالخشية أو الخوف أو ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته بصيغة المفرد ولم يرد قطّ في القرآن بصيغة الجمع أو مشيراً إلى الجمع. ذلك لأهمية هذه الأمور في التوحيد له فقد استعان القرآن لدحض الشرك وإقامة الأدّلة على وحدانية الله بكلّ الوسائل الممكنة كاستعمال ضمير الإفراد لأنّه مقام يقتضي التعبير بضمير المفرد دفعاً لما يوهمه ضمير الجمع من التعدّد. فالتأكيد على الوحدانية والذاتية وإبراز قصدالمتكلم أي التركيز على البعد التداولي وكذلك الوظيفة التعبيرية تحققت كلّها بتوظيف ضمير(الأنا).

فبما أنّ كل حرف وكلمة وتركيب وجملة في القرآن الكريم تحمل دلالات وسيميائية؛ لايخلو الضمير أيضا من دلالات وسيميائية وإذا كان هذا الضمير محالا إلى الله ومعبرا عن الله ومؤديا الوظيفة التعبيرية والشعرية الذي تتمثل فيه؛ فبالطبع يكتسب أهمية بالغة خاصة في الكشف عن الكوامن الدلالية. لأن الضمائر تعد مكونا من مكونات الكلام التي تؤدي وظيفة الابلاغ فهي محتشدة بكثافة دلالية خاصة في النص القرآني. إننا في ضوء علم اللغة البنيوي والمعرفي والوظيفي نتحدث عن إمكانيات التعبيرية القرآنية الكامنة في الضمير الذي تظهر حسب الاحوال والمقامات أو السياقات في تراكيب نحوية مؤثرة في المتلقي.

يحاول البحث أن يقترب من دلالات الضمائر في القرآن مستجليا بعض الكوامن الدلالية والطاقة التعبيرية الخافية فيها وإذا التزمنا بمبدأ القصدية في تعاملنا مع النصوص خاصة النص القرآني تتمثل هذه القصدية في الدلالات الكامنة والمقصودة من وراء استخدام ضمير(أنا،ي،) والأسماء(الرب).

يحاول البحث أن يقارب تلك الضمائر والأسماء الآنفة الذكر من منظور سيميائي تداولي وبما أن التداولية تهتم باستعمال الجمل أو توظيف الجمل من قبل ذوات متحدثة؛ يتضح مدى ارتباط سيميائية الضمائر بالبحث التداولي. فنحن عندما ندرس علامات الضمائر لا نغفل الجانب النفسي أيضا:« لأن اللغة فضلا عن دورها التواصلي تحتفظ بدورها لنقل الأفكار والعواطف أيضا ويبقى هذا الدور من أهم الوظائف التي تقوم بها اللغة إذ أن المتكلم في أغلب أحواله لايتكلم إلا لنقل

---

١. شهره شاهسوندي: تغيير المخاطب في القرآن وآليات الترجمة، ص١٧٠.

فكرة أو عاطفة إلى مخاطبه.[1] ››

٣-٥-١-٢-٣- جدلية دلالة الضمير بين الشكل والمحتوى

«يقول بنفنست: خارج الخطاب الفعال، الضمير ليس إلا شكلا فارغا الذي لا يمكن أن يرتبط بموضوع أو بتصور[2].» ويؤيده ريكو((p.Ricorur: بقوله: «الضمائر هي بالضبط لا –دالة(asemique) ،الكلمة أنا ليست لها دلالة في ذاتها ... ولا يحمل معنى إلا حينما يتكلّم شخص ويعين نفسه بقوله أنا.[3] ››

إنّ الضمائر أنا وأنت قبل كل شي عناصر تقوم بتحويل اللغة إلى الخطاب كما يعتقده بنفست: «عند بنفست يلعب أنا دورا صوريا ووجوديا يعين تحويل اللغة إلى خطاب وتحويل المتكلم إلى ذات متحدثة وهو علامة الفعل اللغوي ومن ضروريات الفعل الإنجازي الذي يحمل علامة الذاتية. [4] ›› وتؤيده أوركيوني(orecchioni) بقولها: « يمكن ألاّ يكون للضمير موضوع ولكن من المستحيل أن يفتقد للمفهوم.[5] » إن الضمائر لا تحيل إلى أية مرجعية في الواقع ولكنها تبقى أشكالا وصيغ دالة حيث يحمل كل ضمير دلالة محددة أثناء الإشارة إلى الذات أو إلى غيرها أثناء الخطاب.

« إن الضمير أنا علامة فارغة مخلوقة من مخلوقات اللغة ولكن الاستعمال المباشر لهذه العلامة الفارغة التي تصبح المفردة أنا من خلالها معنى وتكتسب قيمة دلالية يفترض أن تمتلك هذه العلامة الفارغة ذات تفرض نفسها إذ تعبّر عن نفسها.[6] ›› وهذا يعني أن الضمير أنا يحيل إلى شخصية المتكلم ذاته والذاتية تعني:« قدرة المتكلم على أن يفرض نفسه على أنه ذات ولا تعرف بالإحساس الذي يحس به الفرد ليكون هو نفسه ولكن باعتبارها الوحدة النفسية التي تفارق مجموع التجارب المعيشة التي تلمها والتي تضمن استمرارية الوعي.[7] ››

أما من حيث المكانة الخاصة التي تحظى بها الأنا في اشتغال الخطاب يقرّ بنفست:« بتعالي الأنا على أنت.[8] ›› وبذلك

---

١. محمد محمد يونس علي:*المعنى وظلال المعنى* ،ص٦٤.

٢. اوريكيولي: *فعل القول من الذاتية في اللغة*، ترجمة محمد نظيف، آفريقيا الشرق المغرب د.ط. ٢٠٠٧م ،ص ٥٤.

٣. المصدر نفسه: ص ٥٥.

٤. ذهبية حمو:*التداولية واستراتيجية التواصل* ،القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م، ص ١٨٠.

٥. المصدر نفسه: ١٥٨.

٦. منذر عياشي: *العلاماتية وعلم النص*،المركزالثقافي العربي،ط١، ٢٠٠٤م، ٨٩.

٧. ذهبية حمو :التداولية واستراتيجية التواصل، ص ١٥٩.

٨.اوريكيولي: فعل القول من الذاتية في اللغة، ص ٦٥.

تتحدد وظيفتهما (أنا،أنت): « إنّ وظيفة أنا هي نطق المتكلم بأنا في حال التلفظ ويشير أنت إلى المستمع المتلقي للخطاب.[1] »

هذه كانت طائفة من الآراء اللسانيين الغربيين الذين يعتقدون بأنّ الضمائر مفرغة من الدلالة فلا تدل على شيء وتتخذ محتوى ما تحيل عليه ولا فرق عندهم في الضمائر إلا من حيث الوظيفة التي تخص الضمير أنا تجاه أنت وتعاليه عليه.

أننا في هذا المبحث لا نتفق معهم ونعتقدأن الضمير وحدة لغوية ذات دلالة كما يعتقد الدكتور تمام حسان:«إن الضمير في أغلب الأحيان يشير إلى إسم ظاهر محدد الدلالة وبواسطة هذاالمرجع يمكن أن يدل هذا الضمير على معين.[2] » وكذلك نتفق مع رأي جاكبسون بقوله:« إن الضمير مبهم غير مختص بمسمى معين ولكنه ليس فارغا بمعنى أنه خال من كل دلالة وهكذا يعين الضمير أنا مرسل الرسالة ويعين الضمير أنت المرسل إليه.[3] »

وبما أن المرسل في النص القرآني تجلت ذاته في ضمير الأنا ينيغي لنا أن نتطرق إلى هذا الضمير وإيحاءاته السيميائية.

٣-٥-١-٢-٤- الضمير والكفاية الاتصالية والوظيفة التعبيرية

بعد محاولات دو سوسور اللغوية وإثراء المباحث اللسانية بثنائياته الأربع خاصة ثنائية اللغة(langue) (parol) واعتبار« اللغة اجتماعية والكلام أداء فردي وأن اللغة أساسية والكلام ثانوي.[4] » جاء دور نوآم تشومسكي (chomsky) إلى التمييز بين النظام الذي يصنع الإطار اللغوي للمجتمع والنشاط الذي يتحرك مع الافراد في تفاعلاتهم داخل هذا الإطار:«عرفت اللغة عند تشومسكي بالكفاية (competence) وقوبل الكلام بالأداء (performance) الكفاية عنده تعني معرفة المتكلم بلغته والأداء ما ينتج عن هذه المعرفة من كلام متحقق في مواقف ملموسة.[5] »

إن مفهوم الكفاية عنده خلّفت كفايات أخرى منها الكفاية التفاعلية أو الاتصالية (ihteractional competence)وهي تعني قدرة الشخص على إنجاز العمليات الاتصالية اللغوية وغير اللغوية متكلما ومستمعا وفقا لمواقفها وتبعا لقواعد الجماعة الثقافية والاجتماعية والنفسية.

إن البحث في الكفاية التواصلية ينبني على أساس القانون التالي: من يقول؟ ماذا يقول؟ في أي قناة؟ لمن ؟بأي تأثير؟ إن

---

١. ذهبية حمو: التداولية واستراتيجية التواصل، ص ١٥٧.

٢. الدكتور أنس بن محمود الفجال، *الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني*، الإحساء، نادي الإحساء الأدبي ، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٧٥.

٣. المصدر نفسه:ص ٣٧٥.

٤. فرديناند دي سوسور:، *علم اللغة العام* ،ترجمة يوئيل يوسف عزيز ،دار الآفاق العربية، ط٣، بغداد، ١٩٨٥م،ص٣٤.

٥. محمد العبد: *النص والخطاب والاتصال* ط١، القاهرة، ص٤٩.

هذه الكفاية تتفق مع خطاطة لاسويل التواصلية كما مرّ ذكرها وأيضا وظائف اللغة لجاكبسون الشعورية والتعبيرية. فهي تعني مقدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة بمساندة السياق لأن «يرتبط مقصد المتكلم بالسياق.[1] » أي الاهتمام بكيفية تحقق الوظائف والمقاصد من خلال وضع العلامات اللغوية في سياقاتها الاتصالية المناسبة كما كان يعتقد القدماء وما يجب لكل مقام من مقال. فارتأينا هنا في بحثنا أن نبين وجه السياق والوظيفة التعبيرية للمتكلم في الآية الشريفة أدناها بوصفها تمثل بعض الكفاءات التي لها علاقة وطيدة بالتداولية لأن مدار البحث هو التداولية: ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ زمر/٥٣.

يتضح أن سياق الآية وأحوال المذنبين المقترفين ذنوب العظام والقانطين من رحمة الله تطلبت خطاب التشريف وصياغة قول (يا عبادي) لإضفاء حالة من الشعور بالاطمينان والعطف والقرب من الله رغم البعد الذي حصل بواسطة الذنوب هذا بجانب ما يتحقق الإشعار بالقرب والاتصال والتلاحم رغم الشعور بالسلطه والاقتدار من جانب الله عبر توظيف ضمير الياء المتكلم في(عبادي)وفضلا عن ذلك إنه يشكل مظهرا نفسيا ذو وظيفة إفهامية أيضا:« النداء يشكل أبرز مظاهر اللغة الانفعالية نظرا لما في أدواته من الصيحات الناتجة عن الانفعال الحاد والمؤدية للوظيفة الانتباهية والإفهامية عندالمخاطب والوظيفة الانفعالية عندالمتكلم. توفر هذه الوظيفة الانفعالية من القيمة الإبلاغية والحدة التعبيرية ما لاطاقة لغيرها به.[2]» فتبعا لما بيناه من النظريات يظهر جليا أن الآيات التي تبدأ بصيغة النداء تتمتع بدرجة عالية من الكثافة الإفهامية والإبلاغية قد تمثلت في يا في﴿عبادي﴾.﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ زمر/٥٣.

تتجلى الوظيفة التعبيرية والشعورية والإيحاءالنفسي، باستخدام آلية العناصر اللغوية كضمير الياء الراجعة إلى الله؛ الذي أعطت انطباعا بالعطوفة والرفق والحدب على المذنبين واحتضانهم العاطفي في خطابه الغير مباشر وكذلك مناداتهم بالجمع المضاف إلى ضمير الياءالمتكلم(عبادي)كان إشعارا لهم بالانتساب إلى الله ودخولهم ضمن منظومة العباد رغم اقترافهم الذنوب.

إن هذه هي الكفاءة الاتصالية يتّسم ضمير الياء للمتكلم(الله) في خطاب التشريف (قل) وفي خطابه ب (عبادي) بدرجة عالية من الكثافة الشعورية والإحساس بالعطف والقرب كما في مثل هذه الآيات: ﴿ وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي

---

١. المصدر نفسه: ص ٢٩٠.

٢. رومان جاكبسون: *قضايا شعرية* ،ترجمة: محمدالولي ومبارك حنون ،المغرب،دار توبقال، للنشر ط١، ١٩٨٨م،ص ٣١-٢٧.

قَرِيبٌ ﴾بقرة/ ١٨٥. أو : ﴿ إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلْطانٌ﴾ الإسراء /٨٤. و كذلك في ﴿ يا أَيتُهَا الـنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّـةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيةً مَرْضِيةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾﴿وَ ادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ فجر/ ٢٦-٣٠

ان المناداة بهذا النوع من الأسلوب كان إيذانا لهم بالدعم والمساندة والحماية التامة من قبل الله فنحن نستشعرها تماما في مثل هذه الآيات:

﴿ وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ بقرة/ ١٨٥.أو إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الإسراء /٨٤. وفي الآيات الأخيرة من سورة الفجر ﴿ يا أَيتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيةً مَرْضِيةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ فجر/٢٦-٣٠.

يبلغ العطف والإحتضان والترحيب مبلغه إذ تدل تتابع ياء المتكلم فيها على إشاعة نوع من الهدوء والطمأنينة والاحتضان والتشريف والتعظيم خلافا لآيات الوعيد والعذاب. كهذه الآيات: ﴿ فَكَيفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ﴾ قمر/٢١ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِي عَزِيزٌ﴾ مجادلة / ٥٨ أو ﴿ ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ المدثر/ ١١.

إن في الآيات أعلاها يختفي القرب والعطف والحدب ويترسخ الشعور بالخوف والقوة والاقتدار في موقف رهيب جدا لأن سياق الآيات مرتبطة أشدالارتباط بالموقف النفسي للمتكلم في كيفية صياغة الرسالة أولا ثم التأثير على المتلقي خاصة في تتابع الضمائر أنا ثم الياء في رسلي في الآية: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِي عَزِيزٌ﴾ مجادلة/ .٥٨ إذ تلقي الآية بظلالها الثقيل والشعور بالقوة والخوف عبر الضمائر وقديساندها إدخال لام التوكيد واستخدام إنّ التوكيد في ذلك.

إن الوظيفة ا لتعبيرية تجلت بوضوح في توظيف الضمير(أنا،ي) سواء في الآيات الوعد والوعيد ثم تجلت الكفاءة التواصلية في ارتباطها بالسياق والتأثير على المخاطب.

تأسيسا على ما أفاده البحث؛ يمتاز الضمير أنا من الناحية السيميائية بعلاقة ارتباطية عضوية مع الذات المتكلمة الفاعلة و المنتجة للفعل مشكّلا بنية كبرى تتألف من محورين أساسيين في العملية التخاطبية أنا الذات المتكلمة والآخر الذي يأتي في درجة تراتبية أقل من الذات مصدر الخطاب. إننا نشعر بتلك الميزة المتعالية وقوتها وسلطتها خاصة في الخطاب القرآني وفي الآيات التي يتحدث الله عن نفسه بضمير أنا بيدأنّ جميع الآيات والسور في القرآن الكريم تتمتع بنفس القوة والسلطة والهيمنة:« إنّ هذه القوة لا تضعف حتى في مواطن التي تعبر فيها عن الرحمة وإن قوتها واحدة في جميع سوره وآياته هي قوة

ذاتية جبارة قادرة حكيمة رحيمة آخذة بزمامين من الترغيب والترهيب ذات سلطان مطلق.[1]»كهذه الآيات الشريفات:

﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْلِما يوحى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ طه/١٢-١٤ ﴿وَ ما أَرْسَلْنا مِنْقَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ أَنَـا﴾ الأنبياء/ ٢٥. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ أو ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ الإنسان /١٠ . ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر/ ١

هل من الممكن أن تخفى قوة التعبير عن الذات في هذه الآيات الشريفة أعلاها والمتجلية في(إني،أنا، إنّا،نحن)؟! إن الله تعالى عبّر عن وحدانتيه وتفرّده تارة ب(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا)وعن عظمته ب(إنّا نزّلنا الذكر)وتارة أخرى بنحن الدالة على التعظيم والتفخيم:

﴿ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ ﴾ الواقعة / ٨٥ ﴿ وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُميتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ ﴾وفي الآيات كلها نرى تعبيرا عن الذات الربوبي.

مما يجدر التنبيه به أن توظيف ضمائر المتكلم المفرد في الخطاب القرآني يأتي في محورين متضادين من الخطاب إمّا في آيات خطاب التكريم والتشريف:﴿ نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُالرَّحِيمُ﴾ الحجر / ٤٩.

وإما في آيات تنذر بالعذاب والوعيد﴿ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدا﴾ المدثر /١١.﴿ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِـى النَّعْمَـةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ أو﴿إِياى فَارْهَبُونِ ﴾نحل /٥١ أو:﴿فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران / ١٧٥. وكذلك: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾مائدة / ٤٦.

في كلا الخطابين تتجلى القدرة الربوبية مع فارق الشعور بالقرب والعطف في الآيات التي يتمتع فيها الخطاب بدرجة عالية من الكثافة العاطفية ك: يا عبادي والشعور بالخوف والاقتدار في آيات الوعيد والإنذار بالعذاب مثل: ﴿فَذَرْنِي وَ مَنْ يكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ ﴾ أو﴿ ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ المدثر /١١. ﴿ وَ إِياى فَارْهَبُونِ ﴾نحل /٥١ أو ﴿خافُونِ﴾ آل عمران / ١٧٥ وكذلك : ﴿ إخشون﴾ مائدة / ٤٦.

---

١. مصطفى الزرقاء: *في الحديث النبوي* ،مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٢ه ق، دمشق، ط٢، ١٣٧٢ه ، ص١٩٥.

في الحقيقة إنّ الحديث عن المرسل في البلاغ القرآني حديث شائق وممتع من المنظورالتواصلي حيث يكون الله جلّ وعلا خالق الأكوان بكل جبروته وسلطانه وهيمنته طرفا في التواصل مع مخلوق في غاية الضعف والاستكانة أي الانسان فمع ذلك لن يتركه سدى ويتولى أمر تربيته على أكمل صورة وأسلوب.

لقداهتم الله بالكشف عن ذاته في القرآن الكريم عن توظيف الضمائر المتكلم المفرد (أنا ي)والجمع (نا ونحن) فكل من تلك الضمائر كوّنت منظومة دلالية قيمة في كل من تلك الآيات التي وردت فيه الضمائر المحالة إلى الله.فهل يمكن إغفال القوة والهيمنة والكبرياء والجبروت التي توحيها الأنا في هذه الآية: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا﴾ إننا نستشف التأكيد والهيمنة والفاعلية القصوى للذات الربوبي فيها والضمير هنا(أنا) هو: « الأنا المطلق والدالّ على القدرة المطلقة. [1]» وكذلك اقتران أنا بالأفعال الطلبية الإنجازية (فَاخْلَعْ ، اخْتَرْتُكَ ،فَاسْتَمِعْ، فَاعْبُدْنِي ،أَقِمِ) والتي بدورها تحتوي على نسبة عالية من القوة والإلزام تكثّف إيحاء دلالة القوة والهيمنة في الآية المباركة.

في الحديث نفسه، إن ضمير(أنا) لا يخلو من دلالات وسيميائية أخرى كالدلالة الحرفية؛ لأن في الحروف وطريقة نظمها وصفاتها ومخارجها أسرار ولطائف ودلالات أودعها الله فيها فإذا درسنا هذا الضمير من حيث خصائص الحروف والدلالة الصوتية فهو الضمير لمفتتح بالهمزة و«الهمزة لها إيحاءات دالة على نوع من البروز والسعة والنتوء يضاهي نتوءا في الطبيعة إنه يتصف بالحضور والوضوح والعيانية لذلك بدأت الضمائر المنفصلة للمتكلم والمخاطب بالهمزة.[2]»

إنّ أنا يبتدأ بالهمزة وينتهي بالألف والألف له دلالات أيضا في اللغة العربية وكذلك في الوجدان العربي إنه يدل على الشموخ والاستعلاء وعلى الفعل والإنجاز. إنّ: « ألف المدّ التي ينتهي بها الضمير أنا يترافق نطقها مع رفع الرأس المصاحب لحسّ الشموخ الذي يملأ وجدان الإنسان العربي الأوّل الذي أنتج اللغة ويتماشى مع رغبته في الاستعلاء على الآخر الذي ينتهي ضميره المخاطب بالتاء المكتومة التي لابدّ من تحريكها ليظهر صوتها فاستتبعت بالفتحة التي تساوي نصف ألف في "أنت" مما يعني إبقاء الآخر في حالة أدنى من حالة الأنا، .... فألف ضمير المتكلّم هو الصفة الأيقونية للذات المتكلمة، والمشابهة مع الموضوع في التعبير والمحتوى لأنّ "ألف المدّ" أصبحت علامة تمتلك نفس خصائص الموضوع الممثّل ... من هنا كان ضمير المتكلّم هو الأعلى بألفه، ويبقى ضمير المتكلم في اللغة العربية أعلى من بقية الضمائر الأخرى شكلا ومحتوى وكذلك من حيث الرسم

---

١. السيد عمر: *الأنا والآخر من منظور قرآني*،دمشق، دارالفكر، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٣٧.

٢. حسن عباس: *خصائص الحروف العربية ومعانيها*، منشورات اتحاد العرب ، ١٩٩٨، ص ٩٩.

٢. الأخضر: ابن السائح، *سيميائية الضمير" أنا "في الدلالات وبناء التأويل* ،الجزائر، جامعة عمّار ثليجي ولاية الأغواط ص١٣٢..bensayahlakhdar.ibda٣.org/t١٤-topicwww

والخط إنّه يتّجه إلى الأعلى رغبة في السمو والشموخ مؤكدا حضور الذات المتكلمة بفاعلية قصوى.[1] ››

إنّ ما يكثّف الإيحاء بالرفعة والهيمنة والشموخ في الضمير المتكلم أنا في هذه الآية الشريفة: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ طه/ ١٤؛ هو تتابع الألف المدّي قبله في لا إِلهَ إِلاَّ فاشتمالها على هذه المدات لها دلالاتها منها دلالة الاستغراق الزمني والمكاني والديمومة:« لأنّ المدالصوتي المطلق فضلا عن أنّه يفيد استغراق الزمان والمكان يثبت أن ميزة خصوصيته هي في تمكّنه بسلطان الظهور الغالب[2].»

إنّ هذا الحضور للذات الربوبي المتمثّل في ضمير أنا يكون بارزا وظاهرا بقوّة لأنّه « فيه قصد المبالغة في النفي وقد سمّي مدّ المبالغة لأنّه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله تعالى.[3] » وما يزيد في هذه المبالغة هو ترديد الضمير أنا مرّتين في هذه الآية الشريفة مما يقوّي الشعور بالاقتدار والهيمنة الربوبية ويعززه لدى المتلقي حيث تأخذه الهيبة وتسترهبه العظمة اللاهية. فنلاحظ هنا كيف تتضافر هذه الدلالات معا خاصة الصوتية منها على تكوين سيميائية هذا الضمير حيث تبين أنها تفيد الديمومة والاستغراق للزمان والمكان فالله الواحد الأحد باق أبدا سرمدا لا اله إلا هو.

وفي سياق تأكيد الدلالة الصوتية فضلا عن ورود المدود في هذه الآيات يمكننا تقصي دلالة الحركات الإعرابية من الفتحة والكسرة والضمة فيها حيث يرصد لها دلالات ويكون لها آراء. كما « يعتقد فوناجي (fonagy) في دلالاتها أن الكسرة تعني الصغر واللطف والجمال والضمّ تعني الكبر والقوة والحزن والفتح يعني الكبر والضخامة.[4] » وكذلك لايخفى علينا ما يعتقده الدكتور تمام حسان في هذا الجانب بقوله:«بعض الأحيان ليس هناك من علاقة عرفية أو ذهنية منطقية تربط بين الدال والمدلول وإنّما هي آثار تتركها الطبيعة في النفس أو عادات مطّردة للطبيعة تربط بين الرمز ومعناه لقد فطن الدارسون إلى علاقة طبيعية بين صوت الكسرة أو ياء المدّ من جهة وبين الضآلة والإستصغار من جهة أخرى ثمّ بين الضّمة وواو المد من ناحية وبين الضخامة والتفخيم من ناحية ثانية[5].» فنلاحظ في الآية نفسها احتوائها على الضمة في بداية الخطاب بيا أيُّها وفي أثناء الآية في فأعبُدني الدالّة على التفخيم والتهويل والتضخيم مما يزيد في إيحاءها بالهيمنة والقوّة.

وفي هذه الاية المباركة:﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً* وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْلِما يوحى﴾

---

١. الأخضر ابن السائح :المصدرنفسه، ص ١٣٢.

٢. محمد فريد عبدالله:*الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم*، بيروت ، دار ومكتبة الهلال، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٠٢.

٣.المصدرنفسه: ص ٢٠٣.

٤.محمد مفتاح: *في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية*، المغرب ،دارالثقافة للتوزيع والنشر الدارالبيضاء، د.ط،١٩٨٩م،ص ٧١.

٥.تمام حسان : أصول دراسة ابستمولوجية للفكراللغوي عند العرب النحو — الفقه – البلاغة –، القاهرة، د.طعالم الكتب٢٠٠٩م، ص ٢٨٧.

طه/ ١٣-١٢ يوحي الضمير المتكلم أنا بوصفه ذاتا فاعلة منتجة للفعل ومهيمنة على الآخر فضلا عن «دلالته الأساس بإلغاء الغير[١].»؛ انطباعا باحتضان الغير والترحيب به.فاختتام الفواصل بالألف المقصورة في (طوى ،يوحى) باعتبارها مساندة للضمير تكثّف حالة الشعور بالهيمنة والسلطة في الآية لكن يمكننا استشعار دلالة أخرى للضمير المتكلم خاصة(ي) وهي:« الشعور بالترحيب والاحتضان[٢].»

إذ تبدأ الآيه ب إِنِّي ممّا يوحي الضمير بالاحتضان والرقّة إذ نستشعر أنّه تعالى يحوي المتلقي بحنان وعطف ومما يزيد في هذا الاحساس تتابع الكسرات في بِالْوادِ الْمُقَدَّس ودلالتها على الرقة والانكسار فبالتالي يحدث وكأنه تناوب بين هذه المشاعر والايحاءات النفسية بين استيحاء الشموخ والرفعة من الألف وبين استيحاء العطف والحنان من الياء والكسرة. إذ ليست الدلالة الصوتية و«التطريز الصوتي بمعزل عن الدلالة الشعورية وخصوصية الموقف النفسي.[٣] » وكذلك:« ليست حركات الكلمة ومدودها مجرد إيقاع موسيقي يتردد صداه في التعبير دون فائدة معنوية بل تقوم بوظيفة أساسية في جلاء المعنى وتوضيحه عبر هذه المؤثرات الصوتية إذ يرتبط الإيقاع بالمعنى المراد والحالة النفسية.[٤] » نحن في ضمير الأنا خاصة الأنا المتألّه عن لسان فرعون الذي جاوز الحد في الطغيان إلى حد الإعلان بين أتباعه بإدعائه الألوهية: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات/ ٢٤.

نستأنس الكبر والشعور بالقوة والاستعلاء مع إلغاء للغير بشدة وقد عزز هذا الشعور اختتام الفاصلة القرانية(الأعلى) بألف المقصورة التي توحي بالاتجاه الى الأعلى والرفعة في دلالتها الصوتية أيضا لكنها خلافا للألف المدية التي تفيد الاستمرار هي «تفيدالانقطاع يعني أن الأمر متعلق بزمن معين مخصوص.[٥] » أي إنّ هذه الألوهية قصيرة ومحددة بزمن ومكان لا تتّسم بالديمومة. وكذلك مجيء هذه الالف المقصورة بعدالضمة الدالة على التهويل والتضخيم في رَبُّكُمُ تنفي هذ العظمة والشعور بالتفخيم والاستعلاء عند فرعون فهناك نلمس العطف والترحيب بالآخر وهنا نستشعر الاستكبار والغاء الآخر.

كما بّينا سابقا؛ توحي دلالة الضمير المتكلم إمّا بإلغاء الآخر وتأكيدالذات المتكلمة وإمّا ترحيبا واحتضانا للآخر فضلا

---

١. الأخضرابن السائح: « سيميائية الضمير" أنا "في الدلالات وبناء التأويل »، الجزائر، جامعة عمّار ثليجي ولاية الأغواط، ٢مارس، ٢٠١٠،ص١٣٢.bensayahlakhdar.ibda٣.org/t١٤-topicwww

٢. المصدرنفسه: ص١٣٢.

٣. صالح ملا عزيز:*جمالية الاشارة النفسية في الخطاب القرآني* دمشق، دارالزمان، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢٩٨

٤. عبدالسلام احمد راغب: *وظيفة الصورة الفنية في القرآن* حلب ، ط١، ٢٠٠١م، ص ٣٩٢- ٣٩٣.

٥. محمد فريد عبدالله: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، ص ١٩٤.

عن استئناس السلطة والهيمنة الربوبية في الآيات التي يرد فيه الضمير بصيغة المتكلم كهذه الآية:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه/ ١٤. وما إن يستشعرها حتى يلمس العطف والترحيب والشعور بالقرب والاحتضان وهذا ما أوحتها في هذه الآية المباركة؛ دلالة الضمير (ي)في (إني، فاعبدني، لذكري) فدلالة الترحيب بالآخر واحتضانه تظهرجليا في نهاية هذه الفواصل القرآنية.

نلاحظ في الآية أعلاها حضورا مكثّفا لدلالة الياء الموحية بالانكسار والعاطفة والإحتضان الربوبي لموسى (ع).ثم تتابع ضمائر الياء(إِنَّنِي، فَاعْبُدْنِي، لِذِكْرِي) تضاعف من قوّتها وهيمنتها فبالتالي تؤدّي إلي زيادة تقرير المعني وتثبيته في نفس المخاطب. إنّ المخاطَب يأنس منه لمسة القرب والاقتراب فضلا عن استشعار الهيمنة الربوبية إن الترحيب والاحتفاء بالأرواح المؤمنين خاصة النفس المطمئنة يبلغ ذروته في سورة الفجر / ٢٠. حيث توحيها دلالة الضمير المتكلم(الياء) وكذلك الكسرة في (ربك) في الآية الأخيرة من السورة: ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾﴿ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيةً مَرْضِيةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ فجر/ ٢٦-٣٠.

فيأتي خطاب التشريف والنعت في ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾وسط هذا الروع العظيم والموقف الرهيب من نزعات الروح ومفارقة الجسد مشيعا جوّا من الطمأنينة والسكون والتعاطف والرضى لدى النفس المؤمنة التي تشرفت حينها بالنعت الْمُطْمَئِنَّة فلا يتوقّف هذا الإحساس واللمسة العاطفية عندهذا الحد بل تسانده ياء المخاطب في إرجعي،ربك فادخلي وكذلك الياء المتكلم في عبادي وجنتي. حيث تشرفت هذه النفس بإضافتها إلى ربها والرجوع اليه بقوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيةً مَرْضِيةً﴾ فجر/٢٨.« فهذا قول يصدر يوم القيامة من جانب القدس من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة: فإن كان من كلام الله تعالى كان قوله: إلى ربك إظهارا في مقام الإضمار بقرينة تفريع فادخلي في عبادي عليه ونكتة هذا الإظهار ما في وصف رب من الولاء والاختصاص وما في اضافته إلى ضمير النفس المخاطبة من التشريف لها وإن كان من قول الملائكة فلفظ ربك جرى على مقتضى الظاهر. وقدبينا سلفا إنّ هذه الإضافة هي أيضا نوعا من التشريف والتعظيم وهذه الإضافة هي مما يزيد الالتفات إلى ضمير التكلم حسنا.[1] »

إذهنا يترسخ هذا الشعور بالطمأنينة والسكون مرة أخرى بعد ذلك الخطاب يا أَيَّتُهَا إذ لاخوف هنا فالرّب ربّك وأنت

---

١. ابن عاشور:التحوير والتنوير، ج٣٠، ص ٣٠٤.

ترجعين اليه وتلوذين به ومن جهة أخرى يدعوها الله إلى الدخول في فِي عِبادِي و إلى الدخول في جَنَّتِي«وتكرير فعل وَ ادْخُلِي هو للاهتمام بالدخول بخصوصه تحقيقا للمسرة لهم[1].»

إنّ هذا الوقع الرخيم والموسيقى الهادئة والمنبثقة من تتابع الياءات على امتداد الآية تغمر النفس المطمئنة سعادة وهناء ورضى فقد تدخل هذه النفس ضمن منظومة العباد والعباد تضاف إلى الياء المتكلمة للذات الربوبي فيبلغ القرب والاحتضان مبلغة ثم تدخل هذه النفس الجنة وأي جنة ؟ جنتي أي جنة الله. فبالتالي يكمتل هذا المشهدالجميل الباعث على الهدوء والطمأنة والرضى. فالدلالة الصوتية وخاصة باشتمالها على الياء المدية توحي « بالديمومة والاستمرار والتعاقب والاحتواء والتقصي.[2] » والانكسار والرقة والخشوع والرضا والسكينة[3].» وإذا نظرنا إلى دلالة الياء التي توحي «بالانفعال الشديد والمؤثر في الباطن.[4] » تظهر إيحاءاتها جليا في الآية إذ يحتضن الرب النفس المطمئنة بكامل الرضى والسكينة باعثا فيها الهناء والهدوء والشعور بالسعادة الباطنية. وبعد الفراغ من دلالة الضمير المتكلم أراد البحث أن يبين الوظيفة التعبيرية للإسم بجانب الضمير من منظور الوظيفة الإفهامية والابلاغية للغة فلاحظ أنّ اسم الرّب يحتل مساحة كبيرة في الخطاب القرآني خاصة في الأدعية القرآنية وهذا مايدل على أن النداء بلفظ الرب يشكّل حلقة وصل متينة بين العبد وخالقه إذ نرى أن غالبية الأدعية تبدأ بهذا النداء: رب أو ربنا فنحن في هذا القسم من بحثنا نريد أن نبين مفهوم الرب ومعناه في الأدعية الواردة في القرآن.

٣-٥-١-٢-٧- الوظيفة الإفهامية واسم الرب

وردت كلمة الرب لعدة معاني في المعاجم لكنّها يمكن تصنيفها في ثلاث معان: فقد وردت في لسان العرب:« بمعنى مالك الشيء وصاحبه ومنه: فلان رب الدار أي صاحبها ومالكها وكل من ملك شيئا فهو ربّه[5].» وكذلك بمعنى السيد المطاع[6] أي السيد الذي عليه الطاعة كما في هذه الآية الشريفة: ﴿ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ يوسف/٤٠.

وأما المعنى الثالث لكلمة الرب «فهو يطلق على المصلح للشيء المدبر له القائم على تربيته حتى أن بعض العلماء قال

---

١. محمد فريدعبدالله: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، ص ٣٠٤.

٢. المصدر نفسه:ص ٢٠٨.

٣. عبدالواحد المنصوري: *قراءات في النظم القرآني*، بيروت، دارالفيحاء للطباعة والنشر ، ط١، ١٤٣٤ه،ق ،ص ١٥٦.

٤. احسان عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٨.

٥. محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، دارصادر، ط ١، ج ١، مادة (ربّ)

٦. المصدر نفسه: مادة رب.

بأنّ كلمة الرب مشتقة من التربية لأنّه سبحانه مدبّر الخلق ومربيهم[1].» والرب هو: «المصلح والمدبر والجابر والقائم.[2]» وفي معنى آخر وأشمل يكون «بمعنى سوق الشيء إلى جهة الكمال ورفع النقائص بالتخلية والتحلية.[3]»

رغم تعددية الآراء في هذا المجال، يمكن الجمع بين كل هذه الأقوال خاصة عند كبار المفسرين من المعاصرين كالعلامة الطباطبايي في كتابه الميزان وقد فسّر رضوان الله عليه الرب بمعنى: هو المالك الذي يدبر أمر مملوكه.[4] »

واعتبر الرب مجمع جميع أسماء أفعال الله المقدسة لأن جميع أفعاله تبارك وتعالى متشعبة من جهة تدبيره تعالى وتربيبه في كل موجود بحسبه فالرب مظهر الرحمة والخلق والقدرة والتدبير والحكمة فهو الشامل لما سواه تعالى: فإنهم المربوبون له تعالى على اختلاف مراتبهم.[5]» اعتمادا على ذلك يمكن تفسير لفظ الرب الوارد في سورتي طه والأعلى بأنّه(الرب) المشتمل على كل الصفات الربوبية من المالكية والخالقية والمدبرية مكّونا بذلك علاقة خاصة بين العبد والرب.

إن المناداة بهذا الإسم في الخطاب القرآني يكشف لنا مدى أهميته في تكوين العلاقة الخاصة بين العبد والرب لما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال حيث يعتبر عند بعض العلماء بأنه اسم الله الأعظم لكثرة دعوة الداعين به.[6]»

والملاحظة الاخرى الذي لابدّ من الإشارة إليه هو اقتران لفظ الهدى بالرب ما يعني أن أول مهام الربوبية هو الهداية.[7]» خاصة في نظام التكوين والخلقة ولأنّ الرب هو المربي فبالتالي أول مهامّه هو الهداية. كما لاحظنا اقتران الرب بالهداية في الآيات أعلاها وكذلك في الايات الاخرى مثل: ﴿ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَـــدَيْتَنا ﴾ آل عمران/ ٨. وقوله: ﴿ وَقُلْ عَسى أَنْ يهْدِينِ رَبِّي ﴾الكهف/ ٢٤. وقوله: ﴿ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيهْدِينِ ﴾ الشعراء/ ٦٢ وكذلك: ﴿ عَسى رَبِّي أَنْ يهْدِينِي سَواءَ السَّبِيلِ﴾ القصص/ ٢٢.

---

١. الراغب الإصفهاني: *مفردات ألفاظ القرآن* تحقيق صفوان عدنان داوودي ،دمشق ،دارالقلم، ط٢، ١٩٩٧م،ص ٣٣٦. ابن منظور، لسان العرب: ص ٤٠٠.

٢. ابوعبدالله القرطبي: *الجامع لأحكام القرآن* ، مج١، بيروت، دارالإحياء التراث العربي، ط ٢، د. ت، ص١٣.

٣. هادي محسني ركاوندي: *تحليل أخلاقي وتربيتي كفتكوي* انبياء در قران كريم (التحليل الأخلاقي والتربوي للحوار الأنبياء في القرآن الكريم،طهران،نشرجامعة الإمام الصادق ط١، ١٣٩٠ه ش، ص ٥٦.

٤. سيدمحمدحسين طباطبايي :*الميزان في تفسير القرآن* بيروت، الأعلمي ج١، ١٤٢٢ه، ص ٢٤.

٥. المصدرنفسه: ص ٢١.

٦. ابوعبدالله القرطبي: *الجامع لأحكام القرآن* ، مج ١، بيروت، دارالإحياء التراث العربي، ط٢، د. ت، ص١٣.

٧. فاضل السامرايي: *لمسات بيانية*، بغداد، دارالشؤؤن الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣١.

قد ترد لفظة الرب مطلقة دون قيد الإضافة فهي تدّل على الله سبحانه وتعالى فقط ان المقصود من الرب هو: «هو الله عز وجل هو رب كل شيء: أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق لاشريك له وهو رب الأرباب وملَك الملوك والأملاك ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجلّ وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا. [1]»

بيّنا أن اسم الرب يمثل علاقة خاصة بين الله والعبد لما يتضمنه من الرحمة واللطف والافتقار في كل الأحوال ففي تكوين هذه العلاقة يمثّل الدعاء أرقى درجات الافتقار حيث الاعتقاد بالربوبية والإيمان بها يمنع العبد من التوجه والاهتمام بغيره من العباد والمخلوقات. لذلك يرد هذا الإسم في غالبية الخطاب القرآني خاصة في مجال الدعاء لأنه يمثل أرقى درجات الانقطاع من الغير والتوجه إلى الله.

« إنّ مصطلح الدعاء يعني: طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة ممثّلا الرغبة إلى الله عز وجل في كلام انشائي دالّ على الطلب والسؤال في خضوع. في الحقيقة يكون الدعاء هو التوسل إلى المدعو للتفضل بالاستجابة أو طلب الاستجابة على وجه التفضل وفي ذلك قد أجمع العلماء على أن الدعاء ليس أمرا بل خطاب توسلي استعطافي من العبد الى الرب وقصده الاستجابة تفضلا. [2] » لذلك استفتح آدم وحواء دعائهم بهذا الإسم بعدما طردوا من الجنة وندما عن فعلهما وأرادا الرجوع إلى الله بقولهما في هذه الآية الشريفة:﴿ رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا﴾ الأعراف / ٢٣ وكذلك عند نوح بعدما يأس من قومه فدعى ربّه بهذا الاسم:

﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَياراً﴾ نوح/ ٢٦. كذلك ابراهيم ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أو في دعاء موسى بعدما قتل رجلامن الأقباط فقال: ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ ص / ٣٨ وكذلك سليمان في دعائه ﴿ فَاغْفِرْ لِي﴾ القصص/ ١٦.وزكريا ﴿ رَبِّ لاتَذَرْنِي فَرْداً﴾ الأنبياء/ ٨٩ والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بدعائه: ﴿ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المؤمنون/ ١١٨.

نستشف من الآيات أعلاها أنّ مبدأ الربوبية هو أرقى درجات الدعاء من حيث المنطلق والمبدأ حيث يمازج الدعاء روح الربوبية تماما. لذلك يعتبر البعض أن استفتتاح الدعاء بهذا الإسم هو مفتاح كل دعاء بتعبير آخر الربوبية تجلب للعبد الرحمة

---

١. محمد بن مكرم ابن منظور: *لسان العرب*، بيروت، داراحياءالتراث العربي، ط ١، ١٩٨٨م، (مادة رب)؛ ابوعبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مج ١، بيروت، دارالإحياء التراث العربي، ط٢، د. ت، ص١٣٧.

٢. محمود عكاشة: *تحليل الخطاب*،القاهرة، دارالنشر للجامعات ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٤٣.

الربانية ممثّلة غاية العطف والعناية اللهية للعباد.[1]»

٣-٥-١-٢-٧-١- إيحاءات الدلالة الصوتية للرب

كما بينا ممّا تقدّم من البحث أنّ الدلالة الصوتية والتطريز الصوتي ليست بمعزل عن الدلالة الشعورية وخصوصية الموقف النفسي وكذلك ليست حركات الكلمة ومدودها مجرد إيقاع موسيقي يتردد صداه في التعبير دون فائدة معنوية بل تقوم بوظيفة أساسية في جلاء المعنى وتوضيحه عبر هذه المؤثّرات الصوتية إذ يرتبط الإيقاع بالمعنى المراد والحالة النفسية وإن بعض النظريات اللغوية تؤكد الطاقة الإيحائية لبعض الأصوات نتيجة لتداعيات لاشعورية.[2]»

فكما يرى اللغويون في هذا المجال أنّ أثقل الحركات هي الضمّة لأنّها لاتتمّ إلّا بضمّ الشفتين ولا يتّم ذلك إلا بعمل العضلتين الواصلتين إلى طرفي الشفة وأما الكسرة فإنّه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية ثّم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة.[3] » هذا ما أكده ابن جني وأشار إلى العلاقة القائمة بين جرس الحركات ودلالات الألفاظ ذاهبا إلى أن العرب، تختار صوت الحركة الأقوى، للمعنى الأقوى والصوت الأضعف، للمعنى الضعيف[4].» هذا ما لاحظناه في الخطاب القرآني وفي دعاء زكريا (ع) في قوله تعالى ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ مريم/ ٤.

إذ يكثر الخطاب من استعمال الكسرة- إنّ الياء تعتبر باتفّاق علماءالصوت ضعف الكسرة[5].» والإكثار من إيراد الكسرة في الآية لا تخلو من الإيحاء بمعاني التضرع والإشارة إلى دلالات الضعف والكبر والشيخوخة عند زكريا (ع). « إذ إن هذا المصوّت بضيقه المتفرّع ولينه يعبّر عما هو ضعيف ومهذب وإنّه لرقّته وانكساره أقرب الأصوات الى البكاء.[6]»

فهذه الرقّة والضعف واللينة في الكسرة منسجمة تماما مع الحالة الجسمية والنفسية لزكريا وكذلك مع موقف الدعاء الحافل بدلالات الرقّة والصفاء والتهذيب أيضا لأنّ الدعاء بكاء داخلي وابتهال إلى الله بقلب خاشع فضلا عن تكرار الصوت الواحدفي حرف الباء وفي كلمة (ربّ) وفي تكرار الصوت الواحد يرى النّقاد المحدثون أنّه:«قد يصبح لازمة موسيقية تخرج الصوت عن كونه مجرد جرس مسموع إلى شفرة جمالية تحرك دلالة النص وتكثّف ظلاله.فالصوت في حدّ ذاته لايمتلك دلالة

---

١. هادي محسني ركاوندي: *تحليل أخلاقي وتربيتي كفتكوي انبياء در قران كريم*(التحليل الآخلاقى والتربوى للحوار الآنبياء فى القرأن، طهران ، نشر جامعة الإمام الصادق، ط١ ١٣٩٠هش، ص ٦٢.

٢. صالح ملا عزيز: جمالية الاشارة النفسية في الخطاب القرآني ، ص ٢٧٦.

٣. المصدر نفسه: ص ٢٩٦.

٤. المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

٥. المصدرنفسه: ص ٢٩٧.

٦. المصدر نفسه: ص ٢٩٧.

جوهرية لكن تكرار أصوات معينة وكيفية توزيعها في السياق يشكّل شبكة غنية بالإيحاءات الصوتية.[1] » فصوت الباء يتّسم بالانفتاح [2]المناف للانغلاق والانقباض وفي ذلك إشارة إلى أنّ العبد في الدعاء تنشرح نفسه وينفّس عن مكبوتات ال نفس والضيق بما يمتلك هذا الصوت من سمة الاتساع إثر انفتاح الفم في أثناء خروجه خاصة عند سمته الانفجارية.[3]» وما يعزز هذه الإيحاءة دلالة حرف الراء في (الرب). فالراء له سمة الاستمرارية والوضوح السمعي العالي.[4]» فضلا عن خاصية التحرك والترجيع والتكرار.[5]» إذ توحي باستمرارية انكشاف الذات أمام الرب وإظهارحالة الضعف والاستكانة من جانب العبد تذللا وخشوعا و «الشعور الداعي بقربه من ربه حين يدعوه خاشعا متضرعا.[6]» وقد نرى ذلك جليا في دعاء زكريا فقد تكرر لفظ الرب على لسانه مرارا:

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيا﴾ ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِي مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا ﴾﴿ يرِثُنِي وَ يرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيا﴾﴿ يا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يحْيى لَمْ نجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيا﴾﴿ قالَ رَبِّ أَنَّى يكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيا﴾﴿ قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَي هَينٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيئاً﴾»مريم/ ٣-٨.

تكرر لفظ الرب في دعائه الصادق الحزين الممتلئ أسى وحسرة ولا شكّ أنّ هذا التكرار يترافق مع دلالة الراء الموحية بالاستمرار والترجيع فبالتالي يتضاعف تأثيره في الإفصاح عن مشاعر الضعف والاستكانة والخضوع للعبد(زكرياء) أمام جبروت الخالق.

هذا ما استكشفناه بشأن العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها في الخطاب القرآني.وكذلك حيثما ورد لفظ الرب في موقع المنادى في الخطاب القرآني حذفت أداة النداء(يا) وحذفت معها ياء الاضافة (ربي) وكل هذا يشير إلى الحالة النفسية المأزومة لدى المنادي ورغبته في انكشاف الضيق عنه واستعجاله في كشف الكرب والشدة.

---

١. المصدر نفسه: ص٢٩١.

٢. فخرية غريب قادر: *تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني*، إربد لبنان، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م، ص ٦٨.

٣. احسان عباس، *خصائص الحروف العربية ومعانيها*،دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب، ص ٩٩.

٤. فخرية غريب قادر: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، ص ٢٤.

٥. احسان عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٠

٦. صالح ملا عزيز: جمالية الاشارة النفسية في الخطاب القرآني ، ص٢٢٦.

٣-٥-١-٢-٧-٢- إيحاء المد الصوتي في ربنا

إنّ المدود كغيرها من الحروف لها دلالات ,وإيحاءات وتتكثف إيحاءاتها الدلالية خاصة في الخطاب القرآني فإنّه في الاصطلاح اللغوي يدل على عدة معان منها:

«الألف - الجذب والمطل فلان يمادّ فلانا أي يماطله ويجاذبه.

ب- التمدد كتمدد السّقاء.

ج - الإمهال والتطويل.

د- البسط والتسوية.

ه- الطموح.

و- الزيادة والكثرة والجريان والزيادة[١].»

وأمّا المدّ اصطلاحا وفي تعريف علماء الصوت، هو إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ التي يجوز فيها المد واذا تأملنا مليا لا تخلو دلالات المدّ من معنيه اللغوي حيث يدل على السعة والتمدد والإمهال ودالا على طول المدة مستغرقا الزمان والمكان. « فالتعبير بالمدالصوتي في الحقيقة هو تعبير بالكيف واستطالة بالزمان لأنّه رمز دالّ على السعة مرة وعلى التوسّع ثانية كما يدلّ على الآن والاستمرار منها إلى آنات أخر[٢].» وقدتناول القدامى ظاهرة المدّ الصوتي المطلق في الألف والواو والياء وأكّدوا لها دلالتها المعنوية وهي تمكنّها بسلطان الظهور الغالب وقصدالمبالغة كما أشرنا إليه سلفا في مبحث سيميائية الضمير:« لأنّ المد الصوتي المطلق فضلا عن أنّه يفيد استغراق الزمان والمكان يثبت أن ميزة خصوصيته هي في تمكّنه بسلطان الظهور الغالب[٣].»

«فالعرب عندما أوجدوا المدود الصوتية انّما أوجدوها للتعبير عن أغراضهم ومشاعرهم وأبعادهم وأزمانهم وقد تبين ذلك بوضوح عندما صنّفوا أدوات الخطاب أو التنادي مرتبّة على أزمنتهم وأماكن تواجدهم فاللغة العربية حافلة بضمان الدلالتين:الزمان والمكان في الحرف والإسم والفعل[٤].» فالمدود أيضا لاتخلو من تلك الميزات والدلالات «إنّ أصوات المدّ تمتلك قوة عالية في الإسماع نتيجة عدم احتكاكها مع أي عائق في جهاز النطق وكل ذلك أدى إلى أن تكون أصوات المد أصواتا موسيقية

---

١. ابن منظور: *لسان العرب*، بيروت، دارإحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م،مادة مدد

٢. محمد فريدعبدالله: *الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم*،ص ١٨٣.

٣. المصدر نفسه: ص٢٠٢.

٤. المصدرنفسه: ص ٢٠٣.

منتظمة لها قدرة على الاستمرار ومن ثم "أكثر الأصوات تأثيرا في المسار الإيقاعي لكونها تمتاز بخصائص موسيقية تجعلها أقدر من الصوامت على إحداث تأثيرات نفسية أشبه بالتأثير الذي يحدثه اللحن الموسيقي ويوصف هذا التأثير بأنه نوع من الشوق وتبدو فاعلية أصوات المدّ فيما تحدثه من تنوع في الإيقاع بين الانخفاض والارتفاع[1]."»

قد تبرز جمالية المدود جليا في مجال الدعاء وقد تكثر المدود عادة في مجال الأدعية لأنّ الدعاء « ضرب من النشيد الصاعد الى السماء ولا يكون وقعه حلوا في النفس المتضرع إلّا بأن يكون مصحوبا بشيء من التقطيع الصوتي والرنّة الخاصة والامتداد المناسب ليناسب ما في النفس الداعي من مشاعر انسانية ولعلّ كثرة الدعاء في القرآن سبب من أسباب تنغيمه وتطريبه.[2]»

وفي مجال الدعاء القرآني نستشعر بقوّة تلك المشاعر النفسية المنتابة على العباد التي أوحت بها تراكم المدود الصوتية حيث تضفي على النفس أحاسيس وجدانية عميقة تجعل المتلقي أكثر تفاعلا مع النص. خاصة في الآيات ١٩٠- ١٩٤ من سورة آل عمران: ﴿الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ‌النَّارِ * رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصار * رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنامُنادِياً ينادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ * رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ‌الْمِيعادَ﴾

« تنهال على الآذان مدود تطلق الأعنّة للخيال ليمثل نشيدا جماعيا يتصاعد إلى السماء ويتضرع الى الله في نغمة واحدة تعلو وتهبط معا وهي نغمة يستشف من طولها واسترخاء ايقاعها عمق التأثر الوجداني وحرارة التوجه الإيماني فأصوات المدّ هنا تمنح القارئ إطالة في النطق وعذوبة في الصوت تحاكي جو الدعاء وما يرافقه من الاستغراق والتدبر في خلق السموات والارض.[3]» وهذا يترافق مع الشعور بالاستصغار تجاه الخالق المتعال والتذلل والخشوع أمام جبروته ولايخفى على الباحث أن:« ترديد(ربنا) الذي هو كاللازمة الموسيقية تتكرر مع بداية كل ابتهال يزيد من تطويل الدعاء وتنغيم النبرات وفيه إشارة نفسية منشؤها الاسترسال مع الموقف وشفافية الروح وصدق الرغبة في الاتصال مع الله. وفي النص تكرار ملحوظ لصوت النون وهو يحدث عندما يوقف الهواء في الفم وقفا تاما ويخرج عن طريق الألف مصحوبا بالرنّة والغنّة وهذه الصفة الغنائية التطريبية

---

١. صالح ملاعزيز: *جمالية الإشارة النفسية في الخطاب القرآني* ، ص ٢٩٨.

٢. محمد فريدعبدالله: *الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم*، ص ٢٩٨.

٣. محمد فريدعبدالله: المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

للنون تناسب الدعاء الذي تصاحبه مشاعر التضرع الصادقة.[1] »

إنّ المدود تكررت في (ربنا إننا آمنّا آتنا) فضلا عن تراكم الألف خاصة في تكرير الضمائر الفاعلية في :(فَقِنا لَنا، سَيئاتِنا، تَوَفَّنا، آتِنا، وَعَدْتَنا، لا تُخْزِنا)

إنّ هذه الأصوات المدية وكذلك الألف تحاكي الاستغراق في الدعاء والرغبة في التعبير عن المشاعر الوجدانية والاستئناس بالمناجاة مع الرّب والخالق وكذلك الإطالة في الدعاء مع إيحاء الشعور بالضآلة والخشوع. فصوت الألف أيضا « لاتعترضه حوائل في مروره بل يندفع حرّا طليقا فهو أوسع حروف المدّ وألينها إنّه يتناسب وأجواء الانكسار وطلب الترحيب والقبول من قبل العباد إلى الله سبحانه وتعالى.إن صوته يمتدّ إلى العلى إذ كل المشاعر والأحاسيس تتجه نحو العلى وإلى الله جل وعلى في الحقيقة إن دلالته الصوتية « تحاكي صورة الأيدي المرفوعة بالضراعة والابتهال.[2] »

كما أشير سابقا أنّ المدّ الصوتي يوحي باستغراق الزمان والمكان نستوحي تلك الشمولية أيضا حيث تخترق الأزمنة والأمكنة وتصبح خالدة أزلية. حيث تحدث مؤائمة نفسية مع تلك النصوص لكل قارئ ومتلقي في كل عصر وزمان. وكذلك مناداة الله بهذا الإسم وترديده (ربنا) ينسجم مع روح الربوبية وسياق المالكية والتدبير والتربية إذ هو الخالق المدبر ومربي كل الموجودات على قدره وهاديهم نحو الكمال.

إن الوظيفة التعبيرية عند المرسل وما لها من سيميائيات تمثلت في اسمه خاصة الرب بمفهومه اللغوي والاصطلاحي ما يقودنا إلى مكون مهم آخر في تواصل المرسل مع الآخرين حيث وجوده وتأصله في ذات المرسل ما يضمن نجاح العملية التواصلية وهو الذكاء العاطفي لأن الربوبية لصيقة بالرحمانية أشداللصوق حيث بنيت مبادئ التواصل الربوبي على أساسها فقد وسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه.

تجنبا للخوض في غمار الذكاء العاطفي في المرسل الأول — الله- الذي يكون في أعلى مراتب الذكاء العاطفي خاض البحث هذا المكون الرئيس في التواصل الفعال الناجح عند المبلغين الأول للخطاب الإلهي أي الأنبياء حيث تعاملهم مع المعاندين من الكفار والمشركين المذكور في الخطاب القرآني رسم لنا خطة تواصلية ذكائية ناجحة مستمدة من القرآن الكريم تمكّن المتلقي من استثمارها في حياته. فهي بشكل غير صريح تنبئ عن تركيز الخطاب القرآني على استخدام خطط منهجية ذات أسس علمية موضوعية وعلى درجة عالية من الإحكام وفن التعامل الراقي الملم بكافة جوانب الأبعاد الانسانية عند أفضل البشر

---

١. المصدر نفسه: ص ٢٩٩.

٢. محمد فريدعبدالله:المصدرنفسه، ص ٣٠٠.

قاطبة.

قد تحدثنا عن الوظيفة الإبلاغيه عند المرسل فحان الآن لكي نتطرق إلى الوظيفة الإفهامية التأثيرية لجاكبسون لدى المتلقي بوصفه أحد طرفي التواصل والطرف الثاني في تفعيل عملية التواصل.

٣-٥-١-٢-١-٢- الوظيفة الإنتباهية:

«وأما الوظيفة الإنتباهية(Fonction phatique) فيطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح الوظيفة التأثيرية عندما تتجه الرسالة إلى المرسل إليه بهدف التأثير وذلك بتوظيف أدوات النداء والأوامر والنواهي. لذا ترجمها بعض الدارسين بالوظيفة الندائية لأنهّا أبرز ما تكون في وظيفة النداء.[١]»

كما في الآيات التي تنادي المخاطب خطابا مباشرا بيا يا أيها النبي أو يا أيها الرسول أو أيها الذين آمنوا الذي يعتبر خطاب تكريم وتشريف بهدف التأثير في المتلقي ومن ثمّ التمهيد لتطبيق الأوامر والنواهي عليه وكذلك الخطاب بيا نساء النبي: ﴿ يا نِساءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ ﴾ أحزاب/ ٣٢.أو الخطاب ب يأيها الناس أو يا أيها الإنسان أو تلك الخطابات التي تنادي المنادى باسمه: ياموسى يا يحيى يا زكريا فقد تبلغ الوظيفة الانتباهية ذروتها في خطاب أسماء الأنبياء -حيث تكون قوة الانتباه فيها عالية وبالتالي الوظيفة الانتباهيه في أرقى مستواها:

﴿ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ البقرة/٣٥. ﴿ قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ أعراف/ ١٤٤.أو:﴿ يا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى ﴾ مريم/ ٧.أو ﴿ يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ ﴾ مريم/ ١٢. أو ﴿ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ آل عمران/ ٤٣.

فقد تكثفت الوظيفة الانتباهية للغة باجتماع عنصري النداء ومنادى الإسم: آدم، موسى زكريا، يحيى ومريم في الآيات أعلاها.

فضلا عن توظيف أدوات النداء إنّ الاستفهام أيضا قام بدور انتباهي في الخطاب القرآني كما في هذه الآيات: ﴿ أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ وَ لَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَتْ وَ إِلَى الْجِبالِ كَيفَ نُصِبَتْ وَ لَى الْأَرْضِ كَيفَ سُطِحَتْ﴾ الغاشية/ ١٦-٢٠. حيث الاستفهام المفضي إلى التدبر والتفكر في صيغه المتكررة: الهمزة وكيف كثف الوظيفة الانتباهية للغة

---

١. العزوزي خرزولي: *التواصل اللغوي في الخطاب القرآني* اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،إشراف لخضير بلخير ، ٢٠١٣م، ص ٣٠.

وذلك بهدف التأثير في المخاطب.

وكذلك توظيف الأفعال الطلبية والنواهي وهذا هو أوضح ما يكون في الخطاب القرآني حيث يمكن رصدها في القرآن بكثافة بالغة فقد جاء البحث في هذا الشأن أن يربط بين أهم وظائف التواصل عندجاكبسون وسيمايية التواصل عندالسيميائيين ووظيفتها خاصة التأثير على المتلقي وقد تجتمع تلك الأدواة الانتباهية من نداء وأفعال طلبية أو النهي معا .كما في هذه الآية:

﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ بقرة /٢٠٨.

أُستفتح الخطاب بنداء المؤمنين ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وكما بيّنا سلفا رأى الآلوسي في هذا النوع من الخطاب: بأنّ الله تعالى وصف المخاطبين بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر. فضلا عن أنّه يعتبرخطاب تكريم وتشريف للمؤمنين موحيا بنوع من القرب والحميمية.

فقدتحققت الوظيفة التاثيرية المختصة بالمرسل إليه باستخدام (ياء النداء وهاء التنبيه) لأن النداء إذا سبق طلبا كان دالّا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه وكذلك تحققت عبر توظيف الأفعال الطلبية كالأمر والنهي(ادْخُلُوا، لا تَتَّبِعُوا) في هذا النمط الندائي الخاص.

فبعد أن أمر الله المؤمنين بالدخول في السلم كافة ينبههم بعدو آخر ويحذّرهم منه ألا وهو الشيطان الذي يستدرجهم بخطواته.

بتعبير آخر يتربص بكم عدوّان: عدو خارجي وقد انتهيتم منه بالسلم لكن هناك عدوا أقوى منه وهو الشيطان الذي رغم إخفاء عداوته يعتبر من المنظور القرآني عدوا مبينا:﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بقرة /٢٠٨.

فالقوة الإنجازية الموجودة في الأفعال الطلببه كالأمر والنهي(أدخلوا)و(لا تتبعوا) زادت في فاعلية الآية وتأثيرها على المتلقي باعثة فيه نوعا من الحميمية والشعور بالقرب:« رغم أن الافعال الطلبية كالأمر والنهي في الخطاب القرآني المباشر تستمد قوتها وفاعليتها من الله سبحانه وتعالى إلا أنّه يأتي في صورة تبعث المتلقي على الإمتثال والطاعة حيث تشعره بالقرب والحميمية محققة أثرها فيه. وهذا ما يسمى بالأدب الإيجابي للكلام (politeness positive)[1] وهذا ما استكشفناه في الآية أعلاها؛ فبعدما ينهى الله المؤمنين بعدم اتباع خطوات الشيطان يصف الشيطان بالعدو المبين مؤكدا ذلك بإنّ التوكيدية

---

١. د. محمد حسن صانعي بور: *اصول تحليل الخطاب القرآني*، طهران نشر جامعة إمام الصادق، ط ١، ١٣٩٠ ه ش، ص ١٧٨.

بعد توظيف الافعال الطلبية والنواهي: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ حيث تشعرنا هذه الآية الكريمة بقوة الحميمية والقرب بين المتكلم والمتلقي سواء في افتتاح الخطاب ب يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وسواء بتوظيف الأفعال الأمر والنهي وسواء في نهايته ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

لأنّ الله يعلم برغبات الإنسان التي تجعله يتتبع خطوات الشيطان فبالتالي يلزم المومنين بعدم اتباعها حبا وكرامة لهم بتوظيف الفعل الطلبي لا تتبعوا ذي القوة الانجازية الكبيرة فرغم سلطة المتكلم وهيمنته إلاأنّ المتلقي يستشعر قوة الإحساس بالقرب والحميمية والثقة بينه وبين الرب خاصة حينما يوظّف سبحانه وتعالى أدواة التوكيد إنّ ولام التوكيد في صياغة الجملة الإسمية: إنه لكم عدو مبين فبالتالي كانت إشاعة الثقة إثباتا لحبه وحرصه على هداهم وسعادتهم فضلا عن تكريمهم وتشريفهم بخطاب يا أيها الذين آمنوا الذي أثبت فاعليته وتأثيره في الامتثال والطاعة.

وكذلك في هذه الآية حيث يمكن رصدالوظيفة الانتباهية في أنماط الخطاب المباشر والغير مباشر حيث أن الوظيفة الانتباهية تقتصر على الخطاب المباشر فحسب. لكن الخطاب الغير مباشر أيضا لايخلو من مسحته التأثيرية:

﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ زمر/٥٣.

إن الخطاب في هذه الآيه الشريفة قد بين عناصرالدورة التخاطبية من مرسل ومتلقي لذلك كان البعدالتواصلي والتداولي فيه أكثر بروزا وظهورا وبالتالي إتاحة رصده وكيفية بلورته واتخاذه مثالا رفيعا للتأثير وإحداث التغيير في السلوك الإنساني وخلق نوع من التفائل والشعور بالطمأنه رغم اليأس والقنوط الملمّ بالمذنب.

إن المرسل في هذه الآية هو(الله)الذي قام بتوجيه الخطاب الغير مباشر إلى المخاطب عبر توظيف فعل(قل) لعدة أسباب لها دلالتها. فالخطاب الغير مباشر هو الخطاب الذي يتجنب فيه المتكلم التوجيه المباشر قاصدا تحقيق أغراض الخطاب عبر توظيف آليات خاصة مثل(قل).«إنّه الخطاب الكنايي الذي ورى فيه المتكلم عن نفسه أو التفت عنها بضمير غيره أو خاطب فيه المتلقي بغير خطابه الصريح ملتفتا إلى غيره تعريضا بالمعنى الذي يقصده به تأدبا أو تواضعا أو مدحا أو ذما أو خوفا أو جهلا.[1]» وفي مقابل ذلك الخطاب الغير المباشر يأتي الخطاب المباشر ،وهو الخطاب الموجّه من المتكلّم إلى المتلقي أي من(أنا إلى أنت) باعتبارهما الطرفان في الخطاب: «إن الخطاب المباشر أحد أشكال الأتصال في شكله البارز والمعمول. إنّه يقوم على أساس توجيه اهتمام المخاطب إلى المتكلم في الوسط الاجتماعي. وقد يصاغ في أسلوب خطابي وفي عبارات وكلمات

---

١. محمود عكاشة: *تحليل الخطاب في نظرية أحداث اللغة*، القاهرة، دار النشر للجامعات ٢٠١٣م، ص ١٨.

تصبح كأداة لمعرفة المتلقي.[1]»

إن هذا النوع من الخطاب المباشر يحظى باهتمام عظيم في القرآن الكريم وقد صيغت غالبية الخطابات القرآنية في هذا الأسلوب.« إنّه يتضمن الأوامر والنواهي الصريحة مطالبا المخاطب بالإمتثال، بالترغيب تارة وبالتوبيخ والتهديد تارة أخرى.[2] »

كما بينّا سلفا، إن الله في الآية المباركة أعلاها، تجنب الخطاب المباشر بايفاد فعل(قل) الموجّه إلى مبلّغه الأول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عبر قناة اللغة إلى المذنبين من العباد(المتلقين) فيعتبر هذا النوع من الخطاب الذي يستهدف فيه أناسا غير النبي صلى الله عليه وآله خطاب التشريف كما سماه الزركشي وبيّنه بقوله:« إنّ إتيان (قل) في بداية السور تمنح شرفا ومكانة للمخاطب. [3]» ويؤيده في ذلك السيوطي معتبرا: أن ورود فعل(قل) في بداية الآيات تمنح شر فا ومكانة للأمة الإسلامية باعتبارها المخاطب المقصود بامتياز.[4] »

في الحقيقة إنّه «يشكّل عتبة النص ونقطة انطلاق لبدء الخطاب فيفتتح الحديث به لكي يهيء الأرضية المناسبة لتبليغ الرسالة فضلا عن دلالته على كمال أمانة النبي صلى الله عليه وآله في تبليغ الوحي.[5]»

تم تعريف المخاطبين في هذه الآية من خلال وصفهم ب(يا عِبادِي) فقدكان هذا النوع من الخطاب تفاديا للشعور بالخجل واليأس من المغفرة عند هولاء القانطين بغية ترغيبهم إلى التوبة والإقلاع عن الذنوب.لأنّ القصد هو التربية والهدى وليس الانتقام.

إن الترغيب في التوبة أي إحداث التغيير في السلوك قد تحقق في هذه الآية الشريفة بفضل استخدام الأفعال الطلبية (قل ولاتقنطوا)بما فيهما من قوة إنجازية عالية تحقق الغرض الانجازي منهما.«إن المقصود من القوة الانجازية ،هي تحقيق قوة أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات بما فيها من آثار على المتلقي.[6]» فتوظيف هذا السمة والميزة ما يقودنا إلى الجانب التداولي للخطاب أي الأفعال الكلامية حيث سنتاوله لاحقا.

لكن رغم وضوح الرسالة وإكمال وإبلاغية المرسل لم يتحقق ولم تنجح الوظيفة التعبيرية والانفعالية ولم تفهم الرسالة

---

١. شهره شاهسوندي: *تغيير المخاطب في القرآن*، بزوهشكاه علوم وفرهنك اسلامي قم بوستان كتاب، جاب أول ،١٣٩٢ هش ، ص ١٥٨- ١٥٩.

٢. المصدرنفسه: ص ١٧٧.

٣. بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن* ، بيروت : دارالمعرفة د.ط، ١٤١٤ه، ج ٢،ص ٣٤٩.

٤. جلال الدين سيوطي: *الإتقان في علوم القرآن* ، ترجمة سيد مهدي حائري قزويني ، المجلد ٢، ط ٧، طهران ، أمير كبير، ص ١١٦.

٥. شهره شاهسوندي: *تغيير المخاطب في القرآن*، ص ٩٠.

٦. محمود عكاشة: *تحليل الخطاب*،القاهرة دارالنشر للجامعات ، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٨٩.

بشكل صحيح عندالمتلقي فثمة إشارات ودلائل وأسباب عندمتلقي الرسالة ما تنبأ عن عدم استقبال الرسالة لديه وعدم فهمه لها فحان الأمر لكي يبحث في مؤشرات وأسباب عدم تلقي الرسالة وموقف مبلغ الرسالة(الأنبياء) وكيفية اجتباز تلك العوائق وإزالتها.

بناء على النموذج التفاعلي الذي تبناه البحث وتركيزه على مدى تأثيرالخطاب في مستقبله(الاستجابة) قد ربط البحث بين التواصل الغير اللغوي والتغذية الراجعة(أحد مكونات النموذج التفاعلي) باعتبار التغذية الراجعة هي الاستجابات اللفظية وغير اللفظية ما بين المتواصلين، والتي تكون عادة حول وضوح أو قبول الرسائل المتبادلة، على سبيل المثال إذا كنت في مجموعة، وقمت بإخبار نكتة ما فسيقوم أفراد المجموعة بإخبارك عن طريق إشارات صوتية (ضحكة مثلاً)أو إشارات لفظية أو مرئية فيما إذا فهموا النكتة أم لا، وكيف شعروا تجاهها، وإذا كنت منتبها فسوف تعرف من أحبها، ومن لم يحبها، ومن لم يفهمها ومن تضايق منها.

إن هذا المكون الأساس في التواصل هو الذي يقودنا إلى الإشارات الغير لغوية التي يتلقاه المتكلم من متلقيه استجابة أو ردا:

٣-٥-١-٢-٢-١- التواصل الغير لغوي والتغذية الراجعة

نظرا لما جاء في تعريف لخطاب بأنّه كلام والكلام يدخل في تعريفه الإشاره باعتبار هذا الأخير -الكلام الالهي- هو ضرب من الوحي والوحي كما بيناه هو الرمز والإشارة فلابدّ التطرق إلى الإشاره ولغتها ضمن منظومة التواصل حيث ينقسم التواصل إلى تواصل لغوي وغير لغوي وكلاهما داخلين في مفهوم التواصل حيث يتمثّل التواصل الغير لغوي في إشارات الجسد ولغته الصامتة الصارخة وبما أن السلوك اللغوي والتواصل هو عبارة عن التاثير المتبادل بين المتخاطبين عندما يكون أحدهما مثيرا أو منبها للآخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهذا التأثير المتبادل يتطلب بطبيعة الحال حضورا جسميا يقوم بوظيفتي الإرسال والاستقبال للألفاظ والإشارات بين المتخاطبين

يرى كثير من الدارسين «أن اللغة المنطوقة امتداد للنشاط الجسمي الذي يتمثل في تعبيرات الوجه والإشارات.[١]»

إضافة إلى أنّ التواصل الغير لغوي، يعتبر مرتبطا أشدالارتباط بمكون من مكونات التواصل التفاعلي ما يسمّى بالتغذية الراجعة حيث يعالج فيه الاستجابة اللفظية والغيراللفظية لمتلقي الرسالة.

فتتبع البحث تلك الاستجابات اللغوية في الآيات القرآنية خاصة في دعوة الأنبياء التوحيدية وفي تلبيتها من قبل المؤمنين

---

١. كريم زكي حسام الدين: *الإشارات الجسمية*، دارغريب، القاهرة،٢٠١١م، ص ١١١.

وقدتكون لغوية إيجابية:

﴿ رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً ينادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ﴾ آل عمران/ ١٩٣.

حيث المتلقي(المؤمن) لبّى نداء منادي الإيمان ب(فآمنا) قولا وأعلنه إذن كانت التغذية الراجعة في الخطاب إيجابية فقد تم إبلاغ الدعوة بنجاح من قبل المرسل (المنادي للإيمان) وتم استلام الرسالة(النداء للإيمان) بنجاح أيضا فالتلقي والرد كانا إيجابيان.

وكذلك يمكن رصدها سلبا كما في الآيات التي تعلن إنكار الدعوة من قبل المشركين حيث التغذية الراجعة لغوية سالبة:

﴿ وَ إِذا تُتْلى عَلَيهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُلَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الانفال/ ٣١.

فقد أعلن الكفار، رفضهم للدعوة ب الكلام وبالتواصل اللغوي لكن ثمة نوع آخر من الرد قد يكون غير لغوي رغم أن التواصل هو التواصل اللغوي لكن التغذية الراجعة غير لغوية وهذا يحتم علينا التطرق إلى التواصل الغير لغوي والتعريف به لقد ارتأى البحث أن يعالج ذلك في سورتي المدثر ونوح نظرا لما رآه من التغذية الراجعة الغير تواصلية رغم كون التواصل اللغوي.

﴿ ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ * فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر/ ١٨-٢٥. ﴿ وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾ نوح/ ٧.

نستقرىء من آيات سورة المدثر ونوح أعلاها، أنّ ثّمة إشارات غير كلامية وأفعال جسدية تصاحب القول من مثل:(عبس، بسر، أدبر جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) فتكون تعبيرا عن حالات نفسية وعناد وعنجهية طفحت على السطح وتمثّلت في إيماءات الجسد والسلوك عندالمتلقي الكافر.إذن ماذا تسمى هذه العلامات وكيف تعزز المعنى المقصود وهل هي نوع من التواصل؟

٣-٥-١-٢-٢-٢- إيحاءات لغة الجسد والتواصل الغير لفظي

بما أن علم العلامات أو السيميائيات يدرس العلامات اللغوية والغير لغوية في الحياة الاجتماعية فلا غرو أن يكون له فضل السبق والريادة في دراسة هذ النوع من الأنساق خاصة الغير لغوية منها بوصفها علامة ودلالة للتواصلمعتقدا أن لإشارات الجسد دلالات مختلفة كلها بغرض الإتصال.هذا ما أكّده دوسوسور في دراستة للعلامات حيث راعى دلالتها الاجتماعية والنفسية سواء أكانت لسانية أم حركيةمعتبرا علم اللغة جزءا من علم العلامات الذي يدرس اللفظ والحركة معا.

إن المقصود بالحركية في مقولة دوسوسور هي الإشارات الجسدية والتواصل الغير لفظي.«فالعلامة بوصفها مصطلحا؛

تكون أوسع وأشمل من الكلمة فهي تحتويها وتتجاوزها فالكلمة في ذاتها نوع لفظي من العلامات تنطلق دلالتها من قيمة اللفظ في ثقافة ما وتنقسم من منظور السيميولوجيا إلى قسمين كبيرين: «علامات لفظية نطقية وعلامات غير لفظية لاتؤدّى بالأصوات، منها علامات الجسد.[1]»

بتعبيرآخر، إنّ السيميائية أوالعلاماتية هي رؤية للعالم ترتبط بالإدراك الإنساني للأشياء والوجود بعامة والإنسان بخاصة. وهذا الإدراك لم ينحصر في كلام الانسان فحسب بل يشمل سلوكه وإيماءات جسده أيضا.

إن السيمياء حسب رؤية أصحابها؛خاصة بويسنس ((Busyness)) رائد سيميولوجيا التواصل تعني دراسة أساليب التواصل والأدوات المستخدمة للتأثير في المتلقي وهذه الوظيفة لا تؤديها الأنساق اللسانية فقط بل هناك أنظمة سننية غير لسانية ذات وظيفة سيميائية تواصلية«متمثلة في الأمارات والمعينات ((indication[2].»وفي هذا السياق يجدر بنا أن نشير بأسبقيتها على التواصل الكلامي.هذا ما يؤكده ماريو باي(Mario pei)بقوله:« إن الإيماءات ربما كانت أسبق وجودا من الكلام.[3]». وفي هذه الحالة ربما يكون لسان الحال أبلغ وأسبق من لسان المقال كما كان يعتقد القدامى. وفي السياق نفسه تشير الإحصائيات إلى فاعليةالتواصل الغير لغوي والحركي في التبليغ وكذلك التأثير على المتلقي والمخاطب كما تفيدنا هذه الاحصائية بأنّ:« التواصل الغير لغوي يمثل ٦٠٪ من حجم عملية التواصل ويمثل التواصل اللغوي ٤٠٪ فقط.[4]» « وبما أنّ ٦٠ إلى ٩٠ بالمائة من حجم الرسالة ترسل وتستلم عبر التواصل الغير لفظي لذلك يحظى بأهمية بالغة أكثر من التواصل اللفظي.[5]» فمن هنا يتضح مدى أهمية هذا النوع من النسق الغير لغوي في توصيل الرسالة والتأثير كما يعتقده كبار اللغويون من الغربيين.

« إن لهذه السلوكيات الجسدية والأنظمة الخارجة عن نطاق اللغة، دور كبير في إيصال الرسالة يقرّ بها هاليداى(Halliday)وسالزمان (salzman) وغيرهم من كبار اللغويين.

إن سالزمان (salzman) يطلق على هذا السلوك الحركي، الإتصال الغير اللفظي (non verba communicationl) وهو نظام يتّم نقل المعلومات فيه بوسائل غيرالألفاظ المنطوقة أوالمكتوبة وقد أطلق عليه عدة تسميات منها: الاتصال الجسدي واللغة الجسدية والكلام الجسدي والسلوك الحركي. إن هذا النظام الإشاري الحركي أشد

---

١. بير جيرو: *علم الإشارة والسيميولوجيا*. ت:منذر عياشي ، دمشق ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٨.

٢. فيصل الأحمر: *معجم السيميائيات*، الدارالعربية للعلوم والناشرون منشورات الاختلاف ط ١٢٠١٠م.ص٨٨

٣. باي ماريو: *أسس علم اللغة* ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة ، عالم الكتب ، ط٢،١٩٨٣م، ص ٣٩.

٤. كريم زكي حسام الدين: *الإشارات الجسمية*، دارغريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٠.

٥. حسن زارعي متين، *ادارة السلوك* ، تهران ، جاب يكم انتشارات اكاه ، ص١٢١.

التصاقا وتكاملا من الناحيتين البنائية والوظيفية بالاتصال اللفظي ذاته.[1] »

يقول سوونسكي( ) في هذا الشأن: فقد تكون لهذه العلامات الإيمائية والجسمية وظيفة دلالية تكميلة من حيث أنّها تظهر شكل العلامة أثناء الاتصال وتقويه كما أنّها تشير إلى الموقف الشخصي والسلوك الإنفعالي الذي يسلكه الشخص تجاه الآخرين أو ضد الآخرين .[2] »

إن الحديث عن هذه النظريات ليس معناه أننا قدأغفلنا في هذا المضمار جهود لغويينا القدامى من أمثال الجاحظ (ت ٢٥٥ ه)وتأكيده على التواصل الغير لفظي باعتباره السند والعون للتواصل اللفظي؛ فهما عنصران مكمّلان.

إنّه يقول في ذلك:«الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط. كذلك في تصانيفه للإشارة وطرائق الإشارة:« الدلالة باللفظ فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافعا السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا.[3]» إنّه في تصانيفه الدقيقة للإشارة كان سبّاقا ورائدا حقيقيا ينبئ عن دقته وعمق تفكيره.

وكذلك ابن جني (ت٣٩٢ه) الذي استعمل مصطلح حكاية الحال للتعبير عن الإشارة الجسمية وكذلك ابن رشيق (ت ٤٥٦ه) الذي خصص بابا في كتابه العمدة يحمل عنوان الاشارة وكان يرى إن حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان [4].» فبهذا يتضح ريادة اللغويين العرب في مجال التواصل الغير لغوي وأسبقيتهم في الإدلاء بتلك النظريات التي تعد حكرا على اللغويين الغربيين وتنسب اليهم زورا.

إن التواصل الغير الغوي بوصفه « يخصّ كل تواصل إلا الكلمات.[5] » يتّسم بالشمولية والسعة في التعريف حيث يشمل كل سلوك جسدي من تعبيرات الوجه والعيون ونبرة الصوت وحركات الأيدي والجسم .. وبالتالي يمتلك مساحة أوسع من التواصل اللفظي والكلامي. فيصبح مجالا خصبا ورائعا لدراسة الإشارات والإيماءات الجسدية وما تنتج من دلالات نفسية وسلوكية و... بالنسبة للإنسان.

---

١. محمد العبد، *العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال*، مكتبة الآداب،القاهرة ، ط ٤، ١٤٣١م،ص ١٠٤.

٢. المصدر نفسه: ص ١٠٩.

٣. فيصل الأحمر :*معجم السيميائيات* ،ص ٣٣- ٣٢.

٤. كريم زكي حسام الدين :*الاشارات الجسمية*، ص ٣٧.

٥. زهرا محققيان، *نشانه شناسي ارتباطات غير كلامي در ايات قرآن كريم* ،(سيميائية التواصل الغير اللغوي في القرآن الكريم) فصلية علمية محكمة للبحوث العلوم القرآنية والحديث جامعة الزهراء، السنة الثانية عشر، العدد ٤، شتاء ١٣٩٤ه ش تسلسل ٢٨. ص ١٣٠.

في الحقيقة، إنّ التواصل الغير لفظي هو:« تعبير أو فعل أو وضع جسمي اصطلحت عليه الجماعة اللغوية يكون مصاحبا للكلام دالا على معنى يقصده المتكلم ويدركه المستمع. [1]»

وكما أسلفنا إن عملية التواصل الإنساني تعتمد على جانبين سلوكيين الجانب اللفظي الذي يتمثّل في الكلمات المسموعة وما يصاحبها من التعبير الصوتي والثاني هو الجانب الحركي المتمثل في الإشارات والحركات والإيماءات المرئية وما يصاحبها من هيئة الجسد.كما في هذه الآيات حيث الحركة الجسدية تكون علامة وإشارة:

﴿ فَأَشارَتْ إِلَيهِ قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيا ﴾ مريم / ٢٩.

أو فعل دلاليا تعبيرا عن رفض أو غضب كما فعل إبراهيم وحطم الأصنام:

﴿ وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيهِ يرْجِعُونَ﴾ الأنبياء/ ٥٨.

أو حالة وهيئة

﴿ وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾ الفرقان/٦٣. وكذلك في هذه الآية: ﴿وَ تَراهُمْ يعْرَضُونَ عَلَيها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ينْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِي وَ قالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ﴾ الشورى / ٤٥.

أو في هذه الآية: ﴿فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يدْعُوكَ لِيجْزِيكَ أَجْرَ ما سَقَيتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيهِ الْقَصَصَ قالَ لاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِي الْأَمِينُ﴾ القصص/٢٤-٢٦.

إن هذه السلوكيات تعتبر نظاما دلاليا موازيا للتواصل اللغوي ومكملا له في نفس الوقت.فإذا كانت اللغة الطبيعية في صورتها المنطوقة هي النظام الرئيس والأساس في الاتصال فثمة نظام غير لفظي للاتصال يعتمد على إيماءات الجسد والسلوك الحركي إنه لا يؤدي وظيفة نقل المعلومات فحسب بل ينقل لنا المشاعر والأحاسيس أيضا ففي هذه الحالة يصبح جسم الإنسان

---

١. كريم زكي حسام الدين: *الإشارات الجسمية*،ص ١٠٦.

نظاما رمزيا أو إشاريا للتواصل، مجسدا «شخصية الإنسان لأنه منبع الأفكار والانفعالات والمشاعر.[1]»

وعلى حد تعبير فندريس(vendryes): «إن هذه الإشارات الغير لفظية هي أنظمة دلالية عضوية تتخذ من جسم الإنسان علامات لأن الإنسان يستخدم أعضاء جسمه بل جسمه كله في التواصل مع الآخرين.انها، تخدم اللغة وتساعد المشاركين على إبداء رغباتهم والتعرف على مشاعر الآخرين أيضا.[2] » وعلى حدتعبيرسابير (sapir):«إننا نستجيب للحركات الجسمية في خفة ويقظة بالغة وفقا لشفرة محكمة الصنعة وسرية مكتوبة ... إننا نتكلم بأعضائنا الصوتية ولكننا نتخاطب بأجسامنا فالخطاب يتكوّن من أكثر بكثير من المبادلة اليسيطة لألفاظ منطوقة.[3]» يعضّد هذا الرأي عمرأحمد مختار بقوله هذا:« أحيانا يحاول الإنسان أن يعبر عما في ذهنه من أفكار فتعوزه الكلمات ومن ثم يستعين بالإشارات التي تكون باليد وبالرأس أو بالعين وعلى هذا تنقل الإشارة التواصل من ميدان التخاطب الصامت إلى الإيماء ويحدث الإيماء حوارا دقيقا قلّما يحصل فيه سوء تفاهم بين المتحاورين.[4]»

يظهرمن كلامه أن الإشارات والإيماءات أكثر صدقا و وثوقا في عملية التواصل.يعتقد في ذلك «خبراء علم الإتصال بأنّ التواصل الغير كلامي (السلوك الحركي) مقارنة بالتواصل الكلامي يدلّ على الأحاسيس والإنفعال الصادق عند الإنسان وعلى حد تعبير مارسل ماسو (Massu) إن اللسان غير موثوق به.[5]»

يكون السلوك الغير كلامي بهذا التعريف مرآة للنفس وما يعتلج في دواخلها إذ الأفكار تشق طريقها من النفس إلى الجسد متمثلة في لغة أخرى تدعى لغة الجسدكما أشار الإمام علي عليه السلام بأنّ :«ما أضمر أحدا شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.[6]» فيبدو أن صفحات الوجه تنمّ عن حقيقة يخفيها الفرد كما قال الشاعر الإيراني:صفحات الوجه تخبر عن سرّ كامن.

٣-٥-١-٢-٣- تقسيمات التواصل الغير اللغوي:

تصنف الأنظمة ا لغير لفظية التي يتوسل بها الإنسان للتواصل إلى قسمين وقد حددها السيميولوجي الايطالي لندي روسي(

١.المصدرنفسه: ص ١٠٩.

٢. كريم زكي حسام الدين: المصدر نفسه: ص ٣٣.

٣.المصدر نفسه: ص ١١٦.

٤. عمر أحمد مختار: *أنا واللغة والمجتمع* ، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٢٩.

٥. مهدي محسنيان راد: *التواصل الانساني*، تهران، انتشارات سروش ، ١٣٦٩ ه ش ،ص ٢٥٦.

٦. نهج البلاغة، ترجمه علي شيرواني ، نشر المعارف، ط١، ١٣٩٠ ه ش ص ٢٦.

rosi landi)بهذا الشكل القسم الأول:

« ١- الإشـارات الجسـمية (gesturs) والحركـات (motions) والاوضـاع الجسـمية(posturs) والتجـاور (proximity) أي استعمال المتخاطبين للمسافة التي يسمح العرف بها لتجاور جسميهما.

٢- التواصل اللمسي (tactile)و الشمي(olfactory) والذوقي (gustative)التواصل البصري visual) ويتمثل في الفنون البصرية والتواصل السمعي (auditory).

والقسم الثاني يشمل الأنظمة الدلالية الأداتية التي تعتمد على أشياء خارجه عن جسم الإنسان وتتمثل في: الأشياء والمؤسسات[١] «فنحن في دراستنا لبعض الآيات نتطرق إلى القسم الثاني أولا لقلّته بالنسبة إلى التصنيف الثاني ونركز على القسم الأول خاصة التواصل المتمثل في البصر و في إشارات الجسد.

٣-٥-١-٣-١-دلالة الأشياء

أفاد البحث إن التواصل الغير لغوي إما أن يصدر عن عضو واحد أو يشترك فيه عضوان أويحصل باشتراك شيء آخر كالعصا مثلا.لكن تأدية الغرض التواصلي، من خلال الاستعانة بالأشياء؛ قديكون قليلا جدا بالنسبة إلى الأعضاء الجسدية الأخرى حيث يشكل التواصل الجسدي سواء بعضو واحد أومشترك مع سائر الأعضاء الأكثر استخداما وحضورا في القرآن منها إشارات الوجه والعين واليد والأصابع.ومن تلك الأشياء في القرآن العصا حيث لها دلالات تواصلية:

٣-٥-١-٣-١-١ دلالة العصا التواصلية:

﴿ وَ ما تِلْكَ بِيمِينِكَ يا مُوسى»« قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي ﴾طه/ ١٨ حيث اصبحت العصا في الآية أعلاها وسيلة التواصل مع البهائم وأهش «بمعنى ضربه بالعصا. [٢]»وفي موضع آخر تصبح العصا(المنسأة) علامة على موت سليمان بعد أن أكلتها دابة الأرض حيث كانت إشارة تواصلية ما بينه عليه السلام والجن ودليلا على حياة سليمان ومن ثم اطاعة الجن وعملهم له من قبل:

﴿ فَلَمَّا قَضَينا عَلَيهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يعْلَمُونَ الْغَيبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ/ ١٤.فالتغذية الراجعة كانت للعصا استمرار العذاب المهين عند الجنة.

---

١. كريم زكي حسام الدين: *الإشارات الجسمية*، ص ٣٢.

٢. قاموس الأعلم :مادة (هش) .

وفي موضع آخر تصبح دليلا تواصليا مع الرب ونبيه موسى إثباتا وتأييدا للرسالة:

﴿ قالَ أَلْقِها يا مُوسى﴾ ﴿ فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى﴾﴿قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى ﴾ طه / ٢١.

وكذلك وسيلة تواصل وعبور بين الجانبين من البحر في قصة موسى عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْأَوْحَينا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَ لاتَخْشى﴾ طه/ ٧٧.

٣-٥-١-٣-٢- التواصل الغير كلامي العضوي

٣-٥-١-٣-٢-١- التواصل البصري visual

سورة نوح الآيات ١٨- ٢٥.

﴿ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ * فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌيؤْثَرُ * إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ المدثر/ ١٨- ٢٥. ﴿وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً ﴾ نوح/ ٧.

إن القرآن الكريم أخبرنا عن الإيماءات الدالة على التدرج في تعرقل عملية التواصل في سورة نوح بين المرسل (نوح) ومخاطبيه(الكفار)مرورا بالنظر(تعبيرات العيون والوجه) ووصولا إلى إيماءات الجسد والإدبار(الظهر).

في الحقيقة، كانت تلك الإشارات الواردة في الآيات، هي رسالات دالة على عدم الرغبة وبالأحرى كانت رسالة فشل في التواصل نابت مقام الكلام والعبارات لدعوة نوح عليه السلام.

أي التغدية الراجعة في هذه الآية الشريفة تمثّلت في ردود الأفعال(الإشارات الجسدية الدالة على الرفض وعدم القبول من العبوس والبسر والإدبار والاستكبار وجعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب لدعوة نوح عليه السلام.

تحليلا للآية أعلاها، نبدأ بالنظر﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴾الذي يحصل بواسطة العيون فيحتل بذلك المحطة الأولى والمركز الرئيس في أي تواصل.لأنّ العيون حسب ما يعتقده خبراء علم التواصل هى مرآة الروح وخير رسول لما يختلج في النفوس؛ متولّية « مهمة

البدء والانطلاق في التواصل وتكوين العلاقات[1].».

وإنّها خيرممثل لتعبيرات الوجه من فرح وغضب وحزن أو حب: إنّ العيون تنقل تعبيرات الوجه وفي ما يرمي إليه أحد المشاركين إلى توصيله إلى غيره في واقعة اتصالية بعينها رضى كان أم غضب أم حب أو نفور.[2]»

إن القرآن الكريم لم يغفل جانب العين في العملية التواصلية فأولى لها عناية خاصة وأقرّ بأهميتها في تكوين أي علاقة واتصال،خاصة العلاقة المحرمة بين الجنسين وقد نهى عن إطلاق النظر تجنبّا للآثام التي يترتّب عليه والعاقبة المشؤمة فقد أفرد له حكما وهو حرمة النظر إلى غير المحرم فيطلب من الجنسين غض البصر ومن ثم عدم التواصل أي قطع التواصل بقطع النظر ففي هذه الآية يطلب الله من العين أن لاتقوم بوظيفة التواصل بين الجنسين:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يصْنَعُونَ * وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ ﴾ النور/ ٣٠-٣١.

يبدو أن النظر هو أول الزلل والوقوع في فاحشة الزنى فهو أول الغواية فحفظ النظر والغض منه =حفظ الفروج. بتعبير آخر أضحى التواصل البصرى عاملا سلبيا في العملية التواصلية خلافا للآيات التي تطلب من الإنسان النظر في الكون والعبرة من الأحداث والاعتبار بتاريخ الأمم السالفة وبالتالي الترغيب في التواصل مثلما استجليناه من هذه الآيات قوله تعالى:

﴿أَ فَلا ينْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ وَ إِلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَتْ * وَ إِلَى الْجِبالِ كَيفَ نُصِبَتْ وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيفَ سُطِحَتْ ﴾ الغاشية / ١٧- ٢٠ وكذلك الدعوة إلى التأني والنظر في الطعام: فلينظر الإنسان إلى طعامه وكذلك الدعوة إلى الاعتبار من الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل /٦٩. حيث يكون النظر في تلك الآيات عاملا إيجابيا في تكوين العملية التواصلية.

فستجلي مما أوردناه من الآيات أنّ للنظر والبصر مهمتين هما مهمة الانطلاق والبدء في التواصل أو القطع أو الاعتبار.

استطرادا للبحث في موانع التواصل التي تمظهرت في إشارات الجسد ورغم الإسم الذي يحمله أي التواصل الغير لغوي نلاحظ إنمّا ما قام به النظر من مهام في سورتي المدثر ونوح، كان دورا فاشلا ومحبطا فقد كان النظر هو الحاسم والفيصل في قطع التواصل في الحقيقة قامت الأعضاء بالتواصل لكن التغذية الراجعة جاءت محبطة:

---

١. زهرا محققيان، *نشانه شناسي ارتباطات غير كلامي در ايات قرآن كريم*(سيميائية التواصل الغير اللغوي في القرآن الكريم، ص ١٣٢.
٢. محمد العبد: *العبارة والاشارة*، ص ١٥٧،

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ﴾﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ﴾ سورة المدثر/ ١٨-٢٥.

انطلق المخاطَب في الآية المذكورة وقبل أي تواصل كلامي بتعبيرات العيون والوجه أي ابتدا بالنظ رثم نظر ثم عبس والنظر كما نعلم لا يكون إلابالعين. لكن أي نظر كان هذا النظر ؟ وكيف نظر هذا الكافر في تلقيه الوحي والآيات من الرسول؟ بالتأكيد كان نظرا غير صائب فلو كان نظرا صحيحا لأدّى مهمته بصورة سليمة خاصة في العملية التواصلية فقد فشل النظر وتبعه الوجه بإيماءاته حيث العبوس والبسر من تعبيرات الوجه: ثم عبس وبسر.

٣-٥-١-٣-٢-١-١- الوجه

إنّ الوجه أول ما يستقبله الإنسان و أشرف ما في ظاهر البدن ولأن دواخل الإنسان وأحواله الباطنية أول ما تلحظ على وجهه. تمثّل حركة الوجه أسلوبا إشاريا يعبر به عن مكنونات النفس وتطلعاتها ورغباتها المتنوعة لأن الوجه من الناحية السيميائية يعدّ المرآة التي تعكس الإشارات النفسية. والمقصود بالإشارات النفسية: «كل النشاطات السلوكية التي تقف وراء تجسيدها مثيرات داخلية سواء أكان النشاط لفظيا يصدر عن الإنسان بدوافع مختلفة كالدعاء والمناجاة والصراخ والبكاء أم كان نشاطا جسميا يحمل الإنسان على التكيف مع الظرف الواقع فيه مثل الفرار وإسراع الخطا والترقب إشراق الوجوه وانقباضها وملامح العيون. وهي إشارات لاتنوب عن الأشياء الفعلية وحدها بل هي في الوقت ذاته وسيلة لتجسيدالمشاعر والأفكار والتطلعات الإنسانية العميقة[١].»

تأييدا لما أسلفه البحث يمكن اختزال وظائف الوجه التواصلية في الحالات والحركات والألون وقد تتبعناها في الآيات القرآنية أدناها:

٣-٥-١-٣-٢-١-٢- دلالة التواصل في الوجه في حالاته

قد ينسب الى الوجوه السوء أو أثر السجود أو التعفف وكل هذه الحالات تؤدي المعنى والدلالة التواصلية:

٣-٥-١-٣-٢-١-٢-١- السوء

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾.الملك/ ٢٧.نلاحظ أن الوجه اقترن بمفهوم

١. صالح ملا عزيز: *جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القرآني*، ص ٣٩.

السوء والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية.[1] » هو اسم جامع لكل مكروه من آفة أو فساد أو داء.[2] » حيث يندرج تحته عدة معاني منها: الشدة: كما في هذه الآية: ﴿ وَ إِذْ أَنْجَيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ ﴾ والعذاب نفسه، و كذلك الشتم في الآية التالية: ﴿ لا يحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ نساء/ ١٤٨.

ففي هذه الآيات يدل السوء على كل ضرر وغم يصيب الإنسان في أحواله الأخروية حيث نسب السوء إلى الوجوه في سياق الحديث عن حياة الآخرة ومصير الكفار وإنّ هذه الإشارة الجسدية (سيئت وجوه) سبقت التفوه بالكلام في الآية: ﴿ قِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ الملك/ ٢٧.

فحصول السوء على الوجه هو الدليل على معرفتهم حيث الوجوه أصبحت محملا ومركبا للسوء فتكون التغذية الراجعة بعد رؤية العذاب والاقتراب منه هي السوء علي الوجوه ومن ثمّ حدوث عملية التواصل والقول والحديث معهم أي بعد ذلك قيل لهم:﴿ قِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ الملك / ٢٧.

٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٢- أثر السجود

وفي مقابل السوء الذي له دلالات على الوجه نلاحظ أن للإيمان أيضا دلالات تظهر عليه فتكون لها دلالة تواصلية كما في هذه الآية الشريفة وفي وصفها لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله حيث السيماء(الوجه)تصبح دلالة الإيمان والإنقياد ومظهرا صادقا للأعمال العبادية عند المؤمنين وأثرا للسجود وعاملا في التواصل وكذلك المعرفة بهم حيث التغذية الراجعة تمثلت في استجابتهم لدعوة النبي صلى الله عليه واله وسلم وفي تعاملهم الشديد مع الكفار والتعامل الرحيم بينهم:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَينَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِالسُّجُودِ ﴾ فتح/٢٩.

فقدجعل الله وجه النبي صلى الله عليه وآله والذين معه من مصاديق الرحمة وقد وصف للرائي والمخاطب الضمني انت في (تراهم)حالاتهم التعبدية من مثل الحركات الجسدية المتمثّلة في الركوع والسجود(تراهم ركعا سجدا)حيث أثّر السجود وما يترتب عنه من آثار على نفوسهم وقد بدا على وجوههم في شكل الأثر البارز والظاهري (أثر السجود) على الجبين فقد

---

١. الراغب الإصفهاني: *مفردات ألفاظ القرآن* تحقيق صفوان عدنان داوودي دار القلم دمشق ط٢ ١٩٩٧م ص٢٥٢.

٢. ابن منظور: *لسان العرب*، مادة(سوء)

كانوا رحماء بينهم إن هذه الصفة تأتي في تقابل حاد مع الكفار: أشداء على الكفارحيث يعرف المجرمون بسيماهم يوم القيامة ويكون الوجه هو الدالّ على سريرتهم فحينئذ لايكون التواصل معهم كلاميا بل يكون التواصل جسديا:

﴿ يعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ﴾ الرحمن/ ٤١.

أي يعاملون بأخذ النواصي والأقدام حيث الإشارة الجسدية ألغت التواصل الكلامي معهم ونابت منابه في تحقيق الغاية وهي العقوبة.ولا شك في أن لغة الهجوم التي يعبر عنها جسديا هي لغة جارحة لأنّها تحمل معنى الاحتقار وأوقع في النفس من حيث التأثير فضلا عن مجيء الفعل مجهولا(يعرَف) ويؤخذ وقد حذف الفاعل تنزيها له حتى لايقرن إسمه باسمهم وفي ذلك ترفعا للفاعل وإهانة وتحقير للمفعول المذكور.

تبين أنّ في عالم الآخرة لاحاجة للسان في التعريف عن الشقاء والسعادة حيث الإشارات الجسدية تصبح بطاقة تعريف لهما تغني عن الكلام.وكذلك في هذه الآية المباركة: ﴿وُجُوهٌ يوْمَئِذٍمُسْفِرَةٌ ﴾ ﴿ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ عبس/ ٥٥. حيث الإسفار: إشراق اللون سرورا [1].» بدت على الوجوه فبذلك أصبح الوجه محملا لها ومظهرا له ثم تبعه الضحك والاستبشار.

إن الإسفرار والضحك والاستبشار كلها انفعالات نفسية تمظهرت في الوجه وغدت وسائل للتواصل وبواعثا ناجحة في تفعيل عملية التواصل لأنّ الابتسامة أسرع الطرق إلى اجتلاب القلوب حيث الضحك عملية تواصلية تخص

انفعاله وارتباكه والصراع النفسي المرير عنده بهمزة الاستفهام وحرف أم في قوله تعالى:﴿ أيمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يدُسُّهُ فِى التُّرابِ ﴾ نحل/٥٧.

فلقد كان في حيرة من أمره وبذلك كانت التغذية الراجعة لسماع الخبر الذي وصفه القرآن الكريم بالبشارة: ﴿ وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ﴾ هي التواري من القوم والحيرة في الأمر إما العيش في ذلة وهون وإما الدس في التراب.

أما الوجه لا يمثّل دائما الصفات المعنوية فحسب بل يكون أيضا دالا على مظاهر مادية كالفقر كما في هذه الآية الشريفة حيث أصبح الوجه مظهرا ومحملا له:

﴿ لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ ﴾ البقرة/ ٢٧٢

---

١. كريم زكي حسام الدين : *الإشارات الجسمية* ، ص ٢٣٣.

إذن حصلت المعرفة بالفقراء عبر قناة السيماء والوجوه رغم التعفف فبالتالي يتيح للرائي معرفتهم وربما مساعدتهم.حيث التغذية الراجعة كانت استجابة لأثر الفقر على الوجوه من إصفرار وشحوب وضعف.

٣-٥-١-٣-٢-١-٢-٣- العبوس والبسر

﴿ ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ * فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يؤْثَرُ﴾ ﴿ إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر/ ١٨-٢٥. ﴿ وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾ المدثر/ ١٨-٢٥.

فما لاحظناه في الآية المذكورة،أن تعبيرات الوجه من العبوس:«تقطيب ما بين العينين والتجهم.[١]» والبسر:« النظر بكراهة شديدة والقطوب.[٢]» هي قبل كل شيء إشارات نفسية دلّت على الرفض النفسي ثمّ تمظهرت في أمارات العين والوجه ثّم إيماءات الجسد(الإدبار) بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ وأخيرا عدم تقبله للدعوة ورفضه قولا وكلاما: ﴿ فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يؤْثَرُ﴾ وكذلك :﴿ إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر/ ١٨-٢٥.

بتعبير آخر كانت تتغلغل الفكرة الرافضة لقبول الدعوة في خلجات النفس وثناياها أولا ثمّ اتخذت سبيلها إلى النظر: ﴿ثم نَظَرَ﴾ نظر ثم إلى الوجه: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ﴾عبس ثم الجسد: ﴾»﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ﴾ في سورة المدثر ثمّ جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب في سورة نوح:

﴿وَإِنِّى كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِىآذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾ نوح/ ٧.

قدشكّلت هذه العلامات الغير لغوية سلاسل متتابعة ومتعالقة بعضها ببعض في تشكيلة منطقية حيث الإصرار والاستكبار شكّل أساس الرفض في قبول الدعوة ومصدرا لتلك العلامات المتجسدة في النظر(للعين) والعبوس والبسر(للوجه) والسمع(جعل الأصابع في الأذن)والجسد(استغشاء الثياب).

قدنفهم من دلالة الفعل (أصروا) وجود فكرة الرفض في قرارة أنفسهم ثمّ توكيدها والإصرار عليها ثم يتبعها الاستكبار الذي هو انفعال نفسي إذ أولاه القرآن الكريم اهتماما بالغا لأثره في عدم قبول الدعوة من قبل المعاندين حيث يمكن عدّه الباعث

---

١. ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت ، دارالإحياء العربي، مج ٩، ط١، ١٩٨٨ م، مادة (عبس).
٢. المصدر نفسه، مادة(بسر).

على تحقيق تلك العلامات والإيماءات في كلتا الآيتين وقد ختمتا به (الاستكبار).

والملاحظة الأخرى التي رصدها البحث في الآيتين: أنّ الأولى ختمت بالقول والتعبير بالكلام: فقال هذا سحر يسحربعد الإشارات الجسدية(نظر،عبس،بسر، أدبر واستكبر خلافا للآية الثانية و ﴿وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارا﴾ نوح/ ١.٧

التي لم تختم بالقول وكانت كلّها تعبيرات جسدية لأنّ سياق الآية الثانية كان يدلّ على تكرار الدعوة والتبليغ من جانب نوح(عليه السلام) بقوله تعالى:

﴿ وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ حيث يفيدالتعبيركلما دعوتهم الاستمرار في الدعوة وكذلك استيحاء الرد المتكرر من جانب قومه لذلك تجنبت الآية التعبير بالقول كأنهّم ملّوا الكلام والرد وعبّروا عن رفضهم بالإشارات واكتفوا بها. وسيتطرق البحث لاحقا اليه بالتفصيل في البحث لموانع التواصل.

٣-٥-١-٣-٢-١-٣- دلالات اللون في الوجه:

استطرادا في الحديث عن الوجه الذي يكون محملا لدلالات متنوعة يتطرق البحث إلى دلالة اللون فيه كما في هذه الآية:

﴿ وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ﴿ يَتوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّه فِي التُّرابِ ﴾ النحل /٥٧. حيث نسب الاسوداد إلى الوجه تعبيرا كنائيا عن الغضب فقد يخبرنا تغير لون الجلد بحالات الإنسان النفسية وانفعالاته المختلفة يقول الطبيب الأميركي هوارد(Howard):«لعلّك لاحظت أنّ جلدك يستجيب إلى أقصى حد لما يدور في ذهنك وما عليك إلا أن تلاحظ عند أول مرة تمر فيها بانفعال شديد ما يعتري جلدك من تغيرات إذا كنت تشعر بالحرج لأتجاه الأنظار إليك أفلا يحمر وجهك وإذا كنت خائفا أفلا يعتري جلدك برودة أو لا تتصبب عرقا بسبب موقفا ما.[١]»

إن لون الجلد كثيرا ما يتغير تحت تأثير الانفعالات والمواقف المختلفة التي يمرّ بها الإنسان فيحمرّ وجهه خجلا أو يصفرّ خوفا أو يشحب مرضا أو يسودّ غيظا وكمدا ويبيضّ فرحا وبشرى ونجد القرآن يصور لنا بعض هذه المواقف كما في الآية أعلاها حيث نسب الإسوداد للوجه غضبا وكذلك في هذه الآية حيث السواد دالّ على الكفر كما في الآية الشريفة:

---

١. كريم زكي حسام الدين: *الاشارات الجسمية*، ص١٦٠.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ آل عمران/ ١٠٩.

كأنّ الكفر تمثّل بالسواد وتمظهر على الوجوه اسودادا فبالتالى كان اسوداد الوجوه دلالة وإشارة للحديث والكلام مع أهل الكفر. أي التغذية الراجعة بعد اسوداد الوجه الذي أصبح دليلا على كفرهم ومن ثم التواصل هي التوبيخ والتقريع بهم: ﴿ قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُون ﴾آل عمران/ ١٠٩.

وفي المقابل نرى البياض ونسبته لوجوه المؤمنين والبياض أفضل لون عندالعرب وقد عبّر عن الفضل والكرم بالبياض حتى يقال:« للذي لم يتدنس بما يعاب هو أبيض الوجه.[1]»: ﴿ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾. آل عمران / ١٠٧. حيث بياض الوجه أغنى عن كل تواصل معهم فهم في رحمة الله وفي الصميم وقلب التواصل مع الله تعالى وقد أكدها عليهم بالضمير الفصل هم مرة أخرى بعد نسبة الوجوه إلى هم: ففي رحمة الله هم فيها خالدون.

٣-٥-١-٣-٢-١-٣- دلالة الحركة في الوجه

فضلا عن وجود الآيات التي يكون فيها الهيئة والحالة ولون الوجه دليلا انفعاليا تواصليا ثمة إشارت للوجه وحركات دالة على التواصل أيضا.

وقد جاء القرآن بتوظيفات عدة لهذه الحركات لتؤدي وظائف تواصلية وبيانية مختلفة تكمل طبيعة الإتصال البشري وتبيين مقاصده وعلى حد تعبير محمد العبد: «إنّ حركة الأعضاءالجسدية كفيل أمين بتأدية المعنى الذي قد تأتي به اللغة الصامتة.[2] » إذ تشكّل هذه الإشارات أبلغ مظاهر التعبيرات الانفعالية الموحية في اللغة من ذلك قوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ البقرة/ ١٤٤.

فيفهم من تقليب الوجه(وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) والذي جاء مضعّفا على وزن فعّل دلالته على كثرة حدوث هذه الإشارة وا لحركة عنده (صلوات الله عليه واله) إنّها كانت إشارة طلب تمثّلت بترديد الوجه حيث ناب الوجه عن اللسان في الطلب والسؤال وقام بوظيفة تواصلية فأتمّها فما كان الجواب إلا أن قال الله تعالى: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فولّ وجهك. هي التغذية الراجعة لفعل التقليب.

---

١. راغب الاصفهاني: *مفردات* ، باب الباء (بيض)

٢. محمد العبد: العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، ص ١٨٧.

وكذلك في هذه الآية: ﴿ وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ طه/ ١١١. وعنت الوجوه: ذلت وخضعت[١].» ولايمكن ذلك إلّا بطأطأة الرأس وإطراقة تعبيرا عن الذلة والخضوع وشعورا بمهابة المخاطب الحي القيوم.

٣-٥- ٢- إشارات اليد والأصابع

إن لليد،دلالات واشارات كسائر الإشارات فكما يقول اللغوي فندريس(vendryes):« إنّ اليد تمتدّ وتنكمش كما لوكانت تغوص في أعماق الضمير لتجلب الفكرة الوليدة تعجنها وتصقلها بإعطائها الشكل المناسب[٢].» فحركات اليد لاتقلّ عن حركات الجسد الأخرى أهمية بل ربّما تكون أخطر من سائرها إذا قامت بعمل اجرامي كما في هذه الآية الكريمة حيث اليد هي التي تقوم بالتنفيذ لما يختلج في الذوات والمنفّذة للفكر الإجرامي فبسطها للقتل يعني القتل وكفّها، يعني عدم الجريمة:

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَي يدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يدِي إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ البقرة / ٢٨. فبسط اليد هنا حركة إشارية للقيام بجريمة بشعة وذنب لايغفر ألا وهو القتل حيث طوعت نفس قابيل قتل أخيه هابيل وكيف حصل التطويع وبأي وسيلة ؟ والجواب يكون باليد فبالتالي أصبح قابيل بفعله وبحركته (بسط اليد) من الخا سرين: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِين﴾ البقرة/ ٣٠.

فالتغذية الراجعة هي القتل لفعل التطويع ومن ثم الندم والخسران أي كانت التغذية الراجعة هي الندامة والخسران بعد ما أغرته نفسه.

وفي المقابل تكون حركات الجسد دلالة وعلامة للنبوة فحركات اليد تمتدّ على صعيد الخطاب القرآني من القتل حتّى إثبات النبوة: ﴿و اضْمُمْ يدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيضاءَ مِنْغَيرِ سُوءٍ آيةً أُخْرى﴾طه/٢٢. فانضمام اليد إلى الجناح ثم خروجها بيضاء من غير سوء كلّها حركات وإشارات لا كلام فيه فبالتالي احتلت الإشارة باليد أرقى مكان بالنسبة إلى إثبات المعجزات ودلائل النبوة وكذلك القيام بعملية التبليغ والتواصل مع الخلق والتأثير في قبول الدعوة.

كما يكون جزءا من اليد أي الأصابع مانعا لتلقي هذه المعجزات، خلافا لتحقيق التواصل:﴿ وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً ﴾ نوح/ ٧.

---

١. راغب الاصفهاني: *مفردات* ، باب العين (عنت)

٢. كريم زكي حسام الدين : *الإشارات الجسمية*، ص ١٩٠.،

إنّ فعل وضع الأصابع والاستغشاء للثياب حصل بواسطة الإشارة الجسمية المتمثلة في اليد(الأصابع) فإنّها ساعدت المخاطب على التعبير عمّا يريد بشكل فعّال.

إن الأفعال الجسدية في الآية(وضع الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب)سبقت التفوّه بالكلام والقول عندالمخاطَبين حيث أغنتهم عن الرد فهي تماثل عدم الرغبة وفعل (لا أريد السماع).

إنّها أفصحت عن عدم رغبة المتلقي في الإبلاغ والإفهام والكراهية للسماع. يقول الراغب في تفسير استغشاء الثياب:« أي جعلوها غشاوة على أسماعهم ذلك عبارة عن الامتناع عن الإصغاء[1].»

في الحقيقة أن تلك الأفعال الصادرة عن هولاء القوم كانت التغذية الراجعة عن فعل الدعوة للأنبياء خاصة نوح عليه السلام، فقدكانت معبّرة عن فطرة تشوّهت وسريرة تكدّرت بفعل العناد والجحود والاستكبار و... فبالتالي أصبحت غير قادرة على تلقّي البلاغ وإدراك مايطلب منه.

إن حركات الأصابع لا تنحصر في المكابرة والممانعة في تلقّي الوحي والبلاغ فحسب، بل لتمتد وتشمل الموت ومنعه والحذر منه حيث حركة الأصابع ووضعها في الآذان؛ أصبحت حركة تدرأ الموت عن الجسد كلّه: ﴿ويجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾البقرة / ١٩.بتعبيرآخر هي تشير إلى عدم التواصل مع الكون وعدم السماع لصوت الطبيعة.

٣-٥-٣- معوقات التواصل

رغم وضوح الرسالة (القرآن) والقصد في الإبلاغ (إبلاغية المتكلم) تتعرقل عملية التواصل في القرآن الكريم حيث يعود ذلك إلى أطراف الرسالة من مرسل أو كخاطب أوالرسالة نفسها أو أسباب أخرى.

إن عملية التواصل تتعرقل وتتعرض للفشل ما يسمّى بالاختلال(التشويش)حسب ما ورد في كتب الإدارة والمقصود من الاختلال« هو كل تدخل داخلي أوخارجي في عملية التواصل أو الاتصال لعدة أسباب منها بيئي أو فيزيولوجي أو نفسي أو ثقافي.[2]» في الحقيقة إن تحقيق التواصل ما بين المرسل والمستقبل يتوقف على إزالة المعوقات التي تعيق أو توقف عملية التواصل ما يمكن تسميتها بالمعيقات أو معوقات الاتصال.

إن المقصود من معوقات التواصل:«جميع المؤثّرات التي تمنع عملية تبادل المعلومات أو تعيقها أو تؤخّر إرسالها أو

---

١. الراغب الاصفهاني : *المفردات في غريب القرآن* تحقيق محمد كيلاني، دارالمعرفة ، بيروت . د.ت. ص٤٥٧.

٢. ري ام برك وواخرون: *ادارة التواصل* ، ترجمه سيد محمد اعرابي ، مكتب البحوث الثقافية ، طهران، ط ٧، ١٣٩٢ه ش، ص ١٥،

استلامها أو تشوّه معانيها أو تؤثّر في كميتها ويقصدبها كذلك مجموعة من العوامل التي تعوق وتؤثر على مضمون المعلومات المتبادلة في عملية الأتصال ويتضمن ذلك تحريف المضمون بسبب خواص المستقبل وإدراكه فقدتتعدد وتتنوع تلك المعيقات لكنها تندرج تحت ثلاثة أقسام حسب تقسيمات دابر (Daper) وهي:المعيقات التنظيمية،الشخصية والبيئية.[1] ››

توخّى البحث أن يتطرق إلى المعيقات الشخصية باعتبارها العامل الأساس والأهم من بين تلك المعيقات حيث تعود إلى الشخص فيمكن السيطرة والتحكم بها والقضاء عليها حال إرادة الشخص لإزالتها تاركا المعيقات التنظيمية التي تنتمي إلى مجال المؤسسات والدوائر وكذلك البيئة إلى شأن وزمان آخر.

٣-٥-٣-١- المعوقات الشخصية

إن المقصود من المعوقات الشخصية ‹‹هي التي تعود لشخصية الفرد مرسلا كان أو مستقبلا من خلال تباين الأفراد في موروثاتهم وقدراتهم ومن خلال اختلاف مدركاتهم وحاجاتهم وعواطفهم وبالتالي فهي تتفاعل مع عملية الاتصال من حيث درجة الفهم و ردّالفعل على نحو لايتفق مع قصدالرسالة المعطاة بما يقلّل من كفاءة عملية الاتصال.[2] ››

بيّنا أنّ الظاهرة الاتصالية عملية إخبار وإبلاغ تهتم بنقل الخبر من مبلّغ إلى مبلّغ وقدحدث بالفعل في الخطاب القرآني إلا أنّه يمكن أن تتعرقل عملية الإفهام لعدة أسباب في نفسية المتلقي فتكون تلك الأسباب والعراقيل الشخصية،أهم عامل وسبب في إفشال التواصل.

فكما أسلف البحث إن الأمر منصبّ على دراسة معوقات التواصل الشخصية عند المتلقي والمستقبل حيث المرسل(الله)والرسالة(القرآن)في غاية الكمال والإبلاغ.ومن ثمّ يأتي الخطاب القرآني مركّزا على الأسباب النفسية حيث يصف اولئك المعاندين والكفرة بالموتى تقريعا وتوبيخا به وتعريضا بأنهم لايستحقون الحياة،لأنّهم أماتوا حياتهم الروحية وفطرتهم السليمة التي تؤهلهم للسعادة والهدى فهذا يحدث عند ما يتمادون في كفرهم وطغيانهم ولايرجعون عن غيهم إذن فلاجدوى في مخاطبتهم ودعوتهم:

﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾النمل / ٨٠. وكذلك: ﴿وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لايسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايعْقِلُونَ ﴾ البقرة/ ١٧١.

---

١. سلمان علي الخليوي: *معوقات الاتصال الفعال*، رسالة ماجستير إشراف الدكتور وحيد احمد الهندي أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٨م: ص ٥٩.

٢. سلمان علي الخليوي: المصدرنفسه، ص ٦٠.

شبّه الله الكافرين بالصم والبكم والعمي استحقارا وتوبيخا لهم فكما الإنسان المحروم من هاته النعم لايستطيع التواصل مع العالم الخارجي ولا يقدر على اكتساب العلم والمعرفة، كذلك الكفرة في جحودهم وتعنتهم واستكبارهم يصبحون كالصم والبكم والعمي في عدم المعرفة ومن ثمّ عدم التعقل ويكون الإدبار بملء إرادتهم(إذا ولّوا مدبرين)ما ينبىء عن عدم رشدهم وبلوغهم العقلي وبالتالي عدم التواصل معهم.

نتستنتج من الآيات، أنّ الذين لايتجاوبون ولايتواصلون مع رسالة الأنبياء هم الموتى الصم البكم العمي في التعبير القرآني وذلك يعود لأساب شخصية ذاتية تنبع من ذواتهم إما لتباين في الفهم والإدراك وإما بسبب تراكمات تجاربهم الماضية حيث بنوا عليها موقفهم ورأيهم أو تصوراتهم السلبية للطرف الآخر ثم اتخاذ وجهات نظر متباينة وكذلك نظرتهم الدونية للآخرين من خلال مشاعرالغرور والتعالي بما يحول دون التفاعل والتواصل معهم ما يسمّى باتجاهات الأفراد السلبية.[1]»

٣-٥-٣-١-١- التباين في الإدراك

إن من أهم المعوقات الشخصية التي يمكن رصدها عند مستقبلي الرسالة والمخاطبين هو التباين في الإدراك عندهم ومن ثم التصرف الخاطيء وإفشال التواصل.

إن المقصود من الإدراك هو «عبارة عن مراحل تصرف معقدة تعطي صورة معينة للعالم قد تكون مختلفة عن الصورة الواقعية لأنّ إمكانية الفهم المختلف للمعلومة قائمة وهذا ما نلاحظه من خلال ردود أفعالهم المختلفة.[2] » أي تلك ردود الأفعال هي ناتجة عن الأثر الإدراكي والتفسير النفسي للوقائع الخارجية كما يرى الدكتور زارعي متين بأنّ الأثر الإدراكي هو الذي يؤثّر كثيرا على تفسير المتلقي ومن ثمّ تصرفه سواء أكانت استجابة أو ردّا.

كما أفاد بقوله:«إنّ الإدراك عملية استلام وتفسير للمثيرات ثم الاستجابة والسلوك التابع لذلك الأثر الإدراكي فسلوك الإنسان تابع لإدراكه وتفسيره من الواقع وليس هو الواقع.[3]» فبعض الأحيان هذا الإدراك مايؤدي إلى التفسير الخاطيء للوقائع ومن ثمّ الخطأ المعرفي.

وبما أن الحديث كان يدور في التواصل الغير لفظي في سورة نوح ارتأى البحث، أن يكمل الحديث من منظور هذه السورة و يدرس المعوّقات الشخصية - التباين في الإدراك والخطأ المعرفي- لدى قوم نوح حيث أخطاءهم المعرفية والإدراكية

---

١. سلمان علي الخليوي: المصدر نفسه:،ص٦٠.

٢. المصدر نفسه: ص٦٠.

٣. حسن زارعي متين: *ادارة السلوك الراقي في الدوائر*، ص١٣٢- ١٢٥.

وظنّهم بأن آلهتهم(معتقدهم وكيانهم العقدي)بحاجة إلى نصرهم ومهدّدة من قبل نوح جعلتهم يوصون قومهم بأن لا يتخلوا عن نصرها وكذلك عن باقي الأصنام وهذا مايندرج تحت الخطأ الإدراكي والتفسير الخاطيء لرسالة الأنبياء خاصة نبيهم نوح عليه السلام ومن ثم التصرف والسلوك الخاطيء:

﴿ وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لايغُوثَ وَ يعُوقَ وَ نَسْراً ﴾ نوح /٢٣. وأيضا كانوا يظنون أن أربابهم الكثّر هم أفضل من رب نوح الواحد فيعددونها بأسمائها: ﴿وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلايغُوثَ وَيعُوقَ وَنَسْراً﴾ نوح/٢٣.

إذن هناك رب واحد لدى نوح وأرباب لقومه وهذا يعني تكوين «شعور بالمواجهة والمجابهة لدى المخاطب.لأن فقدان الشعور بالأمان والشعور بالتهديد يعد من أسباب فشل التواصل.[1]» فإذا شعر الإنسان بأنّه مهددا فكريا وعقديا وإنه مستهدفا للانهيارالفكري والزعزعة فمن الطبيعي أن يتحزب ويجابه ويواجه فإذاحصل ذلك تبدأ رحلة شاقة لتصحيح هذاالخطأ من جانب الأنبياء ما يستدعي تضحيات وجهود مضنية كما لاحظناها عندهم.

أو كما عند قوم موسى حيث تعرقلت عملية التواصل بسبب خطأهم في الإدراك (السحر والقضاء على المعتقد والميراث) من قبل موسى وهارون:

﴿قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يرِيدانِ أَنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى ﴾ طه / ٦٣.

إن هذه الأخطاء والتراكمات الفكرية الموروثية تشكل أكبر عائق أمام نجاح عملية التواصل. ليس هذا فحسب ،بل للتجارب الماضية أيضا دور:

٣-٥-٣-١-٢- التمسك بالماضي

إن التجارب والأحداث الماضية تعد عاملا آخر من المعوقات الشخصية حيث تؤثر على عملية الاتصال وفي بنية الفكر والمعتقدحيث تقوم بالتحريف أوالتغيير أوالتفسيرالخاطىء لمضمون الرسالة.

يرى في ذلك الدكتور زارعي متين:«أن عملية تشفيرالرسالة من قبل المرسل ثم فكها من قبل المتلقي تعتمد إلى حد كبير على الأحداث والتجارب الماضية.[2]»

---

١. حسن زارعي متين: المصدر نفسه« ص١٣٧.

٢. المصدر نفسه ص ١٢٤.

فالإنسان لاينفك من الاعتماد على تجاربه أو تجارب الآخرين وكذلك الأخذ بها في حياته فإنّه شديد التأثر بتجارب الآخرين وعقليتهم ومعتقدهم أيضا فإذا كانوا من آباءه أو أجداده فإنّ ذلك يكون شديدا حيث يبني معتقده على معتقدهم ويأخذ تجاربه الدينية من تجاربهم. فقدحصل هذا عند معارضي دعوة الأنبياء من المشركين والكفار من أمثال قوم نوح عليه السلام لأنهم بنوا موقفهم المعادي لنوح على أساس معتقد آبائهم الأولين فقد ساروا على نهجهم وتمثلوا خطاهم وفسّروا مضمون الرسالة تفسيرا خاطئا و كذلك تفسير دعوة الأنبياء على أنها طلب للسلطة أو التفضل أو تغيير لمعتقد ودين الآباء:

﴿فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يرِيدُ أَنْ يتَفَضَّلَ عَلَيكُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ هود / ٢٤.و قد تراكمت عندهم تلك الأخطاء المعرفية ب ﴿ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وإن هذا البشر﴿يرِيدُ أَنْ يتَفَضَّلَ عَلَيكُمْ﴾ وإن الرسول يجب أن يكون ملك ﴿وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ ثم دعموا هذا الخطأ بخطأ ثان وهو أن هذا لم يحدث بالماضي إذن قضية النبوة والرسل بالنسبة اليهم لا قيمة لها. ما يعني اهتمامم الزائد بالأحداث والتجارب الماضية خاصة التمسك بالموروث الأبوي والشعبي.

كما في هذه الآية:﴿ وَ إِذا تُتْلى عَلَيهِمْ آياتُنا بَيناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ رَجُلٌ يرِيدُ أَنْ يصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ماهذا إِلاَّ إِفْكٌ مُفْتَرىً ﴾ سبأ/ ٤٣.

فقد شكّلت هذه العقلية الجامدة والمحاكية لفكرة الآخرين والمتشبثة بالتقليدالأعمى للآباء، أكبرالعراقيل وألدّها أمام دعوة الأنبياء قدأشار القرآن إلى هذه الفكرة المتبعة عندالمعاندين مرارا بقوله تعالى:﴿ما يعْبُدُونَ إِلاَّ كَما يعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ هود/ ١١.

وكذلك:﴿ قالُوا يا شُعَيبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يعْبُدُ آباؤُنا ﴾ هود/ ٨٧.

أو في هذه الآية:﴿ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا ﴾ القصص/ ٢٨. وكذلك في هذه الآية الشريفة: ﴿ قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يرِيدانِ أَنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَيذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى ﴾ طه/ ٦٣. أو: ﴿ بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ زخرف/ ٢٣.

حيث أبدوا حرصهم على حفظ المعتقد والموروث بوصفه الطريقة المثلى وحذروا الآخرين بذهابه من جانب موسى وهارون (عليهما السلام) وقد عدوا معتقد الآباء أمة وشريعة يجب أن يقتدوا بها ويقتفون أثرها فقد أكدوا هذا الرأي والموقف، بتوظيف: ﴿إن ﴾واختيار ضمير ﴿إِنَّا﴾ الدال على (الفخامة والعظمة) وتأكيد التمسك والتشبث بدين الآباء باستعمال الآثار

رغم زوال المعتقد وانعدامه ب﴿إِنَّا عَلى آثارِهِمْ﴾ ثم توظيف الصفة المشبهة ﴿مُهْتَدُونَ﴾ ما تدل على رسوخ وثبات وتأصل هذه الصفة فيهم وشدة حرصهم على البقاء عليها.

استنكرالخطاب القرآني هذه الفكرة وبيّن مدى خطورتها على الحياة العقلية فجاء التنبيه بقوله تعالى: ﴿ وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَينا عَلَيهِ آباءَنا أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يعْقِلُونَ شَيئاً وَلا يهْتَدُونَ ﴾ البقرة/ ١٧.ثم كرّرها في سورة المائدة: ﴿ أو لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لايعْقِلُونَ شَيئاً وَلايهْتَدُونَ ﴾ مائدة /٥.

إنّ هذه النظرة الرجعية منعتهم(قوم نوح) من استشراف المستقبل والانطلاق في فضاءات أوسع فقد قيدوا أنفسهم بقيود الماضين وحبسوا أنفسهم في دائرة أفكارهم.

فإذا كان آبائهم لايعلمون شيئا و لايهتدون فلماذا يتبعونهم في باطلهم؟ لماذا لا يفعّلون التفكير والتعقل والتدبر في حياتهم هذا هو المطلوب من إيراد كلام الكفار في الخطاب القرآني تنبيها وموعظة.

٣-٥-٣-١-٣- اتجاهات الأفراد السلبية

« ونعني بها اتجاهات طرفي الاتصال(مرسل_مستقبل)لتكوين مواقف وتصورات سلبية من الطرف الآخر وهذا ما يعبّر عنه بآراء ووجهات نظر متباينة إزاء بعضهم وينمي ذلك الميول والعواطف والحاجات والمعتقدات وبتفاعلها معا تتشكل تصرفات الأفراد وسلوكياتهم وأساليب عمل ومواقف تحول دون فهم الرسالة بشكل صحيح[١]. » ومن اتجاهات السلبية التي تعبر عن معوقات الاتصال الشخصية:

٣-٥-٣-١-٤- عدم إيلاء المخاطب(المرسل)الاهتمام والتقدير

فعدم إيلاء المخاطب الاهتمام والاحترام والمكانة السامية وعدم الوثوق به وسوء الظن به يندرج تحت عنوان عدم مصداقية المرسل وعدم اعتباره.[٢] » كما نستشفه في الآيات التالية:

﴿ فَقالَالْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيالرَّأْيِ وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَينا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ ﴾ هود/ ٢٤ وكذلك:﴿وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ

---

١. سلمان علي الخليوي: معوقات الاتصال الفعال، ص ٥٢.

٢. .زارعي متين ادارة السلوك الراقي في الدوائر ص ١٥٢.

وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ»« وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ﴾ المؤمنون / ٣٣.

إنّ قوم نوح لم يحترموا نبيهم معتبرينه بشرا لا فضل له عليهم إنّه يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون.إنّه رجل عادي بسيط لم يحظ بمكانة سامية إذن يرون إطاعته تجلب لهم الخسارة:﴿ وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ ﴾ المؤمنون / ٣٣ .فبالتالي لم يتحقق أي فاعلية لكلامه رغم وضوح الرسالة والإبلاغية التامة عند المرسل إنهم لم يتوقفوا عندهذاالحدّ، بل رموه بالجنون: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾المؤمنون/ ٢٥. وكذلك بالنسبة إلى سائر الأنبياء حيث رموهم بالجنون والسحر والشعر:﴿كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ الذاريات/ ٣٩. ﴿ إِذْ يقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ الإسراء/ ٤٧. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ الدخان/ ١٤. ﴿ وَقَدْ يقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ الصافات/٣٦.

إن هذه النظرة الدونية للآخرين من خلال مشاعر الغرور والتعالي عند أحد طرفي الاتصال تحول دون التفاعل ولا تحقّق النجاح في عملية التواصل ففي مثل هذه الحالة تبوء بالفشل كل عمليات التواصل.إنّ هذا المشهد يتكرر في قصة موسى وهارون أيضا فالنظرة الدونية لهما واعتبارهما بشرا مثل الآخرين تلاحقهما:﴿ فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَينِ مِثْلِنا وَقَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ ﴾ مؤمنون/ ٤٦. وكذلك عن لسان فرعون حينما خاطب قومه استهزء بموسى عليه السلام واستحقره:﴿ أَمْ أَنا خَيرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يكادُ يبِينُ ﴾زخرف/ ٥٢.

وكذلك في قصة شعيب عليه السلام بعد النصح الكبير والدعوة المتواصلة المضنية في تبليغ الرسالة جابهوه بقوله تعالى:﴿قالُوا يا شُعَيبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَما أَنْتَ عَلَينا بِعَزِيزٍ﴾ هود / ٩١.وكذلك:﴿ وما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ﴾ الشعراء/ ١٨

والملاحظة الهامة إن من نتائج ازدراء المرسل الاستهزاء والسخرية منه لأنها النتيجة الفعلية لتلك النظرة فقدمارسها الكفرة والمشركين إزاء الأنبياء والمؤمنين بكثرة فكان ديدنهم من البداية حتى النهاية ومع الأنبياء السلف إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله بقوله تعالى:

﴿ يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤُنَ﴾ يس/ ٣٠. وبالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ الفرقان/ ٤١.

ولم يقتصر الأمر على الإخبار بالهزء والسخرية بل عاضدته همزة الاستفهام على ذلك ثم تغيير أسلوب الخطاب من الخبري إلى الإنشائي: ﴿ أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾ ما يؤكّد أثر النظرة الدونية والاستهزاء والسخرية من المرسل في تعرقل عملية الاتصال.

لم يقتصر الأمر على الأنبياء بل يشمل التابعين لهم أيضا:

﴿ إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُون ﴾مؤمنون/ ١١٠.

إن ازدراء المرسل ثم السخرية منه قدتجرف بصاحبه إلى هاوية التكذيب ومن ثم إنكارالرسالة بالكامل والكفر:

﴿ انْظُرْ كَيفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ماكانُوا يفْتَرُونَ﴾ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يسْتَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يرَوْا كُلَّ آيةٍ لا يؤْمِنُوا بِهاحَتَّى إِذا جاؤُكَ يجادِلُونَكَ يقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أنعام /٢٣-٢٥.

٣-٥-٣-١-٥- الشعور بالكراهية والنفور من المرسل

﴿ وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾ حيث القران يذكر في الاية الانفة مدى كراهية المستقبل للرسالة والمتلقي وقد عبر عنه بالنفور وتولية الأدبار كما نلاحظ ذلك في قصة صالح عليه السلام أيضا حيث القوم عبروا عن كراهيتهم للمرسل ونفورهم بالتطير والتشاؤم منه:

﴿قالُوا اطَّيرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ النمل / ٤٧.

وكذلك بالنسبة إلى سائر الأنبياء: ﴿ قالُوا إِنَّا تَطَيرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾» يس/١٨.

وكذلك من الأسباب والعوامل الأخرى التي تؤثّر في عدم تحقيق عملية التواصل والتي تندرج تحت الاتجاهات السلبية هي:

٣-٥-٣-١-٦ - الاستكبار

إنه أكبرالعراقيل والعقبة الكأداء من الأسباب النفسية والاتجاهات السلبية التي تعرقل مسيرة التواصل تماما وتعترض كل سبل التواصل هو الكبر والشعور بالاستعلاء.

يقول الجوهري في تعريفه للاستكبار:«هو التكبر والاستكبار هو التعظم[1] ويرد ابن منظور في معنى الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة.[2]» لأن المستكبر يرى نفسه أعلى وأكبر من الآخرين بسبب ما؛ فيكون ذلك سببا في الوقوع في الخطأ والإدراك والابتعاد عن الصواب.

يبدو أنّ الكبر والغرور من أهمّ أسباب عدم قبول دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ومن ثمّ عدم تحقيق الوظيفة الإبلاغية عندالمتلقي ونحن نلاحظ ذلك في خطاب فرعون أيضا: أنا ربكم الأعلى الذي يبلغ الكبر والتعالي والاعتداد بالنفس مبلغه حيث اعتبر نفسه ربّا وإلها إنّ هذا النوع من التكبّر يعد أعلى مرتبة الكبر والاستكبار لأنه يعتبر تحديا أمام كبرياء الله سبحانه وتعالى حيث لا كبرياء إلا له: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُالْحَكِيمُ ﴾ جاثية/ ٣٧.

إن الاستكبار صفة مذمومة جدا في الخطاب القرآني وذلك لما يترتب عليها من نتائج خطيرة على الفرد والمجتمع إنها عائق أمام دعوة الأنبياء وأمام هدف الخلق وتحديا سافرا أمام الخالق وعلى إثرها باءت بالفشل كل محاولات نوح عليه السلام في سبيل الإبلاغ والدعوة المتواصله ليلا ونهارا سرا وجهارا:

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً﴾ نوح/ ٥. ﴿ وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً ﴾﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً﴾ نوح/ ٦-٩.

وكذلك في قوم عاد حيث الاستكبار هو السبب في نزول العذاب فيهم بقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ ﴾ ١٤-١٦.

ليس الاستكبار صفة تخصّ الكفّار بل هي صفة تلازم المنافقين أيضا:

﴿ وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيتَهُمْ يصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ منافقون/٥.

---

١. اسماعيل بن حماد: *الصحاح* ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار دارالعلم للملايين ، بيروت ، ط٤، مادة(كبر)

٢. محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، مادة(كبر)

فقد أوعد الله المستكبرين العذاب الأليم والعذاب المهين وجهنم حيث لم نرى ترادف العقوبات إلا في صفة الاستكبار بقوله تعالى:

﴿ وَيلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿ يسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلي عَلَيهِ ثُمَّ يصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿ وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيئاً اتَّخَذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ»﴾ ﴿ مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يغْنِى عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾

٣-٥-٣-١-٧- عدم الرغبة في التواصل

إن عدم الرغبة في التواصل هو العامل الأخير في تعطيل عملية الاتصال فبما أن الرغبة هو شعور ذاتي بامتياز لايمكن استشعاره إلا بالتفوّه أو الإيماء فيمكن الاستشهاد بهذه الآية في هذا الموضوع بقوله تعالى: ﴿ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فما نستجلي منها هو أن الدعوة إلى عدم السماع للقرآن في الحقيقة تنبىء عن عدم الرغبة في التواصل أصلا ثم الدعوة إلى اللغو في القرآن ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ أيدت ذلك.

رغم وجود الآيات التي تفصح عن وجود عدم الرغبة في التواصل والترغيب في عدم سماع الآيات من قبل الكفار إلا أنها قليلة جدا لذالك تحرّى البحث ذلك في إشارات الجسد وإيماءاته في الآيات التي أفصحت عن إنعدام الرغبة في التواصل وذلك في سورة نوح عليه السلام حيث كان قومه يقابلون خطابه بأعمال وسلوكيات جسدية تنبئ عن عدم الرغبة في التواصل كجعل الأصابع في الآذان والاستغشاء بالثياب تعاليا واستكبارا فالاستكبار يترافق عندهم مع بعض الحركات الجسدية(جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب) الدالة على عدم الرغبة في التواصل ومن ثمّ فشل عملية التواصل.

﴿ وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِيآذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾ نوح/ ٧. وكذلك يترافق الاستكبار مع تلوية الرؤوس والصد:

﴿وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيتَهُمْ يصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ منافقون/ ٥.

قريب من هذا المعنى، يأتي الإعراض الذي يعدّ مانعا للاتصال بجميع أنواعه بما في ذلك الاتصال اللغوي وقدعرفّه

ابن منظور: « الإعراض من أعرض عن الشيء إذا ولّاه ظهره.[1]»﴿ وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يأْتِيهِمْ أَنْباءُ ماكانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤُنَ ﴾ انعام/٤.

كذلك في هذه الآية: ﴿ بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لايسْمَعُونَ﴾ فصلت/ ٤.

فنلاحظ أن الإعراض في الآية أعلاها؛ هو السبب الرئيس في عدم السماع وبالتالي الانغماس في الجهل والكفر والشقاوة.

وكذلك في تولية الأدبار:

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ﴾ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ»﴾﴿فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يؤْثَرُ﴾ ﴿إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر/ ١٨-٢٥.

نخلص مما جاء من البحث؛أن تكرار الاتهامات نفسها على مدى العصور ولكافة المرسلين(عليهم السلام) ينبئ عن تأصل وتجذر فكرة التقليد للآباء عندالكفار فضلا عن إزدرائهم للمرسلين والاستهانة بمكانتهم.

إنّ كل ذلك؛ يعتبر نتاجا وسلوكا طبيعيا للخطأ المعرفي الذي حصل عند آبائهم فهم ضحايا تلك الأفكار السائدة لآباءهم الجاهلين .في الحقيقة إنّ هذه الحركات الاستعلائية الجسدية، تعززت واستقوت بسبب الخطأ المعرفي والعقدي عندهم _ كما جاء في التباين في الإدراك سابقا -لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام فقد أُرسل نوح عليه السلام لتصحيح هذا الخطأ المعرفي والعقدي عندهم بقوله تعالى:﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ ﴾نوح / ٢.

وقد مرّ بنا إن أحدالأسباب في تعرقل العملية التواصلية وفشلها هو الخطأ المعرفي حيث منعهم هذا الانحراف والزيغ من استماع الحق فبالتالي كان سببا في عصيانهم الرسول وتبعية الخاسرين: ﴿قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يزِدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إِلاَّخَساراً ﴾ نوح/ ٢١.

إن هذا الإنحراف عن الإيمان والتحول إلى عبادة الأصنام ومن ثمّ الدعوة إلى استنصار آلهتم وأصنامهم،كان هو السبب الرئيس في عدم تحقيق التواصل المطلوب وفشله فبالتالي تحقيق العذاب.

إن هذا الشعوركان على النقيض تماما لما يقوم به نبيهم عليه السلام من أعمال وتوجيه فقد كان ناصحا أمينا حريصا

---

١. المصدر نفسه، مادة (عرض)

على هداهم: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف / ٦٨. وكان يناديهم بيا قوم محبة وتكريما وتواضعا: ﴿ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً ﴾ الأعراف/ ٥١. وكان يعرّفهم الله ويذّكرهم بآلاءه وأنعمه حال قبول دعوته ويسعى السعي الدؤوب على تصحيح الخطأ المعرفي لديهم:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً ﴾ ﴿ يرْسِلِ السَّماءَ عَلَيكُمْ مِدْراراً ﴾ ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» ﴾ ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً ﴾ ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً أَ لَمْ تَرَوْا كَيفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ﴾ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً ﴾ نوح/ ١٦-٩.

إنّه يشدّ انتباههم إلى فيضان رحمة الله عليهم حال إيمانهم به ثمّ خلقة الكون وأنعمه البالغة على العالمين.

٣-٥-٣-١-٨- المعيقات الجسدية

وأما عن المعيقات الأخرى ما يمكن إضافتها إلى تلك الأسباب الآنفة الذكر التي كانت معيقات نفسية وفكرية بامتياز أن هناك معيقات جسدية ما يمكن متابعتها وتقصيها في الآيات التالية التي يتحدث فيها موسى عن نفسه وطلبه:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ﴾ ﴿ وَيضِيقُ صَدْرِي وَلا ينْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ وَ لَهُمْ عَلَي ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يقْتُلُونِ﴾ و كذلك في الآية ٣٢-٣٤ من سورة القصص:

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يقْتُلُونِ ﴾ ﴿ وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ ﴾

فقدكان موسى عليه السلام عارفا بنفسه واعيا بمكامن الضعف في ذاته خاصة عدم إطلاق لسانه بوصفه عقبة كأداء في تأدية مهمة الرسالة. يبدو من الآية أن المعوقات الجسدية هي التي تحدّ من الشعور بالثقة بالنفس وتقف عائقا أمام أي إنجاز ومكسب وقد اعترف موسى عليه السلام بتلك المعوقات في منحه الشعور بالضعف. لكن وجود تلك المعوقات لا تبرر الاستسلام للأمر الواقع للذي يشعر بالضعف والنقص في قدراته بل لابد أن يتدارك أمره ويحوّل الضعف والنقص إلى فرصة للاستثمار متجاوزا بذلك كل المعوقات راميا تحقيق الأهداف خاصة بمساندة الآخرين. فقدطلب موسى المساندة والعون تغلبا على ضعفه مفضلا القريب(أخاه) على الآخرين لأن قريب النسب هو أكثر الناس حرصا على النصح والخير للإنسان.

وكذلك في دعاء زكريا عليه السلام حيث بيّن المعيقات التي تعترض مسيرة الرسالة من الوهن في العظام والشيب و العقم:

﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا * إِذْ نادى رَبَّه نِداءً خَفِيا * قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَب شَقِيا * وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِي مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا * يرِثُنِي وَ يرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيا ﴾ مريم/ ٧-١.

فمما يمكن استخلاصه من الآيات أعلاها أن أهم العوائق والهواجس التي كانت تؤرق ضمير هولاء الأنبياء في مسارهم الرسالي التواصلي حاجتهم الماسة إلى من يدعمهم في أمر رسالتهم سواء في تأكيد الدعوة التوحيدية وعلى صعيد الإعلان: ﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يسِّرْ لِي أَمْرِي وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يفْقَهُوا قَوْلِي وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَـثِيرا ﴾ طه/ ٣٤-٤٢.أو على صعيد المجابهة مع الاعداء لكي يكونوا بجانبهم فحبذا لو كان أخا كما في قصة موسى عليه السلام أو ذرية كما في قصة زكريا عليه السلام. ﴿ وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِي مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا﴾ ﴿يرِثُنِي وَ يرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيا ﴾مريم / ٦. فجاءته البشارة بقوله تعالى: ﴿يا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيا﴾مريم/٧.

٣-٥-٤- مكونات التواصل الفعال

٣-٥-٤-١- الذكاء العاطفي

يعتبر الذكاء العاطفي أحد مكونات التواصل الفعال والناجح فسوف نعالج هذا المكون وسنبين مدى أثره في نجاح عملية التواصل خاصة في الخطاب القرآني حيث يعتبر افتقاره عند من يقوم بعملية التواصل مع الآخر من أكبر معيقات التواصل لأن العجز عن تقدير المشاعر العاطفية سواء في الذات أو الآخر يؤدي إلى فقدان الإنسان القدرة على التواصل مع الآخرين.[1]»

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ويمكننا رصده ومتابعته هو، ما هي الآليات التي اتخذها الرسل في التواصل وكيف تمّ الابلاغ بوصفهم مرسلين من جانب الله إلى الناس . فإن أول شئء يلفت النظر في مسألة الدعوة والتبليغ هو شخصية المرسل وتمتعه بقدرات تؤهله على ذلك، ومن تلكم القدرات هو الذكاء العاطفي.

إنّ المقصود من الذكاء العاطفي، مجموعة من المهارات والخصائص الفردية والاجتماعية الذي يوظّفها -من يتصف بها- تعادلا في السلوك والكلام وتمتّعا بعمل أفضل وأحسن في المجتمع والأسرة. فبالتالي لابدّ أن يكون له حاصل الذكاء IQ

---

١. دانييل جولمان: الذكاء العاطفي،ترجمه ليلي الجبالي،الكويت، عالم المعرفة،د.ط، ٢٠٠٠م، ص ٥٤.

وحاصل العاطفة EQ . فالمقصود من IQ القدرات العقلية والإدراكية ومن EQالأحاسيس والعواطف.

في الحقيقة، لدينا عقلين كما يعرفه دانييل جولمان (Daniei GoIeman)في كتابه الذكاء العاطفي: «عقل يفكر وعقل يشعر وهذان العقلان، العاطفي والمنطقي يقومان معا في تناغم دقيق دائما بتضافر نظاميهما المختلفين جدا في المعرفة بقيادة حياتنا. فالعاطفة تغذي وتزود عمليات العقل المنطقي بالمعلومات وهي التي ترشدنا في مواجهة المآزق والمهام الجسيمة لدرجة لا ينفع معا تركها للعقل وحده مثل مواجهة الأخطار أو خسارة أوفقدان شيء أو عزيز أو العمل بمثابرة لتحقيق هدف ما على الرغم من الإحباط بينما يعمل العقل المنطقي على تنقية مدخلات العقل العاطفي وأحيانا يعترض عليها ومع ذلك يظل كل من العقلين ملكتين شبه مستقلتين كل منهما يعكس عملية متميزة لكنهما مترابطتان معا.[١]»

بتعبيرآخر:«إنّ الذي يبغي النجاح في حياته لابدّ أن يكون على وعي تامّ بمشاعره وأحاسيسه وكذلك أحاسيس الآخرين وأن يوظفهما توظيفا منطقيا وعقلانيا.[٢]» .إذن وفق هذا التعريف يكون الذكاء العاطفي، هو ربط العواطف بالذكاء وكذلك الاستخدام الأمثل لحاصل الذكاء IQ و وحاصل العاطفةEQ معا.

تأكيدا لما قلنا أنّ :«الذكاء العاطفي هو قدرتك على إدراك وفهم مشاعرك ومشاعر الآخرين ومن ثمّ الاعتماد على ذلك الوعي لإدارة سلوكك وعلاقاتك. إنّه ذلك الشيء المبهم نوعا ما في كل منّا حيث يؤثّر على إدارتنا للسلوكيات واجتيازنا للأمور الاجتماعية المعقّدة وكيفية اتخاذنا للقرارات الشخصية التي تحقّق نتائج إيجابية.[٣]» كما عرّفه جاردنر(Gardener) بقوله:«أن يتفهم الإنسان ذات ودوافع الآخرين فيما يتعلق بعاداتهم في العمل وأن يستخدم هذه البصيرة لتسيير حياته الخاصة والتواصل مع الآخرين.[٤]»

«إن الذكاء العاطفي يعمل على توليد واستخدام طيف واسع من المشاعر الإيجابية في الذات واستخدام المهارات الاجتماعية كالاستماع إلى الآخرين وقراءة لغة أجسامهم وتعبيرهم غير اللفظية والتعاطف معهم[٥].»إذن يتضمن الذكاء العاطفي معرفة الذات وإدارتها ومعرفة مشاعر الآخرين وتنظيم العلاقات بهم كما نلاحظه في تعريف جولمان(Daniei GoIeman) للذكاء العاطفي حيث يقول:«أن تكون قادرا على حث نفسك على الاستمرار في مواجهة الاحباطات والتحكم في

---

١. المصدرنفسه: صص١٨و ٢٥.

٢. حسن زارعي متين: *مديريت رفتار سازماني، (إدرة السلوك في المنظمات)*، جاب أول ١٣٨٨ه ش، نشر آكاه تهران ، ٣٩.

٣. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*: مكتبة جرير، ط١، ٢٠١٣م، ص ٤٤.

٤. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي* ،ص ٦٢.

٥. المصدرنفسه: ص ٦٢.

النزوات وتأجيل إحساسك بإشباع النفس وإرضاءها والقدرة على تنظيم حالتك النفسية ومنع الأسى أو الألم من شلّ قدرتك على التفكير وأن تكون قادرا على التعاطف مع الآخرين ومنح الشعور بالأمل.[1]»

نستنتج أن المقصود من الذكاء العاطفي هو قدرة الإنسان على التعامل الإيجابي مع نفسه ومع الآخرين، هذه القدرة تشمل التعامل مع عواطفه والتي بها يحقق أكبر قدر ممكن من السعادة لنفسه ولمن حوله.

وأما سالوي(salovy) حيث يعتبر الذكاء العاطفي شكلا من أشكال الذكاء الاجتماعي يشمل قدرة كبح الأهواء والأحاسيس والاستفادة من هذه المعلومات كرائد للفكر و العمل في الحياة الاجتماعية معتبره عنصرا أساسيا من عناصرالسلوك الإنساني وللعديد من المهارات الهامة منها:«إتخاذ القرارات إدارة الوقت، التواصل،المهارات الاجتماعية، التحكم في الغضب، احتمال الضغوط ،الثقة، المرونة، المسؤولية والخ. [2]» فقد قام الأخير بتعريف أبعاد الذكاءالعاطفي وتبيينه. بتعبيرآخر تصنيفه إلى مهارتين وكفاءتين هما: الكفاءة الشخصية والاجتماعية وما يشتمل كل منهما على مهارات.

٣-٥-٤-١-١- أبعاد الذكاء العاطفي

يصف سالووي (salovy) أنواع الذكاء العاطفي الذي قدمها جاردنر في تحديده الأساسي الذي اتسع ليشمل خمسة مجالات أساسية أولها مهارة الوعي بالذات: والتي تندرج تحت الكفاءة الشخصية: إنّ الكفاءة الشخصية يعني«قدرتك على الاحتفاظ بوعيك وبمشاعرك وإدارة سلوكك وميولك.[3]» بتعبيرآخر إنّها تتكوّن من مهارتي الوعي الذاتي والإدارة الذاتية.

٣-٥-٤-١-٢- الكفاءة الشخصية

٣-٥-٤-١-٢-١- مهارة الوعي بالذات

فالمقصود منها الوعي بالحالات النفسية والأولويات والطاقات والأحاسيس. في الحقيقة، إنّ الوعي الذاتي(self awareness) هو جوهر الذكاء العاطفي والحجر الأساس لأي تواصل وتكوين أي علاقة لأنّ من لا يفهم ذاته ويعي نفسه كيف يعي ويفهم الآخرين وكيف يتواصل معهم؟

إن هذه المهارة تعني:«قدرتك على إدراك مشاعرك في وقتها على نحو صحيح وفهم ميولك عبر المواقف والأحداث أي؛

---

١. المصدرنفسه: ص٥٥.

٢. الذكاء العاطفي: ترافيس برادبيري وجين جريفز، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٤٤.

٣. دانيل جولمان : *الذكاء العاطفي*، ص ٤٧.

إدراك ردود أفعالك لأحداث وتحديات وأشخاص محددين.[1]» بتعبيرآخر«إدراكنا لحالتنا النفسية وتفكيرنا بالنسبة لهذه الحالة المزاجية نفسها ومن ثم إدارتها.[2]» لأنّ إدارة الذات يعني:«قدرتك على استخدام وعيك بمشاعرك حتى تحتفظ بمرونتك وتوجّه سلوكك في نهج إيجابي.[3]» بناء على ذلك تتحقق مهارة إدارة الذات التي تتوقف في كينونتها على الوعي الذاتي محتلة المركز الثاني في أبعاد الكفاءة الشخصية وقد تتمثل مهارة الوعي بالذات في «تمييز العواطف والوعي بمكامن القوة والضعف في النفس.[4]»

إن القصد من توظيف الكفائتين الشخصية(الوعي الذاتي وإدارة الذات) والاجتماعية(التعاطف الوجداني ومهارة إدارة العلاقات)هو إبراز مكامن التواصل وكيفية التواصل الناجح في القرآن الكريم بغية الإرشاد والاتعاظ منها في كافة مناحي الحياة الفردية والاجتماعية.

على ضوء تقسيمات دانيل جولمان (Daniei GoIeman)للذكاء العاطفي الذي مرّ ذكره؛ نحاول تبيين تلك المهارات واستجلاءها واستخلاصها غير ناسين العلاقة المطردة بين مهارتي الكفاءة الشخصية الأصليتين(الوعي الذاتي وإدارة الذات) حسب ما يذهب إليه جون ماير(gohn Mayer) بقوله:«إنّ الوعي بالمشاعر والقيام بالأفعال من أجل الأهداف العملية كلها يسيران عادة جنبا إلى جنب ويدا بيد.[5]» كما نلاحظ في الآية التالية حيث الوعي بالمشاعر ثم الإقدام من أجل الهدف وبناء الفعل علي ذلك الوعي.

فقد حصل تأكيد الوعي الذاتي من جانب الرب سبحانه وتعالى إلى النبي الأكرم صل الله عليه وآله ثم ترتب الأفعال على ذلك:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ آل عمران/ ١٥٩.

حيث حصل تاكيد الوعي بالذات (اللين في قلب النبي صل الله عليه وآله وعدم الفظاظة والغلظة في القلب ثم بناء على ذلك الوعي والإقدام من أجل ذلك الوعي، سواء على صعيد الذات أو الآخر أي عفو الناس والاستغفار لهم والمشورة والتوكل.

---

١. المصدر نفسه: ص ٤١.

٢. المصدر نفسه: ص ٧٨.

٣. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*، ص ٥٦. ،

٤. حسن زارعي متين: مديريت رفتار سازماني،(إدرة السلوك في المنظمات)، ص٣٩.

٥. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي* ،ص٦٥..

فقد كانت الأخيرة(التوكل) على صعيدالذات لكن باقي الأفعال كانت على صعيد الآخر والغير. ما يمكن استجلاءه من الآية، أن المقصود من الوعي الذاتي والتنبيه على ذلك ثم بناء الأفعال عليه ما هو إلا تمتين لأواصر التواصل بين الذات والخالق، ثم بين الخالق والناس..في الحقيقة قد تمتع الأنبياء بهذه المعرفة والشعور(الوعي الذاتي) تبليغا للدعوة وتوخيا لتحقيق أهداف الرسالة وتعزيزا للمبادىء كما عند(موسى عليه السلام) حيث الوعي بالذات (عدم إطلاق اللسان) ثم إرسال هارون معه تعزيزا للرسالة بناء على ذلك الوعي: ﴿ وأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي﴾ قصص/٢٣.

وكذلك في نوح عليه السلام حيث الوعي بالذات عنده: ﴿قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ثم توظيف ذلك الوعي بقوله تعالى: ﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ عنكبوت /١٣. فقد بنى الإصلاح بين الناس والتوكل على الله على كونه على بيّنة والرزق الحسن الذي رزقه الله.

٣-٥-٤-١-٢-٢-مراتب الوعي

٣-٥-٤-١-٢-٢-١-الإنسان

إن تأكيد الوعي الذاتي والتعريف بحالة الإنسان ووصف مشاعره يأتي في أتم شكله وهيئته في القرآن الكريم: ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ و :﴿وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ هود/ ١٠.

أو:﴿ لا يسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيؤُسٌ قَنُوطٌ ﴾فصلت/٤٩. أو: ﴿ إِنَّا هَدَيناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً﴾ الانسان/ ٣. حيث الإشعار و الإلمام بمشاعر الإنسان وأحاسيسه وما توسوس به نفسه تنبيهه وتوعيته بأن يكون شاكرا وإما كفورا.

إنّ الوعي بالذات وفي القرآن الكريم يشمل كافة الشرائح الإنسانية، بدءا بالنفس البشرية ذاتها. فإنهّا واعية بذاتها ولذو بصيرة على أمرها وقد أكد القرآن تلك الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها ﴾ الشمس/ ٧ .﴿ بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ﴾ القيامة / ١٥.

فبعض الأحيان ،يحصل الوعي بالذات، لكن بعد فوات الأوان:﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَالْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ زمر/ ٥٨. حيث تمّ فيها وصف الشعور بالندامة والحسرة والتفريط في جنب الله وذلك في يوم القيامة أو هذه الآية التي فيها تعبيرا في غاية الأسى والندم: ﴿ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ﴾

٣-٥-٤-١-٢-٢-٢-الوعي بالذت عند الأنبياء

إن الخطاب القرآني يجلي لنا مراتب الوعي بالذات عندالأنبياء أيضا فإنهم يتمتعون بكفاءات شخصية واجتماعية في غاية القوّة والاستواء ما تؤهّلهم للنهوض برسالتهم ودعوتهم.

إن من كان له ذكاء عاطفي عالي المستوى يدير الحوادث التي فيها ضغوط نفسية وأعباء روحية أحسن من الآخرين ولا ييئس أبدا بل يمتلك الردود الملائمة والمناسبة للوقائع المرة والسلبية. وعلى حد تعبير جاردنر(Gardener) أنّ: «أساس الذكاء في العلاقات بين البشر يشمل القدرة على أنك تميز وتستجيب استجابة ملائمة للحالات النفسية والأمزجة والميول والرغبات الخاصة بالآخرين.[1]»

كما في الآيات التي تدعو الأنبياء إلى الصبر والمغفرة في ظل الظروف العصيبة وتعتبرهما أفضل الردود ومن عزم الأمور: ﴿ وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾شورى/ ٤٣ . أو: ﴿ فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ق/ ٣٩. أو كما في هذه الآية: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ حجر/٨٥.

لكن ليست ردود الأفعال متصلة بالصبر والغفران والصفح بل هناك ردود فعل تأتي منسجمة مع الموقف والظروف حيث الموقف يستدعي ذلك كما في الآيات التي تدعو النبي إلى اتخاذ موقف حاسم وغلاظة في السلوك:

﴿ فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً ﴾ فرقان/ ٥٢.

﴿ يا أَيهَا النَّبِى جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ تحريم/ ٩.

وكذلك في هذه الآية الشريفة حيث الدعاء خير محمل لما في وجدان موسى وما يعتمل في نفسه ونموذجا للوعي بالذات. بقوله تعالى:﴿ قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿ وَ يسِّرْ لِي أَمْرِي وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ ﴿ يفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿ هارُونَ أَخِي﴾ ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿ وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ﴿ كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ ﴿ وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ طه/ ٣٤-٤٢.

---

١. دانيل جولمان: *الذكاء العاطفي*،ص ٦٣.

إن موسى عليه السلام يكرر الشعور ذاته ويصف مشكلته في آيات متعددة مركّزا على الصدر واللسان باعتبارهما مفتاحين أساسيين لإنجاز رسالته فيطلب شرح الصدر وإطلاق اللسان ثمّ تنظيم وإدارة تلك المشاعر بطلب آخر وهو إشراك هارون فيها ففي النهاية تحقق ذلك بقوله تعالى: ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾.القصص/ ٣٥. فبالتالي تم تعيين هارون خليفة وسند له. :﴿قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يصِلُونَ إِلَيكُما بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ﴾

يبدو من الآية أن المعوقات الجسدية هي التي تحدّ من الشعور بالثقة بالنفس وتقف عائقا أمام أي إنجاز ومكسب وقد اعترف موسى عليه السلام بتلك المعوقات في منحه الشعور بالضعف. لكن وجود تلك المعوقات لا تبرر الاستسلام للأمر الواقع للذي يشعر بالضعف والنقص في قدراته بل لابد أن يتدارك أمره ويحوّل الضعف والنقص إلى فرصة للاستثمار متجاوزا بذلك كل المعوقات راميا تحقيق الأهداف خاصة بمساندة الآخرين. فقدطلب موسى المساندة والعون تغلبا على ضعفه مفضلا القريب(أخاه) على الآخرين لأن قريب النسب هو أكثر الناس حرصا على النصح والخير للإنسان.

وعلى صعيدآخر، نلاحظ توظيف هذه المهارة(الوعي الذاتي) في دعاء زكريا عليه السلام حيث دعى ربّه وعبّر عن وعيه الذاتي وبما ألمّ به من مشاعر:

﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا * إِذْ نادى رَبَّهُنِداءً خَفِيا * قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّشَقِيا * وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِي مِنْ وَرائِي وَ كانَتِ امْرَأَتي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا * يرِثُنِي وَ يرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيا ﴾ مريم/ ٧-١.

إنّ زكريا وصف ضعفه الجسدي (بالوهن في العظم واشتعال الرأس شيبا) وعبّر عن عمق الشعور والاحساس وخوفه من الموالي وعدم اكمال رسالته واخفاقه بسبب عقم امرأته.فكان وصفه، ينبئ عن كامل وعيه وشعوره وعلمه بذاته فأراد تنظيمها وإدارتها بالطلب من الله بالذرية تحقيقا لغاية أسمى وهي استمرار الدعوة:

﴿ إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيا﴾ ﴿قالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّشَقِيا﴾ ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوالِى مِنْ وَرائِى وَكانَتِ امْرَأَتِى عاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا﴾ ﴿يرِثُنِى وَيرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيا﴾ مريم / ٦. فجاءته البشارة بقوله تعالى: ﴿ يا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيا﴾ مريم/٧.

وكذلك في مريم حيث عبّرت عن عمق شعورها واحساسها بطلبها الموت والنسيان من ذاكرة الوجود بقوله تعالى:

﴿فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيتَنِى مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيا ﴾ مريم/ ٢٣.

نلاحظ في هذه الآية المباركة، سيطرة مشاعر اليأس والموت على مريم عليها السلام بتمنيها الموت تعبيرا عن تجرعها واقعا مخزيا لايطاق فضلا عن تكثيف حرف التاء في أفعال الآية:(قالَتْ،لَيتَنِى، مِتُّ، كُنْتُ)الموحية بمعاني«الرقة والضعف والتفاهة وانحباس النفس اثناء خروج صوتها.[1]»

وكأن انحباس النفس أثناء خروج صوتها يتماثل مع شعور ووجدان مريم الخانق وواقعها المحبط حيث لا تقوى على مواجهة الواقع وتكون حبيسة الزمان والمكان ثم يأتي تكرار حرف السين في نسيا منسيا «الموحي بالضعف والرقة والدال على الحركة والسير والامتداد.[2]» أي الحركة من الداخل ومن نفس ضعيفة ورقيقة الى الخارج وإلى الامتداد وإلى الموت والنسيان. فكانما تريد الانفلات من الزمان والمكان والانطلاق والسير إلى الامتداد وإلى اللانهاية والتواري في طي الموت والنسيان.

فقد كان تعبيرها بالموت والنسيان، دالا عن وعيها الذاتي العميق والمرير حقا. لذلك تدارك أمرها ربّها وقام بتنظيم وإدارة تلك الأحاسيس حيث تعاطف معها وهدّأ من روعها وطمأنها بقوله:﴿ فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيا﴾ مريم/ ٢٤.

ثمّ أمرها بالصوم وتجنب الكلام مع الآخرين لكي تكون في راحة من كلامهم الجارح.بقوله تعالى: ﴿ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيوْمَ إِنْسِيا ﴾ مريم / ٢٦.

يبدو من هذه الآية أن إحدى الاستراتيجيات التي يوصي بها الله في مثل تلك الأمور الحساسة والعصيبة هو الكف عن الكلام وبتعبيرالقرآن(الصوم) وترك الموقف والظروف المحزنة.«لأن الحديث والكلام يؤدي إلى اجترار أسباب الحزن فذلك يعمق ويقوي الحزن والاكتئاب، فبقطع الكلام ينصرف الذهن عن الأفكار الاكتائبية التي تقتحم الذهن.[3]» فكفت مريم عن الكلام فبذلك قطعت عنهم السبيل لتوريطها في حديث جارح ومحزن.

وكذلك في لوط حيث تولّى الله سبحانه وتعالى التعبير عن إحساس نبيه وقد وصف شعوره بالضيق والسوءمن مجيئه الرسل لأنّه (لوطا) كان يعلم أنّ هؤلاء الرسل هم رسل العذاب على قومه بقوله تعالى: ﴿ وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ

---

١. احسان عباس:*خصائص الحروف العربية*، دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط. ١٩٨٨م، ص ٥٦.

٢. المصدر نفسه:ص ١٠٩- ١١٠.

٣. دانيل جولمان: *الذكاء العاطفي*، ص ٩٩- ١٠٨.

بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ هود/ ٧٠ . ثمّ عبّر لوط عن شعوره هو قائلا: ﴿ وَ قالَهذا يوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود/ ٧٧.

فإن تعبيره بهذا يوم عصيب ما يقوي فكرة العلم بوقوع العذاب والتنبوء بالصعوبة والمشقّة والضيق، بتوظيف مفردات سيء وضاق وعصيب ثمّ تكثيف هذا الإيحاء النفسي بحرف القاف الدال على« معاني القوة والمشقة.[1] » ثمّ توظيف فعل جاء بدلا من أتى في مستهل الآية: لما جاءت رسلنا ممّا يتضاعف الإيحاء بالمشقة والصعوبة. لأنّ فعل جاء في معناه يدلّ على الإتيان بالصعوبة والمشقة.[2]» إذن كل شيء دل على وقوع أمر وحادث عصيب كما بينته الآية.لكن ماذا فعل لوط عليه السلام ؟

إنّ لوط عليه السلام تدارك هذا الوعي الذاتي المنذر بالعذاب بإسداء النصيحة لقومه والدعوة إلى التقوى ثمّ تقديم بناته لهم درءا للخزي بقوله تعالى: ﴿وَ جاءَهُ قَوْمُهُ يهْرَعُونَ إِلَيهِ وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لاتُخْزُونِ فِي ضَيفِي أَ لَيسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هود/ ٧٨.

إن هذه الآية المباركة تصوّر لنا تهافت قوم لوط على اقتراف السيئات بتوظيف فعل يهرعون والهرع بمعنى المشي السريع.[3]» أي يسرعون في اقتراف الذنوب وفي ذلك لم يحفظوا حرمة الضيف ولا حرمة نبيهم لقد انغمسوا في ذنوبهم وفقدوا رشدهم حيث أصبحوا عبيدا لشهواتهم ولم يتمكنوا من التحكم في اندفاعاتهم وكبح جماح ميولهم بتعبير آخر تنقصهم مهارة التحكم بالذات وإدارتها. لأن مفتاح السعادة تكمن في ضبط الانفعالات وكبح جماح الانسياق وراء الشهوات.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بوصفه سؤالا وظيفيا وعينيا ما هي السمات والصفات التي يتحلّى بها هولاء الأذكياء عاطفيا(الأنبياء) في القرآن الكريم ثم كيف يمكننا باعتبارنا مخاطبين القرآن الكريم أن نستجلي تلك المهارات عند من يتصفون بها مع مراعاة الظروف ؟

قد تحدث جولمان عن تلك المعايير والصفات في كتابه الذكاء العاطفي بقوله: «يمتلك الأذكياء عاطفيا القدرة على التواصل مع الآخرين تواصلا سلميا متوازنا ومنضبطا إنّهم يعرفون جيدا مشاعرهم الخاصة ويقومون بإدارتها جيدا ويتفهمون ويتعاملون مع مشاعر الآخرين بصورة ممتازة وهم أكثر من غيرهم إحساسا بالرضا عن أنفسهم والتميز بالكفاءة في حياتهم وبقدرتهم على السيطرة على بنيتهم العقلية.[4] »

---

١. احسان عباس: *خصائص الحروف العربية*، ص ٢٦٢.

٢. محمد ياس خضر الدوري: *دقائق الفروق اللغوية*، لبنان، بيروت، دارالكتب العالمية، ط٢، ٢٠١٤م، ص ٢٠٠.

٣. ابن منظور: *لسان العرب* ، (مادة هرع)

٤. المصدر نفسه:،ص ٥٨.

فقد بدأ البحث، بأول مهارة من الوعي الذاتي حان الآن لكي يتطرق البحث إلى البعدالثاني للكفاءة الشخصية وهو إدارة الذات حيث تندرج كل تلك الصفات المؤهلة للرسل فيها كما يلي:

٣-٥-٤-١-٢-٢- مهارة إدارة الذات

فالمقصود من إدارة الذات، إدارة العواطف و:«القدرة على استخدام الوعي بالمشاعر لكي يحتفظ الإنسان بالمرونة وتوجيه السلوك في نهج إيجابي بتعبير آخر إدارة الذات يختص بالتعامل مع رد فعلك الشعوري تجاه المواقف والاشخاص.[١]» وفي تعبيرآخر مراقبة النفس و«الحيلولة دون بروز الحالات والمثيرات المخلة والمرونة وقابلية التكيف مع الظروف. [٢]»

إن أول مهارة وميزة تؤهل الأنبياء لممارسة مهامهم الرسالي ضمن مهارة إدارة الذات هي مهارة تمييز العواطف وإدارة مكامن الضعف في النفس حيث تجلي لنا هذه الميزة كيفية قابلية التكيف مع الظروف والمرونة النفسية والحيلولة دون المثيرات المخلة بغية حفظ التواصل والبقاء عليه.

٣-٥-٤-١-٢-١ مهارة تمييز العواطف وإدارة مكامن الضعف

إن تمييز العواطف وتحديدها والإقرار بمكامن الضعف وعرضها على من هو أعلم بحالها والخبير بأحوالها؛ تعدأول خطوة في تحقيق التواصل لتفادي المعيقات والحواجز وطلب العون في تجاوزها بتعبير آخر تحقيق التكيف والمرونة كما في قصة النبي موسى عليه السلام حيث عبر عن أحاسيسه والشعور الذي ينتابه للقيام بممهمته ثم إدارة تلك المشاعر وتنظيمها في الآية(١٢) من سورة الشعراء:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ * وَ يضِيقُ صَدْرِي وَلا ينْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ وَ لَهُمْ عَلَي ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يقْتُلُونِ﴾ و كذلك في الآية ٣٢-٣٤ من سورة القصص:

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يقْتُلُونِ ﴾ ﴿ وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يصَدِّقُنِي إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ ﴾

فقدكان موسى عليه السلام عارفا بنفسه واعيا بمكامن الضعف في ذاته خاصة عدم إطلاق لسانه بوصفه عقبة كأداء في تأدية مهمة الرسالة لكن تجاوز هذه المرحلة بتنظيم تلك المشاعر ومكامن الضعف واستثمارها والتأقلم معها. فقد أدار موسى عليه

---

١. الذكاء العاطفي: ترافيس برادبيري وجين جريفز، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٥٦.

٢. زارعي متين: مديريت رفتار سازماني، (إدارة السلوك في المنظمات)، ص ٤١.

السلام ، قلقه وخوفه على عدم تأدية المهمة الربانية، بسبب عدم إطلاق لسانه وقتله على يد قومه وتكذيبهم في قوله: ﴿إِنِّي أَخافُ أَنْ يكَذِّبُونِ ﴾ ثم ﴿ فَأَخافُ أَنْ يقْتُلُونِ ﴾

صحيح أنّ الإقرار بالضعف وإبراز مكامن الضعف أو القوة في النفس، يعدّ من المهارات المنضوية تحت مهارة الوعي بالذات ما يسمّى بالتقييم الذاتي أي: «مهارة المعرفة بمكامن الضعف والقوة.[1]» لكن جاءت إدارة تلك المشاعر والتكيف مع هذالوضع ثم ترشيد هذه المشاعر والمثيرات المخلة وتفادي المشكل بطلب الإسناد من هارون.

فضلا عن إدارة الذات بتوظيف تمييز العواطف وإدارة مكامن الضعف يمكن رصد مهارة أخرى وهي« توظيف مهارة المبادرة وتحمل المسؤولية والمقدرة على صنع القرار والفرصة.[2]» على شكل الاقتراح وصنع القرار هي المهارة الأخرى التي يمكن رصدها في شعور موسى عليه السلام بالضعف تجاه مسؤولية الرسالة ومن ثم إيجادالحلول وعرضه بشكل الطلب بقوله تعالى: ﴿ قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿ وَ يسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ ﴿ يفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿ هارُونَ أَخِي﴾ ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ﴿ كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ ﴿ وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ طه/ ٣٤- ٤٢.

لكن أبرز المهارات وأنجعها مهارتا الصبر والتوكل وقد وظّفتا خير توظيف من قبل الأنبياء باعتبارهم أكثر الناس مراقبة وتكيفا وتلاؤما مع الظروف في سبيل الدعوة.

٣-٥-٤-١-٢-٢- الصبر والتوكل

إن الأنبياء، رغم كل هذه الصعوبات والأذى المضني الذي جابهوه في مسيرتهم، إلاّ أنهّم كانوا يتحلّون بالصبر والتوكل على الله.

في الحقيقة، إن الصبر والتوكل كانا من أنجع الأساليب المؤثرة والوقائية ضدالأسباب المعرقلة والمثبّطة التي كانت تعترضهم.إن «الصبر والتوكل هما الاعتقاد بالمشيئة اللإهية والتصرف الحكيم في أمور الكون من جانب الله وانقطاع الأمل والاهتمام من المخلوق إلى الخالق.[3]»

بتعبيرآخر، إنّ الصبر والتوكل ليس إلاّ «رؤية الأمور والأحداث من منظور مختلف وهذا ما يطلق عليه تغيير الإطار

---

١. زارعي متين:مديريت رفتار سازماني،(*إدرة السلوك المنظمات*)، في ص٤١.

٢.المصدرنفسه: ص٤١

٣. المصدرنفسه: ص ١٨٢.

المعرفي[1].» أي رؤية لا تنحصر في الأفق الضيق المادي بل تخترق المادة إلى المعنويات وتستمدّ القوة الروحية والإطمئنان والأمل للمثابرة والثبات أمام زخم الصعوبات رغم قلّة العدد والعدة. إنها رؤية تمنح الصابر والمتوكّل الانطباق والتكيف الإيجابي مع صعوبات الحياة والوقاية الروحية أمام زحف الهموم والمشاكل. فإنّ التحلّي بهذا التفكير يمنحهم أريحية نفسية وهدوء ويعطيهم الثبات والأمل في مواصلة الكفاح والمثابرة رغم قلّة الإمكانيات والعدة. فهم يترقبون النصر من الله سواء بالوسائط المادية أم غيرها. إنهّم يعتبرون أنفسهم متصلّة بينبوع لا ينضب من القوّة والفضل واللطف. فقداستمدوا منه كل طاقاتهم ومهاراتهم فبالتالي إنّهم خير ما جسّدوا لنا هذه المهارة. لقد سجّلوا أعلى مراتب التوكل على الله في تاريخ المقاومة والثبات وفي مسيرتهم النهضوية ورسالتهم الإنسانية. وقد بينّا أن إدارة الذات(البعد الثاني من الكفاءة الشخصية) ما هو إلا القدرة على التكيف والإنطباق.

وأما عن آيات الصبر حيث تحلّى به كافة الأنبياء: ﴿ و لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا﴾ الأنعام /٣٤. لكن تمثلت بصورة خاصة عند أيوب(عليه السلام) وقد أثنى عليه الله بقوله تعالى لقوة صبره: ﴿إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص / ٣٨.

وكذلك في يعقوب حيث صبر على فراق يوسف سنين طويلة فخاطب أبناؤه معزيا نفسه بقوة الصبر: ﴿ وَ جاؤُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف/ ١٨.

فقد اتخذ الأنبياء الصبر، وسيلة للبقاء على التواصل مع الناس حتى يستطيعوا مواصلة مشوارهم الرسالي، بغية ترسيخ الأصول والمبادىء لأن تأكيد تلك الأصول هي بحاجة إلى الصبر والتأني أيضا وذلك بضبط الانفعالات المخلة والمدمرة التي تنسف عملية التواصل. فمهارة الصبر هي سياسة ضبط النفس أمام مجريات الحياة كما يرى جولمان بقوله يكون الصبر هو: « نوع معين من القدرة على التحكم في النفس[2].» فقد انتهج يعقوب(عليه السلام) سياسة التحكّم بالانفعالات وكبح جموح العاطفة الناتجة عن إدارة الذات ومراقبتها فمراقبة النفس «الحيلولة دون بروز الحالات والمثيرات المخلة.[3]» فمن هذا المنظور يكون الصبر هو نوع من المراقبة الذاتية وكبح جموح الميول والرغبات النفسية.

---

١. المصدرنفسه: ص١١٢.

٢. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي*، ص ١٦٧.

٣.المصدر نفسه: ص ٤١.

فقد كان الأنبياء -رغم كل المحن وصنوف العذاب الذي لاقوه في سبيل الرسالة- على أتمّ الوعي بالذات وإدارتها ثم مراقبتها - لم يبدر منهم أي سلوك عداوني أو كلام جارح أو استفزازي خاصة ضد من مارس في حقهم أسوأ العذاب فقد ضبطوا أنفسهم ومنعو ها من إبراز الحالات المسيئة والاستسلام للمثيرات المخلة حيث يكون الصبر خير سلوك وتصرف إزا تصرفات الآخرين المؤذية خاصة الكلامية منها كما في دعوة النبي صلّى الله عليه وآله إلى التحلّي بها بقوله تعالى:﴿ فَاصْبِرْ عَلى ما يقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ ق/ ٣٩.

أو: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾معارج/ ٥.

وكذلك: ﴿ وَ اصْبِرْ عَلى ما يقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراًجَمِيلاً ﴾ مزمل / ١٠.أو ﴿ فَاصْبِرْكَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أحقاف/٣٥.

نستجلي من هذه الآية المباركة، أن الله يدعو رسله إلى التحلّي بالصبر وكذلك يدعوهم إلى الهجر(اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ أي الابتعاد و ترك الموقف خاصة عند الأذى الناتج عن الكلام يبدو أن الهجر وترك الموقف عند سماع الكلام المؤذي هو السلوك الموصى بها في القرآن الكريم فضلا عن الرد بالقول السلام في مخاطبة الجاهلين بقوله تعالى: ﴿ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ فرقان/٦٣.

ومن منظورآخر،أنّ هذا السلوك النفسي يعتبر السلوك الناجع والفعال،«للحيلولة دون تداعيات الضغوط النفسية أيضا[1].» فقد يعتبر الو سيلة الوقائية الناجحة خاصة عند أصحاب القرار وذوي المسوولیات الكبيرة كما لمسنا فاعلية الصبر في الآيات أعلاها وسنلمس فاعلية التوكل في الآية أدناها بقوله تعالى: ﴿ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ الأحزاب/ ٤٨.

لاحظنا أن الأنبياء، تبنّوا استراتيجية وطريقة مبنية على اللين في القول والصدق، أساسها بناء الثقة في العلاقات والاستقامة على طريق الحق والصبر والتوكل على الله . في الحقيقة، إنّهم كانوا لنا خير قدوة ليس في مواجة الكفار والمعاندين فحسب بل في سلوكهم مع أقرب الناس اليهم كما في سلوك النبي يعقوب مع أبناءه. فقد كان يعقوب متحكما في الانفعالات وكبت المشاعر والصبر وضبط النفس فقد تجلى ذلك بوضوح في تصرفاته وسلوكه عليه السلام لأنّه لم يتصرف تصرفا عدائيا

---

١. زارعي متين: مديريت رفتار سازماني، *(إدرة السلوك في المنظمات)*، ص ٤٧.

ولا انتقاميا ولا تجريحا ولا تعنيفا في الكلام بل اتخذ الصبر مطية من البداية« فلاشك أن مفتاح سعادتنا العاطفية يكمن في ضبط انفعالاتنا المزعجة بصورة دائمة هذا لأن التطرف المتزايد والمكثف في العواطف لفترة طويلة يؤدي إلى تقويض استقرارنا.[1] » إن يعقوب رغم علمه بخطيئة أبناءه وإشعارهم فقد أمسك بخيوط التواصل معهم و برّر خطأهم ونسبه إلى ميول وأهواء النفس والتسويل:﴿ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ثم اتخذ الصبر سلوكا وقائيا له بقوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ يوسف/١٨.

فالصبر كما هو في الحديث مفتاح الفرج فيحصن الفرد أمام الهزيمة والفشل. إنه يمنح الأمل إنّه لذو قوة شافية تمنح الإنسان قوة المواجه وتحدي الإحباط. فالمؤمل والمتفائل هو من يتحمل الشدائد القاسية أفضل من غيره. .ما يعني:«عدم الا ستسلام للقلق الشامل أو الموقف الانهزامي أو الاكتئاب في مواجهة التحديات أو النكسات.[2] » فقد أكد الله سبحانه وتعالى عاقبة الصابرين ومآلهم ما يبعث على التفائل والانطباع الجيد بتحسين الأمور في المستقبل أي الأمل كما في هذه الآيات : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود/ ٤٩ .﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حق ﴾ الروم/٦٠.

وفي قصة يعقوب يمكن ملاحظة هذا التفائل والأمل: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يأْتِيني بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُالْحَكِيمُ﴾ يوسف/٨٣.

فالنبي يعقوب ينفي عن نفسه اليأس بتوظيف فعل عسى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يأْتِيني بِهِمْ جَمِيعاً﴾ الذي يفيد الوقوع والاحتمال باجتماع الأهل ولمّ الشمل مرة أخرى. فقد كان مؤملا ومتفائلا منذ البداية غير مستسلما للأمر الواقع متوقعّا بأنّ الأمور سوف تتحول إلى ما هو أحسن على الرغم من النكسات والإحباطات بفضل توظيف مهارة الصبر. إنه يواصل سلوكه في الصبر وكبح جماح عاطفة الفقد والفراق على يوسف بالتولي وكظم الحزن أثناء فترة الفراق الطويلة فقد عبّر عن كنه شعوره لم يجرحهم بكلام ناب قط فكظم ما يعتلج من مشاعر في نفسه وكبتها حتى لا يقفدالتواصل مع أبناءه فبامكانه أن يقطع صلته بهم ويقاطعهم لكن اكتفى بالتولي عنهم بقوله تعالى:﴿ وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفي عَلى يوسُفَ وَابْيضَّتْ عَيناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف/ ٨٤.

كما يبدو من هذه الآيات أنّ أول خطوة وإجراء سلوكي(إدارة الذات) قام بها يعقوب إزاء تصرفات أبناءه الخاطئة، هو

---

١. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي*، ص ٨٨.

٢ .المصدر نفسه: ص ٢٥٥- ١٥٠.

الصبر ثم التولّي والإعراض ثمّ السكوت والكظم. فالمقصود من التولى عنهم في الآية هو الإدبار والإنصراف:«ولّى الشيء وتولّى بمعنى أدبر و ولّى عنه أعرض عنه ونأى[1].» فعندما يكبت الانفعال تماما فإن ذلك يؤدي إلى العزلة والانطواء حيث الصبر تحول في لبوس آخر وهو التولي والانطواء والانكفاء على الذات فيعقوب بعد أن اتخذ الصبر في بداية الحدث وسيلة وقائية له يغير سلوكه باتخاذ التولي سلوكا آخر تجاه حدث الفراق. فقد أصر على كبت النفس وضبطها إذ جاء وصفه في الآية ب الكظيم والمقصود من:«كظم كظما الشيء وعلى الشيء بمعنى حبسه وسكت[2].» أي إنّه أعرض عنهم وكتم غضبه عنهم وحبسه لكن قام بالتنفيس عن ذلك باللجوء إلى الله في محنته: ﴿ قالَ إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ يوسف/ ٨٦. وكذلك البكاء: وَ ابْيضَّتْ عَيناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف/ ٨٤.

نلاحظ أن يعقوب وظّف كلمة بثّ للتنفيس عن مشاعر الحزن عنده ﴿ قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّه﴾ يوسف / ٨٦. والبثّ كما في لسان العرب:« بمعنى فرّقه ونشره.[3]» إذن ثمة، تناسب بين استخدام هذه المفردة ومع ما ألمّ به من شعث وتبعثر ونشر بسبب التفريق الذي حصل بفقدانه يوسف.

إنّ يعقوب يشكو تبعثره وشعثه إلى الله تعالى وكأنما أحاسيسه ومشاعره تخرج من أعماق نفسه المتبعثرة المتناثرة تماثل واقعه المتبعثر. وقد يتكثّف هذا الشعور والإيحاء النفسي بحرف الثاء أيضا: «حيث تدلّ الثاء على معاني البعثرة والتخليط بشيء من الرقّة بما يحاكي البعثرة في النفس أثناء خروج صوتها.[4]» كما يعتقد إحسان عباس.

وأما سلوكه الأخير وتعامله الأخير بعد الصبر والتولي والكظم هو الصفح و الاستغفار بقوله تعالى: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ يوسف/٩٨. إنّه أنهى كلامه ب﴿ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فكأنه بقوله هذا، فتح باب التوبة بوجهم على مصراعيه بطمئنتهم وقبول الاستغفار لهم بعد ما طلبوا منه وندمهم: ﴿ قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ ﴾ يوسف / ٩٧.

فالملاحظة الأخيرة في هذا الموضوع أن كلمة التولي لا تعني قطع التواصل والمقاطعة فكما تشير الآيات في سورة يوسف،

---

١. ابن منظور: *لسان العرب* ،مادة (ول ي)،

٢. لويس معلوف :*المنجد*،ايران،طهران،مطبعة معراج، ط٢، ١٣٦٥ه ش ،مادة كظم.

٣. ابن منظور:*لسان العرب* ،مادة (بثّ)

٤. إحسان عباس:خصائص الحروف العربية ومعانيها،ص٦٢.

كان يعقوب عليه السلام على تواصل مع أبناءه وكانوا هم يراجعونه أيضا في مشاكلهم ويستشيرونه ويستأذنونه كما استأذنوه في إرسال بنيامين أخ يوسف إلى مصر بمعيتهم عندما أصابهم القحط: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ يوسف/ ٦٣.

إن الصبر ليس ديدن الأنبياء فحسب بل أوصى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بذلك ايضا: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة/١٥٣. فقد حث الله على التحلي بالصبر وفي النهاية أكد معيته مع الصابرين ما يعطي شعورا وانطباعا بالهدوء النفسي والطمأنه وحضور الرب.

وأما عن توظيف مهارة التوكل في الخطاب القرآني كما نلاحظه في خطاب نوح إلى قومه حيث التحلي بالتوكل في خطابه:

﴿قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَينَةٍ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ ماأُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ عنكبوت /١٣.

وكذلك في سورة يونس عليه السلام: ﴿ وَ اتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيكُمْ مَقامِي وَ تَذْكِيرِي بِآياتِاللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يونس/ ٧١.

وكذلك في سورة هود وعن لسان هود عليه السلام: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ ﴾ هود/ ٥٦. وعن لسان يعقوب بقوله تعالى:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيه فَلْيتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف/ ٦٧.

وأما بالنسبة إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقد أوصى الله نبيه بالتحلي بالتوكل : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾النساء/ ٨١. ﴿ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ أحزاب/ ٤٨.

٣-٥-٤-١-٢-٣- الصدق

وأما المهارة الأخرى، التي يمكننا استيحائها من الآيات القرآنية والمنضوية تحت مهارة إدارة الذات: هي مهارة الصدق والشعور بالمسؤولية. فإنها تعتبر من منظور الذكاء العاطفي مهارة من مهارات الكفاءة الشخصية ومقوماتها. فبانعدامها تبوء بالفشل كل

محاولات التقارب والتواصل لأنّ:« إدارة الذات تتعلق بالاختيار والتصرف بهدف خلق تواصل صادق وعميق مع الآخرين ولكي تفعل هذا يجب أن تكون صادقا مع الآخرين ومع نفسك.[1]» فالصدق مع الذات هو أول خطوة في التواصل البناء والمؤثر مع الآخرين.

فبما أن الصدق والصراحة، ميزة مهمة في العملية التواصلية لقد تحلّى بصدق القول والوعد صاحب الدعوة سبحانه وتعالى و الطرف الأول والأهم في عملية التواصل قبل أن يتصف حاملي الدعوة بها بقوله تعالى: ﴿ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً ﴾ الأنعام / ١١٥.

وكذلك بقوله: ﴿ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾ نساء / ١٢٢ أو هذه الآية حيث وصف وعده بالصدق: ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أَصْحابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يوعَدُونَ﴾ أحقاف/ ١٦.

لقداتصف صاحب الدعوة وحامل الدعوة وكذلك الدعوة بعينها(القرآن)بهذه الميزة في القرآن الكريم فهذا دليل على أهميتها في عملية التواصل.

لقد نعت الله كتابه بالمصدّق بقوله تعالى: ﴿ وَ هذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أحقاف/ ١٢.

وقد كان الأنبياء يتمتعون بنسبة عالية منها وقد اتصفوا بهذه الصفة والمهارة الأساسية في القرآن الكريم كما في وصف ابراهيم:﴿ وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيا ﴾ مريم/ ٤١.

كذلك في وصف اسحق ويعقوب حينما أثني عليهم في القرآن الكريم فكان الثناء هو الصدق: ﴿ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ جَعَلْنا نَبِيا وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيا﴾ . مريم/٥٠.

وكذلك في اسماعيل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيا ﴾ مريم / ٥٤.

وكذلك في إدريس: ﴿ وَاذْكُرْ فِيالْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيا﴾ مريم/ ٥٦.

لقد كانت رسالة الأنبياء وأهدافها واضحة وشفافة وكذلك سمات الرسل وغايتهم واضحة حيث لم ينسبوا لأنفسهم ما

---

١. الذكاء العاطفي: ترافيس برادبيري وجين جريفز، ص ٢٢.

لايتصفون بها ولايملكونها كما في هذه الآية المباركة:

﴿وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾هود / ٣١.

فقد بيّن لهم سيدنا نوح عليه السلام و بمنتهى الصدق والثقة أنّه لا يملك الخزائن ولا يدّعي علم الغيب بل إنّه رسول من رب العالمين فحسب :

﴿ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ الأعراف/ ٦١.بل إنّه ناصح أمين﴿: أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعراف/ ٦٨.

فاستكمالا لمشواره التواصلي، نراه عليه السلام يبعد عن نفسه الظنون والشبه بأنّه لايسأل على أمر رسالته مالا أي غايتة ليست مادية: ﴿ يا قَوْمِ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ مالاً إِنْ أَجرِي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ هود / ٢٩.

إنّه لا يطلب منهم أي أجرا فكان هذا التصريح من عنده خير دليل على إخلاصه وصدقه في دعوته.إذ تحملوا أعباء الرسالة كلّها ولم يطلبوا أجرا عليها كما قال نوح عليه السلام بقوله تعالى:

﴿ يا قَوْمِ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ مالاً إِنْ أَجرِي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ هود / ٢٩. أو هذه الآية: ﴿ قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ ﴾ سبأ/ ٤٨.

هذا من جانب ومن جانب آخر قد بلغ بهم الصدق والإحساس بالمسؤولية إلى أن أشهدوا قومهم على تبليغ رسالاتهم حفاظا على بلوغ أعلى معايير ومواصفات الصدق باعتبارها إحدى المهارات المنضوية تحت مهارة إدارة الذات كما أشهد نوح قومه على تبليغ الرسالة بقوله تعالى:

﴿ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ ﴾ الأعراف/ ٩٣

وكذلك عند هود بقوله تعالى: ﴿ فَتَولّي عنهم وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ ﴾ أعراف/ ٩٣. وكذلك النبي صالح بقوله تعالى:

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ أعراف/٧٩.

يبدو من سياق الآية أنهما بعد توليهما عن قومهما لم يتخليا عن مهمتهما ويستمرون في النصح والإرشاد فقد كانوا ملتزمين بالرسالة رغم استنفاد كل الوسائل وعدم جدواها معهم. في الحقيقة إن تكرار النصح وإبلاغ الرسالة هو تكرار وتذكير ومعاودة للتواصل فبتكرار رسالات الرب والنصح كانوا يعاودون تواصلهم مع قومهم الكافر حتى لمسوا منهم الاستياء وعدم

الحب للنصح والناصحين.

فقد أبدوا صدقهم و شعورهم الصادق، بإبداء الخوف على مصيرالقوم كما تثبت الآيات أدناها:

﴿ إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ عَذابَ يوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هود /٢٥ ﴿ إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ عَذابَ يوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ هود/ ٨٤ .

إن تمسك نوح وشعيب (عليهما السلام)بمبدأ الإحساس بالمسؤولية، لم يسمح لهم بأن يكونا متفرجّين ومحايدين تجاه الأخطار المحيطة بقومهما لذلك أبدوا خوفهما على مصير قومهما وقاما بتحذير القوم من العذاب وذلك بالتعبير عن شعورهم(بأخاف عليكم).

إن التفوه بهذه العبارة كانت دلالة على عمق الشعور بالمسؤولية تجاه من وكّل إليهم هدايتهم ورعايتهم وفي توظيف هذه المهارة كان النبي أشد الحرص على هدى قومه من الأنبياء كافة والدليل على ذلك ما وصفه القرآن الكريم في حق النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ توبة / ١٢٧ .

إن هذه الصفات تنبىء عن تمتعه صلى الله عليه وآله بأعلى نسب الالتزام في دعوته حيث كونه(صلوات الله عليه)من بني قومه ومن بين أنفسهم وهذا يحمله مسؤولية أخرى ويجعله يعنت ويحرص على هداهم كل الحرص.

إن هذا الحرص ما ينبىء عن قوة تواصله مع أمته من جانب أخرى حيث كونه منهم فمن الطبيعي أن يعز عليه مايعنتون.

٣-٥-٤-١-٢-٤- الدافعية والترغيب والتحفيز

جاء في تحديدنا للذكاء العاطفي وتقسيماته، أنّ الدافعية والترغيب إحدى المهارات المنضوية تحت مضلّة الكفاءة الشخصية وهي بمعنى:« توسيع الرغبات والدوافع لبلوغ الأهداف المستقبلية.[١] » وعلى حد تعبير فاضل السامرائي الترغيب يعني: تنبيه المخاطب إلى فعل مندوب وممدوح بغية الإنجاز [٢].» فيما اعتبره العلماء النفسيين إنّه: «الباعث النفسي للأفعال والموجّه الرئيس في مسار مقصود[٣].»

نلاحظ أنّ هذه المهارة بأبعادها، موظّفة بشكل جلّي في القرآن الكريم بغية تحقيق غاية السعادة والحياة الطيبة في

---

١. زارعي متين: *إدارة السلوك والمنظمات* ،ص ٤١.

٢. فاضل السامرائي: *معاني النحو*، بيروت ، دارالفكر،٢٠٠٣م، ص ١٠٠.

٣. حسين لطف آبادي: *علم النفس التربوي*، طهران، نشر السمت، ١٣٦٨ ه ش، ص ٣٧.

الدنيا والآخرة عند الإنسان. فثمّة دوافع شتّى ورغائب عديدة وراء توظيف هذه المهارة من جانب الله سبحانه وتعالى منها: الرغبة إلى فعل الخيرات واجتناب المعاصي وإلى التوبة وإلى العمل الصالح وكذلك العمل بالتكاليف والفروضات في القرآن الكريم لذلك حاولنا الإلمام باليسير منه وتبيينه على ضوء هذه المهارة من مهارات الذكاء العاطفي. وضحّنا سابقا، أنّ المقصود من توظيف هذه المهارة، هو الإنجاز. فإذا تكون النتائج المترتبّة على تحقيقها واضحة وصريحة فمن الطبيعي أن تتضاعف الرغبة إلى إنجازه كما يعتقده إدوين لاك (Edwin locke) بقوله:« إن وضوح الأهداف مصدر رئيس للدافعية والترغيب.[1]» مثلما نرى ذلك في الآيات التي فيها الآثار والنتائج واضحة وظاهرة سواء على المستوى المادي أو المعنوي أو المادي والمعنوي معا:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ أعراف/ ٩٦.

حيث الجزاء في الآية أعلاها، جزاء ماديا فكان الترغيب في الإيمان والتقوى فيها، بذكر المثوبة والجزاء المترتب عليه ماديا. أي حصول الخير والبركات من السماء ومن الأرض حال وجود التقوى والإيمان وكذلك في هذه الآيه:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً ﴾ حديد/ ١١. حيث يكون تضاعف المال وزيادته هو الدافع والباعث للقرض وفي المقابل هناك آيات تتحدث عن الجزاء المعنوي البحت: ﴿ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ توبة/ ٧٢.

لكن في كثير من الآيات يكون الجزاء، جزاء ماديا ومعنويا معا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ الرحمن/ ٥٥.

وكذلك في هذه الآية: ﴿ لَقَدْ رَضِي اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يبايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ فتح / ١٨ حيث الرضى والسكينة والفتح القريب.

وأيضا: ﴿ وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ﴾ آل عمران /١٣٥-١٣٦.

---

١. المصدر نفسه: ص٧٨.

جاء الترغيب في التوبة في الآية أعلاها، أولا بذكر المثوبة المتوقعة أي المغفرة(الثواب المعنوي) ثّم النعيم المنتظر في الجنة ووصفها أي (الثواب المادي الأخروي) زيادة في التشويق والترغيب رغم عظم الذنب والخطب.

في الحقيقة إنّ الآيات التي نستشف منها روح الترغيب والتحفيز والدافعية، تعطينا صورة ومنهاجا معرفيا وخلقيا في الحياة وترسم لنا الحياة الطيبة والمستوية والمتوازنة مثلما في هذه الآية:

﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يعْمَلُونَ ﴾ نحل/ ٩٧.

إنّ هذه الآية تحثّ على العمل الصالح والإيمان فتجعل الحياة الطيبة الجزاء على ذلك إذ لا فرق بين الذكر والأنثى في نيل الجزاء.

وكذلك في هذه الآية:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يتَّقِ وَيصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يضِيعُ أَجْرَ الْمحْسِنِينَ ﴾يوسف/ ٩٠. ففيها تحفيز وترغيب إلى التقوى والصبر والإحسان . وكذلك في هذه الآية: ﴿ وَ لَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ شورى / ٤٣. بالتالي يمكننا استجلاء الاستراتيجيات والأساليب الموظفة في القرآن و رصدها للمتتبعين والمهتمين بها. فعلى سبيل المثال حينما يخاطب الله الإنسان بقوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾انفطار/ ٦.

يمكننا استجلاء الحدب والعطوفة والكرم والتماس لمسة الحنان والعطف في وصف ذاته بالكريم(بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)مضافا إليه الإنسان - الكاف في (ربك)- تكريما وتشريفا منه وله حيث ينسبه إلى ذاته المقدسة رابطا بينه وبين الإنسان برباط متين وهو الانتساب وقد اتخذ في ذلك، أسلوب الاستفهام الذي يخفف من حدّة التوجيه المباشر ويلقي بضلال العطف والمحبة على مخاطبه الإنسان فقد أراد الله سبحانه وتعالى مد جسور التواصل، بينه وبين الإنسان باتخاذ استراتيجية العطف.

في الحقيقة إن هذا التشريف، ما هو إلا تحفيز وترغيب بالتواصل مع الرب وأي رب، رب كريم فيكون أكبر دافع وحافز لمارسة الأفعال الحسنة والرغبة فيها.

وكذلك في خطابه المذنبين إذ لا يخفى قوّة العطف والحدب عليهم خاصة في مناداتهم وانتسابهم إليه كما تطرقنا إلى ذلك بالتفصيل في الآية ٥٣ من سورة زمر في الفصول السابقة فقد أكد الله سبحانه وتعالى، وعيهم بذواتهم عبر خطابهم ب يا عبادي: ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ زمر/ ٥٣. وقد نسبهم إلى نفسه رغم الذنوب التي ارتكبوها فقد أراد سبحانه وتعالى، إتاحة الفرصة لإعادة التواصل معهم وتدارك الشعور الذي ينتابهم من الخجل بعدم توجيه الخطاب المباشر. ثم إنه الغفار الذي قد فتح باب القبول والاحتضان ﴿إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ و على كافة عباده بقوله تعالى: ﴿ وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾ طه/٨٢.

إن الله سبحانه وتعالى قدّم صفته(الغفّار) في الآية أعلاها وأورده بصيغة الجملة الإسمية الدالّة على الثبوت والاستمرار تأكيدا على غفرانه للذنوب وقد جاءت مؤكّدة بلام التوكيد فضلا عن إيرادها بالصيغة المبالغة التي زادته تاكيدا وتأثيرا.

فمن المسلم به أن لكل من هذه الظرائف التعبيرية في القرآن الكريم دلالات ومقاصد. فمن تلك الظرائف التعبيرية، يكون بلاغة التقديم والتأخير وقد يحصل التقديم والتأخير للأهمية وما يقتضيه الحال والسياق كما يرى فاضل السامرائي:« فالتقديم والتأخير إنما يكونان بحسب الأهمية وبحسب ما يقتضيه المقام والسياق.[1]» وكما لاحظنا في الآية السابقة تقدم الغفار(الخبر) على من تاب وآمن وذلك كأنما كان تعجيلا بالخبر أي(الغفران) زيادة في التشويق والترغيب والمسرة لهم لكي لا يستسلموا لليأس والإحباط الذي تولّده الذنوب. لأنّ المقام هو مقام الترغيب ومن ثمّ التعجيل بالمسرة والمغفرة.

والآن حان الحين لكي نتطرق إلى مهارتين منطويتين تحت مهارة الدافعية والتحفيز حسب تقسيمات جولمان وهما: « التفائل والثبات والالتزام بالمبدأ.[2]»

٣-٥-٤-١-٢-٥-التفاؤل والثبات

تبين أن وضوح الهدف والنتائج من أهم الدوافع والمحفزات للإنجاز، لكنّه ليس كافيا بل يتطلب المثابرة والسعي الدؤوب والاجتهاد رغم كل المعوقات والعراقيل. وقد كشف لنا القرآن عن توظيف هذه المهارة التي كان يتمتع بها الأنبياء في أعلى مراتبها وهي مهارة التحلّي بالتفاؤل والثبات في مواصلة الهدف.

إنّ المقصود من التفاؤل: «هو الثبات والمثابرة والسعي الحثيث رغم الصعوبات والمشاق.[3]» إن التفائل، هو أعظم حافز لمواصلة العمل رغم الإخفاقات والانتكاسات إنّه من منظور الذكاء العاطفي يعني «أن يتوقع المرء توقعا قويا إن الأمور سوف تتحول في الحياة دائما إلى ما هو سليم على الرغم من وجود النكسات والاحباطات إنه موقف يحمي الناس من الوقوع في اللامبالاة وفقدان الأمل والإصابة بالإكتئاب في مواجهة مجريات الحياة القاسية إنه عبارة عن تركيبة من الموهبة المعقولة مع

---

١. فاضل صالح السامرائي: *من أسرار البيان القرآني* ،الأردن، دارالفكر ناشرون وموزعون، ط١، ٢٠٠٩م، ص١١٥.

٢. زارعي متين:،(إدرة السلوك في المنظمات)، ص ٤١.

٣. زارعي متين: مديريت رفتار سازماني، (*إدرة السلوك في المنظمات*)، ص ٤١.

القدرة على الاستمرار في مواجهة الهزيمة للوصول إلى النجاح.[1]»

وقد لاحظنا توظيفها البارز عند نوح عليه السلام حيث يتحدث عن مثابرته ودعوته المتواصلة ليلا ونهارا رغم كل ألأسباب المثبطة أي إني دعوتهم في كل وقت وزمان ولم أتواني في الدعوة والتبليغ: ﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيلاً وَنَهاراً﴾ نوح/ ٥.

وفي آية أخرى، يتحدث عن نوعية الدعوة وكونها سرا وجهرا بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً ثُمَّ إِنِّيأَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرارا﴾ نوح/ ٩.

وكذلك في أنبياء قوم عاد وثمود حيث عبّر الله عن كثرة إتيان رسلهم إليهم وكثرة دعوتهم إلى قبول التوحيد بهذا التعبير: ﴿ إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَينِ أَيدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ فصلت/ ١٤.

فتعبير من بين أيديهم ومن خلفهم فيه إشارة لطيفة إلى كثرة الرجوع والإصرار والحرص على الهدى والتوحيد وكذلك دلالة على مثابرتهم وسعيهم الدؤوب في التبليغ رغم الصد والتولّي والاستكبار.

لقداحتملوا في سبيل الدعوة شتّى الإهانات وكبير الأذى فقد هدّدوا بالرجم والنفي والقتل والحرق ناهيك عن الاضطهاد النفسي والإهانات التي كانت تكال عليهم وتمارس من لدن نوح حتى خاتم الرسل(صلوات الله عليه وعلى آله) فلنبدأ بنوح أبي الأنبياء والرسل وما عاناه من قومه فقد نسبوه بالضلالة والسفاهة والكذب والجنون حسبما ورد في القرآن الكريم: ﴿قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * قالَ يا قَوْمِ لَيسَ بِي ضَلالَة﴾ أعراف/٦١. ﴿ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَالْكاذِبِينَ ﴾ الأعراف / ٦٦.

أو في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ﴾ قمر / ٥٤ ومع هذا لم يجد من الآخر إلّا تباعدا ونفورا وقد ازدادت لغتهم الجارحة حدة فيه:﴿ قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنافَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هود/ ٣٢.

وكذلك في موسى عليه السلام حيث رموه بالسحر والجنون: ﴿وَ فِي مُوسى إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾«

---

١. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*، ص ١٣٢.

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ذاريات/ ٣٩ .

وفي آية أخرى جابهوه بالضحك والاستهزاء فضلا عن اتهام السحر: ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْهايضْحَكُونَ﴾ ﴿ وَ قالُوا يا أَيهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ﴾ زخرف/ ٤٩.

وكذلك في النبي صلى الله عليه وآله حيث رموه بالمعلم المجنون والشاعر فضلا عن الاستهزاءكما في هذه الآيات: ﴿ وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ فرقان / ٤١.﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ الدخان/ ١٤.﴿ أَمْ يقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ الْمَنُونِ﴾ طور/ ٣٠.

هذا من حيث الجانب النفسي أما من حيث الممارسة العدائية الجسدية نلاحظ شتى الممارسات من رجم ونفي وحرق وقتل كما نلاحظها عند نوح (عليه السلام) حيث هُدّد بالرجم رغم سعة صدره وسماحته ونفسه الطويل في الدعوة فكان عليه السلام،حيث لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يواصل مسيرة الدعوة:

﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً﴾ العنكبوت/ ١٤. رغم كل هذا هددوه بالرجم: ﴿ قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ شعراء / ١١٦.

هدد لوط بالنفي والإخراج أيضا:

﴿ وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يتَطَهَّرُونَ ﴾ الأعراف/ ٨٢. وكذلك في شعيب (عليه السلام) حيث الرجم والنفي يلاحقه:

﴿ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْقَرْيتِنا ﴾ الأعراف / ٨٨.

﴿ قالُوا يا شُعَيبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَينا بِعَزِيزٍ﴾ هود/٩١.

كانت تمارس هذه الاستراتيجيات من قبل فئة صغيرة مستكبرة أخذت زمام الحكم بيدها وقد سمّيت في القرآن بالملأ وقد لعبت دورا سلبيا عدائيا في مناهضة الأنبياء كما لاحظناه في الآيات.

وفي أمر النبي صلى الله عليه وآله حيث الاخراج والاستفزاز بقوله تعالى:﴿ وَ إِنْ كادُوا لَيسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. أسرى / ٧٦.

يبدو أن إقصاء الآخر والنفي إحدى الاستراتيجيات العدائية التي مورست ضد الأنبياء كما يشير إليها القرآن: ﴿ وَ قالَ

الَّذِينَ كَفَرُوالِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا ﴾ ابراهيم / ١٣.

وكذلك الحرق بالنسبة إلى ابراهيم والقتل بالنسبة إلى موسى:

﴿ قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴾ الأنبياء/ ٦٨ ﴿ قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يأْتَمِرُونَ بِكَلِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ قصص/ ٢٠.

٣-٥-٤-١-٣- الالتزام بالقواعدالسلوك في الخطاب القرآني

وقد يتمثل هذا الإدراك والتعبير عن المشاعر «في الكيفية التي يعبّر بها أيضا.[١]» أي لا يقتصر الأمر على تفهم المشاعر وإدراكها بل يأتي الاهتمام بكيفية صياغتها حيث يلاحظ في الآية الشريفة أعلاها؛ أن الله تجنب الخطاب المباشر وجاء بالفعل المجهول كتب تخفيفا عليهم وتكريما بهم.

إن هذه الكيفية والصياغة ما تسمّى بقواعد التعبير حسب رأي بول إيكمان (paul Ekman)للتعبير عن المشاعر على نحو لائق[٢].» وقبل الولوج في هذا البحث يتوجب التنبيه بأن في القرآن الكريم هناك التزام بقواعدالسلوك أيضا.

يلاحظ في القرآن الكريم أنّه سبحانه وتعالى يحثّ أولا عباده على الإلتزام بقواعد السلوك ثم الالتزام بقواعدالتعبير.كما في الآيات التي تدعو الى عدم الجهر بالسوء و عدم رفع الصوت عند من له السلطة والقوة والحكم لأنّه أسلوب وسلوك غير مهذب فعادة يكون رفع الصوت عند سيطرة مشاعر الغضب أو الظلم أو سائر الإنفعالات والمشاعر فأراد الله أولا تعليم الالتزام بأولى قواعد السلوك في العلاقات ثم الإلتزام بقواعدالتعبير بقوله تعالى: ﴿لا يحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ ﴾ نساء/ ١٤٨. وكذلك في الآية التالية:

﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَينَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ ﴾ نور/ ٦٣. أو كما في هذه الآية: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ حجرات/ ٢.

وفي حثّه على الالتزام بقواعد السلوك جعل المغفرة والأجر العظيم مثوبة على ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ

---

١. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي*،ص ١٦٨.

٢. المصدرنفسه: ص ١٦٨.

رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الحجرات/ ٣. وكذلك في نهييه وتقريعه بمن يرفعون الصوت بالنداء وصفهم ب لايعقلون:﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِأَكْثَرُهُمْ لا يعْقِلُونَ ﴾ الحجرات / ٤.

ونلاحظ ذلك أيضا في مواعظ لقمان حيث اعتبر رفع الصوت أمرا مشينا وأسلوبا غير مهذبا بقوله تعالى: ﴿وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَإِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ لقمان / ١٩.

لقد شبه لقمان رفع الصوت بصوت الحمير مشبها هذا السلوك الصادر من الإنسان بسلوك الحمير وصوته القبيح وذلك تشبيه في غاية الاستنكار والشين وقد شدد على قبحه بزيادة التوكيدات الواردة في الآيةب(إنّ واللام) .

وأما في موضوع توظيف قواعد التعبير بالأسلوب اللائق في القرآن الكريم فيمكننا الإشارة إلى هذه الآيات الشريفات حيث تجنب فيها سبحانه وتعالى التصريح بالممارسة الجنسية وكنّى عنها بالملامسة والرفث والحرث حفاظا على الآداب واللياقة الاجتماعية بقوله تعالى: ﴿ فإذا لامَسْتُمُ النِّساءَ ﴾ نساء / ٤٣.أو ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ﴾بقرة/ ١٨٦. أو ﴿ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ بقرة/ ٢٢٣.

إنّ هذه الكيفيات والأساليب لها أنواع متعددة أساسية كما يقول جولمان: ‹‹أحدها استبدال الشعور بشعور آخر عند توظيف إحدى قواعد التعبير والثاني هو التعبير المبالغ.[1]››

فقد رصد البحث هذا الاستبدال من أجل التعبير اللائق كما أشير في الآية أعلاها: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ﴾ بقرة/ ١٨٦. فبالتالي تجنب صيغة الأمر واستبدلها بصيغة الفعل المجهول حفاظا على التعبير اللائق.

وأما القاعدة الأخرى تتمثل في التعبير المبالغ فيه عما يشعر به الإنسان بتضخيم إظهار عواطفه نحو مانراه في الأمثلة البلاغية التي نستشهد بها للإيغال:﴿ يرْزُقُ مَنْ يشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾ بقرة/ ٢١٢.أو التذييل:﴿ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَالْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً ﴾ أسراء / ٨١.

أو للتكرار:

﴿ وَ قالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِأَ هْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ غافر/ ٣٧. ﴿ يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَ إِنَّ

---

١. دانيل جولمان المصدرنفسه، ص١٦٨.

الآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ﴾غافر / ٣٨.

أو التجريد: ﴿لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ﴾ فصلت/ ٢٨.

ففي كل من هذه الآيات ثمة تضخيم واهتمام في إظهار المشاعر والعواطف بالتزام قواعد التعبير.في الحقيقة هذا ما يتناسب مع سياق الموقف الاجتماعي الثقافي الذي تم معالجته وبحثه سابقا.

مهارة الدعاء: وأما المهارة الأخرى التي يمكن إدراجها ضمن مهارات إدارة الذات هي مهارة الدعاء وقد تطرق البحث إليه بالتفصيل

فقد وظفت هذه المهارة بشكل جلي عند أول المتلقين والمبلغين فقد كان الدعاء ذلك الحبل المتين القوي والباب المفتوح لتكوين أفضل وأقوم العلاقات وأحكمها بين مخلوق في غاية الضعف وخالق عظيم ما يبعث على الفخر والسرور ومدعاة للهدوء والاطمينان. يمثّل الدعاء أرقى درجات الافتقار حيث الاعتقاد بالربوبية والإيمان بها يمنع العبد من التوجه والاهتمام بغيره من العباد والمخلوقات يمثل أرقى درجات الانقطاع من الغير والتوجه إلى الله.

« إنّ مصطلح الدعاء يعني: طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة ممثّلا الرغبة إلى الله عز وجل في كلام انشائي دالّ على الطلب والسؤال في خضوع. في الحقيقة يكون الدعاء هو التوسل إلى المدعو للتفضل بالاستجابة أو طلب الاستجابة على وجه التفضل وفي ذلك قد أجمع العلماء على أن الدعاء ليس أمرا بل خطاب توسلي استعطافي من العبد إلى الرب وقصده الاستجابة تفضلا.[١]»

إن مهارة الدعاء تختزل في ذاتها مهارتي الوعي بالذات ثم إدارة الذات. انها حافلة بأرق المشاعر والأحاسيس وفيضان المشاعر من جهة وغلبة العقل وتنظيم وكبح العاطف والأجساس من جهة أخرى.

٣-٥-٤-٢- الكفاءة الإجتماعية

إن ما جئنا به من شواهد قرآنية كان خير مثال للوعي بالذات وتوظيفها، باعتبارها العامل الرئيس في بناء العملية التواصلية وتحقيق غايات الدعوة على الصعيد الشخصي لكن ثمة آيات تنبىء عن كفاءة أخرى ما تسمى بالكفاءة الاجتماعية والتي يندرج تحتها مهارات كالتقمص الوجداني وإدارة العلاقات وقد بيننا الكفاءة الشخصية سلفا. أما الآن نتطرق الى مهارة أخرى وهي

---

١. محمود
عكاشة: *تحليل الخطاب*،القاهرة، دارالنشر للجامعات ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٤٣.

مهارة التعاطف باعتبارها المهارة الأولى من مهارات الكفاءة الاجتماعية.

وأما المقصود من الكفاءة الاجتماعية هي:« القدرة على فهم الحالات المزاجية للآخرين وسلوكياتهم ودوافعهم حتى يتمكّن الإنسان من تحسين جودة علاقاته بالآخرين.[1]» إنهّا حسب رأي جاردنر(Gardener):« الذكاء في العلاقات المتبادلة بين الناس والقدرة على فهم الآخرين وما الذي يحركهم وكيف يمارسون عملهم وكيف يتعاون معهم. فالذكاءالخاص بين الناس هو القدرة على تبادل العلاقات فيما بينهم التي تتحول إلى قدرة داخلية إنها المقدرة على تشكيل نموذج محدد وحقيقي للذات لكي يتمكن من التأثير بفاعلية في الحياة.[2]»

في الحقيقة إنّها تتضمن مهارتي الوعي الاجتماعي أي إدراك عواطف الآخرين ومن ثمّ إدراة تلك المشاعر والعلاقات التي تبنى عليها وتأسس عليها انها تجعل الانسان أن يتفهم أحاسيس الآخرين ومشاعرهم حتّى يتسنّى له مساعدتهم وتفهّم ما يقومون به من أعمال بغية تصحيح المسار والإرشاد وكذلك مواساتهم في ما يعانون حيث يكون آلامهم آلامه ومحنتهم محنته.هذا الشعور يعني:«أن تصور نفسك في مكان الآخر وتتعرف على عواطف الآخرين ما يسمى التقمص الوجداني (empathy) [3].» وتحب له ما تحب لنفسك بل أرقى من ذلك،أن تؤثره على نفسك وهذا يعني مشاعر الغيرية والإيثار.

يقول جولمان في تعريفه عن الكفاءة الاجتماعية:«إنّها تعتبر فن العلاقات البشرية وتتطلب مرونة عالية في التعامل مع الغير وقدرة على التأثير والإقناع.[4]» ويؤيده في ذلك:«ثوراندیك بقوله إن الكفاءة الاجتماعية هي: القدرة على فهم وإدارة الرجال والأولاد والبنات ليتصرفوا بحكمة في العلاقات الإنسانية والقدرة على اجتذاب الآخرين والتأثير فيهم وقيادتهم واكتساب حبهم واحترامهم وفهم دوافع ورغبات الآخرين والقدرة على العمل معهم والتأثير فيهم[5].»

بناء على ما تم مناقشته ، يمكننا اختزال الذكاء العاطفي في سطور حسب تقسيمات ترافيس برادبيري وجين جريفز في كتابهما الذكاء العاطفي على ما يلي:

«١.الوعي الذاتي

---

١. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*:ص ٤٧.

٢ المصدرنفسه: ص ٤٧.

٢. دانييل جولمان :*الذكاء العاطفي*، ص ٦٢.

٣.المصدرنفسه،ص ١٥٦.

٤. دانييل جولمان: المصدرنفسه: ص ٦٨.

٥. يسرى إبراهيم الرفاعي: *الذكاء العاطفي في القرآن الكريم* ،أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الاسلامية ، جامعة مالايا ، كوالالمبور، ٢٠١٣م، ص ٥٦.

٢. إدارة الذات

٣.الوعي الاجتماعي

٤. إدارة العلاقات.[١] »

بتعبير آخر تصنيفها إلى مهارتين وكفاءتين هما: الكفاءة الشخصية والاجتماعية وما يشتمل كل منهما على مهارات فخلاصة القول إنّها:« مجموعة من المهارات والقدرات التي تساعدالفرد على التفاعل مع الآخرين في إطار اجتماعي محدد.[٢]» إنّها كنظيرتها(الكفاءة الشخصية) تتضمن عدة مهارات وأبعاد منها: التعاطف، يعني الوعي بعواطف الآخرين ورغباتهم وإدراكها:

٣-٥-٤-٢- ١- التعاطف الوجداني

إنّ في القرآن الكريم آيات لا تصف الشعور والوجدان فحسب بل تبدي تعاطفا مع مخاطبيها وتتآلف مع مشاعرهم وأحاسيسهم وتنظر من منظورهم وتخرجها إلى العلن خاصة في تلك الآيات التي تخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة وتصف ما يختلج في صدره الشريف ووجدانه:

﴿ وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يضِيقُ صَدْرُكَ بِما يقُولُونَ﴾ حجر/ ٩٧. أو في الآية الأولى من سورة طه: طه ﴿ ما أَنْزَلْنا عَلَيكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى ﴾ أو في هذه الآية الشريفة:﴿ لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ كهف / ٥.

وكذلك في سورة التوبة: ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ ١٢٧.وأيضا في سورة الأنعام: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيحْزُنُكَ الَّذِي يقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يجْحَدُونَ﴾.الآية٣٣.

صحيح أن هذه الآيات، جاءت وصفا للمشاعر والأحاسيس الذي انتابت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكنها مكّنتنا من أن نقوم برصد مهارة أخرى من مهارات الذكاء العاطفي وهي مهارة التعاطف مع الآخرين وتقمص حالتهم الوجدانية والشعورية التي هي في صميم الكفاءة الاجتماعية.

في الحقيقة إنّ ما جاء في هذه الآيات، ما كان وصفا وتقريرا بحتا، بل كان دالاّ على معرفة عميقة بعواطف الآخرين

---

١. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*، ص ٤١.

٢. دانييل جولمان: *الذكاء العاطفي*، ص ١٧٣.

والإلمام بمشاعرهم،خاصة مشاعر الأنبياء وأحاسيسهم حيث تمت المؤائمة النفسية والشعورية معهم ومن ثمّ المواساة على إثرها. فقد جاء في تعريف التعاطف أو التقمص الوجداني Empathy))أنّه: ‹‹التعرف على عواطف الآخرين والقدرة على تفهم مشاعر الآخرين. إنّه مقدرة تتأسس على الوعي بالانفعالات إنّه مهارة إنسانية، جوهرية بحق[1].›› وعلى حد تعبير العالم النفسي تيشنر (Titchener) إنّ التعاطف:‹‹ ينبع من محاكاة معاناة الآخرين جسميا باستحضار مشاعر الاخر نفسها إلى داخل المتعاطف نفسه.[2] ››

في الحقيقة أن أساس هذه المهارة يقوم على أساس الوعي الذاتي فبقدر ما نكون قادرين على تقبّل مشاعرنا ووعينا بذواتنا، نكون قادرين على قراءة مشاعر الآخرين لأن: ‹‹عدم التعاطف والفشل في تسجيل مشاعر الطرف الآخر هو أكبر نقطة ضعف في الذكاء العاطفي بل هو فشل مأساوي في معنى إنسانية الإنسان وكل علاقة الألفة بين البشر ذلك لأن جذور الحب والرعاية والاهتمام تنبع من التوافق العاطفي ومن القدرة على التعاطف.[3]››

يشاطرنا الرأي في ذلك آبراهام مزلو (Mas Lowe) في كتابه الدافعية والشخصية بقوله:‹‹إن الإنسان بالرغم من تطبّعه بالغضب والنفور وعدم الصبر يتمتع بقوة الشعور والتعاطف العميق تجاه بني جنسه حيث يعتبر هم عضوا من كيان واحد.[4]››

في الحقيقة، إنّ الوعي الاجتماعي(الكفاءة الاجتماعية) هو النظر إلى الخارج وإلى ذات الآخرين وتقديرهم بدلا من النظر إلى الداخل وإدراك وفهم الذات أي الوعي الذاتي. وكما ذكرنا تتضمن الكفاءة الاجتماعية عدّة مهارات منها‹‹ مهارة (التعاطف والتآلف مع الآخرين) حيث تعتبر هذه المهارة من أكثر استراتيجيات الوعي الاجتماعي أهمية وتأثيرا باعتبارها تساعدنا على الوصول إلى رؤية أكثر دقة لما يحيط بنا ومن ثمّ تواصلا ناجحا.[5]›› .ولكي يصل الإنسان إلى التعاطف مع الآخرين فلابد له من معرفتهم أولا وإدراك مشاعرهم:

٣-٥-٤-٢- ١-١- معرفة الآخرين وإدراك مشاعرهم

إن هذه المهارة، تعتبر منصة الإنطلاق والحجر الأساس في التعاطف الوجداني وقد تمثلت في الخطاب القرآني عند الأنبياء أول

---

١. دانييل جولمان: المصدر نفسه،ص ٦٣.

٢.ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي*، ص ١٤٧.

٣. المصدرنفسه: ص ١٤٣.

٤. سيداسحاق حسيني كوهساري: *نظرة قرآنية إلى الضغوط النفسي* ، طهران ، كانون انديشه جوان، ط٦، ه ش ١٣٨٣، ص ٧٨.

٥. ترافيس برادبيري وجين جريفز: *الذكاء العاطفي* ، ص ١٦٢.

المبلغين للرسالة .

٣-٥-٤-٢- ١-١-١-معرفة مشاعر الأنبياء

يحدث المواساة والتسلية بالنسبة إلى أنبياء أخر وتفهّم حالتهم ومعرفة عواطفهم فقد كان حقا ولزاما على الله نصرهم وتأييدهم ودعمهم من لدن نوح حتى خاتم الرسل محمد صل الله عليه وآله وسلم:﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَآمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يوْمَ يقُومُ الْأَشْهادُ ﴾ غافر / ٥٠ .فقد جاء التأييد بالنصر مؤكدا بإن واللام: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُــرُ﴾ وقد جاء بالتفخيم والتعظيم (إنا) مايعطي انطباعا بالفخامة والقوة والعظمة والدعم القوي من جانب الرب للرسل.

إن الخطاب القرآني أعلاه كان تعميما لكن يشمل التفهم والمعرفة بأحوال الأنبياء على وجه الخصوص أيضا كما في مخاطبة نوح أول الأنبياء والمعرفة بحاله بقوله:

﴿ وَأُوحِي إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِماكانُوا يفْعَلُونَ ﴾ هود / ٣٦.

إنّ الله قد كان عالما بالشعور والإحساس الذي انتاب نوح عليه السلام بعد طول الدعوة فأعلمه بأنّه لا يؤمن من قومه إلاّ من آمن من قبل. فهذا ما أحزن نوح، فبيّنه الله وأعلمنا بذلك في أمره ب ﴿ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يفْعَلُونَ﴾ هود / ٣٦.

وقد جاءت صيغة الفعل المضارع(فَلا تَبْتَئِسْ) متناسبة مع بما كانوا يفعلون للدلالة على استمرارية الأفعال عند قوم نوح عليه السلام ومن ثم المواساة المستمرة للنبي نوح عليه السلام فهذا التعاطف مع مشاعر النبي نوح هي ما أعطته دفقا ايجابيا في مواصلة المشوار الرسالي ومن ثم الاستمرار في التواصل المستميت مع قومه حتى تمكن من الحصول على قبول الدعوة ولو بشكل ضئيل إنه حافظ على آخر رابط في التواصل ولم يفقد أمله حتى في آخر لحظة من دعوته الشريفة كما نلاحظ ذلك في دعوته لابنه: ﴿ يا بُنَى ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ﴾ هود/٤٢.

وكذلك عند موسى فبعد أن انتابه الخوف من العصا الذي تبدلت إلى جانّ في قوله سبحانه وتعالى نلاحظ تسليته وتهدئته والتعاطف معه بقوله تعالى:

﴿ وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يخافُ لَدَي الْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل/ ١٠

جاء خطاب الله عزوجل ب﴿ لا تَخَفْ ﴾في البداية ثم أكّد خطابه وطمأنه: ﴿بإني إِنِّي لا يخافُ لَدَي الْمُرْسَــلُونَ﴾ تفهما للموقف الذي يمرّ بموسى عليه السلام. وفي موضع آخر: ﴿ قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْــأَعْلى ﴾ طه/ ٦٨. فقد جاءت

الطمأنة والتعاطف مع موسى عليه السلام بورود صيغة أفعل التفضيل في ﴿ أَنْتَ الْـأَعْلى﴾ حيث حسمت الموقف ،لصالحه وأبادت كل مشاعر الخوف والهزيمة عنده وكذلك بورود ضمير الفصل أنت حيث به بلغ التطمين ذروته فقد أكد شخصه وذاته أي انت يا موسى. قد ذكر لنا القرآن دعمه ونصره للأنبياء موسى وهارون وعيسى وتابعيهم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَهارُونَ ﴾ ﴿ وَنَجَّيناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿ وَنَصَـرْناهُمْ فَكـانُوا هُـمُ الْغالِبِينَ﴾ صافات/ ١١٥-١١٣.

وكذلك في عيسى عليه السلام:

﴿ إِذْ قالَ اللَّهُ ياعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِيالْمَهْدِ وَ كَهْلاً ﴾ مائدة/ ١١٠. وكذلك في باقي الرسل: ﴿ وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا ﴾ أنعام/ ٣٤.

نستشف من هذه الآية، إنّ هذا الدعم والنصر تحقق بعد توظيف مهارة الصبر عندهم وبعد طول الأذى فقد نظمّوا ذاتهم وأداروها بمهارة الصبر ثمّ كان التعاطف معهم، على شكل وهيئة النصر. بتعبير آخر إنّ النصر والتأييد سواء للأنبياء وللمؤمنين، أمر محتوم لا موارية فيه ويكون في الدنيا والآخرة بقوله:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يوْمَ يقُومُ الْأَشْهادُ ﴾ غافر / ٥١. وكذلك: ﴿ وَ ينَجِّي اللَّـهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ ﴾ زمر/ ٦١.

وفيها تذكير بالدعم المستمر والمتجدد للمتقين المتحقق في النجاة بتوظيف فعل المضارع المؤكد باللام(لَنَنْصُرُ) والغيرالمؤكد(ينجّي) المفيد للتجدد فضلا عن طمأنتهم ب﴿ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ﴾ زمر/ ٦١.

استطرادا لحديثنا عن التعاطف نلاحظ في الآيات القرآنية، إنّ خير من جسّد هذا الشعور والإحساس النبيل هو النبي صلى الله عليه وآله فقد كان تعاطفه مع المؤمنين قويا وشديدا بقوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ توبة/١٢.

وكذلك في هذه الآية الشريفة: ﴿ لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يكُونُوا مُـؤْمِنِينَ ﴾ شعراء/ ٣. حيث تم تعاطفه الشريف بإدراك مشاعرهم وبالتالي كان قد يرأف بهم ويحرص عليهم ويقدّر ظروفهم ويرحمهم ولم يتوقف الأمر على ذلك فحسب بل كما لوحظ في الآية أنه يقدم الدعم إليهم برأفته ورحمته والحرص عليهم حيث ما يلفت انتباهنا في هذه الآيات ورود الأحاسيس

والمشاعر كلها بصيغة الصفة المشبهة:﴿ حَرِيصٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ توبه/ ١٢.للنبي صلى الله عليه وآله ما ينبئ عن ثبوتها ورسوخها وتأصيلها في ذات النبي الأكرم صلوات الله عليه.

إنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يشعر بمعاناة الأمة وكان حريصا عليهم أشد الحرص، وقد كان متعاطفا معهم تعاطفا قويا معتبرا معاناتهم معاناته. إنّه لرقّة مشاعره يشعر بعمق المأساة والعذاب الذي سيناله الكفار من قومه في الدنيا والآخرة لذلك نراه لا يطيق على مأساتهم، مشفقا عليهم محزونا. لايريد أن تنقطع أواصرالتواصل مع هؤلاء الكفار والمعاندين فقد كان يريد أن يجرهم إلى عصمة الإيمان ويمنع ضياعهم في مهالك الكفر والضلال. لكن رغم حرصه الشديد على هداهم كانوا يسارعون في الكفر فيحزن ويضيق صدره الشريف فقد جاءت المواساة على هذاالشعور النبيل بقوله تعالى: ﴿ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يضُرُّوا اللَّهَ شَيئاً ﴾ آل عمران / ١٧٦. وكانوا يمكرون كما في هذه الآية المباركة: ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيهِمْ وَ لا تَكُنْ فِي ضَيقٍ مِمَّا يمْكُرُونَ ﴾ نمل / ٧٠.

إن هذه الآيات تنبىء عن متانة الدعم الربوبي وقوة التواصل مع النبي صل الله عليه وآله من جانب وحرص النبي على حفظ روابط الاتصال مع المعاندين وحزنه على فقد التواصل من جهة أخرى. إنّ الله سبحانه وتعالى قد أتى بالفعل المضارع في مواساته للنبي صلى الله عليه وآله تذكيرا باستمرارية الدعم والإسناد المتواصل للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم حيث الفعل المضارع في وَلا يحْزُنْكَ ويسارِعُونَ ما يدلّ على استمرار الدعم الإهي مقابل استمرارية التسارع إلى الكفر عندالكفار فجاءت طمأنة النبي صلى الله عليه وآله في عدم ضر كفرهم بورود حرف لن التي تفيد نفي المطلق لَنْ يضُرُّوا اللَّهَ شَيئا, ﴾ومواساته بعدم الشعور بالضيق: ﴿ لا تَكُنْ فِي ضَيقٍ مِمَّا يمْكُرُونَ ﴾ نمل/ ٧٠. حيث المكر مستمر. فلكثرة إشفاقه صلوات الله عليه على أمته وتحمله الشقاء في سبيل الدعوة والإرشاد يخاطبه سبحانه وتعالى مواسيا رسوله متعاطفا معه أشد التعاطف خاصة في سورة طه: ﴿ طه * ما أَنْزَلْنا عَلَيكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى ﴾ طه/ ١-٢. وقد بلغ تعاطف النبي مع أمته مبلغه حيث أنزلت آيات بيّنت فيها شدة المشقته والحرص على الهدى.

وكذلك في هذه الآية حيث المواساة من جانب الله سبحانه وتعال حصلت بتذكير ما جرى على باقي الأنبياء: ﴿ وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤُنَ ﴾ أنبياء/ ٤١. وأيضا:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ فاطر / ٣٥.

إنّ ما يسترعي انتباهنا في هاتين الآيتين أن الفاعل فيهما جاء نكرة(الرسل) للدلالة على التكثير. أي إنّك لست وحيدا في ما تشعر وتقاس به فقد قاست رسل قبلك وكذبت واستهزء بها وقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن.

فضلا عن أنها تكشف مدى قوة التواصل بين الله والرسول من جهة والتداعيات القوية والمؤثرة على صعيد طمأنة المؤمنين من جهة أخرى حيث زادت في تمتين أواصر التواصل بين النبي والمؤمنين بتبيين عاقبة أمر الساخرين والمستهزئين ﴿ فحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤُنَ ﴾ أنبياء/ ٤١.

إنه سبحانه وتعالى عندما أدرك ما كان يجري في قلب النبي صلى الله عليه وآله من الخيبة واليأس حاول بهذه الآية الشريفة أن يتدارك ما فقده النبي من الرجاء. وحينما جاء بالإخبار بفعل ماض(اسْتُهْزِئَ ، كَذَّبُوكَ) كانت لبثّ روح الهدوء والسكون في قلب النبي صلى الله عليه وآله وتهوين أمر التكذيب عليه صلوات الله بوصفه أمر اعتيادي ينبغي الّا يعتنى به

في الحقيقة، تلك الآيات، تخفف من حدة وطأة الحزن والألم عندالنبي صل الله عليه وآله وسلم وتبدي تعاطفا وتفهما لحالته وشعوره صلّى الله عليه وآله وتمنحه دفقا إيجابيا نحو الكفاح والاستمرار في الدعوة لأنّ إحدى مهارات الكفاءة الاجتماعية «هي القدرة على تهدئة انفعالات الآخرين بمحنة أصابتهم والتخفيف عنهم.[1]»

إن هذه المهارة وظفت في القرآن الكريم إما بواسطة الله سبحانه وتعالى وإما بواسطة الله والمؤمنين وإما بواسطة الملائكة.

كما نلاحظ في هذه الآية أدناها، حيث الله ذاته تعالى، يواسي نبيه ويزيل عنه الشعور بالخيانة من جانب الكفار ويخفف عليه ذلك بانتساب الخيانة إليه(الله) قبل انتسابها إلى النبي إذ تولّى نفسه الدعم لنبيه بقوله تعالى:

﴿وَ إِنْ يرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أنفال/ ٧١. وأمّا في هذه الآية الشريفة حيث يتعاطف الله مع نبيه ويواسيه بدعمه والمؤمنين : ﴿يا أَيهَا النَّبِي حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنفال / ٦٤. أي إنّ الله والمؤمنين يكفيانك في مهامك فإنهّما معك، فبالتالي ينفي الله عن النبي صلى الله عليه وآله الشعور بالوحدة ويسنده في مسير الدعوة بالمؤمنين ما ينبىء عن مدى قوة التواصل بين النبي والمؤمنين ومدى فاعلية دعهم للنبي إذن من نتائج التعاطف الوجداني هو تمتين روابط التواصل بين النبي والمؤمنين ومن ثم دعم المؤمنين للنبي الأكرم صل الله عليه وآله وسلم.

ومن جانب آخر ثمّة آيات تفيدنا، بأنّ الدعم والتعاطف يحصل بوسائط أخرى كروح القدس والملائكة والجنود التي لم تروها كما في هذه الآيات:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ نحل / ١٠٢.

١.المصدر نفسه:ص ١٨٥.

وإمّا بواسطة الملائكة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت/ ٣٠.

وإمّا بواسطة الجنود:

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ ﴾ توبة/ ٢٦. و كذلك: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ الأحزاب/٩.

استطرادا لما سقناه من الحديث، بإمكاننا أن نرصد البعد الوجداني والشعوري والتعاطفي مع النبي صلى الله عليه وآله في الآيات التي تخاطبه(صلوات الله عليه وعلى آله) مباشرة وتأتي على صيغة الأمر أيضا. فما تلك الآيات إلا تفهّما لحاله وللظروف التي تمّر به.

في الحقيقة،حينما يأمر الله بأمر ويدعو النبي صل الله عليه وآله إلى امتثاله، تأتي صيغة الأمر متناسبة ومتلائمة مع الذات والشخصية وتمام الأحاسيس والوجدان. كما في الآيات ١١٢و١١٥ من سورة الهود التي تناشدالنبى بالصبر والاستقامة:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ﴾ وكذلك: ﴿ وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أو: ﴿ فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ حجر/ ٩٤. وأيضا في هذه الآية المباركة:

﴿ وَاصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ لاتَحْزَنْ عَلَيهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيقٍ مِمَّا يمْكُرُونَ ﴾ نحل / ٧٠. ﴿ و لا يحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يونس / ٦.

لم يقتصر الأمر على تفهم حالة الأنبياء ودعمهم ومواساتهم بل بشمل المؤمنين والتابعين لهم حيث يتم تفهم حالتهم والمعرفة بأحوالهم ثم مواساتهم:

٣-٥-٤-٢-١-١-٢- المعرفة بحال المؤمنين

فقد نراه متجلية وبارزة في آية التكليف بالصيام عند المسلمين والتخفيف عن مشاقّة بالإعلام عن فرضه على الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى‌الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ بقرة/ ١٨٣.

في الحقيقة أن إدارة تلك الأحاسيس والمشاعر(الشعور بالمشقة وصعوبة الصيام عندالمسلمين)كانت بتنبيه فرضها على الآخرين من السابقين. أي إنكم قادرين على ذلك كما كانت الأمم السابقة فبالتالي انتظمت تلك المشاعر وهان عليها أمر

الصيام. أي يتجلى الإدراك التام والتفهم لمشاعرهم عبر تنظيمها وتمريرها وتهوينها ب﴿ كَما كُتِبَ عَلَى‌الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ بقرة/ ١٨٣.

وعلى مستوى سائر المخاطبين في القرآن، نلاحظ أنّ الله تعاطف مع شعور المؤمنين حيث أيّدهم ونصرهم في تحقيق تلك المشاعر الذي كانت تنتابهم والتنفيس عنها من ش

عور بالظلم وعدم قوتهم على فضح حقيقة الكفار والمنافقين ومن ثم شعورهم بالغيظ. وكل ذاك سيتحقق في القتال: ﴿ قاتِلُوهُمْ يعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكُمْ وَ يخْزِهِمْ وَ ينْصُرْكُمْ عَلَيهِمْ وَ يشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين وَيذْهِبْ غَيظَ قُلُوبِهِمْ وَيتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يشاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ توبه/ ١٤.

وكذلك في تعاطفه مع شعورهم وفي معاناتهم والتخفيف عن ذلك الشعور بتعميمه: ﴿ إِنْ يمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيامُ نُداوِلُها﴾ آل عمران/ ١٤٠.

وكذلك نستشفالت عاطف البالغ مع الذين هاجروا وأوذوا في سبيل الله حيث بيّن الله معاناتهم من هجرة وأذى وقتل وقتال بقوله تعالى:

﴿فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ آل عمران / ١٩٥.

فبعد أن بيّن الله معاناتهم جعل التكفير عن الذنوب والجنة مثوبة لهم وجزاء لهم بزيادة التأكيدات في ﴿لَأُكَفِّرَنَّ، لَأُدْخِلَنَّهُمْ ﴾ وكذلك التكرار في نهاية الآية إذ تكرر ﴿الثواب وعند﴾ في قوله تعالى: ﴿ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ المضاف إلى ﴿الله ﴾تارة و إلى الضمير العائد إلى الله، تعاطفا ومواساة لما نالوه من الأذى ومن ثم التأكيد على المثوبة المتحققة عند الله.

إنّ الله في هذه الآية، لم ينسب السبيل إلى ضمير (نا) الدال على التعظيم والتفخيم بل نسبه إلى الياء الضمير المتكلم في (سبيلي) الدالة على الاحتواء والاحتضان والرقة والعطوفة حيث المقام مقام العاطفة والرأفة وكذلك مقام الإخلاص والصدق لأنّ الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم كانوا من المخلصين في عقيدتهم وكذلك الله يريد الإخلاص في الأعمال.

إن هذا الشعور بالدعم والإسناد ينبيء عن متانة التواصل بين الرب وعباده المؤمنين وأن لا شيء يستطيع أن يقطع ذلك الاتصال المتين لأنه أحكم بحبل الإيمان.

إنّ نفس هذا الشعور والتعاطف يأخذ منحى آخر من حيث سموّ المشاعر وترقيتها ويصبح قدرة تدفع الناس إلى اتباع

مبادىء أخلاقية معينة وإنجاز أفعال أخلاقية أخرى إنه يكون وراء كثير من الأفعال والأحكام الأخلاقية كما يرى هوفمان(Hoffman)بقوله في أصالة التعاطف والتقمص الوجداني:«إنّ جذور مبادىء الأخلاق مغروسة في مشاعر الاندماج العاطفي أي التقمص الوجداني.[1] »

فقد يبلغ هذا التعاطف والاندماج العاطفي قمّته عند ما يبادرالإنسان بتفضيل الآخر على نفسه وإيثاره على ذاته وعلى حد تعبير جولمان:«إن أكثر الناس إحساسا بالتعاطف مع غيرهم هم أكثر الناس تفضيلا للمبادىء الأخلاقية.[2] »

لقد أثنى الله على هذا الشعور الإنساني الراقي والنبيل عند المسلمين الأوائل(الأنصار) حيث أبدوا تعاطفا مع المهاجرين إليهم وشعروا بعمق معاناتهم لا بل آثروهم على أنفسهم كما في هذه الآية المباركة:

﴿ وَيؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ ﴾ حشر / ٩. وفي أرقى درجاتها نراها عند أهل البيت عليهم السلام:

﴿ وَ يطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيتِيماً وَأَسِيراً﴾» ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً ﴾ الإنسان/ ٩.

حيث تجلّت عندهم أرقى المشاعر الغيرية بإيثار المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم على مدى ثلاثة أيام على التوالي كما ورد في التفاسير.

وقد يكون هذا النصر والدعم خالصا مفردا كما في نصره لنوح عليه السلام: ﴿وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أنبياء / ٧٦. وكذلك في النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿وَينْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزا ﴾ فتح/٣.

وإمّا يكون نصرا وتأييدا مركبا كما في هذه الآية الشريفة:

﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِي اثْنَينِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِي الْعُلْيا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ توبه/٤٠.

---

١. دانيل جولمان: المصدرنفسه: ص ١٥٦.

٢.المصدرنفسه: ص ١٥٧.

حيث يكون الدعم في الآية أعلاها، دعما معنويا مركبا وقد تمثّل في النصر ثمّ السكينة ثمّ التأييد بالجنود التي لم تروها. وإما أن يكون معنويا وماديا معا كما في هذه الآية المباركة:﴿ وَ إِنْ يرِيدُوا أَنْ يخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال/ ٦٢. حيث يكون التأييد المعنوي والنصر من الله ثمّ بواسطة المؤمنين.

فقد يكون الدعم مستبطنا في بعض الآيات ولم يكن بتلك الصراحة التي لاحظناها في الآيات السابقة كما في هذه الآية: ﴿ وَ إِذْ يمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيثْبِتُوكَ أَوْ يقْتُلُوكَ أَوْ يخْرِجُوكَ وَيمْكُرُونَ وَ يمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيرُ الْماكِرِينَ ﴾ أنفال / ٣٠.

ففي هذه الآية كان الله هو الداعم والسند والرادع لكل ما يقومون به الكفار من مكر تمثّل في مؤامرات القتل والإخراج للنبي.

إنّ مجال الدعم والتأييد ليتسع في القرآن ويمتدّ فينال المؤمنون على إثره، إسنادا وتأييدا من الله سبحانه وتعالى كما في هذه الآية إذ يخاطبهم الله ويذكّرهم بتأييده ونصره:

﴿ وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ وَأَيدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيباتِ ﴾ أنفال / ٢٦.

وكما في هذه الآية حيث التأييد بروح منه: ﴿ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ حشر/ ٢٢.

إن الآيات التي تتحدث عن الدعم والإسناد تكشف لنا بأنّ الدعم الذي تلقّاه المسلمين كانت في مواطن كثيرة وظروف متعددة كما في غزوة بدر وحنين وفي غزوة بدر حيث كان النصر والتأييد من الله وبواسطة الملائكة لهم بقوله:

﴿وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يكْفِيكُمْ أَنْ يمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ آل عمران / -١٢٤- ١٢٣.وايضا: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾أنفال /٩.

وكذلك في يوم حنين:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيوْمَ حُنَينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيئاً وَ ضاقَتْ عَلَيكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ التوبة/ ٢٥.

يبدو من هذه الآيات أنّ الله بتأييده ونصره أعلى كلمته ولم يخذل رسوله والمؤمنين وقد تكون لنا فيها دلالة على تمام

النصر والتأييد لكل من يطيع الله والرسول حيث يكون النصر والدعم حليفه. كما لا ننسى أنّ هذا النصر والتأييد قدانسحب على باقي الأنبياء وتابعيهم وكذلك على كل المؤمنين في كل عصر وزمان أيضا. إن هذه هي رسالة قوية تواصلية مفتوحة إلى كل الأجيال والأزمان وإلى كافة الأمكنة فقد مد الله جسور التواصل ولم يغلقها أبدا على الإنسان.

فبتوظيف تلك المهارات في الخطاب القرآني، قد أرسى الله مبادىء التواصل الفعال والمتين لدى المسلمين وبالتالي قدقضى على شعورهم بالوحدة ووصّلهم بينبوع القوة والاتحاد حيث هناك قواعد ومواثيق بين الرب والإنسان إذا عمل الإنسان بها في ظل ذلك التواصل(الميثاق) سينال جزاء ما ألزم نفسه به. وهذا مايمنح الإنسان الشعور بالهدوء وعدم السوء وعدم الحزن.

أما الآن وبعد خوض موضوع التعاطف بوصفه البعدالأول من أبعاد الكفاءة الاجتماعية سوف نتطرق إلى البعد الثاني من الكفاءة الاجتماعية وهي المهارات الاجتماعية.

٣-٥-٤-٢-٤- المهارات الاجتماعية:

ان المقصود من المهارات الاجتماعية هي:« مهارة الرد الفعل المناسب والسلوك القويم إزاء تصرفات الآخرين.[١] » وقد تتضمن عدة مهارات منها:

٣-٥-٤-٢- ٤-١- مهارة التواصل

إن المقصود من مهارة التواصل من منظور الذكاء العاطفي هي:«مهارة الاستماع و إرسال الرسائل المقنعة للآخرين.[٢]» إنّها بحق مهارة تسترعي الانتباه والاهتمام فلا بدّ من احترافها وتوظيفها والتمكّن منها عند من يتولّى الهداية والتوجية والتأثير في كافة مناحي الحياة خاصة الأنبياء بوصفهم شخصيات مركزية وقيادية في المجتمع.

إن الاستماع، هو بوابة التواصل وإبلاغ الرسالة إلى كافة الناس كما بقوله تعالى:﴿يا أَيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ حج/ ٧٣.

وقد حثّ الله على الالتزام بتلك المهارات وتوظيفها عندأول متلقي الوحي بقوله تعالى:﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما

---

١ زارعي متين: مديريت رفتار سازماني، (*إدرة السلوك في المنظمات*) ص ٤١.

٢.المصدر نفسه:ص ٤١.

يوحى﴾ طه/١٣. واعتبره سلوك لو طبّق والتزم به الإنسان يحقق له النجاح والسعادة في حياته:﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ ملك / ٢٣.

فقد عد الله وسائط التواصل من(السمع،الأبصار والفؤاد) ثم السؤال عنها يوم القيامة وقدّم السمع على الأبصار والأفئدة ما ينبىء عن أهميته وأولويته على باقي الحواس والمدارك وقد أوكل الله عليها مهاما ثقيلا يجب تأدية ذلك المهام الكبير من قبل الإنسان : ﴿ وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ الاسراء /. ٣٦.

قد حثّ القرآن على استماع القول ثمّ اتباع أحسنه بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ زمر/ ١٨.

إنّه أورد تلك التوصية بصيغة المضارع في يستمعون ويتبعون دلالة على استمراريها وتداومها ووجوب اتخاذها كأسلوب متبّع في الحياة إذ لا فرق بين الأقوال حيث يطلب الله الاستماع والإنصات إلى قوله وكلامه أيضا: ﴿ وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف/٢٠٤.

والجمال في الآية ،أنه عبّر بلفظ استمعوا ولم يقل اسمعوا «لأنّ الاستماع عبارة عن كونه يحيط بذاك الكلام المسموع وعلى الوجه الكامل والإحاطة بمعانيه.[1]» فبذلك يتحقق مهارة التأمل والتفكر والإلمام بمعاني الكلام كما نلاحظه في خطابه سبحانه وتعالى لموسى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يوحى ﴾ طه / ١٣. حيث لاحظنا أن الأمر قد شمل الأنبياء ولم يقتصر على العامة فحسب.

٣-٥-٤-٢- ٤-٢- النفوذ والتأثير

إنّ المتتبع لسمات دعوة الأنبياء يلاحظ أنّ دعوتهم وتواصلهم مع الناس لها خصوصيتها وتفردها ينبغي للدارس تحريها وتبيينها، إنّهم قاموا بتوظيف مهارات الذكاء العاطفي، سواء الذاتي منه والاجتماعي في سبيل الهداية والدعوة إلى التوحيد. فقد بينا سلفا أنّ المقصود من الكفاءة الاجتماعية هي:«القدرة على فهم الآخرين والتصرف الحكيم في العلاقات وقدقلنا ينضوي تحتها عدة مهارات ومن إحدى تلك المهارات مهارة التأثير والنفوذ في أكناه دواخل الآخرين وترغيبهم إلى إنجاز فعل ما.

---

١. محمد عبدالله سعادة: *من أسرار النظم القرآني* ، ص ٤٤.

إنّ هذه المهارة تستدعي آليات لتوظيفها منها: آلية التواصل الكلامي وكيفية استخدام اللغة والأسلوب التخاطبي الدالّ على اللين والعطف لأنّ: « باستخدام المفردات الدالة على اللّين والتوّدد يتّم التركيز على نقاط التواصل وتتعمّق قنوات الاتصال.[1] » وقد أشار القرآن إلى استخدام هذه المهارة وأمر بتوظيفها حيث أمر موسى وهارون بالقول اللين في دعوتهما: ﴿ إِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴾ ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيناً﴾ طه/ ٤٣-٤٢. فبهذه الآية يتضح مدى فاعلية الكلام اللين وأثره البالغ في التبليغ والدعوة ومن ثمّ النفوذ والتأثير والترغيب. وأشار الله إلى فاعلية اللين في السلوك والعواطف وبيّن تأثيره، فبانعدامه، يكون الفضّ والفصل بدلا من الوصل والتواصل: ﴿ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران /١٥٩.

وظفت هذه المهارة أيضا عندما خاطب نوح قومه وناداهم(بيا قوم) في سماحة ومودة ونسبهم إليه وكذلك نسب نفسه إليهم فقد كرمهم بعبارات تفوح منها رائحة التودد والمحبة والحدب.«يعتبر تحية الناس بأسمائهم أحد أكثر إستراتيجيات الوعي الاجتماعي أهمية وتأثيرا فهي طريقة شخصية معتبرة لجذب انتباه شخص ما. لأن مناداة الشخص باسمه يحطم حواجز التواصل.[2] » ويتيح فرصة مناسبة لممارسة هذه المهارة صحيح أن نوح لم يحيّهم وينا ديهم بأسمائهم لكن كان خطابه لايقلّ احتراما وتكريما وعن أهمية المناداة بالإسم أيضا.

كمافي الآيات التالية: ﴿يا قَوْمِ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ مالاً إِنْ أَجرِي إِلاَّ عَلَي اللهِ﴾ هود / ٢٩. وأيضا: ﴿ يا قَوْمِ مَنْ ينْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود/ ٣٠.

فنلاحظ أنّ نوحا عليه السلام ناداهم ب(يا قَوْمِ)احتراما وتكريما لهم فقد اعتبرهم من نفسه وأشعرهم بالقرب منه فهو بهذا يبغي التواصل معهم تذكيرا بروابط الدم والأخوة والانتساب والانتماء إلى أصل واحد وأرض واحدة. لأنّ كما قلنا في بحث إضافة الياء المتكلم إلى الإسم أنّ:« الإسم المضاف يكتسب من المضاف إليه سمة التوضيح والتعيين والتخصيص فضلا عن قيم ثانوية مثل: التعظيم والتشريف والتحقير والتهويل... وقديكتسب المضاف إليه من المضاف هذه القيم.[3] »

إنّ هذاالتشريف والتكريم لم يكن جاريا على لسان نوح(عليه السلام) فحسب بل الله سبحانه هو الذي كرّمهم برابط الأخوة وقدّمها على مبدأ الرسالة كما نلاحظ تقديمها(أخوهم) على نوح ما يدلّ على الاهتمام البالغ بهم بقوله تعالى:

---

١. سيد قطب: في *ظلال القرآن* ،القاهرة،دارالشروق، ط ١٢،ص ١٤٠٦.

٢.ترافيس برادبيري وجين جريفز :*الذكاء العاطفي* ،ص ١٦٤

٣. فضل عباس حسن: *البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني*،دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ،ط ٢، ١٩٨٩م،ص ٣١٨- ٣١٩.

﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ الشعراء /١٠٧. قد تكرر هذا الأسلوب التخاطبي في سورة هود أيضا:

﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ شعراء/ ١٢٥.

وكذلك توظيف أسلوب الاستفهام الذي يضفي على الأسلوب التخاطبي في الآية نوعا من الاستعطاف والحدب والليونة في الكلام كما نلاحظه في الآيات التالية:

﴿ قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَينَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي رَحْمَةً ﴾ هود / ٢٨. ﴿ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّـهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود/ ٣٠. وكذلك في خطاب موسى بقوله تعالى: ﴿ وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَىالنَّارِ﴾ ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِالْغَفَّارِ﴾ غافر/ ٤٢ -٤٣.

حيث نستجلي من هذه الآية المباركة، قوة العاطفة والشفقة والليونة والعطوفة وذلك بتوظيف التعبير(بيا قوم) وأسلوب الاستفهام معا.

فقد كانت دعوتهم في غاية الليونة والهدوء والاستعطاف إنّهم كانوا حريصون على هدايتهم وقد تمثّل هذا الحرص والشفقة في إبداء خوفه على مصيرهم من العذاب الأليم. كما بينّها نوح بقوله:﴿ إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ عَذابَ يوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هود /٢٥. وكذلك النبي شعيب بتوظيفه هذه المهارة: ﴿ و إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ عَذابَ يوْمٍ مُحِيطٍ﴾هود/٨٤.

وجدير بالذكر، أنّ التفوّه بكلام﴿ و إِنِّي أَخافُ عَلَيكُمْ﴾ يعطي انطباعا من التعاطف المشوب باللّين والإشفاق وكذلك التأثير والترغيب إلى قبول الدعوة. إن هذه المهارة في القرآن الكريم وظفت من قبل الجبابرة والطواغيت من أمثال فرعون أيضا وقد فطنوا إلى فاعلية اللين في الكلام في استقطاب آراء الجمهور مثل ما وظّفها فرعون بقوله: ﴿ وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يظْهِرَفِي الْأَرْضِ الْفَسادَ ﴾ غافر/ ٢٦.

ولم يكن مجال توظيف هذا الأسلوب - ما يسمّى بخطاب التحنن- مقصورا في مجال الدعوة والتبليغ فحسب بل كان له الفاعلية والتأثير في مختلف شوون الحياة أيضا كما في قصة موسى بعد رجوعة من ميقات ربّه وبعد أن رأى ارتداد القوم غضب وأخذ برأس أخيه هارون يجرّه ويعاتبه على ذلك فما كان جواب هارون إلا أن خاطبه ب ﴿ابن أم﴾

﴿ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِي الْأَعْداءَ ﴾ الأعراف / ١٥٠. وكذلك في آية أخرى حيث خاطبه بنفس الخطاب أيضا: ﴿ قالَ يا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَينَ بَنِي

إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ طه/ ٩٤.

إنّ هارون، لم يخاطبه بيا أخي بل في تلك الظروف العصيبة بل خاطبه ب(ابن أم) تذكيرا بروابط أكثر دلالة على الرأفة والرفق إذ الأم اكثر رأفة من غيرها فأراد هارون بتوظيف هذه المهارة امتصاص غضب موسى واستدرار عطفه وقد جاء خطاب النداء بحذف حرف النداء تنبيها بالقرب الذي يكون بينهما خاصة القرب النفسي والروحي.

أما من منظور آخر إنّ المقام مقام تدارك الأمر وتفويت الفرصة على الشامتين والاستعجال في تبيين الأمر لذلك جاءت حرف النداء محذوفة.

«في الحقيقة، إن التعامل مع من يكون في ذروة الغضب يعتبر أعلى مقياس لقدرة الانسان وبراعته الفائقة في السيطرة والتحكم » وتشير البيانات التي انتهت إليها الأبحاث حول ضبط النفس من الغضب وسرعة التأثر الإنفعالي إلى الإستراتيجيات الفعالة في هذا الصدد، حيث يكون إحدى الاستراتيجيات هي السعي لصرف نظر الغاضب عن موضوع غضبه والتعاطف مع مشاعره وأحاسيسه ثمّ جذبه إلى مركز اهتمام بديل لمجموعة من المشاعر الإيجابية.[1]» وقد نرى توظيف تلك المهارة عند هارون حيث أراد جذب اهتمام موسى إلى مشاعر إيجابية كالنداء بابن الأم ثم صرف الغضب عنه بقوله: ﴿ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يقْتُلُونَنِي﴾ أعراف/ ١٥٠.

فنستدل من خطابه هذا: أنّك يا ابن أم مصدر القوّة والهيبة لي فبدونك إني مستضعف ويخشى علي القتل من القوم. إن هارون في كلامه استخدم فعل خشيتُ بدلا من خفتُ لأن «الخوف يستعمل للضعف في النفس أما الخشية هو خوف يشوبه تعظيم ومقرونة بمعرفة من يخشى منه.[2]» فبذلك وضع نفسه في موضع الضعف وتجنب التصرف بالندية أي المجابهة ومعاملة الند بالند ثم أنهى كلامه بالتنبيه بأنني أنا وحدي -وليس نحن- أشمت من قبل الأعداء لكوني أنا الضعيف وأنت الأقوى والعزيز فيعطي بكلامه هذا رؤية عن الظرف الراهن وتربص الأعداء وتحينّهم الفرص للنيل منهما لأن سيطرة الغضب على المشاعر تبعد الإنسان كذلك من استشراف المستقبل وما سيسببه الغضب من مشاكل ومواقف محرجة للغاضب بالذات والمغضوبين.

إن هارون استطاع بهذا الأسلوب الراقي والمهذب احتواء الموقف وامتصاص غضب موسى حيث نلاحظه في الآية التالية

---

١. دانييل حولمان: *الذكاء العاطفي* ،ص ١٨٤.

٢. محمد عبدالله سعادة: *من أسرار النظم القرآني* ، القاهرة، مكتبة مبارك العامة ، د.ط، ٢٠٠٨م، ص ١٢٤.

عن لسان موسى:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ الأعراف/ ١: ٥١.

إن القرآن الكريم يوصي بالغفران كمهارة وطريقة يمكن اتباعها في نوبات الغضب بقوله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ شورى/ ٣٧.

يتضح إن الغفران والتجاوز استراتيجية فعالة لتفادي تبعات الغضب وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع.

لذلك لجأ موسى إلى الدعاء بالغفران كاستراتيجية متبعة خاصة من قبل الأنبياء والمؤمنين في الظروف المحرجة والعصيبة وتوجّه إلى الله وطلب المغفرة لنفسه أولا ثم الدخول في رحمة الله معا. لأن الدعاء واللجوء إلى الصلاة هو أفضل الأساليب للتخفيف من الضغوط النفسية خاصة مشاعر الغضب.

٣-٥-٤-٢-٣- القيادة

إن المقصود من القيادة،«مجموعة من العمليات التي تساعد المنظمات عل التكيف مع تقلب الظروف وتحقق لها تموقعا أفضل ومستقبلا زاهرا وتوحد أفرادالمنظمة تحت مظلة واحدة.[١]» إن لممارسة هذا الفن، يشترط عدة ميزات ومؤهلات حسب ما أفاد علماء علم الإدارة منها:

١. الإيمان المتأصل والجاد بالمبادىء

فقد كان الأنبياء مؤمنين بالمبادىء وأصول الرسالة والراسخين فيها أشدالثبات: كما في الآيات ١١٢و١١٥ من سورة الهود:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ﴾ أو: ﴿ فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

أن هذا الإيمان والثبات يبين قوة الاتصال المتين بينهم وبين ربهم من جهة وباعث على رباطة الجأش واستيحاء القوة والاستقامة والثبات وسريانها إلى تابعيهم والمؤمنين من جهة أخرى.

٢. القدرة على تحمل الآخرين

ما يمكن تسميتها بالحلم والتحلم فقداتصف بها جميع الأنبياء كافة لكن جاءت متنسبة إلى بعضهم: ﴿ قالُوا يا

---

١ حسن زارعي متين: ادارة السلوك الراقي في الدوائر، ص ١٤٦.

شُعَيبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشاءِ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾هود/٨٧.

إن ميزات الحلم والنباهة والرشد كانت متأصلة فيه عليه السلام ماحملت لآخرين(قومه) على الإقرار بها

وكذلك في قصة موسى بعد ما لاقى الأذى من بني قومه خاطبهم ب: ﴿ وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُمْ﴾ صف/ ٤.

فقد كان خطابه مشوبا بالرحمة واللين (يا قوم) ثم توظيف أسلوب الاستفهام ب(لم) بدلا من(لماذا) فحذف الألف واستبداله بالفتحة -الفتحة أخف وأرق من الألف — فيه دلالة بنوع من الرقة والاستعطاف فقد كان في أوج الأذى وقمته في غاية القوة والمقدرة على تحمل الآخرين.

في آية أخرى يخاطبهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ الدخان/ ٢١.فيعوذ بالله منهم ومن أذاهم الذي ذكره بالرجم: ﴿ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ثم يطلب منهم أن يعتزلوه :﴿ فَاعْتَزِلُونِ﴾

وكذلك بالنسبة إلى ابراهيم: ﴿ قالَ أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيا * قالَ سَلامٌ عَلَيكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيا وَأَعْتَزِلُكُمْ ﴾ مريم/ ٤٦.

إن ما يسترعي الانتباه أن موسى وابراهيم عليهما السلام اتخذا الاعتزال أسلوبا أمام توجيه التهديدات لهما فضلا عن أن ابراهيم قام بالرد المناسب والكلام اللائق: ﴿سلام عليك﴾ وطلب المغفرة ما ينبيء عن مدى قوته وسيطرته على نفسه في تحمله لأذى الآخرين وتوظيف اللين والعطوفة في الكلام والأفعال.

إن توظيف هذه المهارة والميزة عند الأنبياء تفتح آفاقا رحبة للتواصل فلا تغلق وتوصد أبواب الرجوع والتواصل حال ندم المسيئين لهم فصدور الأنبياء رحبة ومتسعة لقبول الاعتذار وإن لم يعتذروا فإن الأنبياء يعفون ويستغفرون للمسيئين لهم لأن الله يدعو أنبياءه إلى التسامح والعفو والاستغفار كما في خطابه إلى النبي صل الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ آل عمران/ ١٥٩.

٣. قيادة التحول والتغيير

يرى «جان بي كاتر(john.p.kotter) إن القيادة، تشكل رأس المنظمات وأساسها المتين مؤكدا على المقدرة والقوة

التي تتمتع بها القيادة في إحداث التغيير والتطور في المنظمات ما سماها بالقيادة الباعثة على التحول والتغير.[1]»

إن جميع الأنبياء يعتبرون من أنجح القيادات في مجال التغيير والتحول في المجتمع حيث ناضلوا على تغيير المبادىء والقيمال خاطئة وتغيير واقع المجتمع وسوقه إلى مسار التكامل والتحضر فمن الآيات التي تستحضرنا في هذا المجال تكمن في قصة ابراهيم عليه السلام حيث قام بتحطيم أصنام القوم مقسما ومصرا على التغيير: ﴿ وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾أنبياء/ ٥٧.

فقد أكد كلامه بتاء القسم واللام والنون في ﴿ لأَكِيدَنَّ ﴾ وهذا ما يدل على قوة الإرادة والعزم على التغيير والمقدرة على ذلك ،فضلا عن تمتعه بالشجاعة ورباطة الجأش والقاطعية

٤. مهارة فض الخلافات

إذا تمتع المرسل والمبلغ بمصداقية واحترام عند متلقي الرسالة فسوف يحظى بمكانة التحكيم وفض الخلافات لديه فهذا ما حدث عند الأنبياء كداوودعليه السلام كما في سورة ص الآيات ٢٠- ٢٦: ﴿ يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ فقد دعى الله الحكم بالحق. الحكمة وفصل الخطاب: ﴿ وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ ﴾﴿وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾

فقد اقترنت الحكمة بالملك وبفصل الخطاب ومن ثم الحكم بالحق إذ يتبين أن إدارة الملك لاتكون إلا بالحكمة وفصل الخطاب.

وكذلك عندالنبي صل الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلا وَ رَبِّكَ لا يؤْمِنُونَ حَتَّى يحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَينَهُمْ ثُمَّ لا يجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ نساء/٦٥ . وكذلك في آية أخرى:

﴿فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَينَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يضُرُّوكَ شَيئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَينَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة/٤٢.

---

١ المصدرنفسه: ص ١٥٨.

ففي الآيات الآنفة، يدعو الله سبحانه وتعالى المرسل والمبلغ إلى الحكم بالعدل والقسط وعدم إتباع الأهواء في التحكيم والحكم بما أنزل الله حيث الحكم بما أنزل الله هو العدل: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَاللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ ﴾ المائدة/٤٩. لترسيخ قواعدالتواصل السليم والحكيم في المجتمع. وقد دعى الله كافة الشرائع والكتب السماوية إلى الحكم بما أنزل الله : ﴿وَلْيحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُون﴾ المائدة/٤٧.

فقد أوكل الله سبحانه وتعالى مهمة حل المنازعات والخلافات إلى الأنبياء وإطاعتهم ﴿ وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيطاعَ بِإِذْنِاللَّهِ﴾ ثم التحكيم إليهم والتسليم لحكمهم: ﴿وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً فَلا وَرَبِّكَ لايؤْمِنُونَ حَتَّى يحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ نساء/ ٦٥.

إنّ المهارة الأخرى،التي نلاحظ توظيفها عند الأنبياء هي مهارة الوعي السياسي والإلمام بقواعد اللعبة السياسية وتفّهم الظروف السياسية المحيطة بهم والإعلان عن المواقف والمبادئ أمام أعلى سلطة العصر. ما تندرج تحت المهارة القيادة إنهّم كانوا على وعي تام بأنّ دعوتهم لابدّأن تعلن من على منبر السلطة لأنّ كما يقال في الأمثال الناس على دين ملوكهم فإذا حصل التغيير في رأس الهرم يسهل التغيير في باقي مفاصل المجتمع. لذلك كانت دعوتهم موجهة إلى مراكز السلطة ومجابهتهم ومقابلتهم وجها لوجه. وقد كان ذلك بأمر من الله كما في قصة موسى وهارون: ﴿ إِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴾ طه/ ٤٣. فقد كان فرعون يعتبر رمزا للسلطة.

إنّ الأنبياء والطغاة كانوا قطبين متضادين في المجتمع ينطلق كل منهم من منطلق المبدأ والعقيدة إن الأنبياء يدعون إلى عبادة الله والعدالة وفي المقابل نلاحظ أنّ رؤؤس الطاغوت والكفر يدعون إلى الشرك، والظلم والفساد كما في هذه الآية المباركة عن لسان بلقيس:

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً ﴾ نمل/ ٣٤. وكذلك سياسة فرعون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيعاً يسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيسْتَحْيِي نِساءَهُمْ ﴾ قصص/ ٢٨.

إنطلاقا من هذا المنظور القرآني، يبدو أن السلطة المبنية على أسس غير إلهية سلطة مذمومة هدفها الاستضعاف والذبح والتعذيب واستحياء النساء وكذلك الاستخفاف بالقوم وتطويعهم: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ ﴾ زخرف / ٥٤.

إذن تبين من مجموع المهارات أعلاها أن القائد يجب أن يتمتع بمقدرات ومؤهلات تمكنه من ممارسة اختياراته على الصعيد الاجتماعي. فالأنبياء هم خير ما مارسوا وزاولوا مهامهم الرسالي بمد جسور التواصل والحفاظ عليها ولو في

الاحتمالات الضئيلة.

الخاتمة

إن ما قام به البحث كانت محاولة جادة في سبيل تبيين أقسام الخطاب من منظور اللسانيات والتزود بالنظريات الحديثة خدمة للقرآن الكريم وتجلية مكامن القصد والتأثير في الخطاب القرآني من المنطلق التواصلي بالتوجه إلى خارج حدود الجملة مرورا بالشكل والعلاقات الداخلية النصية ثم حيثيات الخطاب وتداوليته وفن استعماله المتجسد في الخطاب الوظيفي والتداولي ثم النقدي السلطوي ثم آليات توظيف المقاصدالتواصلية والتبليغية في القرآن الكريم ما تسمى بمكونات التواصل الفعال وإزالة معيقات التواصل.

إن البحث قام بتجلية مفهوم الخطاب أولا وأكد على مفهوم تواصلية الخطاب المستوحى من مفهومه اللغوي والاصطلاحي وبما أن موضوع الرسالة هو الخطاب القرآني تطرق البحث إلى مفهوم الخطاب من المنظور التراثي الاسلامي المتمثل في تعريف الأخير بالكلام فالكلام هو ما يتضمن مفهوم الخلق والإنشاء يترتب عليه التأثير أيضا إذن تحقق القصد والتأثير وفق هذا التعريف فبالتالي سهّل على الباحث ربط مفهوم الخطاب التراثي والإسلامي بأحدث نظريات اللغة الحديثة خاصة التداولية في أفعالها الكلامية وكذلك نظرية التواصل ثم استثمارهما وتوظيفهما خدمة للقرآن الكريم أرتكازا على محوري القصد والتأثير.

أي الخروج بهذه النتيجة أن الخطاب هو الكلام والكلام هو عملية تواصلية من جانب ومن جانب آخر هو فعل الإنشاء والخلق أي هو فعل الإنجاز مايعني له بعد تداولي.

إن البحث لم يستوح المفهوم اللغوي التواصلي من مفهوم تواصلية الخطاب فحسب بل استخلص مفهوم التواصل الغيراللغوي من مفهوم الكلام للخطاب أيضا وذلك عبر تعريف الخطاب بالكلام ثم الكلام الإهي بالوحي والوحي هو ضرب من الإشارة لذلك وبناء على هذاالتعريف تطرق البحث إلى التواصل الغير لغوي.

فالنتيجة الثانية المترتبة على تعريف الخطاب بالكلام هي استخلاص التواصل الغير الكلامي.في الحقيقة لم يكن هذا فحسب بل أن التواصل الغير اللغوي وثيق الصلة بأحدث نظريات التواصل ووظائف اللغة خاصة التغذية الراجعة إذن تبرر تلك الأسباب دواعي معالجة هذا النوع من التواصل.

ثم تدرج البحث في المفاهيم ومكوّنات الخطاب مرورا بالوحدة الصغرى(الجملة) ثم تجاوز الجملة إلى ما بعدها وهو النص(الوحدة الكبرى) واعتبار الخطاب شاملا للنص مستوعبه إياه. بتعبيرآخر انطلق البحث من عتبة النص إلى ما بعده الذي يعطي للخطاب صفته التواصلي والتداولي والسلطوي باعتبار النص وحدة مغلقة والخطاب الوحدة المنفتحة.

إن الخطاب الشكلاني البنيوي كان أول منصة الانطلاق في مقاربة الخطاب القرآني وقد أثبت البحث أن الشكل

ليس منقطعا عن المعنى كما تزعم الشكلانية بل على صلة قوية به حيث أن أدنى تغيير في الشكل مرورا بالصياتات والمورفيمات(اللواصق بتقسيماتها الثلاثة (كالسوابق والدواخل واللواحق) ووصولا إلى التركيب(النسبة التامة والناقصة والنبر) قد يحدث تغيير في المعنى وإن ركّز البحث على العلاقات الداخلية ما تسمى بالعلاقات النصية كالاستبدالية والإيحائية وأسباب تماسك النص من دلالات مركزية وهامشية لكنها لا تخلو من التركيز على الفكر والقصد والمعنى وحتى المؤثرات النفسية خاصة في مباحث التقديم والتأخير والحذف.

بتعبير آخر استثمار البنيوية الشكلية لربط الحيثيات بالنص وربط النص بالخطاب والخروج به من دائرته المغلقة إلى ساحات الخطاب المفتوحة وعدم التوقف على الشكل والتركيز عليه بل أن للقصد والتأثير دور وفاعلية)أنه ، قد مهّد للتطرق إلى الجانب التداولي والتأثيري للخطاب أي توظيف تلك المقاصد وذلك بالتطرق إلى الخطاب الوظيفي حيث يعتقد أنّ التركيز لابدّ أن يتمّ على توظيف العناصراللغوية والدور الذي تقوم بها خدمة للوظيفة التواصلية على أنّها إنتاجا للعوامل الغير لغوية كالعوامل النفسية والاجتماعية والإيدئولوجية.

إن الوظيفيين يرون أن الصور اللغوية مظهرا وظرفا لظهور المعنى وأن الكلمات تتآلف وتتقدم أو تتأخر من أجل تحقيق التأثير على المتلقي تابعة أحوال النفس وما يثار فيها من معان وصور وفي هذا المعنى يقول عبدالقاهر الجرجاني: إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنّها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق.

وفي هذا الجانب، درس البحث نظرية هاليداى (Halliday) بوظائفها الثلاث(الانعكاسية والشخصية والنصية) أي موقف المتكلم ومنظوره من الوقائع وكيفية تمثيله عبر اللغة ثم الوظيفة التواصلية ثم الوظيفة النصية المتمثلة في التقديم والتأخير تمهيدا للولوج إلى الخطاب التداولي وذلك بالتطرق إلى السياق وتقسيماته فقدكان كل من تلك المباحث مستندة إلى شواهد من القرآن الكريم. ثم عالج البحث الخطاب التداولي بعدالتمهيد له ونظرية الأفعال الكلامية مستشهدا بالآيات القرآنية فكانت معالجة تلك الأفعال الكلامية مقترنة بالتطرق إلى الجوانب النفسية أيضا. بتعبير آخر وظائف اللغة على صلة وثيقة بالتداول والتوظيف.

بما أنّ البحث يرى الخطاب في قلب العملية التواصلية متأثرا بالمجتمع والسلطة تطرق إلى الخطاب السلطوي وبيّن أثرالسلطة في تكوين خطاب خاص وذلك في آيات من القرآن التي يمكن أن نستوحي منها تلك الميزة ثم درس مصدر خطاب السلطة وكذلك الخطاب السلطوي الشخصي المتمثل في خطابات فرعون.

وأما في الفصل الثالث الذي كثّف البحث جهوده عليه وعوّل عليه كثيرا درس قضية التواصل وجذورها ثم بحث نظرية التواصل عندجاكبسون ثم وظائف اللغة الثلاث في تلك النظرية من إفهامية وانتباهية والوظيفة المرجعية. فقد درس البحث في

الوظيفة الإفهامية، سيميائية الضمائر(أنا، ي) وما توحيها من دلالات صوتية ونفسية ثم تطرق إلى سيميائية الأسماء، اسم(الرب) ودلالته.

فبناء على النموذج التفاعلي الذي تبناه البحث وتركيزه على مدى تأثيرالخطاب في مستقبله(الاستجابة) قد ربط البحث بين التواصل الغير اللغوي والتغذية الراجعة(أحد مكونات النموذج التفاعلي) باعتبار التغذية الراجعة هي الاستجابات اللفظية وغيراللفظية ما بين المتواصلين، والتي تكون عادة حول وضوح أو قبول الرسائل المتبادلة فضلاعن ارتباط مفهوم الخطاب بالكلام ثم باعتبار الكلام الإلهي ضرب من الوحي والوحي ضرب من الإشارة كما مر سابقا.

تطرق البحث بعدذلك إلى مكونات التواصل في النظرية التواصلية وبحث فيها الذكاء العاطفي ومفهومه كما يلي:

الوعي بالذات وأن يعرف كل انسان عواطفه.

إدارة العواطف والمقصود منها: القدرة على استخدام الوعي بالمشاعر لكي يحتفظ الإنسان بالمرونة وتوجيه السلوك في نهج إيجابي بتعبير آخر إدارة الذات يختص بالتعامل مع رد فعلك الشعوري تجاه المواقف والأشخاص.

تحفيز النفس وتوجيه العواطف في خدمة هدف ما والتمتع بالفاعلية في كل ما يعهد اليهم والقدرة في الانغماس في تدفق العواطف حين يستلزم ذلك التوصل إلى أعلى أداء.

التحكم في الانفعالات وتأجيل الإشباع ووقف الدوافع المكبوتة التي لاتقاوم والتي أساس مهم لكل إنجاز.

التعرف على عواطف الآخرين أو التقمص الوجداني (empathy)

توجيه العلاقات الإنسانية والتمتع بالمهارات الاجتماعية لأنّ فن العلاقات بين البشر معظمه مهارة في تطويع عواطف الآخرين وهي القدرات التي تكمن وراء التمتع بالشعبية والقيادة والفعالية في عقدالصلات مع الآخرين.

النتائج:

الخطاب،كلام والكلام تواصل بين الإثنين، إذن للخطاب بعد تواصلي لغوي.

الكلام الإلهي، وحي والوحي ضرب من الإشارة. إذن للخطاب بعد تواصلي غير لغوي.

إن الخطاب قد يطلق ويراد به الملفوظ نفسه، وقد يطلق ويراد به عملية التلفظ أو ما يستدعي منا مواجهته بالقول أو بالفعل وقد يطلق ويراد به فضلا عن ذلك نظام التلفظ أو نظام القول ونظام الفعل ودوافعهما وهنا نستطيع أن نميز بين كل من الخطاب والقول والكلام بالقول: إن القول هو الملفوظ وإن الكلام هو عملية التلفظ أما الخطاب فهو النظام الذي تخضع لمنطقه عملية التلفظ أو هو بالأحرى النظام الذي يحكم ويتحكم بعملية التلفظ. لذلك نجد أن الخطاب عبارة عن نظام القول المعبر عن حكمة القائل.

النص، هو البعد المكتوب للخطاب المتسم بالانغلاق والاتساق والانسجام. وهذا ما يمنح الخطاب مجالا لمقاربته من حيث الشكل.

الخطاب،هو البعدالشفوي للكلام المتصف بالانفتاح والملمّ بالحيثيات و تجاوز إلى ما بعدالنص وهذا ما يمنح الخطاب، بعدا وظيفيا تداوليا.

★الخطاب الجاهلي، هو خطاب الثنائيات وجدلية الموت والحياة فقد تمثّل هذا الصراع والإحساس بالموت تارة في الوقفة الطللية –حيث يمكن تسميتها بواجهة الصراع – والوقوف بوجه الطبيعة إما في الصراع مع القحل والجدب والخصوبة وإما في الصراع مع الزمان والمكان وتارة أخرى في الصراع بين الذات والمجتمع(الصعلكة)أو الصراع القائم بين الذات والذات نفسها(العاشق / المحبوب)(جدلية الحب والفراق)وتارة أخرى في الصراع بين القوة والضعف(الحيوان الضعيف والمطارد من قبل القوي) لكن كلها منطلقة من منطلق الصراع بين الموت والحياة وتدور في فلكها. فعلى إثرها طغت على القصائد الجاهلية العلاقات الثنائيات سواء في ثنائية الزمن الماضي والحاضر– الماضي الحافل بالذكريات الجميلة والوصل وزمن الوحشة والفراق أو ثنائية زمن الشيب والهرم والشباب– أو ثنائية المكان: المكان العامر/ المكان المندرس(الأطلال) أوثنائية الاستقرار والرحلة،أو ثنائية الفرد والقبيلة وثنائية الإنسان والحيوان والثابت والمتحول أي الحركة والثبات وثنائية الحضارة والطبيعة وثنائية الأنا والآخر و كذلك ثنائية الانفلات والحرية والكبت وأخيرا ثنائية الإنسان والدهر.

★الحوار الداخلي(مع الذات)أو الخارجي(خطاب الآخر بما فيه الإنسان والجماد)هي السمة الأخرى للخطاب الجاهلي فقد ركز الخطاب القرآني على تلك السمات(الأسلوب الاستفهامي والحوار)واستخدمها واستثمرها في توجيه الأفكار والهداية والسعادة وبث روح التعقل والقضاء على القلق والارتباك والتأزم النفسي وقدأضفى عليهما سمة الإقناع والتفكر والتدبر فبذلك

تحول إلى خطاب إقناعي وتأثيري.

★استثمرالقرآن الكريم الحسية والمادية والواقعية في إيراده للتشابيه الحسية تقريبا للمفاهيم المعنوية وترسيخها وتوضيحها كما نلاحظ ذلك في تشبيه الحياة بالماء والهشيم الذي تذروه الرياح وتشبيه المال والبنون بالزينة:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً﴾ ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾

★ التركيز على معنى الخطاب يكون على البعدالأيدئولوجي منه فالخطاب القرآني رغم صلته بالخطاب الجاهلي إلا أنه جاء بمفردات جديدة تنبىء عن البنية الفكرية والتحول الفكري الذي أحدثه في المجتمع العربي والجاهلي آنذاك فإذا نظرنا إلى تلك المفردات رأيناها توحي بمبادىء فكرية وعقائد لم تكن معروفة لدى العرب الجاهلي والتي سمت بفكره وارتقت به إلى عوالم لم يعرفه من قبل. فمن فتلك المفردات والتي اكتست بظلال من الفكر التوحيدي والعقدي هي الصراط والميزان والعرش واللوح والقلم والكرسي والساعة والقيامة والحاقة والقارعة والصاخة والبرزخ والفسق والنفاق والكفر والإيمان والتوبة والحق والباطل.

★أضفى الخطاب القرآني على بعض المفردات معنى آخر وإن جاءت على صورتها ومعناها الأساسي كالموت والحياة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة/ ٢٨. ثم ما لبث أن تطور معناهما إلى معنى أخر. فالحياة، هو الإيمان والعيش في جو عبادة الله والاستسلام له والموت هو الكفر والبعدعن طريق الله. أو كما في هذه الآية:

﴿ وما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ﴾ ﴿ وَلاَ الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ﴾ ﴿ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾ ﴿وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلاَ الْأَمْواتُ ﴾ فاطر/ ١٩-٢٣. حيث العمى والبصيرة والظلمات والنور والظل والحرور والموت والحياة تعني الإيمان والكفر والضلال والباطل والحق والجنة والنار. إن الخطاب القرآني رغم صلته بالخطاب الجاهلي إلا أنه وجاء بمصطلحات جديدة وتراكيب وصفيه كالتعبير بالحياة الدنيا والدار الآخرة: ﴿إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ﴾ محمد/ ٣٦ . أو: ﴿ وما الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ أنعام/ ١٦٥. والحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل /٩٧. والصراط المستقيم: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الحمد/ ٦. وكذلك تراكيب إضافية كالتعبير بعالم الغيب والشهادة: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ

فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة/ ١٠٥. و يوم القيامة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يونس/ ٩٣. وسبيل الله: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»﴾ آل عمران/ ١٦٩. ودارالسلام: ﴿ لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِماكانُوا يعْمَلُونَ ﴾ أنعام/ ١٢٧. وأهل الكتاب: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران/٧١. وأهل الحق وأهل الباطل وإبن السبيل:﴿وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَالسَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ الأسراء / ٢٦.وأصحاب الجنة وأصحاب النار: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا﴾ الأعراف/ ٤٤. و أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة: ﴿ فَأَصْحابُالْمَيمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيمَنَةِ﴾﴿ وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ﴾ الواقعة/٩-٨ . وأصحاب الجحيم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾مائدة/١٠.

وكذلك بالنسبة إلى الاستعارات كاستعارة جناح الذل: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الأسراء/و ورجز الشيطان:﴿يُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيطانِ وَ لِيرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ ﴾ أنفال / ١١. ومتاع الغرور: ﴿ ومَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ ﴾الحديد/ ٢٠. وكذلك في استعارة الطائر في العنق: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يلْقاهُ مَنْشُوراً﴾

الاسراء/١٣. وخرق الأرض: ﴿ وَلاتَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً ﴾ الاسراء/٣٧. وكذلك في الآية الواردة: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ البقرة / ١٦. حيث استعير الضلالة للكفر والهدى للإيمان بتشبيه هذا التبادل بالتجارة وعدم الربح والخسارة فيها والضلال: ﴿ وَمَنْ يتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة/ ١٠٨. وأما بالنسبة إلى الكنايات حيث كن الخطاب القرآني عن هذه الحياة الدنيا بالعاجلة: ﴿مَنْ كانَ يرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يصْلاها مَذْمُوماً مَدْحوراً﴾الأسراء/١٨. وكنى عن الفوز والسعادة الأخروية بالبياض في الوجوه وعن الشقاوة بالسواد: ﴿ يوْمَ تَبْيضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ آل عمران/ ١٠٦. وكنى عن الخمر والميسر والانصاب والازلام بالرجس: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِالشَّيطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ مائدة/ ٩٠.

الخطاب القرآني بما فيه من استعارات وتشبيهات وتراكيب (وصفية وإضافية) وكنايات كان جديدا على المجتمع الجاهلي نظرا لحداثة المعرفة بالأيدئولوجيا والفكر الإسلامي. هذا بجانب ما نلاحظه من تغير وتمييز آخر في خطاب ذلك العصر وهو تخصيص بعض الألفاظ المتصلة بالعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والجهاد ... لمعنى خاص. فقد كانت تلك المفردات شائعة الاستخدام في المجتمع العربي لكنها تخصصت للقيام بطقوس وعبادة خاصة يعرفها كل مسلم الآن وقد خصصت أماكن لأداء تلك الطقوس وسميت بأسماء خاصة لم تكن معروفة عند العرب كالمسجد. وكذلك دخلت اصطلاحات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون والوحدة والأمة في مجتمع بعيد كل البعد عن تلك القيم والمفاهيم الذي على الإطلاق . فإذا نظرنا إلى أغراض الشعر الجاهلي من وصف وفخر ومدح وهجاء وغزل خاصة بالتركيز على الموضوعات والمحاور التي يدور الخطاب الجاهلي عليه؛ نستشف أن مدار الخطاب هو المرأة والخمر والحرب الذي كان طاغيا على كل قصيدة مستأثر بها. فالفكرة والأيدئولوجيا التي كانت تقف وراءه مادية بحتة باعثة على القلق والصراع غير مستشفين من تلك الخطابات أمر أو نهي أو سن قانون أو تشريع. بينما مدار الخطاب القرآني هو التركيز على الجانب الإيماني المؤطر بالفكرة والأيدئولوجيا الباعث على السكينة والاطمئنان فلذلك تأتي جميع الأوامر والنواهي وسن الشرائع في خدمته كما لاحظنا.

★ كل تغيير في الشكل في الخطاب القرآني، يدل على تغيير قاصد وهادف وواعٍ في المضمون، مرروا بالصياتات والمورفيمات واللواصق والتركيب(النسبة الناقصة والتامة)والأسلوب:

★اذا دلّ كل حركة وحرف على معنى فإن القرآن الكريم استخدمها عن الوعي والقصدية الهادفة: على سبيل المثال: إن التغيير في الصياتات كالضُرّ والضَرّ في الآيتين إن التغيير في الصياتات في الضُرّ والضَرّ في الآيتين: ﴿وَ أَيوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أنبياء/ ٨٣. وكذلك: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مائدة / ٧٦. يدل على تغيير في المعنى. فالضر تدل على المرض والحزن وفي الثانية تدل على الضرر والخسارة. ففي الأولى، نلاحظ البروز والحزن والقوة وقد عاضدت دلالة الضمة في الضُرّ على الإيحاء بكل تلك الدلالات فدلالة الضمة تدل على البروز والظهور والقوة. إذ إنها تناسب الواو في العربية الدالة على الظهور والبروز الذي يلازم الرفع: فتشعر الضمة في الضُرّ بأنه من علو وقهر. وكأنّها توحي بعظم المصيبة والبلوى عند أيوب لما أصابه في بدنه من المرض والأذى.

★في رأينا إن وضع علامات الإعراب تتأثر بلا وعي الإنسان العربي الذي اعتبر واضعا للغة والنحو إذ جعل الضمة للرفع الذ ي يكون الظهور والبروز من خواصه الذاتية فعلى سبيل المثال إن فعل المضارع إذا كان مجردا من العوامل، فيكون مرفوعا فيشبه من كان أعزبا مغترا بأحاسيسه وميوله وعواطفه لايكترث بأحد فإذا وقعت إلى جانبه عوامل النصب أو الجزم والنصب، هو الاستقرار والجزم هو القطع فإذا واجه الجزم انتهت حركيته فعلى الأقل يصبح ساكنا فإذا كان معتلا فينقطع منه جزء.

★لم يقتصر الأمر على الحركات بل تتجاوز حروف المباني كالحطب والحصب كلاهما وقود نار الجحيم ولكن الحصب بصلابة الصاد الموجودة فيه يدل على الأخذ والإلقاء في النار ولكن الحطب بالطاء المرطوبة يدل على اللين والاستخدام الاعتيادي.

★إنّ القرآن قد وظّف الحروف خير توظيف لمجاوبة الأحوال والأجواء الحاكمة المسيطرة على الفرد: بمثل ما نرى في مريم حيث عبّرت عن عمق شعورها وإحساسها بطلبها الموت والنسيان من ذاكرة الوجود بقوله تعالى: ﴿ فَأَجاءَهَا الَمخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيا ﴾ نلاحظ في هذه الآية المباركة،سيطرة مشاعر اليأس والموت على مريم عليها السلام بتمنيها الموت تعبيرا عن تجرعها واقعا مخزيا لايطاق فضلا عن تكثيف حرف التاء في أفعال الآية:(قالَتْ يا لَيتَنِي مِتُّ)الموحية بمعاني الرقة والضعف والتفاهة وانحباس النفس أثناء خروج صوتها.وكأن انحباس النفس أثناء خروج صوتها يتماثل مع شعور ووجدان مريم الخانق وواقعها المحبط حيث لاتقوى على مواجهة الواقع، وتكون حبيسة الزمان والمكان ثم يأتي تكرار حرف السين في نسيا منسيا الموحي بالضعف والرقة والدال على الحركة والسير والامتداد. أي الحركة من الداخل ومن نفس ضعيفة ورقيقة إلى الخارج وإلى الامتداد وإلى الموت والنسيان. فكأنما تريد الانفلات من الزمان والمكان والانطلاق والسير إلى الامتداد وإلى اللانهاية والتواري في طي الموت والنسيان.

★الانزياجات التعبيرية القرآنية في المورفيمات كوحدات صرفية صغرى، نظرا إلى ما يحال إليه من المراجع، ادّت إلى توسيع دائرة المعنى: ﴿إِذْ قالَ يوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِي ساجِدِينَ ﴾ فإن مورفيم هم و ين الواردتين في: رَأَيتُهُمْ وساجِدِينَ نظرا الى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وسعتا دائرة المعنى. وقد يتجسد هذا الأمرفي اللواحق: الألف والنون والياء والنون(في المثنى والجمع).

★لا يخفى على أحد إن هذه اللواحق حينما تلتصق بالكلمة توحي بمعان التثنية والجمع في التصريف لكن يمكن رصد بعض الانزياحات والعدول عن تلك المعاني إلى معان دلالية ومعنوية أخرى. كما في هذه الآية: ﴿ثُمّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِي دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَينا طائِعِينَ﴾. لم يقل طائعتين وبذلك أراد أن يبين أن طاعته تشمل جميع ما في السموات والأرض حيث هذا التغيير في نسبة الجمع بدلا عن الإفراد أدى إلى تغيير دلالي فالمقصود من السماء والأرض أي أهل السماء والأرض وجميع ما فيهما فبذلك تحوّل الخطاب من الغير العاقل إلى العاقل.

★فاذا اعتبرنا "ين" من اللاحقات اللواصق فالدواخل من مثل "ي" و "و" التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة تشارك في تحقيق فرادة تنمّ عن اختصاص الصورة والدلالة بالله سبحانه كالصفات المشبهة وصيغ المبالغة من مثل الرحيم والغفور من دون مشاركة الآخرين المتمثلة في أسماء الفاعل؛ إذ ترى تعبير الراحمين ولا ترى الغفورين.مع أن أسماء الفاعل

بالألف الوارد في صلبه تدل عامة على الشموخ والهيبة والقدرة: ﴿ رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيوْمٍ لا رَيبَ فِيهِ ﴾. أو بتعبير آخر يفيد الإسم الفاعل دوام حدوث الفعل و قوته المستوحاة من شموخ الألف وامتداده الصوتي كما يدل على تحقق الفعلية والإنجاز المستمر في: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى... * فالِقُ الْإِصْباحِ

ونرى كذلك المعنى الشمولي الغير مرتبط بالزمان والمكان أي فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى في كل الأزمنة والأمكنة فضلا عن تضافر الدلالة الصوتية في حرف الألف بإيحاءه الصوتي والدلالي الدال على الرفعة والشموخ والقوة والشمول هذا ما يمكن استيحاؤه من كلمة الفالق ولكن القرآن الكريم الى جانب ذلك استخدم اسم الفاعل للدلالة على الضعف واسم المفعول للدلالة على القوة: حُجَّتُهُم دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِم. فالداحضة هنا به معنى المدحوضة ولكن الله خصّها بالذكر للدلالة على ضعف الحجة بحيث تكون الحجة في غاية الضعف فتبطل ذاتها.

★ يستخدم القرآن الكريم التذكير للدلالة على القدرة والقوّة وشدّة التعلق والتمسك، كما يوظّف التأنيث للدلالة على الضعف وشدة الانهيار في تعابير متشابهة:﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ و ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيةٍ﴾ ففي الأولى يرصد لها القوة والثبات والنفوذ في الأعماق(الجذور) بشدّها في أعماق الأرض وفي الآية المباركة الثانية نستوحي الضعف والهوان والبروز على السطح خلافا للأولى. فيبدو أن السمات الدلالية التعبيرية وآحادها يمكن التعبير عنها بالبنى الصرفية والأشكال اللغوية.

★لم تقتصر الدواخل على الأسماء فحسب بل تشمل الأفعال أيضا يواصل البحث حديثه في التغيرات الشكلية التي تطرأ على المصرفات حيث التغيير ينتاب أبنية الأفعال ويدخل في صميم البنى الفعلية ما يمنحه معنى آخر كما يحدث ذلك في بابي الإفعال والافتعال والمفاعلة والتفعيل.

أما في باب الإفعال فضلا عن التعدية فيمكن استيحاء دلالات أخرى كما في هذه الآيات الشريفات: ﴿وسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾ و ﴿ وَأَسْقَيناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ و﴿ لَأَسْقَيناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾

حيث السابقة الهمزة أ في (أسقيناهم) والدالة على الوزن الصرفي الإفعال تدل على الكلفة ومشقة السقيا في الدنيا لكن بدون سابقة الهمزة تعني عدم الكلفة ومشقة السقيا في الآخرة؛ لأن الهمزة تدل على الشدة خاصة إذا قارنا الهز بالأز في الآيتين التاليتين:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى‌الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ و ﴿هُزِّي إِلَيكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيا﴾

فالأز أشد من الهز وأبلغ لقوة الهمزة نسبة إلى الهاء.

فمن الشواهدالأخرى في باب الافتعال هذه الآية الشريفة:﴿فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ الكهف/٩٧.

حيث الشاهدفي اسطاعوا واستطاعوا وقد وردت الآية في قوم يأجوج ومأجوج والسد الذي جعله ذوالقرنين حاجزا بينهم وبين القوم الذين كانوا يعتدون عليهم إذالفعل الأول ورد في شكل اسطاعوا والثاني في استطاعوا فإن الامتداد اللفظي وطول الشكل يدلّ على تخصيص الوقت لما في العمل من الجهد لأن صعود الجبل لايتطلب جهدا كما يتطلب ثقبه واختراقه فكان(اسطاعوا) مع العمل الأقل جهدا وكأنما حذف التاء في الأول، ينبئ عن سهولة العمل والخفة فيه وعدم الحاجة الى التدقيق وادارة الوقت.أما بقاء التاء في(استطاعوا) يوحي بالعمل الأكثر جهدا وكأنما بقيت التاء لتنبىء بمشقة العمل وصعوبته. والشيء اللطيف الذي يلفت الأنظار في مثل هذا التشابه الأسلوبي هو الامتداد الطولي اللغوي في استطاعوا الذي لا نراه في اسطاعوا كي يدل على مدى الوقت والعمل والجهد فإذا كان هناك عمل يحتاج إلى جهد أكثر فمن الطبيعي أن يستغرق وقتا أكثر فصور صرف الوقت والزمن في امتداد شكل اللفظ أو المفردة، كما نرى في اكتالوا على الناس وكالوهم الواردة في : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾. المطففين/ ١-٣. كما يدل اكتالوا على الناس على القدرة النابعة عن النقود والدراهم والمؤدية على التدقيق وصرف الوقت لاختيار أحسن ما يشتريه من الأمتعة أو الفواكه او ما شابه ذلك. كما نرى نفس التدقيق و تخصيص الوقت في وَاصْطَبِرْ بمقارنتها ب وَاصْبِرْ:﴿ وَاصْبِرْ عَلى ما يقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ و﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيها ﴾ فاصطبر عليها تفيد بأنها بحاجة أكثر إلى الصبر والاستقامة والمصابرة إذ فيها دلالة على مقاومة ذاتية في أمر الصلاة من قبل المصلي حتى يتغلب عليها ويلتزم بصلاته ومن جانب آخر إن باب المطاوعة أيضا فيه دلالة على التأثر والانفعال البادي على السلوك. فكل ذلك يستدعي جهدا أكثر بالنسبة إلى الآية السابقة في دعوة النبي صلى الله عليه وآله إلى الصبر على ما يقولون إذ لا استمرارية لأقوال الكفار فبالتالي الإلزام بتأصيل الصبر بالنسبة إلى أمر الصلاة والمداومة عليها حيث يتطلب الأمر التأثر والالتزام.

أو في هذه الآية: ﴿وَ لَقَدْ يسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ القمر/ ١٦.

فمجيء المذّكر على الوزن الصرفي (الافتعال) بدلا من الذاكر ما يدل على التأصل والانفعال البليغ والعميق البادي في السلوك الذي توحيه دلالة المطاوعة.فالمذّكر بما فيه من الطوع والتاثر يتوقع منه الذكر المتمثل قي السلوك والاستفهام الترغيبي يعاضد الأمر المتوقع.

★زاد القرآن الكريم على فلسفة استخدام الفعل المبني للمجهول والمعلوم: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا. ﴾وجيء بالنبيين

والصديقين . فنرى في الأولى اقتدارا وقوة وتفخيما وفي الثانية احتراما وتكريما وتقديرا للأنبياء والصديقين وزد على ذلك تعدية الفعل جاء بالباء حيث هذه الزيادة غيرت معنى الفعل من اللازم إلى المتعدي أيضا وأما النقطة المشتركة فهي تقدسها ومكانتها الرفيعة التي رأى الله أن يختار فعل جاء ومشتقاتها لتجسيد ذلك الشرف وتلك الرفعة والقدسية فالبناء للمجهول زاد على القدسية والشرف ما يدل على الاحترام.

كما نرى في الخطاب القرآني قديكون المجهول للذمّ: أوتيتم الكتاب، والمعلوم للمدح:آتيناهم الكتاب

★في النسبة التامة، يكون لحروف الجر أثر بالغ في تصوير المشاهد والوقائع: لَمجموعون الى ميقات يوم معلوم وجمعت السحرة لميقات يوم معلوم. والاولى تدل على استمرار والحركية الى يوم القيامة والثانية تدل على التقابل الذي حدث بين موسى و السحرة.هذا ويناسب كلمة مجموعون بثبوته السياق.

★تتجلى العلاقات النصية في الخطاب القرآني التي تزيد في الانسجام في النص الخطابي منها المناسبة. إما المناسبة بين السورة واسمها حيث يعد اسم السورة العتبة الأولى للولوج في موضوعها، ما تسمى هذه العلاقة النصية بسيميائية العنوان. وإما الإحالة بتقسيماتها الشخصية: أنا،أنت،نحن،هو،هم، .. والإشارية والموصولية: هذا، هؤلاء،أولئك ... و المقارنة :أي أفضل، أكثر.

★ إن العلاقات النصية حققت التماسك عبر الضمائر والموصولات والإشارات التي عادت إلى مرجع واحد بمثل ما يمكن ملاحظتها في سورة المؤمنون:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ ﴿ إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾ ﴿ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يحافِظُونَ﴾ ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ المؤمنون/ ١-١٢.

★تتجلى المرجعية المقارنة في الخطاب القرآني:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً وَأَنَّهُمْ لا يسْتَكْبِرُونَ ﴾ المائدة/ ٨٢. حيث المفردات(أشد وأقرب) كوّنت علاقات نصية داخلية شكلية أي مرجعية المقارنة وربطت بين وحدات الجمل مبينة ميزات كل من اليهود والنصارى بالنسبة إلى المسلمين قد أدّى تكرار الفعل ﴿ لَتَجِدَنَّ ﴾ مع إحالة الضمير القبلية في(أَقْرَبَهُمْ)إلى(النَّاسِ)في أشدالناس عداوة والإحالة القبلية في أنهم الراجعة إلى القسسين والرهبان أدى إلى تماسك وترابط شكلي مكثف في الآية فضلا عن الإحالة الإشارية في الذين والتكرار المكثف لها أيضا.

التكرار يزيد في التماسك إما بتكرار الكلمة نفسها وإما بتكرار المقاطع والفواصل. وبما أن دلالة التكرار دلالة نفسية بامتياز. ربط البحث بينه وبين الدلالة الهامشية ذي العلاقة المتينة بالأحاسيس والمشاعر والوجدان وقد أفادالبحث أن تكرار المقاطع الصوتية، خاصة(الواو والنون) سورة المؤمنون وفي نهاية الآيات، لها دلالة الاستمرار والباطنية والثبات لتلك الصفات.

★تتميز الآيات القرآنية بدقتها في التعبير عن دلالاتها حيث وظفت طبيعة الأصوات لتجسيم المواقف النفسية والانفعالية فمنها ما ورد في نهاية السورة بقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ﴾ حيث يلاحظ فيها تكرار لحروف الراء والحاء والميم في ارْحَمْ و الرَّاحِمِينَ فالحرف الحاء المهموسة الرخوة المستفلة الدالة على الانفتاح ما يتماشى مع حالة الرقة والانكسار والخشوع والدعاء عند المؤمنين وانفتاح النفس على استمداد القوة والاتصال بينبوع العلى مع ترسيخ لفكرة الإيمان الجوهرية والدلالة المركزية عبراستشعار دلالة الحروف ومعانيها النفسية ما تسمى معنى المعنى والدلالة الإيحائية بدءا بالفكرة المركزية(الإيمان)الطاغية على السورة بأكملها وختاما بها.

★إن ما يزيد من قوة التماسك الدلالي عبر توظيف الدلالة الهامشية هي تكرار حرفي(الواو والنون) في الفواصل حيث تعطي الآيات جرسا موسيقيا مناسبا وشحنة صوتية إيقاعية فالواو والنون المتكررة في الفواصل القرآنية لها دلالات تخضع للسياق والفكرة المركزية الإيمانية المسيطرة على السورة حيث تعدّ(الواو)حرف باطني وحامل معنى الغيوب والأسرار مستغرقا الزمان والمكان ما يمنحها صفة الاستمرارية والثبات والمواصلة في خط أفقي ممتد فصوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم كانّه يصوّر حركتهم التقدمية والمتواصلة التي لا تعرف التراجع والانعقاب. فالخشوع والإعراض عن اللغو والحفاظ على الفروج والصلاة ورعاية العهد كلها أمور ينسحب عليها صفة الإقبال على الذات والانكفاء تلبية للكمال والسمو بالنفس. إن الياء المدية في(الذين) لها إيحاء نفسي مرتبطة بنفسية المؤمن وانكساره وخشيته ورقته ودالة على ظهورها وبروزها.

★تتجلى وظائف اللغة الست: الإبلاغية والإفهامية الانتباهية والمرجعية والميتالغوية والشعرية، في الخطاب القرآني التي قام بتنظيرها جاكبسون وهي أساس الخطاب الوظيفي وقد تشترك الأخيرة مع نظرية التواصلية التفاعلية في تلك الوظائف.

★تتجلى الوظائف الثلاث: الانعكاسي، النصي، الشخصي. التي قام بتنظيرها هاليداي وربط تلك الوظائف بالقصد والتأثير الذي هما أساس كل خطاب.

★يمكن توظيف نظرية التداولية والعلاقة الوثيقة بين القصد(الغرض والحالة النفسية) خاصة عند الخطاب التداولي(علم استعمال اللغة) وتجليها في الأفعال الكلامية خاصة النداء:﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ إنه سبحانه وتعالى أقبل على عباده وناداهم دعاهم

كذلك إلى عظيم رحمته وأضافهم إليه إضافة تشريف مثلما أضاف الرحمة إليه(من رحمة الله) وكذلك لم يحصر عباده في المؤمنين فلم يقل يا عبادي الذين آمنوا وإنما خاطب جميع عباده من غير تحديد مؤمنين وكافرين ومنافقين وعصاة. إنّ هذا النوع من الخطاب والنداء،له بعد تداولي إنجازي تأثيري، يشعرنا بالحميمية والقرب واحتضان العباد المسرفين على أنفسهم والقانطين والترحيب بهم من جانب الله سبحانه وتعالى.

★يبدو أنّ الخطاب ذو صلة وثقى بالسلطة والمجتمع والسياسة والإيدئولوجيا. ففي الحقيقة، إن الإيدئولوجيا هي نقطة ارتكاز أي خطاب ما يمنحه السلطة وتعددية المواقف والأفكار. وبالتالي الأصوات فالسلطة الإيدئولوجية والفكرية وراء السلطة السياسية والاقتصادية حيث التمتع بكلا القوتين يمنح سلطة للخطاب أيضا بتعبير آخر الخطاب يمنح السلطة والسلطة تمنح الخطاب كما نلاحظه في خطاب فرعون:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً يسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كان مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ حيث تمتع بالقوة المتجليه في السياسة التي خوّلته أن يقوم بما يحفظ له هذه السلطة باستضعاف الشعب والتصفيات الجسدية والعنف. وكذلك في تأثير القوة الاقتصادية على خطاب فرعون المعلن بمالكية الظواهر الكونية له:﴿أَ لَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ زخرف/ ٥١. حيث يرى فرعون أنّ الأرض وبما فيها من خيرات ملك له قائلا: ﴿أَ لَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ زخرف/ ٥١. إننا بقوله هذا نلمس تلك اللمسة الأنانية المتعجرفة خاصة في تكرار ضمير الياء المتكلم في الآية (لي وتحتي) مؤكّدا نظرته الاستعلائية المتألهة بأسلوب الاستفهام الاستنكاري في ﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ خاصة في استخدام الظرف (تحتي)في الآية: تجري الأنهار تحتي حيث أفرزت هذه النظرة الاستعلائية في شخصيته الشعور بالفوقية واعتبار الآخرين في مرتبة دون مرتبته حتى مظاهر الكون يراها تحت إمرته.

★لا يخفى في هذا الشأن مدى تجبره في خطابه والتفوه بمنطق الألوهية واعتبار الأنا، مطلق السلطة والقوة نحن في ضمير الأنا خاصة الأنا المتألّه عن لسان فرعون الذي جاوز الحد في الطغيان إلى حد الإعلان بين أتباعه بإدعائه الألوهية: ﴿أنا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾ النازعات/ ٢٤.

نستأنس الكبر والشعور بالقوة والاستعلاء مع إلغاء للغير بشدة وقد عزز هذا الشعور اختتام الفاصلة القرآنية ﴿الْأَعْلى﴾ بألف المقصورة التي توحي بالاتجاه إلى الأعلى والرفعة في دلالتها الصوتية أيضا لكنها خلافا للألف المدية التي تفيد الاستمرار إن(الألف المقصورة) تفيد الانقطاع يعني أن الأمر متعلق بزمن معين مخصوص. أي إنّ هذه الألوهية قصيرة ومحددة

بزمن ومكان لا تتّسم بالديمومة. وكذلك مجيء هذه الألف المقصورة بعدالضمة الدالة على التهويل والتضخيم في رَبُّكُمُ تنفي هذه العظمة والشعور بالتفخيم والاستعلاء عند فرعون وكأنها إعلانا وإيذانا بالنهاية.

★ إن الخطاب التداولي والسلطوي لا يخلو من إيحاءات الدلالة الصوتية ذي العلاقة القوية مع الدلالة النفسية. إن الخطاب من هذا المنظور، هو نظام سلطوي كما نلاحظه في: ﴿أنا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾ وشكل من أشكال الهيمنة مستمد سلطته من سلطة إيدئولوجية: ﴿ أَخافُ أَنْ يبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ أو في خطابه للسحرة:

﴿قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يرِيدانِ أَنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَيذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى ﴾ طه/ ٦٣.فتنتهي فيما بعد بصراعات دموية من قبل النظام السلطوي:

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيّنا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقى﴾ الشعراء/٦٩. وكذلك من حاشية النظام: ﴿ قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ الأنبياء / ٦٨.حيث سبقتها حوارات غالبيتها حوارات عقيمة وجدال عقيم انتهت بصراعات كما لاحظنا.

★ تتجلي الوظيفة الإبلاغية والإفهامية في الضمائر(أنا، ي) وما توحي تلك الضمائر من دلالات صوتية ونفسية. وكذلك اسم الرب في مجال الدعاء.

★يتجلى توظيف الأفعال الطلبية(الأوامر والنواهي) وكذلك النداء في الوظيفة الانتباهية وكذلك توظيف الأفعال الطلبية والنواهي وهذا هو أوضح ما يكون في الخطاب القرآني حيث يمكن رصدها في القرآن بكثافة بالغة. فقد جاءالبحث في هذا الشأن رابطا بين أهم وظائف التواصل عند جاكبسون وسيمائية التواصل عندالسيميائيين ووظيفتها خاصة التأثير على المتلقي. وقد تجتمع تلك الأدواة الانتباهية من نداء وأفعال طلبية أو النهي معا. كما في هذه الآية:﴿ يا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ أُستفتح الخطاب بنداء المؤمنين: ﴿ يا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وأنّ الله تعالى وصف المخاطبين بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر. فضلا عن أنّه يعتبر خطاب تكريم وتشريف للمؤمنين موحيا بنوع من القرب والحميمية.

فقد تحققت الوظيفة التاثيرية المختصة بالمرسل إليه باستخدام(ياء النداء وهاء التنبيه) لأن النداء إذا سبق طلبا كان دالّا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه وكذلك تحققت الوظيفة الانتباهية عبر توظيف الأفعال الطلبية كالأمر والنهي(ادْخُلُوا، لا تَتَّبِعُوا) في هذاالنمط الندائي الخاص.

★يبدو أن عالم الآخرة هو عالم التواصل الغير اللغوي.كما نستكشف من الآيات القرآنية:

﴿ يعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ﴾و﴿وُجُوهٌ يوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾ ﴿ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾.

★يبدو أن عملية التواصل تتعرقل لعدة أسباب، أهمها: الأسباب والمعيقات الشخصية من أخطاء إدراكية وتباين في الإدراك والتجارب القبلية والنفسية ومشاعر كالاستكبار:

★إن الآيات القرآنية تكشف الستار عن الكفاءة الشخصية، يعني الوعي بالذات ثم إدارة الذات والتعامل مع رد الفعل الشعوري، تجاه المواقف والأ شخاص والتحكم في الانفعالات أو تأجيل إشباعها أو وقف الدوافع المكبوتة التي لا تقاوم ما تعطي مناعة أمام المغريات والانسياق خلف الشهوات.

★إن الآيات القرآنية تكشف الستار عن الوعي بالمشاعر ثم الإقدام من أجل الهدف وبناء الفعل عليه فقد حصل تأكيد الوعي الذاتي من جانب الرب سبحانه وتعالى إلى النبي الأكرم صل الله عليه وآله ثم ترتب الأفعال على ذلك: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمحْسِنِينَ ﴾. أو ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران/ ١٥٩.حيث حصل تاكيد الوعي بالذات (اللين في قلب النبي صل الله عليه وآله وعدم الفظاظة والغلظة في القلب ثم بناء على ذلك الوعي والإقدام من أجل ذلك الوعي، سواء على صعيد الذات أو الآخر أي عفو الناس والاستغفار لهم والمشورة والتوكل. فقد كانت الأخيرة(التوكل) على صعيدالذات لكن باقي الأفعال كانت على صعيد الآخر.

كما كان تعبيرها بالموت والنسيان، دالا عن وعيها الذاتي العميق والمرير حقا. لذلك تدارك أمرها ربّها وقام بتنظيم وإدارة تلك الأحاسيس حيث تعاطف معها وهدّأ من روعها وطمأنها بقوله:﴿ فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيا﴾ مريم/ ٢٤. ثمّ أمرها بالصوم وتجنب الكلام مع الآخرين لكي تكون في راحة من كلامهم الجارح.بقوله تعالى: ﴿ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيوْمَ إِنْسِيا ﴾ مريم / ٢٦.

★ يبدو من هذه الآية أن إحدى الاستراتيجيات التي يوصي بها الله في مثل تلك الأمور الحساسة والعصيبة هو الكف عن الكلام وبتعبيرالقرآن (الصوم) وترك الموقف والظروف المحزنة. لأن الحديث والكلام يؤدي إلى اجترار أسباب الحزن فذلك يعمق ويقوي الحزن والاكتئاب، فبقطع الكلام ينصرف الذهن عن الأفكار الاكتائبية التي تقتحم الذهن فكفّت مريم عن الكلام فبذلك قطعت عنهم السبيل لتوريطها في حديث جارح ومحزن.

★اذا كانت الكفاءة الاجتماعية، بمعنى التعرف على عواطف الآخرين أو التقمص الوجداني(empathy) او ما يعني توجيه العلاقات الإنسانية والتمتع بالمهارات الاجتماعية، فإن الآيات تنبىء عن متانة الدعم الربوبي للأنبياء من جانب وحرص

النبي على حفظ روابط الاتصال مع المعاندين وحزنه على فقد التواصل من جهة أخرى. فهذا التعاطف مع مشاعر الأنبياء هي ما تعطي دفقا إيجابيا في مواصلة مشوارهم الرسالي ومن ثم الاستمرار في التواصل مع أقوامهم وإن بشكل ضئيل. إنهم كانوا يحافظون على آخر رابط في التواصل ولا يفقدون أملهم حتى في آخر لحظة من دعوتهم كما نلاحظ ذلك في دعوة نوح عليه السلام لقومه وعدم فقده الأمل في الهداية حتى في آخر لحظة وذلك في قصة إبنه: ﴿ يا بُنَى ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ﴾ هود/٤٣.

إن الآيات القرآنية تنبىء عن متانة الدعم الربوبي وقوة التواصل مع النبي صل الله عليه وآله من جانب وحرص النبي على حفظ روابط الاتصال مع المعاندين وحزنه على فقد التواصل ومسارعتهم إلى الكفر من جهة أخرى. إنّ الله سبحانه وتعالى قد أتى بالفعل المضارع في مواساته للنبي صلى الله عليه وآله تذكيرا باستمرارية الدعم والإسناد المتواصل للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم حيث الفعل المضارع في ﴿وَلايَحْزُنْكَ ويسارِعُونَ ﴾ما يدلّ على استمرار الدعم الإلهي مقابل استمرارية التسارع إلى الكفر عندالكفار فجاءت طمأنة النبي صلى الله عليه وآله في عدم ضر كفرهم بورود حرف لن التي تفيد نفي المطلق لَنْ يضُرُّوا اللَّهَ شَيئا ﴾ومواساته بعدم الشعور بالضيق: ﴿لا تَكُنْ فِي ضَيقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ حيث المكر مستمر. فلكثرة إشفاقه صلوات الله عليه على أمته وتحمله الشقاء في سبيل الدعوة والإرشاد يخاطبه سبحانه وتعالى مواسيا رسوله متعاطفا معه أشدالتعاطف خاصة في سورة طه: ﴿ طه * ما أَنْزَلْنا عَلَيكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى ﴾ طه/ ١-٢. وقد بلغ تعاطف النبي مع أمته مبلغه حيث أنزلت آيات بيّنت فيها شدة المشقته والحرص على الهدى.

وكذلك في هذه الآية حيث المواساة من جانب الله سبحانه وتعالى حصلت بتذكير ما جرى على باقي الأنبياء: ﴿وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤُنَ ﴾ أنبياء/ ٤١. وأيضا:﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ فاطر / ٣٥.

★إنه سبحانه وتعالى عندما أدرك ما كان يجري في قلب النبي صلى الله عليه وآله من الخيبة واليأس حاول بهذه الآية الشريفة أن يتدارك ما فقده النبي من الرجاء. وحينما جاء بالإخبار بفعل ماض(اسْتُهْزِئَ، كَذَّبُوكَ) كانت لبثّ روح الهدوء والسكون في قلب النبي صلى الله عليه وآله وتهوين أمر التكذيب عليه صلوات الله بوصفه أمر اعتيادي ينبغي الّا يعتنى به. وكذلك الدعم والتعاطف في هذه الآيات:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيوْمَ يقُومُ الْأَشْهادُ ﴾ غافر / ٥١. وكذلك: ﴿ وَ ينَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ ﴾ زمر/ ٦١. وفيها تذكير بالدعم المستمر والمتجدد للمتقين المتحقق في النجاة

بتوظيف فعل المضارع المؤكد باللام(لَنَنْصُرُ) والغيرالمؤكد(ينجّي) المفيد للتجدد فضلا عن طمأنتهم ب﴿ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ زمر/٦١.

في الحقيقة، تلك الآيات، تخفف من حدة وطأة الحزن والألم عندالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتبدي تعاطفا وتفهما لحالته وشعوره صلّى الله عليه وآله وتمنحه دفقا إيجابيا نحو الكفاح والاستمرار في الدعوة لأنّ إحدى مهارات الكفاءة الاجتماعية هي القدرة على تهدئة انفعالات الآخرين بمحنة أصابتهم والتخفيف عنهم يبدو من هذه الآيات أنّ الله بتأييده ونصره أعلى كلمته ولم يخذل رسوله والمؤمنين به وقد تكون لنا فيها دلالة على تمام النصر والتأييد لكل من يطيع الله والرسول حيث يكون النصر والدعم حليفه. كما لا ننسى أنّ هذا النصر والتأييد قدانسحب على باقي الأنبياء وتابعيهم وكذلك على كل المؤمنين في كل عصر وزمان أيضا . إنها رسالة قوية تواصلية مفتوحة إلى كل الأجيال والأزمان وإلى كافة الأمكنة فقد مدّ الله جسور التواصل ولم يغلقها أبدا على الإنسان.

★إن القرآن يكشف الستار عن قدرة التعاطف الوجداني الذي يأخذ منحى آخر من حيث سموّ المشاعر وترقيتها إنه لذو قوة هائلة تدفع الناس إلى اتباع مبادىء أخلاقية معينة وإنجاز أفعال أخلاقية أخرى.

إنه يكون وراء كثير من الأفعال والأحكام الأخلاقية كما فإنّ جذور مبادىء الأخلاق مغروسة في مشاعر الاندماج العاطفي أي التقمص الوجداني. فقد يبلغ هذا التعاطف والإندماج العاطفي قمّته عندما يبادر الإنسان بتفضيل الآخر على نفسه وإيثاره على ذاته. إن أكثر الناس إحساسا بالتعاطف مع غيرهم هم أكثر الناس تفضيلا للمبادىء الأخلاقي لقد أثنى الله على هذا الشعور الإنساني الراقي والنبيل عند أهل البيت عليهم السلام حيث أبدوا تعاطفا في أرقى درجاته مع من شعروا بعمق معاناتهم فآثروهم على أنفسهم كما في هذه الآية المباركة: ﴿ وَ يؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ ﴾ و﴿ وَ يطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يتِيماً وَ أَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً ﴾.

حيث تجلّت عندهم أرقى المشاعر الغيرية بإيثار المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم على مدى ثلاثة أيام على التوالي كما ورد في التفاسير.

★هذا ما يعطي المؤهلات اللازمة لسعة الصدر وانشراحه ومن ثم تبليغ الرسالة عندالمبلغيين وشدّالمخاطبين إليها ما تمنح المبلغ التمتع بالشعبية والقيادة والفعالية في عقدالصلات مع الآخرين باستخدام المفردات الدالة على اللّين والتوّدد يتّم التركيز على نقاط التواصل وتتعمّق قنوات الاتصال. وقد أشار القرآن إلى استخدام هذه المهارة وأمر بتوظيفها حيث أمر موسى وهارون بالقول اللين في دعوتهما:

﴿ إِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴾ ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيناً﴾ طه/ ٤٢-٤٣. فبهذه الآية يتضح مدى فاعلية الكلام اللين وأثره

البالغ في التبليغ والدعوة ومن ثمّ النفوذ والتأثير والترغيب. وأشار الله إلى فاعلية اللين في السلوك والعواطف وبين تأثيره، فبانعدامه، يكون الفضّ والفصل بدلا من الوصل والتواصل: ﴿ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران /١٥٩.

★ إن القرآن يقدم لنا احسن كيفيات التعامل في الاحوال والمقامات مع من يكون فيها ليكون خير نموذج يقتدي به البشر في مثلها. فعلى سبيل المثال،براعة الانسان في السيطرة والتحكم على من كان في ذروة الغضب يعتبر أعلى مقياس لقدرة الإنسان وبراعته الفائقة في السيطرة والتحكم وتشير البيانات التي انتهت إليها الأبحاث حول ضبط النفس من الغضب وسرعة التأثر الإنفعالي إلى الإستراتيجيات الفعالة في هذا الصدد،حيث يكون إحدى الاستراتيجيات هي السعي لصرف نظر الغاضب عن موضوع غضبه والتعاطف مع مشاعره وأحاسيسه ثمّ جذبه إلى مركز اهتمام بديل لمجموعة من المشاعر الإيجابية. وقد نرى توظيف تلك المهارة عند(هارون) حيث أراد جذب اهتمام موسى إلى مشاعر إيجابية، كالنداء بابن الأم ثم صرف الغضب عنه بقوله: ﴿ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يقْتُلُونَنِي﴾

توظيف مهارة التواصل باعتبارها مهارة اجتماعية بامتياز إذ تستدعي آليات لتوظيفها منها: آلية التواصل الكلامي وكيفية استخدام اللغة والأسلوب التخاطبي الدالّ على اللين والعطف وقد أشار القرآن إلى استخدام هذه المهارة وأمر بتوظيفها حيث أمر موسى وهارون بالقول اللين في دعوتهما.

★يؤكد القرآن مدى فاعلية الكلام الليّن وأثره البالغ في التبليغ والدعوة ومن ثمّ النفوذ والتأثير والترغيب. وأشار الله بهذه الآيات ﴿ إِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ﴾ ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيناً﴾إلى فاعلية اللين في السلوك والعواطف وبيّن تأثيره، فبانعدامه، يكون الفضّ والفصل بدلا من الوصل والتواصل: ﴿ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. لأنّه باستخدام المفردات الدالة على اللّين والتوّدد يتّم التركيز على نقاط التواصل وتتعمّق قنوات الاتصال.

★توظيف مهارة النفوذ والتأثير أي القدرة على فهم الآخرين والتصرف الحكيم في العلاقات وترغيبهم إلى إنجاز فعل ما باستخدام ضمير " ي " وتبيين المتكلم مكانته العاطفية وانتسابه الى المخاطب خير اسلوب لتفعيل الكلام الليّن وأثره البالغ في التبليغ والدعوة ومن ثمّ النفوذ والتأثير والترغيب. فنرى الأمر واضحا عندما خاطب نوح قومه وناداهم(يا قوم) في سماحة ومودة ونسبهم إليه وكذلك نسب نفسه إليهم إذ كرّمهم بعبارات تفوح منها رائحة التودد والمحبة والحدب.

★يعتبر تحية الناس بأسمائهم أحد أكثر إستراتيجيات الوعي الاجتماعي أهمية وتأثيرا فهي طريقة شخصية معتبرة لجذب انتباه شخص ما. لأن مناداة الشخص باسمه يحطم حواجز التواصل. ويتيح فرصة مناسبة لممارسة هذه المهارة صحيح أن نوح لم يحيّهم وينادهم بأسمائهم لكن كان خطابه لا يقلّ احتراما وتكريما عن أهمية المناداة بالإسم أيضا.

كما فى الآيات التالية: ﴿يا قَوْمِ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ مالاً إِنْ أَجرِي إِلاَّ عَلَي الله﴾ هود / ٢٩. وأيضا: ﴿ يـــا قَـــوْمِ مَـــنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود/ ٣٠.

اقتراحات البحث

بما أن موضوع البحث هو الخطاب القرآني يمكن أن يتطرق الباحثون الآخرون إلى محاور لغوية عدة مرتبطة بالنظريات اللسانية الحديثة وهي أسلوبية الخطاب القرآني في سيمائية التواصل خاصة في مجال الذكاء العاطفي وكذلك أسلوبية الخطاب النقدي في القرآن الكريم وتوسيع المباحث في نظرية الخطاب النقدي بتبيين أثر السياسة والاجتماع والاقتصاد في الخطاب وكذلك أسلوبية الخطاب القرآني في توظيف الأفعال الكلامية وعلاقتها بالذكاء العاطفي.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابراهيم الفقي، صبحي، ٢٠٠٠م، علم اللغة النصي ، الجزء الأول القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١.

٢. ابراهيم محمد، عبدالعظيم، ١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني ، القاهرة ، ط١، مكتبة وهبة .

٣. ابن أحمد، خليل، العين ، دار إحياء التراث العربي.

٤. ابن المثنى،ابوعبيدة معمر، ١٩٨١م، مجاز القرآن ، مصر مؤسسة الرسالة ، ط٢، ج٢.

٥. ابن جني،الخصائص، ١٩٨٠ م، تحقيق علي النجار، ج ٢، القاهرة، ط٢.

٦. ابن حماد، اسماعيل، الصحاح تحقيق أحمد عبدالغفور عطار دارالعلم للملايين، بيروت، ط٤.

٧. ابن عربي، تفسير القرآن الكريم، ٢٠٠١م، تح، د. ،مصطفى غالب مج ٢، بيروت، دارالأندلس للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٨م.

٨. ابن عمر، ابن كثير اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أحمد يوسف الدقاق ،دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٠١ه.

٩. ابن فارس، ١٩٨٨م، معجم مقاييس اللغة، بيروت ، لبنا ن، دارالفكر، ط٢.

١٠. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ٢٠٠١م، بيروت، دارإحياء التراث العربي، ط ١.

١١. ابن منظور، ١٩٨٨م، لسان العرب ، بيروت، دارإحياء التراث العربي، ط١ .

١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٩٨٨م، لسان العرب، بيروت دار إحياء التراث العربي ، ط ١.

١٣. أبو زنيد، عثمان، ٢٠١٠م، نحو النص ، عالم الكتب الحديث، إربد . ط١

١٤. أبو زيد، احمد، ١٩٩٢م، التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم اللغوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مغرب ، دارالبيضاء ، د.ط، .

١٥. أبو زيد، حامد، ٢٠٠٠م، النص والسلطة والحقيقة ، المغرب، دارالبيضاء المركز الثقافي العربي ، ط٤.

١٦. ابو موسى، محمد محمد، ١٩٩٦م، أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الاحزاب ، مكتبة وهبة، القاهرة ط٢.

١٧. احمد راغب ، عبد السلام، ٢٠٠١م، وظيفة الصورة الفنية في القرآن حلب ، ط١.

١٨. الأحمر، فيصل، ٢٠١٠م، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم والناشرون منشورات الاختلاف، ط ١.

١٩. اسماعيلي علوي، حافظ، ٢٠١١م، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث ، إربد — أردن ط١.

٢٠. الأصفهاني، الراغب، ١٩٩٧م، مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دمشق ، دارالقلم، ط٢.

٢١. الآلوسي، ابوالفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت ، دارإحياء التراث العربي

٢٢. أوريكيولي، ك، ٢٠٠٧م، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، المغرب د. ط ، آفريقيا الشرق.

٢٣. إيكو، امبرتو، ٢٠٠٥ م، السيميائية وفلسفة اللغة ، ترجمه أحمد الصمعي بيروت، المنطمة العربية للترجمة، ط١.

٢٤. أيوب، نبيل، ٢٠١١م، النقد النصي وتحليل الخطاب ٢، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١.

٢٥. باقري أصل، حيدر، ١٣٨٩م، بررسي وتبيين قرآني وفلسقي ارتباط كلامي خدا وبيامبر البحث الموضوعى والفلسفى للتواصل اللغوى بي الرب والنبي، انتشارات دانشكاه تبريز(نشر جامعة تبريز) ، ط ١.

٢٦. البستاني، فؤاد أفرام، ١٩٤٦م، المجاني الحديثة، بيروت، ط٣، المطبعة الكاثوليكية.

٢٧. البستاني،بطرس، ١٩٨٩م، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بيروت، دار نظير عبود، د.ط.

٢٨. بلخير، هشام، ٢٠١٢م، آليات الاقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجا اشراف الدكتور بوعمامة الجمهورية الجزائرية.

٢٩. البلوحي، محمد، ٢٠٠٤،آليات الخطاب الشعري العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ، ط١،

٣٠. بنعيطيش، يحيى، ٢٠٠٥م، نحو نظرية وظيفيية في النحو العربي، أطروحة دكتوراه إشراف الدكتور عبدالله بوخلخال، الجمهورية الجزائرية.

٣١. بنكراد، سعيد، ٢٠٠٤ ، استراتيجيات التواصل من اللفظ الى الاشارة مجلة علامات، العدد ٢١.

٣٢. بوقرة، نعمان، ٢٠١٢م، لسانيات الخطاب، لبنان، دارالكتب العلمية ط١، .

٣٣. بومعزة، رابح ، ٢٠٠٨م، الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني، دمشق دار ومؤسسة رسلان، ط١، .

٣٤. ترافيس برادبيري وجين جريفز، الذكاء العاطفي، ٢٠١٣م، مكتبة جرير، ط ١.

٣٥. توفيق قاسم خضر، قاسم، ٢٠٠٣م، شخصية فرعون في القرآن ، إشراف الدكتور محسن الخالدي كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين.

٣٦. تومي، عيسى، ٢٠١٤- ٢٠١٥م، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية إشراف الدكتورة دليلة مزوز، السنة الجامعية الجمهورية الجزائرية.

٣٧. الجاحظ ابن بحر، الجاحظ ابو عمرو، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي ، بيروت ، دار الفكر، (د.ت). ج١.

٣٨. جاد الكريم، عبد الله، ٢٠١٤م، التداولية في الدراسات النحوية، القاهرة، مكتبة الآداب ط ١.

٣٩. الجبوري، يحيى، ١٩٨٦م، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٥.

٤٠. الجر، خليل، ١٩٧٣م، المعجم العربي الحديث لاروس، مكتبة لاروس، د.ط.

٤١. جودي، د.ليلى، ٢٠١٢م، استراتيجية التواصل في البلاغ القرأني، دارغيداء للنشر والتوزيع، ط١.

٤٢. جولمان، دانييل، ٢٠٠٠م، الذكاء العاطفي ترجمه ليلي الجبالي، الكويت، عالم المعرفة، د.ط.

٤٣. جيرو، بير، ١٩٨٨م، علم الإشارة والسيميولوجيا. ت، منذر عياشي ، دمشق ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١.

٤٤. حاقة، ٢٠١٦ م، عبدالكريم، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص، دراسة في سورة البقرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة بسكرة. الجمهورية الجزائرية.

٤٥. الحاوي، إيليا، ١٩٨٦م، في النقد والأدب ، الجزء الأول، بيروت، لبنان، دارالكتاب اللبناني، ط٥.

٤٦. حرزولي، العزوزي، ٢٠١٣م، التواصل اللغوي في الخطاب القرآني ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف د.لخضير بلخير.

٤٧. الحريري: رافدة : ٢٠١٠م، فاعلية الاتصالات التربوية في المؤسسات العلمية ، عمان، دارالفكر،

٤٨. حسان، تمام، ٢٠٠٩م، أصول دراسة ابستمولوجية للفكراللغوي عند العرب النحو — الفقه - البلاغة -، القاهرة، د.طعالم الكتب.

٤٩. حسيني كوهساري، سيداسحاق، ١٣٨٣هش، نظرة قرآنية الى الضغوط النفسية ، طهران ، كانون انديشه جوان، ط ٦.

٥٠. حمادي، ادريس، الخطاب الشرعي، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٩٤م.

٥١. حمداوي، جميل، ١٩٩٧م، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر المجلد ٢٥، العدد٣.

٥٢. حمو ، ذهبية، ٢٠١٥م، التداولية واستراتيجية التواصل ، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط ١.

٥٣. الحميري، عبد الواسع، ٢٠٠٩م، ماالخطاب وكيف نحلله، بيروت، مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١.

٥٤. الحميري، عبد الواسع، ٢٠١٤، الخطاب و النص المفهوم العلاقة السلطة، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢.

٥٥. الحميري، عبدالواسع، النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، ٢٠١٤م، بيروت، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢.

٥٦. خرزولي، العزوزي، ٢٠١٣م، التواصل اللغوي في الخطاب القرآني آطروحة، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف لخضير بلخير. الجمهورية الجزائرية.

٥٧. خرما، نايف، ١٩٧٨م، أضواء علي الدراسات اللغوية المعاصرة، كويت، عالم المعرفة ، د.ط، .

٥٨. خضر الدوري ، محمد ياس، ٢٠١٤م، دقائق الفروق اللغوية، لبنان، بيروت، دارالكتب العالمية، ط٢

٥٩. خطابي، محمد، ١٩٩٢م، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ .

٦٠. خليفة سلمان، طلال، ٢٠١٢م، مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة أسلوبية، بغداد، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، ط١.

٦١. الخليوي، سلمان علي، ١٩٩٨م، معوقات الاتصال الفعال، رسالة ماجستير إشراف الدكتور وحيد أحمد الهندي «أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

٦٢. الخنساء، تماضر بنت عمرو، ١٩٨٨م، ديوان الخنساء تحقيق د.أنور أبوسويلم، دارعمار للنشر عمان.

٦٣. دايك ، فان، ٢٠٠٠م، النص والسياق ترجمة عبد القادر قنيني المغرب ،أفريقيا الشرق، د.ط.

٦٤. الدوري، ياس خضر،٢٠٠٥م، دقائق الفروق اللغوية، أطروحة دكتوراه إشراف الدكتور خليل بنيان الحسون ،جامعة بغداد كلية التربية.

٦٥. دي سوسور، فرديناند، ١٩٨٥م، علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الآفاق العربية، ط٣، بغداد.

٦٦. الرسالات

٦٧. الرفاعي يسرى إبراهيم: الذكاء العاطفي في القرآن الكريم ،أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الاسلامية ، جامعة مالايا ، كوالالمبور، ٢٠١٣م،

٦٨. رمضان النجار، نادية، ٢٠١٣ م، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ،الاسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، ط١.

٦٩. ري إم برك، وواخرون ١٣٩٢ه ش، إدارة التواصل ، ترجمه سيد محمد اعرابي ، مكتب البحوث الثقافية ، طهران، ط ٧.

٧٠. زارعي متين، حسن، ١٣٨٨ه ش، مديريت رفتار سازماني، (إدرة السلوك في المنظمات)، جاب أول، نشر آكاه، تهران.

٧١. الزرقاء، مصطفى، ١٣٧٢ه،الخطاب في الحديث النبوي ، مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٢ه ق، دمشق، ط٢ .

٧٢. الزركشي ، بدر الدين، ١٩٨٠م، البرهان في علوم القرآن المجلد ١ ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، دارالفكر ، بيروت ، ط٣.

٧٣. الزركشي، بدر الدين، ١٤١٤ه، البرهان في علوم القرآن ، بيروت ، دارالمعرفة د.ط، ، ج ٢.

٧٤. زكي حسام الدين ، كريم، ٢٠٠١م، الإشارات الجسمية، دارغريب، القاهرة.ط١.

٧٥. الزمخشري، ١٩٧٧م، الكشاف، دار الفكر ، بيروت، ط١.

٧٦. الزمخشري، جارالله، ١٩٩٢م، أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت، ط١.

٧٧. زيغد، سعيدة علي، ٢٠٠٠م، تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط١.

٧٨. الساسي، عمار، ٢٠١١م، منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، لبنان، ط١ .

٧٩. السامرايي، فاضل، ١٩٩٩م، لمسات بيانية، بغداد، دارالشؤؤن الثقافية العامة ط١.

٨٠. سيد قطب، في ظلال القرآن ، القاهرة ، دارالشروق ، ط ١٢.

٨١. سيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن ، ترجمة سيد مهدي حائري قزويني، المجلد ٢، ط ٧، طهران ، أمير كبير.

٨٢. شاهر خلوف، مصطفى، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ،الأردن ، عمان ، دارالفكر، ٢٠٠٩م، ط ١،

٨٣. شاهسوندى، زهرة، ١٣٩٢هش، تغيير المخاطب في القران وآليات الترجمة، ناشر بزوهشكاه علوم وفرهنك اسلامي قم بوستان كتاب، ط١.

٨٤. شاهين ، أحمد فهد، ٢٠١٥م، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط١، عالم الكتب الحديث.

٨٥. شبر الفقيه، ٢٠٠٨م.الدلالة القرآنية في فكر الطباطبائي،بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٨م.

٨٦. شيباني، الطيب، ٢٠١٢م، استراتيجية التواصل في تعليم وتعلم اللغة العربية دراسة لغوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، السنة الدراسية اشراف الدكتور لبوخ بو جملين.

٨٧. صالح السامرائي، فاضل، ٢٠٠٩م، من أسرار البيان القرآني، الأردن، دارالفكر ناشرون، ط١.

٨٨. صانعي بور، د. محمد حسن، ١٣٩٠، أصول تحليل الخطاب القرآني، انتشارات دانشكاه امام صادق نشر جامعة الإمام الصادق،ط١.

٨٩. صحراوي، مسعود، ٢٠٠٥م، التداولية عند علماء العرب — دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١.

٩٠. صولة، عبدالله، ٢٠٠٠م، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية الجزء الأول ، منشورات جامعة

المنوبة ، تونس.

٩١. ضيف، شوقي، في تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ج١، القاهرة دارالمعارف، ط٨.

٩٢. طباطبايي، سيدمحمدحسين، ١٤٢٢ه، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، الأعلمي ج١.

٩٣. الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، ١٤٢٤ه، دلالة السياق ، مكة، جامعة أم القرى ، ط١.

٩٤. عباس حسن، فضل، ١٩٨٩م، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ط ٢.

٩٥. عباس، احسان، ١٩٨٨م، خصائص الحروف العربية، دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط..

٩٦. عبد الرحمن، طه، ١٩٩٨، اللسان والميزان التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت ط١ .

٩٧. العبد، محمد، ١٤٣١م، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط ٤.

٩٨. عبدالحميد بن محمد عبد الواحد، محمد، ٢٠١٤م، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، إشراف محمد عبد الحميد الشرقاوي،جامعة المدينة العالمية ماليزيا.

٩٩. عبدالله سعادة، محمد، ٢٠٠٨م، من أسرار النظم القرآني ، القاهرة ، مكتبة مبارك العامة .

١٠٠.عبو ، الدكتور عبدالقادر، ١٩٩٤ م، فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة، دمشق منشورات اتحاد كتاب العرب،

١٠١.عثمان ابن جني، أبو الفتح، ٢٠٠١م، الخصائص، ج ٢، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠٢.عثمان بن جني، أبو الفتح، الخصائص، ١٩٩٠م، تحقيق محمد علي النجار دارالشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط٤.

١٠٣.عشراتي، سليمان،٢٠١٢م، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي،دارالعراب للدراسات والنشر، ط١،

١٠٤.عفيف، عبدالرحمن، ١٩٨٧م، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، عمان، دارالفكر، ط١.

١٠٥.عكاشة، محمود، ٢٠١٣م، تحليل الخطاب في نظرية أحداث اللغة ، القاهرة، دار النشر للجامعات.

١٠٦.عمر ، السيد، ٢٠٠٨م، الأنا والآخر من منظور قرآني، دمشق، دارالفكر، ط١.

١٠٧.العموش، خلود،٢٠٠٨م ، الخطاب القرآني ، عالم الكتب الحديث جدارا للكتاب العالمي ط ١.

١٠٨.غريب قادر، فخرية، ٢٠١١م، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، إربد لبنان، عالم الكتب الحديث.

١٠٩.الفاخوري، حنا، ١٣٧٧ هش، تاريخ الأدب العربي، نشر طوس، ط ١.

١١٠.الفجال، الدكتور أنس بن محمود، ٢٠١٣م، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، الإحساء، نادي الإحساء الأدبي ، ط١.

١١١.فريد عبدالله، محمد، ٢٠٠٨م، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ط١.

١١٢.فيروز آبادي، ١٣٧٢ه، القاموس المحيط، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،ط٢.

١١٣.قائمي نيا، علي رضا، ١٣٩٠هش، سيمائية المعرفية في القرآن الكريم ، طهران ، منظمة البحوث والثقافة والفكر الاسلامي ط١.

١١٤.القرطبي، ابوعبدالله، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١، بيروت، دارالاحياء التراث العربي.

١١٥.القصاب، وليد، ٢٠٠٧م، مناهج النقد الأدبي الحديث، مشق، دارالفكر ط١.

١١٦.قطب عبدالعال، محمد، ١٤٣٠ه ق، الأداءالتصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم ، مجلة الداعي الشهرية ، دارالعلوم ، ذوالقعدة.

١١٧.قميئة، عمرو بن، ١٩٧٢م، الديوان ، تحقيق وشرح خليل ابراهيم العطية ، دارالحرية للطباعة ، .

١١٨.قيطوري، عامر، ١٣٨٢هش، القرآن ورجعة الدلالة تهران مطبعة سبهر، ط١.

١١٩.كاوياني، محمد ، ١٣٩٣ ه ش، روان شناسي در قرآن(علم النفس في القرآن)، قم، انتشارات بزوهشكاه حوزه ودانشكاه نشر البحوث الحوزة والجامعة، ط١،

١٢٠.لطف آبادي، حسين، ١٣٦٨ ، روان شناسي تربيتي (علم النفس التربوي)، طهران ، نشر السمت، ه ش.

١٢١.ماريو، باي، ١٣٨٣م، أسس علم اللغة ترجمة أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، ط٢.

١٢٢.المتوكل، احمد، ١٩٩٥م، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية ، دارالامان ، رباط ، المغرب.

١٢٣.المثنى، عبدالفتاح محمود، ٢٠٠٨م، نظرية السياق القرآني ، ط١.

١٢٤.مجمع اللغة العربية ، ٢٠٠٤م، المعجم، الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر.

١٢٥.مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ١٩٧٠م، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ط٢، .

١٢٦.محسني ركاوندي، هادي، ١٣٩٠هش، تحليل أخلاقي وتربيتي كفتكوي انبياء در قران كريم ، تهران انتشارات دانشكاه امام صادق جاب اول.

١٢٧.محسنيان راد، مهدي، ١٣٦٩ش ، التواصل الانساني، تهران، انتشارات سروش.

١٢٨.محمد الجودي، لطفي فكري، ٢٠١٤م، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، ط.

١٢٩.محمد فريد عبدالله ، عبدالله، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، بيروت، دار ومكتبة الهلال ، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣٠.مختار، عمر أحمد، ٢٠٠٢م، أنا واللغة والمجتمع ، القاهرة، عالم الكتب ، ط١، .

١٣١.مداس، احمد، لسانيات النص ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن. ط١.

١٣٢.المرابحي، عدنان خالد فضل، ٢٠١٣م، الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبيه دلالية بغداد دائرة البحوث والدراسات، ط١.

١٣٣.مرتاض، عبد الجليل، ٢٠٠٣م، اللغة والتواصل الحزائر دارهومة د.ط.

١٣٤.مسكين، حسن، ٢٠٠٥م، الخطاب الشاعري الجاهلي رؤية جديدة، بيروت، المركزالثقافي العربي، ط١.

١٣٥.معلوف، لويس، ١٣٦٥ه، المنجد، ايران ، طهران ، مطبعة معراج ، ط٢، ش.

١٣٦.مفتاح، محمد، ١٩٨٩م، في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية، المغرب ، دارالثقافة للتوزيع والنشر الدارالبيضاء، د.ط، .

١٣٧.مفقودة، صالح، ٢٠٠٣م، الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات، القاهرة، دارالفجر للنشر.

١٣٨.مقبول، إدريس، الافق التداولي نظرية المعنى والسياق في ممارسة التراثية العربية، إربد لبنان ، عالم الكتب الحديث.

١٣٩.ملا عزيز، صالح، ٢٠١٠م، جمالية الاشارة النفسية في الخطاب القرآني دمشق، دارالزمان، ط١.

١٤٠.المنصوري، عبد الواحد، ١٤٣٤ق، قراءات في النظم القرآني، بيروت، دارالفيحاء للطباعة والنشر، ط١.

١٤١.مهدلي، محمد محمود، ١٩٩٧م، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ، القاهرة المكتب الجامعي الحديث ، ط١.

١٤٢.مهيوبي، وداد، ٢٠٠٩م، الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة مفهومها وبنيتها، إشراف الأستاذ عياش فرحات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير.

١٤٣.ميلاد، خالد، ٢٠٠٠م، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة — دراسة نحوية تداولية ، الموسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ط١.

١٤٤.نهج البلاغة

١٤٥.نهر ، هادي، ٢٠٠٧م، علم الدلالة التطبيقي،أردن، دارأمل للنشر، ط ١.

١٤٦.النورج، الدكتور حمدي، ٢٠١٤م، في تحليل الخطاب، القاهرة، عالم الكتب ، ط١.

١٤٧.هاينه مان، مرجوت ، ٢٠١٣ م ،أسس علم لغة النص ترجمة سعيد حسن البحيري، القاهرة،المختار للنشر والتوزيع.ط١.

١٤٨.هنده لانج، جوتس، ٢٠١٢م، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ترجمة سعيد بحيري، القاهرة، زهراء الشرق، ط ١.

١٤٩.وليدالقصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، ٢٠٠٧م، دمشق، دارالفكر ، ط١.

١٥٠.ياكبسون ، رومان، ١٩٨٨م، قضايا شعرية ، ترجمة، محمدالولي ومبارك حنون ، المغرب، دار توبقال، للنشر ط١.

١٥١. يحيى ناعوس ،٢٠١٣م. *تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص في سورة البقرة*،إشراف الدكتور محمد مليـاني الجزائر مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه.

١٥٢.يقطين، سعيد، ٢٠٠٥م، تحليل الخطاب الروائي ، النص -السرد- التبئير، الدار البيضاء، المغرب، ط٤.

١٥٣.يوركنسن وآخرون، ماريان، ١٣٩٣ه، النظرية والمنهج في تحليل الخطاب، ترجمة هادي جليلي، نشر ني، جاب جهارم ، ش.

١٥٤.يول، جورج، ٢٠١٠م، التداولية ترجمة الدكتور قصي العتابي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١.

١٥٥.يونس، الدكتور رضوان احمد عزت، ٢٠١٤م، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط١.

المقالات

١. ابن السائح، الأخضر، ٢٠١٠م، *« سيميائية الضمير" أنا " في الدلالات وبناء التأويل* الجزائر، جامعة عمّار ثليجي ولاية الأغواط، ٢مارس،.org/t-topicwww٣bensayahlakhdar.ibda.

٢. محققيان، زهرا، ١٣٩٤ه *ش ، نشانه شناسي ارتباطات غير كلامي در ايات قرآن كريم*(سيميائية التواصل الغير كلامي في القرآن الكريم ، فصلية علمية محكمة للبحوث العلوم القرآنية والحديث) جامعة الزهراء، السنة الثانية عشرة،العدد ٤، شتاء تسلسل ٢٨.

. مريم/٥٠, ٢٨١
١١٢و١١٥, ٣١٠
١٢٧, ٢٩٣
١٤-١٦, ٢٥٩
٢٠- ٢٦:, ٣١٢
٢٧/ لقمان, ٤١
٣٣.,, ٢٩٤
Austin, ١٦٣, ١٦٤, ١٦٥, ١٧٠
Bakhtin, ١٧٥
Barthes, ٤٦
Benveiste, ٣٥, ١٥٠, ١٦٤, ١٩٣
Blake, ١٥٥
Brinker, ٤٦
Busyness, ١٩٩, ٢٣٣
chomsky, ٤٧, ٢٠٩
Circe, ١٩٩
cohort, ١٩٣
Daniei GoIeman, ٢٦٤, ٢٦٥, ٢٦٧
Daper, ٢٥٠
de- Beougrand, ٤٦, ٤٨, ٥٠, ٥٢
De -saussure, ٣٤, ٣٥
de-saussure, ١٩٨, ١٩٩, ٢٠٠
discours, ٢٩
Edwin locke, ٢٨٣
fair clough, ١٧٨
fairclough, ١٨٣
fonagy, ٢١٥
fowler R.., ٥٠
Gardener, ٢٦٥, ٢٦٩, ٢٩٢
Goffman, ١٩٣
gohn Mayer, ٢٦٧
Guy cook, ٥٤
Halliday, ٤٦, ١١٤, ١٢٤, ١٣٣, ١٤٠, ١٤٢, ١٤٣, ١٤٧, ٢٣٤, ٣١٦, ٣٢٦
Hariss, ٣٦
Hariss, ١١٠
wel Lass Harold, ٢٠٠
Harris, ٥١, ١٥٠
Hartman, ٤٧
Hirst, ١٧٥
Hoffman, ٣٠٢
Howard, ٢٤٦
j.dobois, ٣٦
j.dubois, ١٩٧
j.R.Searle, ١٦٥
jaequesfrancis, ١٦١
jakobson, ٢٠٢
john.p.kotter, ٣١١
litch, ١٩٣
logos, ٣٠
M.foucault, ١٧٧, ١٨٠
Mac danel, ١٧٧
Mancino, ١٥١
Mario pei, ٢٣٤
Mas Lowe, ٢٩٤
Massu, ٢٣٧
Maurice, ٢٠٦
Michel Focault, ٢٩
Mikhail Bakhtin, ٢٩
orecchioni, ١٩٣, ٢٠٨
p.Ricorur, ٤٨, ٥٤, ٢٠٨
paul Ekman, ٢٨٩
Prieto, ١٩٩
R.Harweg, ٤٦
R.jakobson, ١٥٢, ٢٠٠, ٢٠١
rosi landi, ٢٣٨
salovy, ٢٦٥, ٢٦٦
salzman, ٢٣٤
sapir, ٢٣٧

sarah Mils, ١٩٣
searle, ١٦٧, ١٧٠
simon dick, ١٤٦
syntagma, ٤٦
Titchener, ٢٩٤
Todorov, ٤٦
umberto Eco, ١٩٧, ١٩٨
van DiJk, ٥٧, ١١٠
vendryes, ٢٣٧, ٢٤٨
ابن جني, ٣٣, ٢٣٥
ابن رشيق, ٢٣٥
ابن عربي, ٥٥
ابن فارس, ٢٧, ٤٤, ١٥٤
ابن هشام, ٣٣
ابن يعيش, ٣٣
سيبويه, ٣٣, ٣٧
الخطابي, ٤٤
الأزهري, ٤٤
الجرجاني, ٣٣, ٤٥, ١٦٦
السكاكي, ١٦٦
الطباطبايى, ٥٩
الغزالي, ١٦٦
المبرد, ١٦٦
إمرئ القيس, ٧٨
عمرو بن قميئة, ٦٦
مصطفى قطب, ٥٣
محمدالعبد:, ٥٢
مريم, ٢٢٧
فيتغنشتاين, ١٦٤
كالزركشي, ١٥٤
موســـــى, ٤٢, ١٠٤, ١٢٠, ١٢١, ١٢٢, ١٤٤, ١٤٥, ١٤٨, ١٤٩, ١٦٩, ١٧٥, ١٧٦, ١٧٩, ١٨٠, ١٨١, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٦, ١٨٧, ١٩٠, ٢٠٦, ٢٢١, ٢٢٧, ٢٣٨, ٢٣٩, ٢٥٣, ٢٥٥, ٢٥٧, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٧, ٢٦٩, ٢٧٠, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٩٦, ٣٠٥, ٣٠٦, ٣٠٧, ٣٠٨, ٣٠٩, ٣١٠, ٣١١, ٣١٣, ٣٢٨, ٣٣٤, ٣٣٥, ٣٣٨
هارون, ١٢٢, ١٤٨, ١٤٩, ٢٥٣, ٢٥٥, ٢٥٧, ٢٦٩
والزركشي, ٣٤
يحيى, ٢٢٧
ابراهيم / ١٣, ٢٨٨
ابراهيم/ ٥٢, ١٩٦
ابراهيم/١, ٦٠
أبو لهب / ١, ٢٠٥
أحزاب/ ٣٢, ٢٢٧
أحزاب/ ٤٨., ٢٨٠
أحقاف/ ١٢, ٢٨١
أحقاف/ ١٦, ٢٨١
أحقاف/٣٥, ٢٧٦
أسراء / ٨١, ٢٩٠
أسرى / ٧٦, ٢٨٨
أعراف/ ١٠٨, ١٠٠
أعراف/ ١٤٤, ٤٢, ٢٢٧
أعراف/ ١٥١, ١٤٩
أعراف/ ١٩٩, ٨٠
اعراف/ ٥٦, ٩٣
أعراف/ ٦٠, ١١٩
أعراف/ ٦١, ١١٩
أعراف/ ٦٧, ١١٩
أعراف/ ٩٣, ٢٨٢
أعراف/ ٩٦, ٢٨٤
أعراف/٦١, ٢٨٧
أعراف/٧٩, ٢٨٢
آل عمران / ١٠٧, ٢٤٧
آل عمران / -١٢٤- ١٢٣, ٣٠٣
ال عمران / ١٤, ٩٩
آل عمران / ١٤, ٣٢٢
آل عمران / ١٧٥, ٢١٣

آل عمران / ١٧٦, ٢٩٧, ٣٣٢
آل عمران / ١٩٥, ٣٠١
آل عمران /١٣٥-٦, ٢٨٤
آل عمران /١٥٩, ٣٠٦, ٣٣٤, ٣٣٥
آل عمران/, ٣١١
آل عمران/ ١٠٩, ٢٤٧
آل عمران/ ١٤٠, ٣٠١
آل عمران/ ١٥٩, ٣٣٠
آل عمران/ ١٩٣, ٢٣٢
آل عمران/ ٣٦, ٢٠٤
آل عمران/ ٤٣, ٢٢٧
آل عمران/ ٩, ٩٢
آل عمران/٨, ٢٠٥
الأحزاب/ ٤٨, ٢٧٧
الأحزاب/٩, ٣٠٠
الإسراء / ٣١, ١٠٥
الاسراء /. ٣٦, ٣٠٥
الإسراء /٨٤, ٢١١
الإسراء/ ٤٧, ٢٥٦
الأعراف / ١٥٠, ٣٠٨
الأعراف / ٢٣, ٢٢١
الأعراف / ٦٦, ٢٨٧
الأعراف / ٦٨, ٢٦٢
الأعراف / ٨٨, ٢٨٨
الأعراف/ ١: ٥١, ٣٠٩
الأعراف/ ١٨, ١٦٥
الأعراف/ ٥١, ٢٦٢
الأعراف/ ٦١, ٢٨١
الأعراف/ ٦٨, ٢٨١
الأعراف/ ٨٢, ٢٨٨
الأعراف/ ٩٣, ٢٨٢
الأعراف/١٥١, ١٤٨
الأعراف/٢٠٤, ٣٠٥
الأعراف/٩٦, ٧٤
الأنبياء / ١٠٧, ١١٢
الأنبياء / ٦٨, ١٨٧, ٣٢٩
الأنبياء /٧٥, ١١٢
الأنبياء/ ٢٥, ٢١٢
الأنبياء/ ٥٧, ١٠٢
الانبياء/ ٦٨, ٢٨٨
الأنبياء/ ٨٥-٨٧, ١١٢
الأنبياء/ ٨٦-٨٧, ١١٢
الانبياء/ ٨٩, ٢٢١
الإنسان /١٠, ٢١٢
الإنسان/ ٢١, ٩٤
الانسان/ ٣, ٢٦٨
الإنسان/ ٩, ٣٠٢, ٣٣٤
الأنعام / ١٠٢, ١٨٧, ٣٢٩
الانعام / ١١٥, ٢٨٠
الأنعام / ١٢, ٧٤
الأنعام / ١٥١, ١٠٥
الأنعام /٣٤, ٢٧٥
الأنعام /٦, ٨٨
الأنعام/ ١٠٩, ١٣١
الانعام/١٥١, ١٥٧
الأنعام/٩٥-٩٦, ٩٣
الانفال/ ٣١, ٢٣٢
الأنفال/ ٦٢, ٣٠٣
البقرة / ١٨٩, ١٥٧
البقرة / ٢٨, ٢٤٨
البقرة / ٢٨٢, ١٦٥
البقرة /٢٥٥, ٨٨
البقرة /٩, ٩٥
البقرة/ ١٤٤, ٢٤٨
البقرة/ ١٧, ٢٥٥
البقرة/ ١٧١, ٢٥١
البقرة/ ١٧٥, ٢٠٤
البقرة/ ١٧٨, ٨٠

البقرة/ ٢, ٩٠
البقرة/ ٢٣, ١٥٧
البقرة/ ٢٧٢, ٢٤٤
البقرة/ ٣٠, ٢٤٨
البقرة/١٥٣, ٢٧٩
البقرة/٣٥, ٢٢٧
التغابن / ٩, ٩٢
التكوير/ ٩-٨, ١٥٧
التوبة / ٢٩, ١٨٦
التوبة / ٧٣, ١٥٧
التوبة/ ٢٥, ٣٠٤
الجاحظ, ١٥٤, ١٦٢, ٢٣٥
الحاقة / ٤١, ٣٩
الحاقة/ ٢١, ١٠٠
الحجر / ٤٩, ٢١٣
الحجرات / ٤, ٢٨٩
الحجرات/ ٣, ٢٨٩
الحشر/٢١-٢٤, ١٠٦
الدخان / ٤٣- ٤٩, ١٥٨
الدخان/ ١٤, ٢٥٦, ٢٨٧
الدخان/ ٣١-٣٠, ١٩٠
الدخان/ ٤٩, ١٥٨
الذااريات/ ٢, ٨٩
الذاريات/ ٣٩, ٢٥٦
الرحمن/ ٤١, ٢٤٣, ٣٣٠
الرحمن/ ٥٥, ٢٨٤
الرعد/ ٣٨, ٥٨
الروم/ ٣٣-٣٤, ١٠٤
الروم: ٣٤-٣٣, ١٠٤
الزخرف/ ٣٨, ٢٠٥
الزمر / ١٥, ١٥٧
الزمر/ ١٨, ١٣٣
الزمر/ ٦٦, ١٠٢
الشعراء / ٥١, ١٨٢
الشعراء /١٠٧, ٣٠٧
الشعراء /١٩٥, ٥٨
الشعراء/ ١٨, ٢٥٧
الشعراء/ ٤٩, ١٨١
الشعراء/ ٦٢, ٢٢٠
الشعراء/ ٧٤, ١٨٦, ٣٢٨
الشعراء/٦٨-٨٢, ٦٩
الشعراء/٦٩, ٣٢٩
الشمس/ ٧, ٢٦٨
الشورى / ٤٥, ٢٣٦
الشورى/ ٢٨, ١١٣
الصافات/ ١٠٠, ٩٦
الصافات/٣٦, ٢٥٦
العنكبوت : ٦٥-٦٦, ١٠٤
العنكبوت/ ١٤, ٢٨٨
الغاشية / ١٧- ٢٠, ٢٤٠
الغاشية/ ١٦-٢٠, ٢٢٧
الفتح/ ١٨, ١٤٩, ٢٠٤
الفرقان /٦٣, ٥٦, ٥٨, ٧٠, ٨٨
الفرقان/ ٤١, ٢٥٧
الفرقان/ ٤٥, ١٥٦
الفرقان/ ٦٣, ٥٥
القدر/ ١, ٢١٢
القصص/ ١٦, ٢٢١
القصص/ ٢٢, ٢٠٥, ٢٢٠
القصص/ ٢٨, ١٢٠, ١٢١, ٢٠٥, ٢٥٤
القصص/ ٣٠, ١٢١
القصص/ ٣٥, ٢٧٠
القصص/ ٣٨.., ١٩٠
القصص/٢٤-٢٦, ٢٣٦
القصص/٤, ١٨٦, ١٨٩, ٣٢٧
القمر/ ١٢, ٣٢١
القمر/ ١٥, ٣٢٠
القمر/ ١٦, ٩٥

القمر/١٢, ٩٦
القيامة / ١٥, ٢٦٨
الكافرون/٦, ١٠٢
الكهف / ١-٥, ١١١
الكهف/ ٢٤, ٢٢٠
الكهف/ ٩٧, ٩٥
المائدة/ ٨٢, ١٣٣, ٣٢٤
المائدة/١٣, ٣٣٠
المائدة/٤٢, ٣١٢
المائدة/٤٧, ٣١٣
المائدة/٤٩, ٣١٢
المدثر /١١, ٢١٣
المدثر /١-٢, ١٨٥
المدثر/ ١١, ٢١١
المدثر/ ١٨-٢٥, ٢٣٩, ٢٤٥, ٢٦١
المرسلات/ ٢٧, ٩٤
المزمل / ٥-٦, ٣٩
المزمل/ ١٠., ٣٢٠
المزمل/١٠, ٩٥
الملك / ٢٧, ٢٤٢
الملك/ ٢٧, ٢٤٢
الملك/ ٤, ٩٨
المنافقون ٩-١١, ٣٢٢
المنافقون/ ٩-١١, ١٠١
المؤمنون / ٣٣, ٢٥٦
المومنون ٨٠-٧٧, ١٣١
المؤمنون/ ١-١٢, ٣٢٤
المؤمنون/ ١١٧, ١٠١, ٣٢٢
المؤمنون/ ١١٧., ١٢٩
المؤمنون/ ١١٨, ٢٢١
المؤمنون/ ١٤, ١٤٢
المؤمنون/ ١-٧, ١٥٩
المؤمنون/ ١٨, ١٤٢
المؤمنون/ ٢٥, ٢٥٦
المؤمنون/ ٢٦, ١٤١
المؤمنون/ ٢٧, ١٤٤
المؤمنون/ ٣٩, ١٤١
المؤمنون/ ٨٩, ١٥٩
المؤمنون/ ٩٢, ١٥٩
المؤمنون/ ٩٩, ١٤٥, ٣٢٣
المؤمنون/١, ٣٢٣
المؤمنون/١١٧, ٣٢٤
المؤمنون/١٤, ١٤٢
المؤمنون/٦٤, ١٤٢
المؤمنون/٦٥, ١٤٢
النازعات / ٢٤, ١٨١
النازعات/ ٢٤, ٢١٦, ٣٢٨
النبأ/ ٣٧, ٥٥
النحل /٥٧, ٢٤٤, ٢٤٦
النساء / ٩٣, ١٦٥
النساء/ .١٠١, ١٦٥
النساء/ ١٢٢, ٧٣
النساء/ ٤-٥, ٩١
النساء/ ٩٢, ١٦٥
النمل / ١٢, ١٢١
النمل / ٢٠, ١٥٦
النمل / ٤٧, ٢٥٨
النمل / ٦٣, ٥٧, ٦٩
النمل / ٨٠, ٢٥١
النمل /٦٩, ٢٤٠
النمل /٨., ١٢٠
النمل/ ١٠, ٢٩٦
النمل/ ٧, ١٢١
النمل/٧, ١٢٠
النور/ ٣٠-٣١, ٢٤٠
بقرة/ ٢٢٣, ٢٩٠
به/ ١٢, ٢٩٧
الواقعة / ٨٥, ٢١٢

الواقعة/ ٣١-٢٧, ٩٤
أنبياء / ٧٦, ٣٠٢
أنبياء/ ١٠٥, ٤٣
أنبياء/ ٤١, ٢٩٨, ٣٣٢, ٣٣٣
أنبياء/ ٥٧, ٣١٢
أنبياء/ ٨٣, ٨٧, ١١٥, ١١٦, ٣١٩
أنعام / ١٤, ٩٩, ٣٢١
أنعام / ١٦٢, ٧٤
أنعام /٢٣-٢٥, ٢٥٨
انعام /٩٥-٩٦., ٩٩
أنعام/ ٣٤, ٢٩٦
أنعام/ ٩١, ١٠٣
انعام/٤, ٢٦١
أنعام/٩٦, ٣٢١
أنفال / ٢٦, ٣٠٣
أنفال / ٣٠, ٣٠٣
أنفال / ٦٤, ٢٩٩
أنفال /٩., ٣٠٣
أنفال/ ٧١, ٢٩٩
انفطار/ ٣, ١٢٢
انفطار/ ٦, ٢٨٥
بقرة / ١٨٠, ١٧٢, ١٧٣
بقرة /١٩٣, ١٧١
بقرة /٢٠٨, ٢٢٨, ٣٢٩
بقرة/ ١٨٣, ١٧٢, ١٧٣, ٣٠٠, ٣٠١
بقرة/ ١٨٥, ٢١١
بقرة/ ١٨٦, ٢٩٠
بقرة/ ١٨٧, ١٠٠
بقرة/ ٢, ٤٣
بقرة/ ٢١٢, ٢٩٠
تحريم/ ٩, ٢٦٩
تكوير /٦, ١٢٢
توبة / ١٢٧, ٢٨٣
توبة/ ٢٦, ٣٠٠
توبة/ ٧٢, ٢٨٤
توبة/١٢, ٢٩٧
توبه / ٤٠, ٣٠٣
توبه/ ١٤, ٣٠١
جاثية/ ٣٧, ٢٥٩
جن/ ١٦, ٩٤
حاقة / ٧, ٩٣
حج/, ٣٠٥
حج/ ٦٥, ١٠١, ٣٢٢
حجر/ ٩٤, ٣٠٠
حجر/ ٩٧, ٢٩٣
حجر/٨٥, ٢٦٩
حجر/٩, ٦٠
حجرات/ ٢, ٢٨٩
حديد/ ١١, ٢٨٤
حشر / ٩, ٣٠٢, ٣٣٤
حشر/ ٢٢, ٣٠٣
حمد /٥, ١٠٢
دخان / ٦-١, ١١٣
دخان/ ٤٩, ١٥٣
دخان/٤٧., ١٥٣
ذاريات/ ٣٩, ٢٨٧
ذاريات/٢٩., ١٤٤
رعد / ٣٨, ١٦٢
زخرف / ٥٤, ٣١٣
زخرف/ ٢٣, ٢٥٥
زخرف/ ٤٩, ٢٨٧
زخرف/ ٥١, ١٨٦, ١٨٩, ٣٢٧
زخرف/ ٥٢, ٢٥٧
زكريا, ٢٢٢, ٢٢٧
زمر / ٥٣, ١٠٧, ١٦٧, ١٦٩, ٣٢٧
زمر/ ١٨, ٣٠٥
زمر/ ٥٣, ٢٨٥
زمر/ ٥٨, ٢٦٨

زمر/ ٦١, ٢٩٧, ٣٣٣
زمر/٥٣, ٢١٠, ٢١١, ٢٢٩
سبأ/ ١٤, ٢٣٩
سبأ/ ٤٣, ٢٥٤
سبأ/ ٤٨, ٢٨٢
سورة المدثر/ ١٨-٢٥, ٢٤١
شعراء / ١١٦, ٢٨٨
شعراء/ ١٢٥, ٣٠٧
شعراء/ ٣, ٢٩٧
شورى / ٤٣, ٢٨٥
شورى/ ٣٧, ٣٠٩
شورى/ ٤٣, ٢٦٩
شورى/ ٥١, ٤٢
ص / ٣٨, ٢٢١, ٢٧٥
ص /٢٠, ٥٥, ٥٦
ص /٢٦, ١٦٥
صافات/ ١١٥-١١٣, ٢٩٦
صف/ ٤, ٣١١
طه / ١٣, ٣٠٥
طه / ٢١, ٢٣٩
طه / ٣٦, ١٧٥
طه / ٦٣, ٢٥٣
طه /٦٣, ١٨٦
طه/ ١, ٤٢
طه/ ١١١, ٢٤٨
طه/ ١-٢, ٢٩٨, ٣٣٢
طه/ ١٣ و ١٤, ١٧٥
طه/ ١٣-١٢, ٢١٥
طه/ ١٣٢, ١٨٥
طه/ ١٤, ٢١٤, ٢١٧
طه/ ١٨, ٢٣٨
طه/ ٣٤- ٤٢, ٢٧٤
طه/ ٣٤-٤٢, ٢٦٩
طه/ ٤٢-٤٣, ٣٣٤, ٣٣٥
طه/ ٤٣, ٣٠٦, ٣١٣
طه/ ٦٣, ٢٥٥, ٣٢٨
طه/ ٦٨, ٢٩٦
طه/ ٧٧, ٢٣٩
طه/ ٩٤, ١٤٨, ٣٠٨
طه/١٢-١٤, ٢١٢
طه/١٣, ٣٠٥
طه/١٣٢, ٩٥, ٣٢٠
طه/٢٢, ٢٤٩
طه/٨٢, ٢٨٥
طور/ ٣٠, ٢٨٧
عبس/ ٥٥, ٢٤٣, ٣٣٠
عنكبوت / ٤٥, ٤٢
عنكبوت /١٣, ٢٦٧, ٢٨٠
غافر / ٣٨, ٢٩٠
غافر / ٥٠, ٢٩٥
غافر / ٥١, ٢٩٧, ٣٣٣
غافر / ٦٧, ١١١
غافر/ ٢٦, ٣٠٨
غافر/ ٣٧, ٢٩٠
غافر/ ٤٢ -٤٣, ٣٠٧
غافر/ ٩, ١١٣
غافر/٢٦, ١٨٦, ٣٢٨
فاطر / ٣٥, ٢٩٨, ٣٣٢
فاطر/٢٧, ١٠٠
فتح / ١٨, ٢٨٤
فتح/٢٩, ٢٤٣
فتح/٣, ٣٠٢
فجر/, ٢١١
فجر/ ٢٦-٣٠, ٢١١
فجر/ ٢٦-٣٠, ٢١٧
فجر/٢٨, ٢١٧
فرقان / ٤١, ٢٨٧
فرقان/ ٥٢, ٢٦٩

فرقان/٢٤, ٩٢, ٣٢٠
فرقان/٦٣, ٢٧٦
فصلت / ١١, ٩٧
فصلت/ ١٤, ٢٨٧
فصلت/ ٢٨, ٢٩١
فصلت/ ٣٠, ٢٩٩
فصلت/ ٤, ٢٦١
فصلت/٤٩.., ٢٦٨
ق/ ٢٤, ٩٨
ق/ ٣٩, ٢٦٩, ٢٧٦
ق/ ٤٣, ١٠٢
قصص /٥١, ١٩٦
قصص/ ٢٠, ٢٨٩
قصص/ ٢٨, ١٢١, ٣١٣
قصص/ ٢٩, ١٢٠
قصص/٢٣, ٢٦٧
قمر / ٢٠, ٩٣
قمر / ٥٤, ٢٨٧
قمر/٢١, ٢١١
قيامة/ ٢٢ -٢٤, ٢٤٤
كهف / ٥, ٢٩٣
كهف/ ١٠, ٨٨
كهف/ ١٠٩, ٤١
كهف/ ٨٣, ١٤٥
لعنكبوت/ ٦٥, ١٠٤
لقصص/ ٣٤.., ١٢٢
لقمان / ١٩, ٢٩٠
مائدة / ٤٦, ٢١٣
مائدة / ٦٧, ١٨٥
مائدة / ٧٦, ٨٧, ١١٥, ٣١٩
مائدة /٥, ٢٥٥
مائدة/ ١١٠, ٢٩٦
مائدة/ ٥٤, ٧٤
مجادلة / ٥٨, ٢١١
مجادلة / ٨, ٣٨
مجادلة/ ٥٨, ٢١٢
محمد/٢٤, ١٥٦
مريم / ٢٦, ٢٧١, ٣٣١
مريم / ٥٤, ٢٨١
مريم / ٦, ٢٧٠
مريم/ ١٢, ٢٢٧
مريم/ ٢٣, ٢٧٠, ٣٣١
مريم/ ٢٤, ٢٧١, ٣٣١
مريم/ ٢٥, ٩٤
مريم/ ٤, ٢٠٥, ٢٢٢
مريم/ ٤١, ٢٨١
مريم/ ٤٦, ٣١١
مريم/ ٥٦, ٢٨١
مريم/ ٧, ٢٢٧
مريم/ ٧-١, ٢٧٠
مريم/ ٧-١.., ٢٦٣
مريم/٢٠, ٢٠٤
مريم/٧, ٢٧٠
مريم/٨٣, ٩٤
مزمل / ١٠, ٢٧٦
مزمل / ٥, ٤٢
معارج/ ٥, ٢٧٦
ملك / ٢٣, ٣٠٥
منافقون/ ٥, ٢٦٠
منافقون/١٠, ١٤٥, ٣٢٣
منافقون/٥, ٢٥٩
مؤمنون/ ١٠٢.., ١٣٣
مؤمنون/ ١١٠, ٢٥٨
مؤمنون/ ١-١١, ١٣١
مؤمنون/ ١١-١٨, ١٢٨
مؤمنون/ ١-١٢, ١٢٧
مؤمنون/ ١-١٣, ١٣٤
مؤمنون/ ١١٦, ١٣٢

مؤمنون/ ١١٨, ١٣٦, ٣٢٥
مؤمنون/ ١٨, ١٤١
مؤمنون/ ٤٥-٤٦, ١٩٠
مؤمنون/ ٤٦, ٢٥٧
مؤمنون/٢٧, ١٤١
مؤمنون/٤١, ٢٠٥
مؤمنون/٩٣-٩٤, ١٤١
مؤمنون/٩٦, ١٣٣
نازعات /٢٤, ١٨٨
نبأ/ ٣٦, ٥٨
نبأ/ ٣٧, ٧٠
نبأ/ ٣٨, ٩٧
نبأ/. ٣٧, ٥٦
نحل / ١٠٢, ٢٩٩
نحل / ٥٣, ١١٦, ١١٧
نحل / ٧٠., ٣٠٠
نحل /٥١, ٢١٣
نحل/ ٩٧, ٢٨٤
نحل/١, ١١٣
نحل/٥٧, ٢٤٤
نساء / ١٢٢, ٢٨٠
نساء / ٤٣, ٢٩٠
نساء/ ١٤٨, ٢٤٢
نساء/ ٦٥, ٣١٣
نساء/٦٥, ٣١٢
نصر/١, ١١٣
نمل / ٢٧, ١٢١
نمل / ٧, ١٢٠
نمل / ٧٠, ٢٩٧, ٣٣٢
نمل/ ٣٤, ٣١٣
نمل/ ٧٠, ٢٩٨
نوح / ٢, ٢٦١
نوح /٢٣, ٢٥٣
نوح/ ١٦-٩., ٢٦٢
نوح/ ٢١, ٢٦٢
نوح/ ٢٦, ٢٢١
نوح/ ٥, ٢٥٩, ٢٨٦
نوح/ ٦-٩, ٢٥٩
نوح/ ٧, ٢٣٣, ٢٣٩, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٤٩, ٢٦٠
نوح/ ٩, ٢٨٧
نوح/ ٩-١١, ٧٤
نوح/٢٣, ٢٥٣
همزة/ ١, ١١٧
هود / ٢٤, ٢٥٤
هود / ٢٨, ٣٠٧
هود / ٢٩, ٢٨١, ٢٨٢, ٣٠٧, ٣٣٥
هود / ٣١, ٢٨١
هود / ٣٦, ٢٩٥
هود / ٤٤, ١١١
هود / ٩١, ٢٥٧, ٢٨٨
هود /٢٥, ٢٨٢, ٣٠٨
هود/ ١٠, ٢٦٨
هود/ ١٠٣, ٩٢
هود/ ١٠٨, ٩٣
هود/ ١١, ٢٥٤
هود/ ١١٤, ١٨٥
هود/ ١٩, ١٠٩
هود/ ٢٤, ٢٥٦
هود/ ٣٠, ٣٠٧, ٣٣٥
هود/ ٣٢, ٢٨٧
هود/ ٣٥, ١٦٦
هود/ ٣٧, ٥٥, ٥٦, ٥٨, ٧٠
هود/ ٥٦, ٢٨٠
هود/ ٧٧, ٢٧٢
هود/ ٧٨, ٢٧٢
هود/ ٨٤, ٢٨٢
هود/ ٨٧, ٢٥٤
هود/٤٢, ٢٩٦

هود/٤٣, ٣٣٢
هود/٧٠, ٢٧١
هود/٨٤, ٣٠٨
هود/٨٧, ٣١٠
والضحى/ ٤, ٩٩, ٣٢٢
يس/ ٣٠, ٢٥٧
يس/ ٧٧, ٢٠٥
يس/١٨, ٢٥٨
يوسف / ١٢, ٩٦, ٣٢١
يوسف / ٨٦, ٢٧٩
يوسف / ٩٧, ٢٧٩
يوسف/ ١٨, ٢٧٥
يوسف/ ٥٤, ٤٠
يوسف/ ٦٣, ٢٧٩
يوسف/ ٦٧, ٢٨٠
يوسف/ ٨٣, ٢٧٨
يوسف/ ٨٤, ٢٧٨
يوسف/ ٨٦, ٢٧٨
يوسف/ ٨٨, ١١٦, ١١٧
يوسف/ ٩٠, ٢٨٥
يوسف/٤٠, ٢١٩
يوسف/.٩٨, ٢٧٩
يونس / ١٢, ١٠٩, ١١٦, ١١٧
يونس / ٦, ٣٠٠
يونس/ ٧١, ٢٨٠
يونس/ ٧-٨, ١٠٧

Communicative Discourse in the Quran based on

Communicative Discourse in the Quran based on ModLinguistics Approaches

Abstract

Since the early Qur'anic revelation, many studies has been conducted on the Qur'anic linguistics, sometimes in the Islamic-Arabic context and sometimes by the Western scholars. In the analysis of the Qur'anic discourse, the author adopted the first two approaches from among the three modern linguistic approaches (i.e., formalism-functionalism-cognition). Considering the theory of formalism, she found the changes in the names of the sender of the message, in the presence and the station (i.e., Allah, the Lord, He), in the absence and speech (i.e., I, Ours, Mine) and examined them according to their semantic philosophy. Meanwhile, the implications of inflectional forms have not been overlooked. For example, in the Qur'anic verse وَ لَقَدۡ يسَّرۡنَا الۡقُرۡآنَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِنۡ مُدَّكِرٍ, semantic implications of الذکر and المذکرhave been investigated from formalist and functionalist perspectives. However, in analyzing the Qur'anic discourse, the communicative and pragmatic theories have also been used gradually, through the concept of closed meaning of text, and with an emphasis on its integrity and then open discourse approach. This research has been aimed at explaining the overt and covert implications of forms and constituents of the Qur'anic discourse in terms of form, function, pragmatics and communication. In the formal discussion, non-normative inflections have

been examined with regard to the interpretive references and non-normalness (i.e., syntactic and rhetorical), and figurative language, which had not been found in the Jahilliyah discourse. Then, in the pragmatic and communicative parts, the effect-related and persuasive aspects of discourse were examined with an emphasis on two elements of intention and effect through Jacobson's theories and its linguistic functions. Likewise, the verbal and compositional aspects of discourse received attention through Lasswell's theory. In the end, the skills and function of emotional intelligence in the Prophets' discourse were investigated, using a method based on linguistic, literary, and rhetorical rules and a method derived from psychological theories.

Keywords: discourse analysis, forms, pragmatics, non-linguistic communication, emotional intelligence

آنجه در تحقیق پیشرو صورت کرفته است پـرداختن بـه گفتمـان قرآنـی ازدیـدگاههای مختلـف زبانشناسی نوین بوده است منطور از دیدگاههای زبانشناسی صورتگرایی ونقش گرایی است. این تحقیـق با توجه به مفهوم لغوی گفتمان مفهوم ارتباطی آن را با توجه به پیشینه زبانی آن در لغتنامـه هـا برگرفتـه وسپس با مفهوم اصطلاحی آن پیوند می دهد.

در بخش نخست تحقیق، پایه های اصلی بحث که عمدتا نظری وتئوریک است به مانند گفتمـان، متن وچالش میان این دو، مورد واشکافی دقیق قرار می گیرد. سپس ودر فصل نخستین به تعریف لغـوی گفتمان پرداخته از آنروی که خطاب درتعریف لغوی به معنای کلام است مفاهیمی چون ارتباط وکاربرد، از آن بر گرفته شده با نظریات نوین زبانشناسی پیوند داده می شود. نکته قابل توجه انکه ارتباط زیـر بنـا وشالوده پرداختن به گفتمان قرآن کریم در جای جای متن تحقیق است. البته از پرداختن به مفهوم لغـوی گفتمان که به معنای کلام است ارتباط غیر زیانی نیز از آن استنباط می شود کفتمان یعنی کـلام واز انجـا که سخن خداوند هم کلام شمرده می شود واز جنس وحی است وحی را طبق گفنه بزرگان لغت واصول أولا کلام خداوند دانسته ثانیا طبق تعریف ایشان از حنس اشاره برشمرده است وهچنان که آشکار اسـت درتعریف اشاره می توان ارتباط غیر زبانی را از آن استنباط کرد بنابراین ارتباط به دو بخش زبـانی وغیـر زبانی تقسیم می شود که بخش اخیر علاوه بردلیلی که ذکر شد با نقش بازخوردی زبان، که از مؤلفه های ارتباط است نیز پیوند داده می شود تا این امر علمی تر ودقیقتر مورد بحث قرار گیرد..

پس از اینکه دربخش نخست به چالش میان متن وگفتمان با این دسـتاورد کـه مـتن را صـورت و شکل گفتمان ورویه مکتوب ونگاشته گفتمان می پردازد وبه قرآن از آنرو که مکتوب است از یک سو به

عنوان متن واز سویی دیگر، به عنوان گفتمان، براساس نزول شفاهی آن –که علیرغم این دوگـانگی بـاهم پوشانی دارند؛ – از ویزگی های متن یعنی پاره گفتاری واحد، یک پارچه ودارای انسجام بهره برده زمینه را برای ورود به فصل دوم که اقسام گفتمان است آماده می کند.